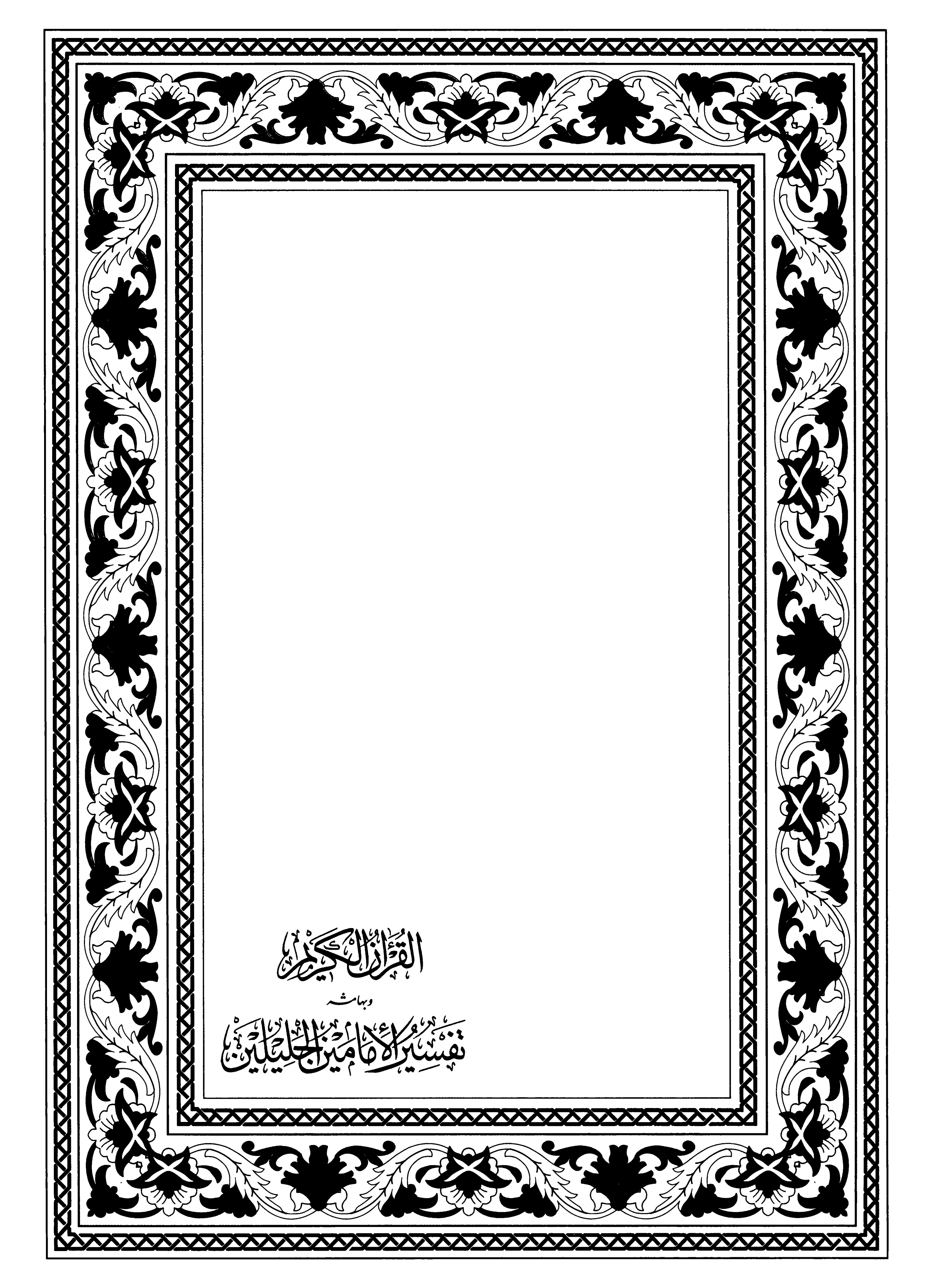
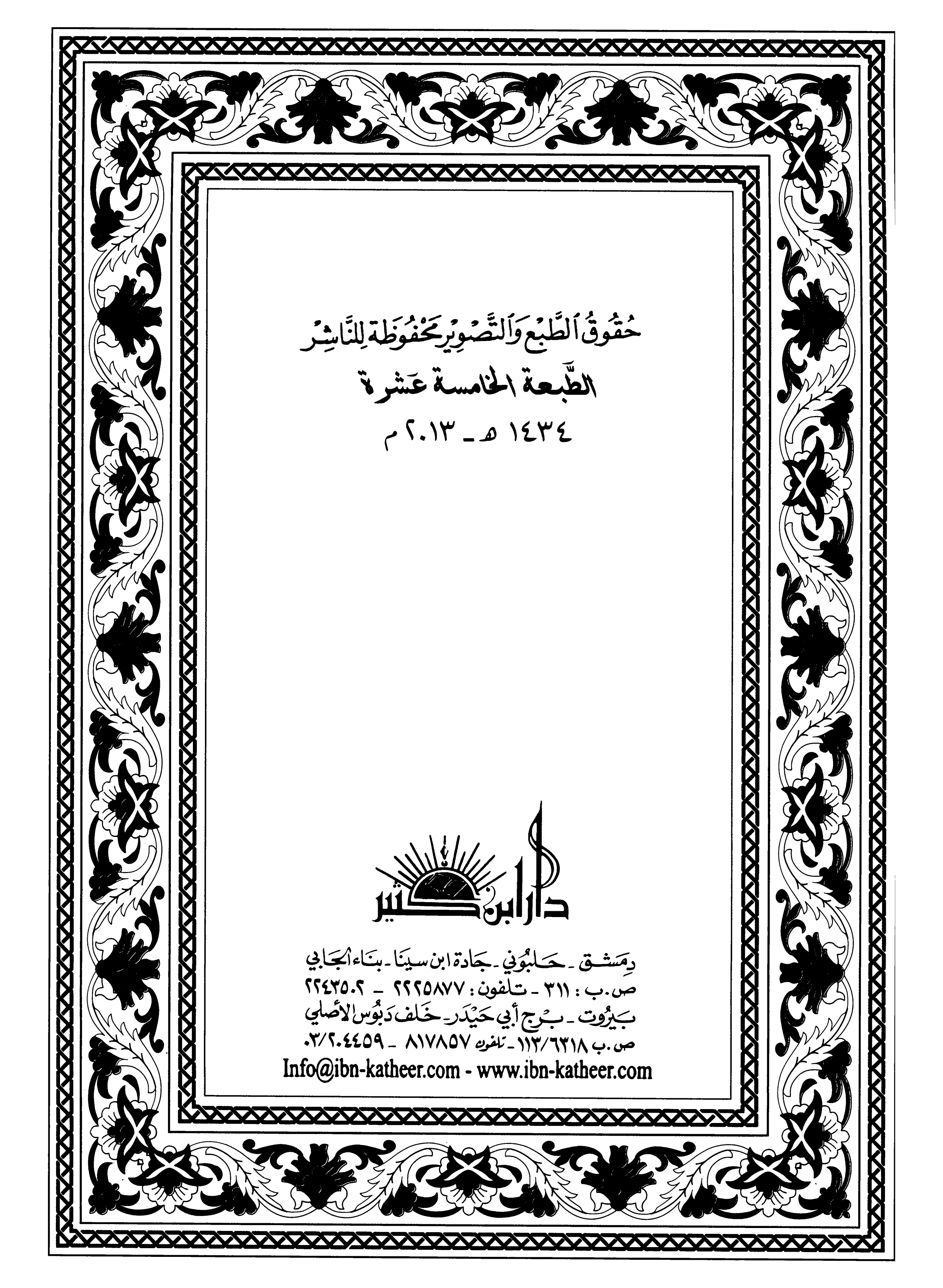


القرآن الكريم

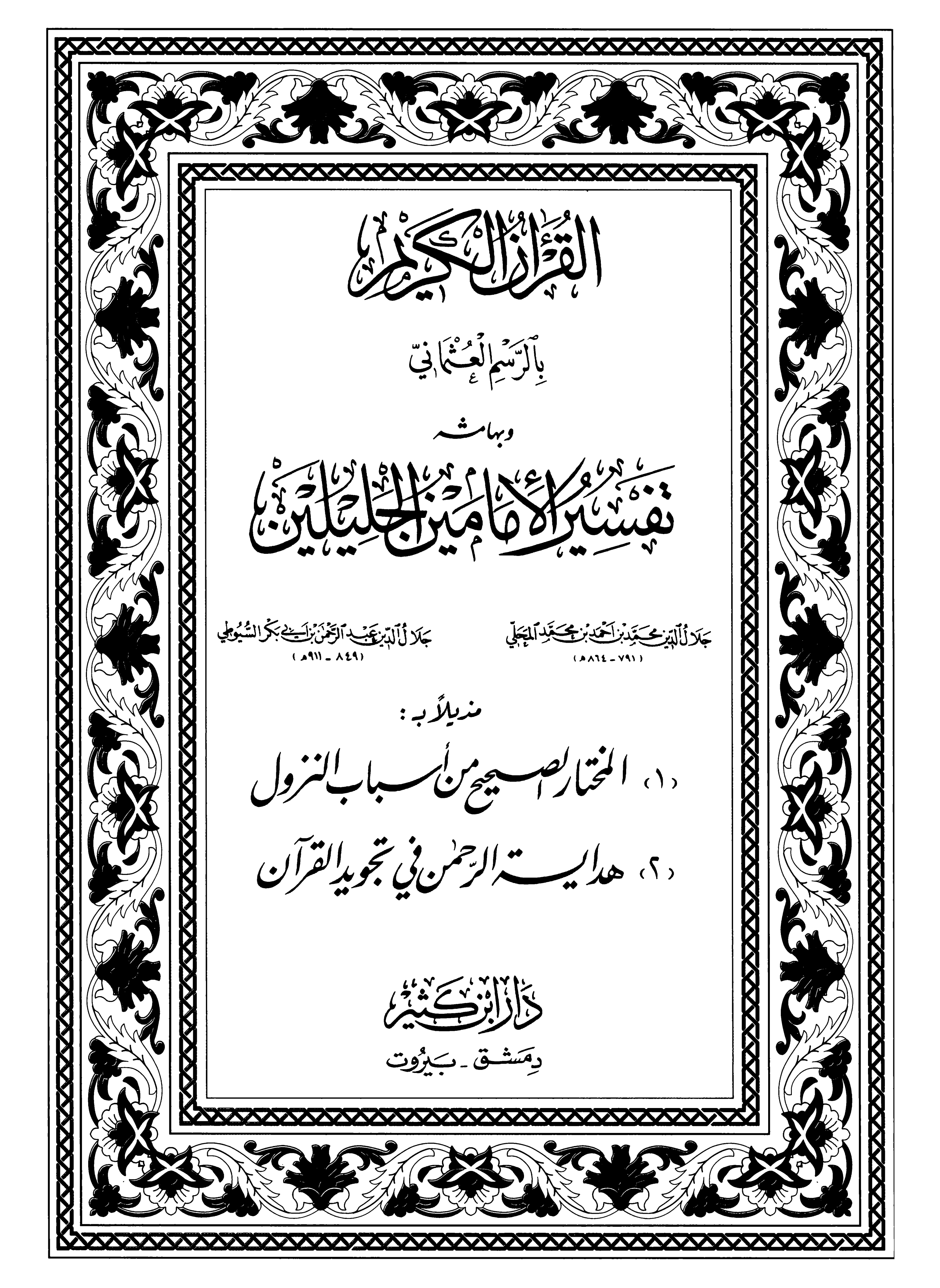
وبهامشه

تفسير الإمامين الجليلين



الطَّبعة الخامسة عشرة
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دار ابن كثير
دِمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي
ص.ب ١١٣/٦٣١٨ - تلفون ٨١٧٨٥٧ - ٠٣/٢٠٤٤٥٩
Info@ibn-katheer.com - www.ibn-katheer.com



القرآن الكريم

بالرسم العثماني

وبهامشه

تفسير الإمامين الجليلين

جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي
(٧٩١ - ٨٦٤هـ)

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٨٤٩ - ٩١١هـ)

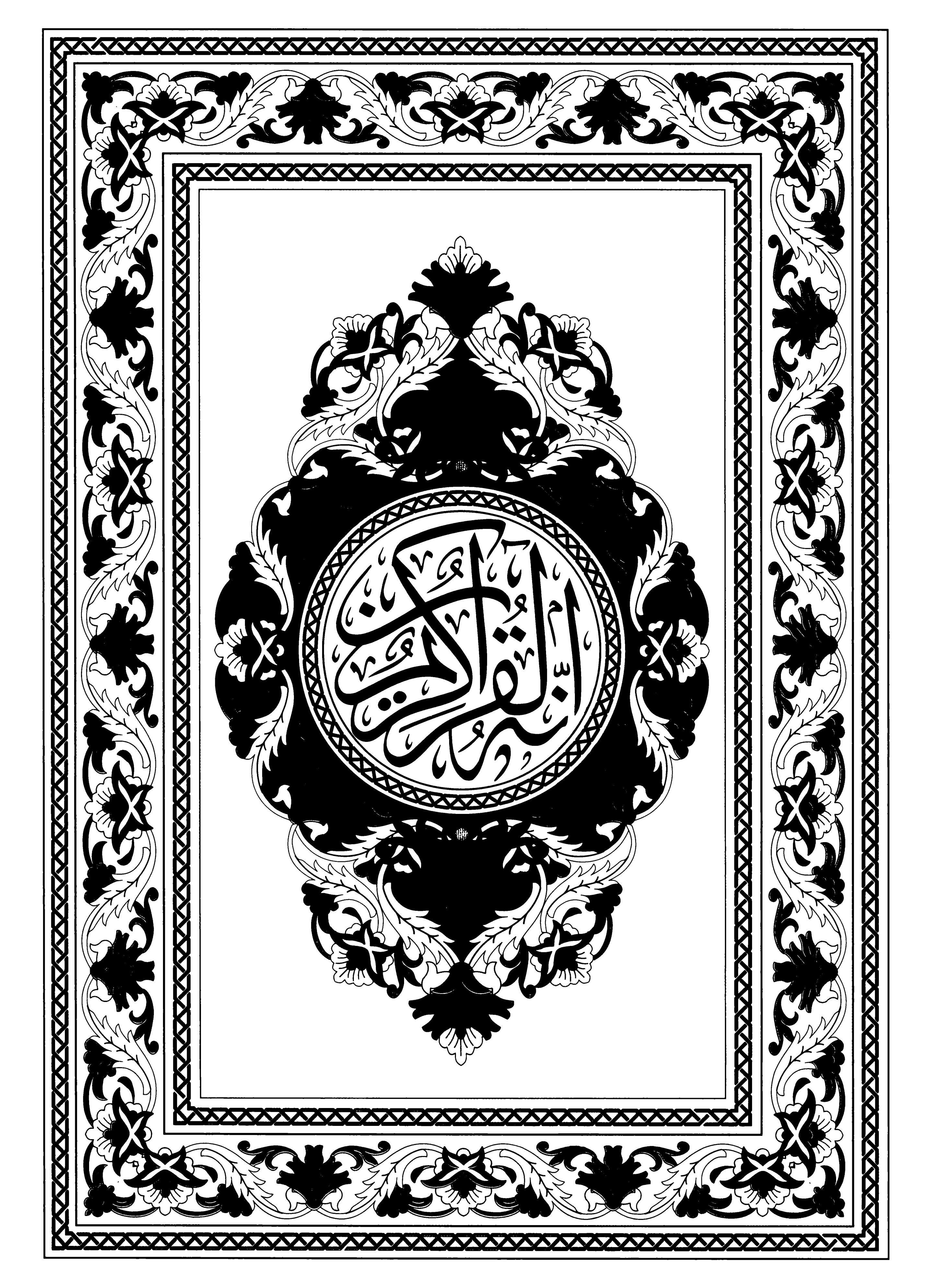
مذيلاً بـ:

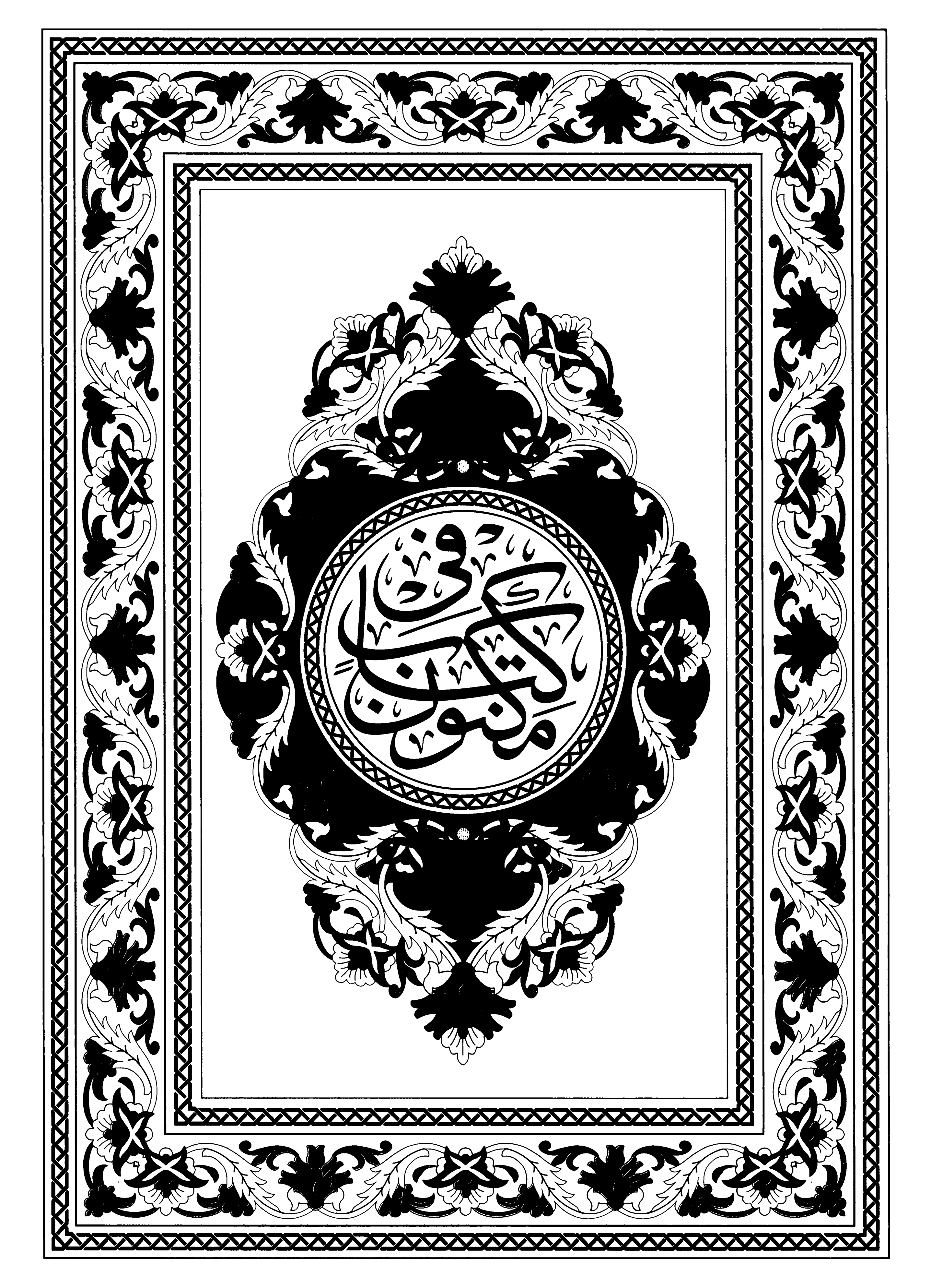
(١) المختار الصحيح من أسباب النزول

(٢) هداية الرحمن في تجويد القرآن

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


القرآن الكريم


فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ

سورة الفاتحة ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وآياتها سبع

﴿سورة الفاتحة﴾

مكيةٌ، سبع آياتٍ بالبسملة إن كانت منها، والسَّابعة: «صراط الذين» إلى آخرها، وإنْ لم تكن منها، فالسَّابعة: «غير المغضوب» إلى آخرها، ويقدَّر في أولها: قولوا، ليكون ما قبل «إياك نعبد» مناسباً له بكونها من مقول العباد.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملةٌ خبريةٌ قُصِد بها الثَّناء على الله بمضمونها من أنَّه تعالى مالكٌ لجميع الحمدِ من الخلق، أو مستحقٌّ لأنْ يحمَدوه، و «الله» علمٌ على المعبودِ بحقٍّ. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: مالك جميع الخلق من الإنس والجن، والملائكة والدَّوابِّ وغيرهم، وكلٌّ منها يُطلق عليه عالَم. يقال: عالم الإنس، وعالم الجنِّ، إلى غير ذلك، وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أُولو العلم على غيرهم، وهو من العَلامة؛ لأنَّه علامةٌ على موجده. [٣] ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أَي: ذي الرَّحمة، وهي إرادةُ الخيرِ لأهله[1].

[٤] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء، وهو يومُ القيامة، وخُصَّ بالذِّكر لأنَّه (لا مُلك) ظاهراً فيه لأحدٍ إلا للهِ تعالى بدليل: ﴿لمَن الملكُ اليومَ لله﴾ ومن قرأ: «مالك» فمعناه: مالكُ الأمر كلِّه في يوم القيامة، أَيْ: هو موصوفٌ بذلك دائماً كـ: ﴿غافرِ الذَّنب﴾ فصحَّ وقوعه صفة للمعرفة. [٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَيْ: نخصُّك بالعبادة من توحيدٍ وغيره، ونطلب المعونةَ على العبادة وغيرها. [٦] ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَي: أرشدنا إليه، ويُبدل منه: [٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية، ويُبدل من «الذين» بصلته: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهودُ ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم النَّصارى، ونكتةُ البدل إفادةُ أنَّ المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2].

المختار الصحيح
من أسباب النزول

(١) اقتصر المؤلف على لازم الرحمة، ولم يثبت صفة الرحمة. والتأويل بما ينفي حقيقة الصفة هو تعطيل لها.

(٢) وُضِعَ تفسير الفاتحة هنا تبعاً لترتيب المصحف، وكانت في الأصل بعد سورة الناس؛ لأنها لما كانت من تفسير المحلي ضمّها السيوطي إليه، وابتدأ هو من أول سورة البقرة.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وآياتها ست وثمانون ومائتان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين، قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة حافظ العصر ومجتهده، سيّدنا ومولانا جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي، أمطر الله عليه سحائب رحمته، ونفع المسلمين ببركته بمحمد وآله آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمداً مُوافقاً لنعمه، مكافئاً لمزيده، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتدّت إليه حاجة الراغبين في تكملة «تفسير القرآن الكريم» الذي ألّفه الإمام العلامة المحقّق جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي الشافعي رحمه الله، وتتميم ما فاته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء، بتَتِمَّةٍ على نمطه، من ذكر ما يُفهم به كلام الله تعالى، والاعتمادِ على أرجح الأقوال، وإعراب ما يُحتاج إليه، وتنبيهٍ على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف، وتعبير وجيز، وتَرْك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريبَ محلُّها كتبُ العربية، واللّهَ نسألُ النفع به في الدنيا، وأحسن الجزاء عليه في العقبى، بمنِّهِ وكرمه.

﴿سورة البقرة﴾

مدنية مئتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
[٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شكَّ ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملةُ النفي خبرٌ مبتدؤُه: (ذلك)، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان، أي: هادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار. [٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدِّقون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله. [٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون. [٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوْصُوفُون بما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورةُ البقرة

(٧٩) قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.
عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: نزلت في أهل الكتاب. [رواه البخاري وغيره].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهّلة والأخرى، وتركه ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لِعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار: إعلامٌ مع تخويف. [٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ طَبَع عليها واستوثق فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ أي: مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ قويٌّ دائمٌ. [٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي: يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ روعي فيه معنى (مَنْ)، وفي ضمير «يقول» لفظها. [٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يُخَادِعونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن وَبال خِداعهم راجع إليهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد، كعاقبت اللص، وذكر «الله» فيها تحسين، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾. [١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ شكٌّ ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ مُؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ بالتشديد ـ أي: نبيَّ الله ـ وبالتخفيف أي: في قولهم: «آمنا». [١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ أي لهؤلاء ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله تعالى رداً عليهم: [١٢] ﴿أَلَآ﴾ للتنبيه ﴿إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ بذلك. [١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحابُ النبي ﷺ، ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الجُهّال، أي لا نفعَلُ كفعْلِهم. قال تعالى رَدّاً عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك. [١٤] ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أصله «لَقِيُوا»، حُذفت الضمةُ للاستثقال، ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ رُؤَسائهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان. [١٥] ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ يُمهلهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ بتجاوُزهم الحَدَّ في الكفر ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يترددون تحيّراً، حال. [١٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فيما فعلوا. [١٧] ﴿مَثَلُهُمۡ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارٗا﴾ في ظُلمةٍ ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾ أنارت ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن ممّا يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ أطفأه، وجُمع الضمير مراعاةً لمعنى (الذي)

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين، فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوفُ والعذاب. [١٨] هم ﴿ صُمٌّ ﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماعَ قَبول ﴿ بُكْمٌ ﴾ خُرس عن الخير فلا يقولونه ﴿ عُمْيٌ ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ عن الضلالة. [١٩] ﴿ أَوْ ﴾ مثلهم ﴿ كَصَيِّبٍ ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله «صَيْوِب» مِنْ: صابَ يَصُوبُ أي: ينزل ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ السحاب ﴿ فِيهِ ﴾ أي السحاب ﴿ ظُلُمَٰتٌ ﴾ متكاثفة ﴿ وَرَعْدٌ ﴾ هو الملك الموكَّل به، وقيل صوته ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ لمعان سَوْطِهِ الذي يزجر به ﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ أي أصحاب الصيِّب ﴿ أَصَٰبِعَهُمْ ﴾ أي أناملها ﴿ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ﴾ أجل ﴿ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿ حَذَرَ ﴾ خوف ﴿ ٱلْمَوْتِ ﴾ من سماعها. كذلك هؤلاء: إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المُشبَّه بالظلمات، والوَعيد عليه المُشبَّه بالرعد، والحجج البينة المُشبَّهة بالبرق، يَسُدّون آذانهم لئلا يسمعوه، فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم، وهو عندهم موت ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ علماً وقدرة فلا يفوتونه. [٢٠] ﴿ يَكَادُ ﴾ يقرب ﴿ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ يأخذها بسرعة ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ أي: في ضوئه ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ وقفوا. تمثيلٌ لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبَهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ شاءه ﴿ قَدِيرٌ ﴾ ومنه إذهاب ما ذكر. [٢١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي: أهل مكة ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ﴾ وحِّدوا ﴿ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ وَ ﴾ خلق ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ بعبادته عقابَه، و (لعل): في الأصل للترجي، وفي كلامه تعالى للتحقيق. [٢٢] ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ ﴾ خلق ﴿ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ حالٌ بساطاً يفترش، لا غايةً في الصَّلابة، أو اللِّيونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ سقفاً ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ﴾ أنواع ﴿ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ تأكلونه وتعلفون به دوابكم ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ شركاء في العبادة ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه الخالق ولا تخلقون، ولا يكون إلهاً إلا من يخلق. [٢٣] ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ شك ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي المنزل و (من) للبيان أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. «والسورة» قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم ﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره لتعينكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عربيون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: [٢٤] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ ما ذُكر لعجزكم ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ ذلك أبداً لظهور إعجازه ـ اعتراض ـ ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

من كلام البشر ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة تَتّقِدُ بما ذكر، لا كنار الدنيا تَتّقِدُ بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيئت ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يعذّبون بها، جملة مستأنفة، أو حال لازمة. [٢٥] ﴿وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صدَّقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي: بأنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي المياه فيها، والنهر: الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء ينهره أي يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾ أُطْعِمُوا من تلك الجنات. ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي: مثلُ ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبله في الجنة لِتَشَابُهِ ثمارها بقرينة: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ من الحور وغيرها ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكلِّ قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يُخرجون. ونزل رَدّاً لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾، والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَّا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أَيْ: أيَّ مثل كان، أو زائدة لتأكيد الخِسَّة، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾ مُفْرَد البَعُوض وهو صِغار البَقّ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكبر منها، أي: لا يترك بيَانه لما فيه من الحِكَم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تمييزٌ. أي بهذا المثل، و «ما» استفهام إنكار مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي بصلته خبره أي: أيّ فائدة فيه؟ قال تعالى في جوابهم ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته. [٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ ما عَهِدَهُ إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، و «أَنْ» بدل من الضمير «به» ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم. [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نُطَفاً في الأصلاب ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الرُّوح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان، أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي الأرض وما فيها ﴿ جَمِيعًا ﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ بعد خلق الأرض، أي قصد ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه، أي: صيَّرها، كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ مجملاً ومفصلاً أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً ـ وهو أعظم منكم ـ قادر على إعادتكم؟ [٣٠] ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ يخلُفُنِي في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿ وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان، وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ ﴾ متلبِّسين ﴿ بِحَمْدِكَ ﴾ أي: نقول: سبحان الله وبحمده ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، «فاللام» زائدة والجملة حال، أي: فنحن أحقُّ بالاستخلاف ﴿ قَالَ﴾ تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدل بينهم، فقالوا: لن يَخْلُقَ ربُّنا خَلْقاً أكرمَ عليه منا، ولا أعلم لسبقنا له، ورؤيتنا ما لم يره، فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض ـ أي: وجهها ـ بأن قَبَضَ منها قبْضَةً من جميع ألوانها وعُجِنَت بالمياه المختلفة، وسوَّاهُ ونَفَخَ فيه الروحَ فصار حيواناً حسَّاساً بعد أن كان جماداً. [٣١] ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ أي: أسماء المُسَمَّيات ﴿ كُلَّهَا ﴾ حتى القصعة والمِغْرَفة؛ بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ أي: المسميات، وفيه تغليب العقلاء ﴿ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ ﴾ لهم تبكيتاً: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ أخبروني ﴿ بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المسميات ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. [٣٢] ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ إياه ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ﴾ تأكيد للكاف ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم ﴾ أي: الملائكة ﴿ بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ المسميات، فسمَّى كلَّ شيء باسمه، وذكر حكمته التي خُلِق لها ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ ﴾ تعالى لهم موبخاً: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ما غاب فيهما ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ ما تُظْهِرون مِنْ قَوْلكم: (أتجعل فيها. . .) إلخ ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ تُسِرُّون من قولكم: لَنْ يخلق أكْرَمَ عليه مِنّا ولا أعلم. [٣٤] ﴿و﴾ اذكر ﴿ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿ أَبَىٰ ﴾ امتنع من السجود ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ تكبَّر، وقال: أنا خير منه ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ في علم الله. [٣٥] ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ ﴾ تأكيد للضمير المستتر ليُعطف عليه:

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ حواء، بالمد، وكان خَلَقُها مِنْ ضِلَعِه الأيسر ﴿ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا ﴾ أكلاً ﴿ رَغَدًا ﴾ واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ بالأكل منها، وهي الحِنطَةُ أو الكَرْمُ أو غيرها، ﴿ فَتَكُونَا ﴾ فتصيرا ﴿ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ العاصين. [٣٦] ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ إبليس، أذهبهما، وفي قراءة: (فأزالهما) نحّاهما ﴿ عَنْهَا ﴾ أي الجنة بأن قال لهما: هل أدلُّكما على شجرة الخُلْد، وقاسَمَهُما بالله إنه لهما لمن الناصحينَ، فأكلا منها ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ من النعيم ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ ﴾ إلى الأرض، أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿ بَعْضُكُمْ ﴾ بعض الذرية ﴿ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ من ظلم بعضكم بعضاً ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ موضع قرار ﴿ وَمَتَٰعٌ ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ ألهمه إياها، وفي قراءة بنصب آدم ورفع كلمات ، أي: جاءه، وهي ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ الآية. فدعا بها ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قَبِلَ توبته ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ على عباده ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بهم. [٣٨] ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا ﴾ من الجنة ﴿ جَمِيعًا ﴾ كرره ليعطف عليه ﴿ فَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون «إنْ» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ كتاب ورسول ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة. [٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ كُتبنا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أولاد يعقوب ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: على آبائكم من الإنجاء من فرعون، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ ﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ خافونِ في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ من القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ من أهل الكتاب لأنَّ (من) خلفكم تبعٌ لكم فإثمهم عليكم ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ ﴾ تستبدلوا ﴿ بِـَٔايَٰتِى ﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا أي: لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سَفَلتكم ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ خافونِ في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ﴾ تخلطوا ﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الذي تفترونه ﴿ وَ ﴾ لا ﴿ تَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق. [٤٣] ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق: [٤٤] ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿ أَفَلَا

نصف الحزب ١

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ سوء فعلكم فترجعون؟! فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ ﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ بادر إلى الصلاة»(١) وقيل: الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحب الرياسة فأُمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ أي الصلاة ﴿ لَكَبِيرَةٌ ﴾ ثقيلة ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ الساكنين إلى الطاعة. [٤٦] ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يوقنون ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ بالبعث ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ في الآخرة فيجازيهم. [٤٧] ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ﴾ أي آباءكم ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عالمي زمانهم. [٤٨] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ خافوا ﴿ يَوْمًا لَّا تَجْزِى ﴾ فيه ﴿ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ وَلَا يُقْبَلُ ﴾ بالتاء والياء ﴿ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبل ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ فداء ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون من عذاب الله.

[٤٩] ﴿ وَ ﴾ اذكروا ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ أي آباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أُنعِمَ على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يذيقونكم ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير «نجيناكم» ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ بيان لما قبله ﴿ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ المولودين ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ يستبقون ﴿ نِسَآءَكُمْ ﴾ لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم ﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿ بَلَآءٌ ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾. [٥٠] ﴿ وَ ﴾ اذكروا ﴿ إِذْ فَرَقْنَا ﴾ فلقنا ﴿ بِكُمُ ﴾ بسببكم ﴿ ٱلْبَحْرَ ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ ﴾ من الغرق ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ قومه معه ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ إلى انطباق البحر عليهم. [٥١] ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا ﴾ بألف ودونها ﴿ مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ الذي صاغه لكم السامري إلهاً ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها. [٥٢] ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾ محونا ذنوبكم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ الاتخاذ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمتنا عليكم. [٥٣] ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ به من الضلال. [٥٤] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ ﴾

---

(١) رواه أبو داود (١٣١٩).

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريءُ منكم المجرم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفَّقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه:

ثلاثة أرباع الحزب ١

﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عِياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الصيحة فمتم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حل بكم. [٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك. [٥٧] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجبين والطير السُّمَانَى بتخفيف الميم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تدَّخروا، فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وباله عليهم. [٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُوا۟﴾: مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تحطَّ عنا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً. [٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة، ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغةً في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذاباً طاعوناً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم، أَيْ: خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل. [٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وهو الذي فرَّ بثوبه، خفيف مربع كرأس الرجل، رُخَامٌ أو كِذَّان فضربه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم. وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها مِنْ: عَثِيَ بكسر المثلثة: أفسد. [٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئاً ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أخسُّ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرفُ، أَيْ: أتأخذونه بدله؟ والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

النبات ﴿ وَضُرِبَتْ ﴾ جعلت ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ الذل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم ـ وإن كانوا أغنياء ـ لزوم الدرهم المضروب لسكَّتِه ﴿ وَبَآءُو ﴾ رجعوا ﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ ﴾ أي الضرب والغضب ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ كزكريا ويحيى ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ﴾ أي: ظلماً ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ يتجاوزون الحدَّ في المعاصي، وكرَّره للتأكيد. [٦٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالأنبياء من قبل ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ هم اليهود ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾ منهم ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ بشريعته ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ رُوعي في ضمير (آمن) و (عمل) لفظ (مَن): وفيما بعده معناه. [٦٣] ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الجبل، اقْتَلَعْناه مِنْ أَصْلِهِ عليكم لما أَبَيْتُم قبولها وقلنا: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ بالعمل به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ النار أو المعاصي. [٦٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم ﴾ أعرضتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الهالكين. [٦٥] ﴿ وَلَقَدْ ﴾ لام قسم ﴿ عَلِمْتُمُ ﴾ عرفتم ﴿ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ ﴾ تجاوزوا الحدَّ ﴿ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ بصَيْدِ السَّمَكِ وقد نهيناهم عنه وهم أهل أَيْلَة ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ مُبْعَدِينَ، فكانوها وهلَكُوا بعد ثلاثة أيام. [٦٦] ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ أي: تلك العقوبة ﴿ نَكَٰلًا ﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أي: للأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ اللّه، وخُصُّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم. [٦٧] ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ وقد قُتل لهم قتيل لا يُدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ ﴾ مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿ قَالَ أَعُوذُ ﴾ أمتنع ﴿ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ المستهزئين. [٦٨] فلما علموا أنه عزم ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ﴾ أي: ما سِنُّها ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي الله ﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾ مُسِنَّة ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ صغيرة ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ نَصَفٌ ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ المذكور من السِّنين ﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ به من ذبحها. [٦٩] ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ شديد الصفرة ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ إليها بحسنها، أي: تعجبهم.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٠] ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يَسْتَثْنوا لما بُيِّنَتْ لهم إلى آخر الأبَد»(١). [٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ غير مذلَّلَة بالعَمل ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة (ذلول) داخلة في النفي ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِنَ العُيوب وآثار العمل ﴿لَّا شِيَةَ﴾ لا لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مَسْكِها ذهباً ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها وفي الحديث: «لَوْ ذَبَحُوا أَيَّ بَقرةٍ كانت لأَجْزَأَتْهُم، ولكِنْ شَدَّدوا على أنفسهم فشدَّد اللَّهُ عليهم»(٢). [٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراضٌ، وهو أول القصة. [٧٣] ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ أي: القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضُرِبَ بلسانِها، أو عَجْب ذَنَبها، فحيي وقال: قتلني فلاَن وفلان، لابْنَيْ عَمِّه، وماتَ، فَحُرِما الميراثَ وقُتِلا، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون فتعلمون أنَّ القادر على إحياء نفس واحدة قادرٌ على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون. [٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من علو إلى سفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة بالتحتية، وفيه التفات عن الخطاب. [٧٥] ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ أي اليهود ﴿لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِّنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ يُغيِّرونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار، أي: لا تطمعوا، فلهم سابقة في الكفر. [٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُوا۟﴾ أي منافقو اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي هو المبشَّرُ به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عرَّفكم في

الحزب ٢

(١) انظره في تفسير ابن كثير (١/ ٢٩٤).
(٢) المصدر السابق.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿ لِيُحَآجُّوكُم ﴾ ليخاصموكم، واللامُ للصيرورة ﴿ بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ ﴾ في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتِّباعه مع علمكم بصدقه ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهوا؟ [٧٧] قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ الاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعَوُوا عن ذلك. [٧٨] ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ أُمِّيُّونَ ﴾ عوام ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ إِلَّآ ﴾ لكن ﴿ أَمَانِيَّ ﴾ أكاذيب تلقَّوْها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿ وَإِنْ ﴾ ما ﴿ هُمْ ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ظناً ولا علم لهم. [٧٩] ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ شدة عذاب ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي: مختلقاً من عندهم ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾ من الدنيا وهم اليهود غيَّروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أُنزل ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من المختلق ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ مِنَ الرُّشَا جمع رشْوَة. [٨٠] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ لما وعدهم النبيُّ النارَ: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ﴾ تصيبنا ﴿ ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناءً بهمزة الاستفهام ﴿ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ ميثاقاً منه بذلك ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ به؟ لا ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [٨١] ﴿ بَلَىٰ ﴾ تمسكم وتخلدون فيها ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ شركاً ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ بالإفراد والجمع، أي: استولت عليه وأحْدَقت به من كل جانب بأن ماتَ مشركاً ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ روعي فيه معنى «مَنْ». [٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. [٨٣] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ في التوراة وقلنا: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ بالتاء والياء ﴿ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ خبر بمعنى النهي، وقرىء: «لا تعبدوا»[1] ﴿ وَ ﴾ أحسنوا ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ براً ﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ ﴾ قَوْلاً (حَسَناً) من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرِّفْق بهم، وفي قراءة ﴿ حُسْنًا ﴾ بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أَعْرَضْتُم عن الوَفاءِ به، فيه التفات عن الغيبة، والمراد آباؤهم ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عنه كآبائكم.

---

(١) هذه قراءة شاذة.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ تريقونها بقتلِ بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لا يُخرج بعضكم بعضاً من دارِه ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها: تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وفي قراءة «أسرى» (تفْدُوهُمْ) وفي قراءة: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله: (وتخرجون) والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظةُ حالفوا الأوسَ، والنضيرُ الخزرجَ، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا لِمَ تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء فيقال فلِمَ تقاتلونهم؟ فيقولون: حياء أن تَسْتَذِلَّ حلفاؤنا. قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ هوان وذلٌّ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء. [٨٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منه. [٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: الروح المقدسة، جبريل لطهارته، يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحب ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه جواب (كلما)، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي: قتلتم كزكريا ويحيى. [٨٨] ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي استهزاءً: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جمع أغلف أي: مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول: قال تعالى: ﴿بَل﴾ للإضراب ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدةٌ لتأكيد القلة أي: إيمانهم قليل جداً.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

[٨٩] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ من التوراة: هو القرآن ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ ﴾ قبل مجيئه ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يَسْتَنْصِرُونَ ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يقولون: اللهم انصُرنا عليهم بالنَّبيّ المبعوث آخِرَ الزمان ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ﴾ من الحق وهو بعثة النبي ﴿ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة وجوابُ (لما) الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. [٩٠] ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ ﴾ باعوا ﴿ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: حَظَّها مِنَ الثَّواب، و «ما»: نكرة بمعنى شيئاً تمييز لفاعل (بئس) والمخصوص بالذم: ﴿ أَن يَكْفُرُواْ ﴾ أي: كفرهم ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن ﴿ بَغْيًا ﴾ مفعول له ليكفروا أي: حسداً على ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ الوحي ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ للرسالة ﴿ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو ﴾ رجعوا ﴿ بِغَضَبٍ ﴾ مِنَ الله بكُفْرِهِمْ بما أنْزَلَ، والتنكيرُ للتعظيم ﴿ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ذو إهانة.

ربع الحزب ٢

[٩١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ القرآن وغيره ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ أي التوراة قال الله تعالى: ﴿ وَيَكْفُرُونَ ﴾ الواو للحال ﴿ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ سواه، أو بعده من القرآن ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ حال ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾ أي قتلتم ﴿ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة وقد نُهيتُم فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين في زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به. [٩٢] ﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلْق البحر ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات، ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ باتخاذه. [٩٣] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿ و ﴾ قد ﴿ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الجبل حين امتنَعْتُم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وَٱسْمَعُواْ ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ أمرك ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ أي: خالَطَ حُبُّه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ بِئْسَمَا ﴾ شيئاً ﴿ يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ ﴾ بالتوراة عبادة العجل ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بها كما زعمتم. المعنى: لستم بمؤمنين لأنَّ الإيمانَ لا يَأْمُرُ بعبادة العِجْلِ، والمُرادُ آباؤهم أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذَّبتم محمداً، والإيمانُ بها لا يأمركم بتكذيبه.

---

(٨٩) قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لمَا كنا نسمع من رجالِ يهود، وكنا أهل شرْك أصحاب

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

[٩٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني، أي: إنْ صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والمُوصلُ إليها الموتُ فتَمَنَّوْهُ. [٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ و﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ «لو» مصدرية بمعنى أنْ، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يود ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل (مزحزحه) أي: تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، فيجازيهم. وسأل ابنُ صوريا النبيَّ أو عمرَ عمّن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: جبريلُ، فقال: هو عدُوُّنا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنّا لأنه يأتي بالخصب والسلم، فنزل: [٩٧] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. [٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه بياء ودونها ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ عطف على (الملائكة) من عطف الخاص على العام وفي قراءة (ميكائيل) بهمزة وياء، وفي أخرى بلا ياء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أوقعه موقع (لهم) بياناً لحالهم. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات حال، رد لقول ابن صوريا للنبي: ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. [١٠٠] ﴿أَ﴾ كفروا بها ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبيَّ أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ بنقضه، جواب كلما وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق، أو أنها كتاب الله. [١٠٢] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ عطف على (نبذ) ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ أي: تلت ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ﴾ عهد ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ مِنَ السِّحْرِ وكانت دَفَنَتْهُ تحت كرسيه لما نزع ملكه[1] أو كانت تَسْتَرِقُ السمعَ وتَضُمُّ إليه أكاذيبَ، وتُلقيه إلى الكَهَنَةِ فيُدَوِّنُونَهُ، وفشا ذلك وشاع أن الجن تعْلَمُ الغيْبَ، فجَمَعَ سليمانُ الكتبَ ودفنها، فلما ماتَ دَلَّتْ الشياطينُ عليها الناسَ،

(١) لايمكن التصديق بصحة نزع مُلْك سليمان، فهي من حكايات بني إسرائيل.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ
بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

فاستخرجوها فوجدوا فيها السِّحْرَ فقالوا: إنما مَلَكَكُم بهذا فتعلّموه، فرفضوا كُتُبَ أنبيائهم. قال تعالى تبرئةً لسليمان وردّاً على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ أي: لم يعمل السحر لأنّه كُفْرٌ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ الجملة حال من ضمير (كفروا) ﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ أي: ألهماه من السحر، وقرئ بكسر[1] اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سَوَادِ العراق ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين. قال ابن عباس: هما ساحران كانا يعلّمان السِّحْرَ. وقيل: ملكان أُنزلا لتعليمه ابتلاءً مِنَ اللّهِ للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له نصحاً: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ بلية من الله إلى الناس ليمتحنهم بتعلّمه فمن تَعَلَّمَهُ كَفَرَ ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ بتعلمه فإن أبى إلا التعليم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ بأن يُبَغِّضَ كلاً إلى الآخر ﴿وَمَا هُم﴾ أي السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنۡ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدۡ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُواْ﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء مُعلِّقة لما قبلها، و (مَنْ) موصولة ﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئۡسَ مَا﴾ شيئاً ﴿شَرَوۡاْ﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أي الشارين أي: حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلّموه. [١٠٣] ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجوابُ (لو) محذوف أي: لأُثيبوا دل عليه: ﴿لَمَثُوبَةٞ﴾ ثواب وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ﴾ للنبي ﴿رَٰعِنَا﴾ أمر من المُراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سَبٌّ، مِنَ الرُّعُونَةِ، فسُرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبي فنُهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُواْ﴾ بدلها ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ أي انظر إلينا ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم هو النار. [١٠٥] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ من العرب عطف على أهل الكتاب و (مِنْ) للبيان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ﴾ زائدة ﴿خَيۡرٖ﴾ وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ حسداً لكم ﴿وَٱللَّهُ

(١) قراءة شاذة.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

نصف الحزب ٢

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ ﴾ نبوته ﴿ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾. ولما طعن الكفار في النَّسْخ وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابَه اليوم بأمر وينهى عنه غداً نزل: [١٠٦] ﴿ ۞ مَا ﴾ شرطية ﴿ نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ أيْ: نُزِلْ حكمها: إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة بضم النون مِنْ أَنْسَخَ: أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أو نَنسأها﴾ نؤَخِّرها فلا نُنْزِلْ حكمها ونرفع تلاوتها، أو نؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ بلا همز من النسيان: أي نُنْسِكَها، أي: نَمْحُها من قلبك، وجواب الشرط: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ في التكليف والثواب ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير. [١٠٧] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يفعل ما يشاء ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ مِن ﴾ زائدة ﴿ وَلِىٍّ ﴾ يحفظكم ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم، ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها، ويجعل الصفا ذَهباً: [١٠٨] ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾ أي سأله قومه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قولهم: أرنا الله جهرة وغير ذلك ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البيّنات واقتراح غيرها ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواءُ في الأصل: الوسطُ. [١٠٩] ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ ﴾ مصدرية ﴿ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ مفعول له، كائناً ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ أي: حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ﴾ في التوراة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ في شأن النبي ﴿ فَٱعْفُوا۟ ﴾ عنهم أي: اتركوهم ﴿ وَٱصْفَحُوا۟ ﴾ أعرضوا فلا تجازوهم ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ فيهم من القتال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [١١٠] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾ طاعة كصلة وصدقة ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ أي ثوابه ﴿ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم به. [١١١] ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾ جمع هائد ﴿ أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظَرُوا بين يَدَي النبيِّ ﷺ أي قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود، وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى ﴿ تِلْكَ ﴾ القولة ﴿ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ حجتكم على ذلك ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ فيه. [١١٢] ﴿ بَلَىٰ ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: انقاد لأمره، وخُصَّ الوجهُ لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ موحد ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في الآخرة. [١١٣] ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ معتدٍّ به وكفرت بعيسى ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ معتدٍّ به. وكفرت بموسى ﴿ وَهُمْ ﴾ أي الفريقان ﴿ يَتْلُونَ ﴾

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى (ذلك) أي: قالوا لكل ذي دين: ليسوا على شيء ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين فيدخل المحقُّ الجنة والمبطلُ النار. [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر، أي: أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً. ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. [١١٥] ونزل لما طعَنَ اليهودُ في نَسْخِ القِبْلَةِ، أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه. [١١٦] ﴿وَقَالُواْ﴾ بواو ودونها، أَيْ: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له عنه ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، والملكية تنافي الولادة، وعبر بـ «ما» تغليباً لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون كل بما يراد منه، وفيه تغليب العاقل. [١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ موجدهم لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر. [١١٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحناه على صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقتراحُ آية معها تعنُّت. [١١٩] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار، أي الكفار: ما لهم لم يؤمنوا، إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم (تَسْأَلْ) نهياً.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

[١٢٠] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها فرضاً ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعك منه. [١٢١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر، والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

ثلاثة أرباع الحزب ٢

[١٢٢] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقدم مثله. [١٢٣] ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله. [١٢٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ اختبر ﴿إِبْرَٰهِۦمَ﴾ وفي قراءة: (إبراهام) ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ بأوامر ونواه كلفه بها، قيل: هي مناسك الحج، وقيل: المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الشعر وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداهن تامات ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أولادي اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ بالإمامة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم. [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنًا﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد المصلين. [١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه[1] ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لا ينال عهدي الظالمين ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿وَ﴾ أرزق ﴿مَن كَفَرَ﴾

(١) لا يجز حشيشه ولا نباته.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بالتشديد والتخفيف في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.
[١٢٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبنيه متعلق بيرفع ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم، يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل. [١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿لَكَ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله لا ينال عهدي الظالمين ﴿وَأَرِنَا﴾ علّمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعاً وتعليماً لذريتهما. [١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي أهل البيت ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [١٣٠] ﴿وَمَن﴾ أي لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخلة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى. [١٣١] واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ انقد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ﴾ وفي قراءة أوصى ﴿بِهَآ﴾ بالملة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه قال: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ولما قال اليهود للنبي: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عد إسماعيل من الآباء تغليب ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بدل من إلٰهك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ وأم بمعنى همزة الإنكار أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به. [١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأُنِّث لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي جزاؤه، استئناف ﴿وَلَكُم﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعَث الآن نقتُلكم معه قتل عاد وإرَم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بَعَث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به،

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ ﴾ أو للتفصيل وقائل الأول يهود المدينة والثاني نصارى نجران ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ بَلْ ﴾ نتبع ﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ ﴾ حال من إبراهيم مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيّم ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. [١٣٦] ﴿ قُولُوٓاْ ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ من القرآن ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ من الصحف العشر ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ أولاده ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ من التوراة ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ من الإنجيل ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ من الكتب والآيات ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾. [١٣٧] ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ بِمِثْلِ ﴾ مثل والباء زائدة ﴿ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ عن الإيمان به ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ ﴾ خلاف معكم ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ ﴾ مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر، أي: صبغنا الله والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ ﴾ تمييز ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبياً لكان منا فنزل: [١٣٩] ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ تخاصموننا ﴿ فِي ٱللَّهِ ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا ﴾ نُجازى بها ﴿ وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ تجازون بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزةُ للإنكار والجمل الثلاث أحوال. [١٤٠] ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ تَقُولُونَ ﴾ بالتاء والياء ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ﴾ لهم ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ أي الله أعلم، وقد برّأ منهما إبراهيم بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ والمذكورون معه تبع له ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ ﴾ أخفى عن الناس ﴿ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ ﴾ كائنة ﴿ مِنَ ٱللَّهِۗ ﴾ أي لا أحد أظلم منه وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفيّة ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ تهديد لهم. [١٤١] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ تقدّم مثله.

ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. [سيرة ابن هشام].

(٩٧) قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الجزء ٢ الحزب ٣

[١٤٢] ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ الجهال ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ اليهود والمشركين ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ أيُّ شيءٍ صَرَفَ النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين ﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي ومنهم أنتم، دل على هذا: [١٤٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما هديناكم إليه ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ ﴾ يا أُمَّةَ محمد ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ خياراً عدولاً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يومَ القيامة أنَّ رسلهم بلَّغتهم ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ أنه بلغكم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ﴾ صيرنا ﴿ ٱلْقِبْلَةَ ﴾ لك الآن الجهة ﴿ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ أولاً وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر أُمِرَ باستقبال بَيْتِ المَقْدِس تألُّفاً لليهود، فصَلَّى إليه ستةَ، أو سبعة عشر شهراً، ثم حُوِّلَ ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ عِلْمَ ظُهورٍ ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ فيصدقه ﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ أي يرجع إلى الكفر شكاً في الدين وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿ وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وإنها ﴿ كَانَتْ ﴾ أي التولية إليها ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ شاقة على الناس ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ منهم ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ ﴾ المؤمنين ﴿ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفةُ: شدة الرحمة وقدَّم الأبلغ للفاصلة. [١٤٤] ﴿ قَدْ ﴾ للتحقيق ﴿ نَرَىٰ تَقَلُّبَ ﴾ تصرف ﴿ وَجْهِكَ فِى ﴾ جهة ﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ مُتطَلِّعاً إلى الوحي ومُتَشوِّقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يَوَدُّ ذلك لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أَدْعَى إلى إسلام العرب ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ نحولنَّك ﴿ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ تحبها ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ استقبل في الصلاة ﴿ شَطْرَ ﴾ نحو ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي الكعبة ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ خطاب للأمة ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ في الصلاة ﴿ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ أي التولي إلى الكعبة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت ﴿ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ لما في كتبهم من نَعْت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة. [١٤٥] ﴿ وَلَئِنْ ﴾ لام قسم ﴿ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿ مَّا تَبِعُوا۟ ﴾ أي لا يتبعون ﴿ قِبْلَتَكَ ﴾ عناداً ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ التي يدعونك إليها ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ الوحي ﴿ إِنَّكَ إِذًا ﴾ إن اتبعتهم فرضاً ﴿ لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٦] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ أي محمداً ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ بنعته في كتبهم قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ نعته ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ هذا الذي أنت عليه. [١٤٧] ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ كائناً ﴿ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من: لا تمتر. [١٤٨] ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من الأمم ﴿ وِجْهَةٌ ﴾ قبلة ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ وجهه في صلاته وفي قراءة مُوَلَّاها ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [١٤٩] ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾ لسفر ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بالتاء والياء، تقدم مثله وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

[١٥٠] ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ كرره للتأكيد ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ﴾ اليهود أو المشركين ﴿ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود: يجحد ديننا ويتبع قبلتنا، وقول المشركين: يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ بالعناد فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلاً إلى دين آبائه، والاستثناء متصل والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿ وَٱخْشَوْنِى ﴾ بامتثال أمري ﴿ وَلِأُتِمَّ ﴾ عطف على لئلا يكون ﴿ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى الحق. [١٥١] ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ متعلق بأتم أي إتماماً كإتمامها بإرسالنا ﴿ فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ محمداً ﷺ ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ يطهركم من الشرك ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾. [١٥٢] ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ قيل: معناه أجازيكم، وفي الحديث عن الله: «مَنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسي، ومَنْ ذكرني في مَلأ ذَكَرْتُهُ في مَلأ خَيْر مِنْ مَلَئِه»[1] ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِى ﴾ نعمتي بالطاعة ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ بالمعصية. [١٥٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ ﴾ على الآخرة ﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ بالعون. [١٥٤] ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هم ﴿ أَمْوَٰتٌ بَلْ ﴾ هم ﴿ أَحْيَآءٌ ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك[2] ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ تعلمون ما هم فيه. [١٥٥] ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ ﴾ للعدو ﴿ وَٱلْجُوعِ ﴾ القحط ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ بالهلاك

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).
(٢) رواه مسلم (١٨٨٧).

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴿ وَٱلْأَنفُسِ ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على البلاء بالجنة. [١٥٦] ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ بلاء ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء ﴿ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ في الآخرة فيجازينا، وفي الحديث: «مَن اسْتَرْجَعَ عند المُصيبة آجره الله فيها، وأخلف الله عليه خيراً»[١] وفيه: أنّ مِصْباحَ النبيّ ﷺ طُفِىءَ، فاسْتَرْجَعَ فقالَتْ عائشةُ: إنمَا هذا مصباحٌ فقال: «كلُّ ما ساء المؤمنَ فهو مُصيبةٌ» رواه أبو داود في «مراسيله»[٢]. [١٥٧] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ ﴾ مغفرة ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ نعمة ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ إلى الصواب. [١٥٨] ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ ﴾ جبلان بمكة ﴿ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أعلام دينه جمع شعيرة ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزيارة ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ إثم عليه ﴿ أَن يَطَّوَّفَ ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿ بِهِمَا ﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً، نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما، وعن ابن عباس أن السعي غير فرض لما أفاده رفع الإثم من التخيير، وقال الشافعي وغيره ركن، وبيَّن ﷺ فرضيته بقوله: «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره[٣]. وقال «أبدأُ بما بدأ الله به» يعني الصفا، رواه مسلم[٤] ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ ﴾ وفي قراءة بالتحتانية وتشديد الطاء مجزوماً وفيه إدغام التاء فيها ﴿ خَيْرًا ﴾ أي بخير أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ به. ونزل في اليهود: [١٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾ الناس ﴿ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ التوراة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة. [١٦٠] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ رجعوا عن ذلك ﴿ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ عملهم ﴿ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ ما كتموا ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أقبل توبتهم ﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين. [١٦١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ حال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة. والناس قيل: عام. وقيل: المؤمنون. [١٦٢] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ طرفة عين ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون لتوبة أو لمعذرة. [١٦٣] ونزل لما قالوا: صف لنا ربك: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هو ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وطلبوا

---

(١) رواه مسلم (٩١٨) بنحوه. (٢) رواه أبو داود في المراسيل (٤١٢). (٣) رواه أحمد (٦/ ٤٢١). (٤) رواه مسلم (١٢١٨).

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

آية على ذلك فنزل: [١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً حارة وباردة ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلَّل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون. [١٦٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَندَادًا﴾ أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي كحبهم له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ تُبْصِرُ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ لرأيت أمراً عظيماً، وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي لأن ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ وفي قراءة ﴿يَرَى﴾ (بالتحتية) والفاعل ضمير السامع، وقيل: الذين ظلموا، فهي بمعنى يعلم «وأنّ» وما بعدها سَدَّتْ مَسَدَّ المفعولين، وجواب «لو» محذوف. والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله، وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أنداداً. [١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على تبرأ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة. [١٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليوم ولو للتمني ونتبرأ جوابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ حال، ندامات ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دخولها. [١٦٨] ونزل فيمن حرَّم السوائب ونحوها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة أي مُسْتَلَذاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي تزيينه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ العداوة. [١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ القبيح شرعاً ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

عن ابن عباس قال: أقبلت يهودُ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألُك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهنَّ عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُواْ﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر قال تعالى: ﴿أ﴾يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق، والهمزة للإنكار. [١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ يصوِّت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي صَوْتاً ولا يَفْهَمُ معناه، أي في سماع الموعظة وعَدَم تَدَبُّرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة. [١٧٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي أكلها إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يُذكَّ شرعاً، وألحق بها بالسنة ما أبين من حيٍّ، وخُص منها السمك والجراد ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ذبح على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعدٍّ عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويُلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي. [١٧٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنها مآلهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار. [١٧٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي ما أشد صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأيُّ صبر لهم. [١٧٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم: شعر وبعضهم: سحر وبعضهم: كهانة ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

إسرائيل على بنيه إذ قالوا: الله على ما نقول وكيل، قال: «هاتوا». قالوا: أخبرْنا عن علامة النبي، قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه»، قالوا: أخبرْنا كيف تؤنثُ

۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

نصف الحزب ٣

[١٧٧] ﴿ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ في الصلاة ﴿ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ نزل رداً على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ ﴾ أي ذا البر وقرىء[1] بفتح الباء أي البار ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ ﴾ أي الكتب ﴿ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ ﴾ مع ﴿ حُبِّهِ ﴾ له ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ المسافر ﴿ وَالسَّائِلِينَ ﴾ الطالبين ﴿ وَفِي ﴾ فك ﴿ الرِّقَابِ ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ المفروضة، وما قبله في التطوع ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ الله أو الناس ﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ نصب على المدح ﴿ فِي الْبَأْسَاءِ ﴾ شدة الفقر ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ المرض ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الله. [١٧٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ ﴾ فرض ﴿ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ المماثلة ﴿ فِي الْقَتْلَى ﴾ وصفاً وفعلاً ﴿ الْحُرُّ ﴾ يقتل ﴿ بِالْحُرِّ ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ﴾ وبيّنت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ﴾ من القاتلين ﴿ مِنْ ﴾ دم ﴿ أَخِيهِ ﴾ المقتول ﴿ شَيْءٌ ﴾ بأن ترك القصاص منه، وتنكيرُ شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر أخيه تعطُّف داع إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان، ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر ﴿ فَاتِّبَاعٌ ﴾ أي فعل العافي اتباع للقاتل ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولي الشافعي، والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿ وَ ﴾ على القاتل ﴿ أَدَاءٌ ﴾ للدية ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿ بِإِحْسَانٍ ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿ تَخْفِيفٌ ﴾ تسهيل ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ عليكم ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ بكم حيث وسَّع في ذلك ولم يحتم واحداً منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ ﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي العفو ﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل. [١٧٩] ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ أي بقاء عظيم ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ذوي العقول لأن القاتل إذا علم أنه يُقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ القتل مخافة القود. [١٨٠] ﴿ كُتِبَ ﴾ فرض ﴿ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي أسبابه ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ مالاً ﴿ الْوَصِيَّةُ ﴾ مرفوع بكتب ومتعلق بإذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أي فليوص ﴿ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بالعدل بألا يزيد على الثلث ولا

(١) قراءة شاذة.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

يفضل الغني ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله، وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث: «لا وصية لوارث» رواه الترمذي.[1] [١٨١] ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي الإيصاء من شاهد ووصي ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي الإيصاء المبدل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصي فمجاز عليه. [١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ مخففاً ومثقلاً ﴿جَنَفًا﴾ مَيْلاً عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمَّد ذلك بالزيادة على الثلث، أو تخصيص غنيٍّ مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصَى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [١٨٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. [١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام أو يصوموا مقدراً ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقلَّله تسهيلاً على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حين شهوده ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافراً سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلها ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لكبر أو مرض لا يرجى برؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة فدية، وهي للبيان وقيل: «لا» غير مُقدَّرة، وكانوا مُخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسخ بتعيين الصوم بقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه. [١٨٥] تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، منه ﴿هُدًى﴾ حال هادياً من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ آيات واضحات ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر لكون ذلك في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم عطف عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك. وسأل جماعة النبي ﷺ أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزل: [١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟﴾

(١) رواه الترمذي (٢٢١٨).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

يداوموا على الإيمان ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ يهتدون. [١٨٧] ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ بالجماع، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ ﴾ تخونون ﴿ أَنفُسَكُمْ ﴾ بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ قبل توبتكم ﴿ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ ﴾ إذا أحل لكم ﴿ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ جامعوهن ﴿ وَٱبْتَغُواْ ﴾ اطلبوا ﴿ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي أباحه من الجماع أو قدره من الولد ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾ الليل كله ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ يظهر ﴿ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ أي الصادق، بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل، شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ ﴾ من الفجر ﴿ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ ﴾ أي نساءكم ﴿ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ متعلق بعاكفون نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿ تِلْكَ ﴾ الأحكام المذكورة ﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ حدَّها لعباده ليقفوا عندها ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ أبلغ من لا تعتدوها المعبر به في آية أخرى ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما بيّن لكم ما ذكر ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ محارمه. [١٨٨] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ﴾ أي يأكل بعضكم مال بعض ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الحرام شرعاً كالسرقة والغصب ﴿ و ﴾ لا ﴿ تُدْلُواْ ﴾ تلقوا ﴿ بِهَآ ﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ ﴾ بالتحاكم ﴿ فَرِيقًا ﴾ طائفة ﴿ مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ متلبسين ﴿ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنكم مبطلون. [١٨٩] ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ جمع هلال لِمَ تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نوراً ثم تعود كما بدأت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ هِيَ مَوَٰقِيتُ ﴾ جمع ميقات ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدة نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿ وَٱلْحَجِّ ﴾ عطف على الناس أي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ أي ذا البر ﴿ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ الله بترك مخالفته ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ في الإحرام كغيره ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تفوزون. [١٩٠] ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويُخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا ألا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ من الكفار ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ المتجاوزين ما حد لهم، وهذا منسوخ بآية «براءة» أو بقوله: [١٩١] ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ وجدتموهم ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ أي من مكة وقد فُعِلَ بهم ذلك عام

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظموه ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. [١٩٢] ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [١٩٣] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم، فلا عدوان عليه. [١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ المحرم مقابل ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله، رداً لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتُهكت ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سَمَّى مُقابَلَتَهُ اعتداءً لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. [١٩٥] ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي أنفسكم والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد، أو تركه، لأنه يقوِّي العَدُوَّ عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي يثيبهم. [١٩٦] ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أدُّوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنعتم عن إتمامها بعدوٍّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسَّر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليكم وهو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُ﴾ حيث يحل ذبحه وهو مكان الإحصار عند الشافعي، فَيَذْبَحُ فيه بنيَّة التَّحَلُّل ويفرِّق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التَّحَلُّلُ ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كقمْلٍ وصُداع فَحَلَقَ في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة أَصْوُعٍ من غالب قُوتِ البَلَدِ على ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي ذبح شاة و (أو) للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحَلق كالطِّيبِ واللبسِ والدَّهْنِ لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي في حال الإحرام به، فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجة، والأفضل قبل السادس، لكراهة صوم يوم عَرَفة. ولا يجوز صومها أيام التَّشريق على أصحِّ قَوْلَي الشَّافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وَطَنِكم مكة أو غيرها، وقيل: إذا فَرَغْتُم من أعمال الحج، وفيه التفاتٌ عن الغيبة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور مِنْ وجوب الهَدْي أو الصيام على مَنْ تَمَتَّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عندَ الشافعي فإن كان فلا دَمَ عليه ولا صيام ،

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

وإن تمَتَّع. وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني: لا. والأهل: كناية عن النفس، وأُلْحِقَ بالمتمتع فيما ذُكِرَ بالسُّنَّةِ القَارِنُ وهو من يُحْرِمُ بالعمرة والحج معاً، أو يُدْخِلُ الحَجَّ عليها قبل الطواف ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه. [١٩٧] ﴿ٱلْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة وقيل كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ مَعَاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خِصام ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾ وفي قراءة بفتح الأولين والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم به، ونزل في أهل اليَمَنِ وكانوا يَحُجُّونَ بلاَ زَادٍ فيكونون كَلاًّ على الناس: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ ما يُبَلِّغُكُمْ لِسَفَرِكُمْ ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ما يُتَّقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوي العقول. [١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج نزل رداً لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: قُزَح، وفي الحديث أنه ﷺ وقف به يَذْكُرُ الله ويدعو حتى أَسْفَرَ جِدّاً؛ رواه مسلم[1] ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه والكافُ للتعليل ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. [١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة تَرَفُّعاً عن الوقوف معهم، وثم للترتيب في الذكر ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ أدّيتم ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جَمْرَةَ العَقَبَةِ، وطفتُم واستقررتم بِمِنَى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخر[ة] ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذِكْرِكُم إيَّاهُمْ، ونصب أشد على الحال من ذكر المنصوب بـ (اذكروا) إذ لو تأخر عنه لكان صفةً له ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نصيباً ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب. [٢٠١] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بعدم دخولها،

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

الحزب ٤

وهذا بيان لما كان عليه المشركون والحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خيري الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله. [٢٠٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ﴾ ثواب ﴿مِّـ﴾ـن أجل ﴿مَا كَسَبُواْ﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك. [٢٠٣] ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي استعجل بالنَّفر مِنْ مِنَى ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رَمْي جمارِهِ ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ﴾ بذلك أي هم مخيَّرون في ذلك ونفى الإثم ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. [٢٠٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق، كان منافقاً حُلْوَ الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مُؤمنٌ به ومُحِبٌّ له، فيدني مجلسه، فأَكْذَبَهُ اللَّهُ في ذلك، ومَرَّ بزَرْعٍ وحُمُرٍ لبعض المسلمين فأَحْرَقَهُ وعقرها ليلاً كما قال تعالى: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ﴾ من جملة الفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ أي لا يرضى به. [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ﴾ حَمَلَتْهُ الأنفَةُ والحَمِيَّةُ على العمل ﴿بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ الذي أُمر باتقائه ﴿فَحَسۡبُهُۥ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ الفراش هي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي﴾ يبيع ﴿نَفۡسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ رضاه، وهو صُهَيْبٌ لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. [٢٠٨] ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عَظَّمُوا السَّبْتَ وكَرِهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَآفَّةٗ﴾ حال من السلم، أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ بَيِّنُ العَداوة. [٢٠٩] ﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ مِلْتُم عن الدخول في جميعه ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. [٢١٠] ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أمره كقوله ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ أي عذابه ﴿فِي ظُلَلٖ﴾ جمع ظلة ﴿مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ تم أمر هلاكهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۢ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾

بالبناء للمفعول والفاعل في الآخرة فيجازي كلاً بعمله. [٢١١] ﴿سَلۡ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتاً لهم ﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم﴾ كم استفهامية معلقة (سل) عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعولي آتينا ومميزها ﴿مِّنۡ ءَايَةِۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدّلوها كفراً ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لـه. [٢١٢] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ﴾ لفقرهم كعمّار وبلال وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالوْن عليهم بالمال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الشركَ وهم هؤلاء ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأَنْ يُمَلِّكَ المَسْخُورَ منهم أموال الساخِرينَ ورقابهم. [٢١٣] ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكُتُب ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِيَحۡكُمَ﴾ به ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ من الدين ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ أي الدين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد، و «من» متعلقة بـ (اخْتَلَفَ) وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغۡيَۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. [٢١٤] ونزل في جهد أصاب المسلمين ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأۡتِكُم مَّثَلُ﴾ شبه ما أتى ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾ من المؤمنين مِنَ المِحَنِ فتصبروا كما صبروا ﴿مَّسَّتۡهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المرض ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي قال ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استبطاءً للنصر لِتناهِي الشِّدَّة عليهم ﴿مَتَىٰ﴾ يأتي ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ الذي وُعِدناه فأُجيبوا من قِبَل الله ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ إتيانه. [٢١٥] ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ أي الذي ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخاً ذا مال فسأل النبيَّ ﷺ عما ينفق وعلى من ينفق ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ بيان لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقَّيْ السؤال، وأجاب عن المَصْرِفِ الذي هو الشِّقُّ الآخر بقوله: ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ أي هم أولى به ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ فمجازٍ عليه. [٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرۡهٞ﴾ مكروه ﴿لَّكُمۡۖ﴾ طبعاً لمشقته ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ لميل النفس

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَٰعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً، لأن فيه: إمّا الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أَحْبَبْتُمُوهُ شراً لأن فيه الذُّل والفقر وحرمان الأجر ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما هو خير لكم ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به. وأرسل النبي ﷺ أول سراياه[1] وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابنَ الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة، والتبس عليهم برَجَب فعَيَّرَهُم الكفّارُ باسْتِحْلالِهِ فنزل: [٢١٧] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ المحرم ﴿ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ بدل اشتمال ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ عظيم وزراً، مبتدأ وخبر ﴿ وَصَدٌّ ﴾ مبتدأ، مَنْعٌ للناس ﴿ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ دينه ﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ ﴾ بالله ﴿ و ﴾ صَدٌّ عن ﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي مكة ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون وخبر المبتدأ ﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظم وزراً ﴿ عِندَ اللَّهِ ﴾ من القتال فيه ﴿ وَالْفِتْنَةُ ﴾ الشرك منكم ﴿ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ لكم فيه ﴿ وَلَا يَزَالُونَ ﴾ أي الكفار ﴿ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ حَتَّىٰ ﴾ كي ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾ إلى الكفر ﴿ إِنِ اسْتَطَٰعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ الصالحة ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها. والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله، فيثاب عليه، ولا يعيده كالحج مثلاً، وعليه الشافعي ﴿ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

ربع الحزب ٤

ولما ظن السَّرِيَّةُ أنهم إنْ سَلِموا من الإثم فلا يحصل لهم أجرٌ نزَل: [٢١٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ فارقوا أوطانهم ﴿ وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ لإعلاء دينه ﴿ أُولَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ ثوابه ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ القمار ما حكمهما ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ فِيهِمَآ ﴾ أي في تعاطيهما ﴿ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ عظيم وفي قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كدٍّ في الميسر ﴿ وَإِثْمُهُمَآ ﴾ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظم ﴿ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ ولما نزلت شربها قوم وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ أي ما قدره ﴿ قُلِ ﴾ أنفقوا ﴿ الْعَفْوَ ﴾ أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

---

(١) لم تكن أول السرايا. انظر: السيرة النبوية؛ لابن هشام (٢/ ٢٢٤).

فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟
وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

[٢٢٠] ﴿ فِي ﴾ أمر ﴿ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ وما يلقونه من الحَرَج في شأنهم فإن واكلوهُمْ تَأَثَّموا، وإن عزَلُوا ما لَهُم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وَحْدَهُمْ فَحَرَجٌ ﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ ﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿ خَيْرٌ ﴾ من ترك ذلك ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ﴾ أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه، أي فلكم ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ بها فيجازي كلاً منهما ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه . [٢٢١] ﴿ وَلَا تَنكِحُوا ﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿ الْمُشْرِكَاتِ ﴾ أي الكافرات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكَةٍ ﴾ حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ ﴿ وَلَا تُنكِحُوا ﴾ تُزوجوا ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ لماله وجماله ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي أهل الشرك ﴿ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو ﴾ على لسان رسله ﴿ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ ﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون . [٢٢٢] ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ أي الحَيْض أو مكانه ماذا يُفعل بالنساء فيه ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ قذر أو محله ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ ﴾ اتركوا وطأهن ﴿ فِي الْمَحِيضِ ﴾ أي وقته أو مكانه ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ بالجماع ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ بالجماع ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ﴾ يثيب ويكرم ﴿ التَّوَّابِينَ ﴾ من الذنوب ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ من الأقذار . [٢٢٣] ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ أي محله وهو القبل ﴿ أَنَّى ﴾ كيف ﴿ شِئْتُمْ ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونزل رداً لقول اليهود: من أتى امرأته في قبلها أي من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في أمره ونهيه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُلَاقُوهُ ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين اتقوه بالجنة . [٢٢٤] ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ ﴾ أي الحلف به ﴿ عُرْضَةً ﴾ علة مانعة ﴿ لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ أي نصباً لها بأن تكثروا الحلف به ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ﴾ فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفِّر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿ وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفِّروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم. [٢٢٥] ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ ﴾ الكائن ﴿ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو: لا والله، وبلى والله، فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي قصدته من الأيمان إذا حنثتم ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾ لما كان من اللغو ﴿ حَلِيمٌ ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها. [٢٢٦] ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ أي يحلفون ألا يجامعوهن ﴿ تَرَبُّصُ ﴾ انتظار ﴿ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو ﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بهم. [١٢٧] ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ ﴾ أي عليه بأن لم يفيئوا فليوقعوه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقولهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق. [٢٢٨] ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ أي لينتظرن ﴿ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ عن النكاح ﴿ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ تمضي من حين الطلاق، جمع قَرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ وفي غير الآيسة والصغيرة، فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق، والإماء فعدتهن قَرْءان بالسُّنة ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ من الولد والحيض ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ أزواجهن ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ بمراجعتهن ولو أَبَيْنَ ﴿ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أي في زمن التربص ﴿ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ﴾ بينهما لإضرار المرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي وأحق لا تفضيل فيه إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿ وَلَهُنَّ ﴾ على الأزواج ﴿ مِثْلُ ٱلَّذِى ﴾ لهم ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ من الحقوق ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما دبره لخلقه. [٢٢٩] ﴿ ٱلطَّلَـٰقُ ﴾ أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿ مَرَّتَانِ ﴾ أي اثنتان ﴿ فَإِمْسَاكٌ ﴾ أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ من غير ضرار ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ ﴾ أي إرسالهن ﴿ بِإِحْسَـٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴾ أيها الأزواج ﴿ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ من المهور ﴿ شَيْـًٔا ﴾ إذا طلقتموهن ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾ أي الزوجان ﴿ أَ ﴾ ن ﴿ لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ أي: ألا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفي قراءة يُخافا بالبناء للمفعول فـ «أن لا يقيما» بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية في الفعلين ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَ ﴾ ن ﴿ لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿ تِلْكَ ﴾ الأحكام المذكورة ﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾. [٢٣٠] ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ الزوج بعد الثِّنْتَيْن ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ﴾ بعد

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ ويطأها كما في الحديث الذي رواه الشيخان[١]. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون. [٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول له ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ مهزوءاً بها بمخالفتها ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء. [٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم[٢] ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ترك العضل ﴿أَزْكَىٰ﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يُخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتَّبعوا أمره. [٢٣٣] ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي ليرضعن ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكدة، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ أي بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أي على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطاماً له قبل الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣٩) ومسلم (١٤٣٣). (٢) رواه الحاكم (٢/ ٢٨٠) والبخاري (٤٥٢٩ و ٥١٣٠) وأبو داود (٢٠٨٧) والترمذي (٢٩٨١).

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ
وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ
لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ
ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ
وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾ في ذلك ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ﴾ خطاب للآباء ﴿أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمۡتُم﴾ إليهن ﴿مَّآ ءَاتَيۡتُم﴾ أي: ما أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ بالجميل كطيب النفس ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ﴾ يموتون ﴿مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ﴾ أي ليتربصن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية «الطلاق»، والأمةُ على النِّصْفِ مِنْ ذلك بالسُّنَّةِ ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطّاب ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ شرعاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ عالم بباطنه كظاهره. [٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم﴾ لوَّحتم ﴿بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك؟! ورب راغب فيك ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ﴾ أضمرتم ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي نكاحاً ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ أي ما يعرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُۥ﴾ بأن ينتهي ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من العزم وغيره ﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٞ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها. [٢٣٦] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ أي تجامعوهن ﴿أَوۡ﴾ لم ﴿تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾ مهراً وما مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم ـ في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض ـ بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ﴾ الضيّق الرزق ﴿قَدَرُهُۥ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَٰعَۢا﴾ تمتيعاً ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ شرعاً صفة متاعاً ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية أو مصدر مؤكد ﴿عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المطيعين. [٢٣٧] ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَعۡفُونَ﴾ أي الزوجات فيتركنه ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل، وعن ابن عباس: الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤

[٢٣٨] ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ في الصلاة ﴿ قَٰنِتِينَ ﴾ قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كل قنوت في القرآن فهو طاعة»، رواه أحمد وغيره[1]، وقيل: ساكتين لحديث زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام. رواه الشيخان[2]. [٢٣٩] ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ من عدوٍّ أو سيل أو سبع ﴿ فَرِجَالًا ﴾ جمع راجل أي مشاة صلوا ﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ جمع راكب أي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومىء بالركوع والسجود ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾ من الخوف ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي صلّوا ﴿ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى مثل وما مصدرية أو موصولة. [٢٤٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ فليوصوا ﴿ وَصِيَّةً ﴾ وفي قراءة بالرفع أي عليهم ﴿ لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾ وليعطوهن ﴿ مَّتَٰعًا ﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿ إِلَى ﴾ تمام ﴿ ٱلْحَوْلِ ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ حال أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾ بأنفسهن ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ يا أولياء الميت ﴿ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ شرعاً كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشراً السابقة المتأخرة في النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله. [٢٤١] ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ ﴾ يعطينه ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بقدر الإمكان ﴿ حَقًّا ﴾ نصب بفعله المقدر ﴿ عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضاً إذ الآية السابقة في غيرها. [٢٤٢] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تتدبرون. [٢٤٣] ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي ينته علمك ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ﴾ فماتوا ﴿ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهم

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري (١٢٠٠) ومسلم (٥٣٩).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

الكفار ﴿ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه. [٢٤٤] ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿ فَيُضَاعِفَهُ ﴾ وفي قراءة فيضعفه بالتشديد ﴿ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمئة كما سيأتي ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً ﴿ وَيَبْسُطُ ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ في الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم. [٢٤٦] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ ﴾ الجماعة ﴿ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ ﴾ موت ﴿ مُوسَىٰ ﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ﴾ هو شمويل ﴿ ابْعَثْ ﴾ أقم ﴿ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ ﴾ معه ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿ قَالَ ﴾ النبي لهم ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ بالفتح والكسر ﴿ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَ ﴾ ن ﴿ لَا تُقَاتِلُوا ﴾ خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَ ﴾ ن ﴿ لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ بسبيهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت؛ أي لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ﴾ عنه وجبنوا ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فمجازيهم. وسأل النبي ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت. [٢٤٧] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغاً أو راعياً ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿ قَالَ ﴾ النبي لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ ﴾ اختاره للملك ﴿ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ سعة ﴿ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقاً ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ فضله ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن هو أهل له. [٢٤٨] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ الصندوق كان فيه صور الأنبياء أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ أي: تركاه هما، وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ ﴾ على ملكه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه وتسارعوا إلى

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفاً. [٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس وكان الحر شديداً[(١)] وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغرفة روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَم﴾ خبرية بمعنى كثير ﴿مِّن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر. [٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. [٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ أي داود ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض. [٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد بإنَّ وغيرها ردٌّ لقول الكفار له: لست مرسلاً. [٢٥٣] ﴿۞ تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾ نعت أو عطف بيان والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي محمداً ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره بعموم الدعوة، وختم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرة، والخصائص العديدة ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير

(١) في حاشية الجمل (١/ ٣٣٣): وكان الوقت حراً شديداً.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

الجزء ٣ الحزب ٥

معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدى الناس جميعاً ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾ بعد الرسل أي أممهم ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء. [٢٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ زكاته ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه وهو يوم القيامة وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله. [٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم البقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَن ذَا الَّذِي﴾ أي لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل أحاط علمه بهما وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليها لعظمته، لحديث: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»[1] ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر[2] ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير. [٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غيٌّ نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

المرأة وكيف تُذكِرُ ؟ قال : « يلتقي الماءان ، فإذا علا ماءُ الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماءُ المرأة ماء الرجل أنِثَتْ » ، قالوا : أخبرنا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ؟ قال : « كان يشتكي عِرقَ النَّسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا » ، قال عبد الله : قال أبي : قال بعضهم : يعني الإبلَ فحرم لحومها ، قالوا : صدقت ، قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : « ملك من ملائكة الله عزَّ وجلَّ موكل بالسحاب بيده أو في يده مِخراق من نار يزجُر به السحاب ، يسوقُه حيث أمر الله » ، قالوا : فما هذا

(١) رواه ابن جرير (٣/ ١٠).

(٢) هذا قصرٌ لمعنى العلي على أحد مدلولاته ، وإغفال لباقي مايدلُّ عليه هذا الاسم من المعاني. فالله هو العلي بذاته ، والعلي على جميع مخلوقاته ، والعلي بعظمة صفاته، والعلي الذي قهر المخلوقات ، فخضعت له الكائنات.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ ذكر الإخراج إما في مقابلة قوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. [٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾ جادل ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ لـ ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمروذ ﴿إِذْ﴾ بدل من حاجَّ ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ لما قال له: من ربُّك الذي تدعونا إليه: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه من الأغبياء ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ تحيَّر ودُهش ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجَّة الاحتجاج. [٢٥٩] ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَٱلَّذِي﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس راكباً على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عُزَيْر ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خرَّبها بختنصَّر ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ﴾ استعظاماً لقدرة الله تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ وألبثه ﴿مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَۖ﴾ مكثت هنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ﴾ لأنه نام أول النهار فقبض وأُحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْۖ﴾ لم يتغير مع طول الزمان، والهاء قيل أصل من سانهت، وقيل للسكت من سانيت وفي قراءة بحذفها ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح! فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ على البعث ﴿لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحييها بضم النون، وقرىء[1] بفتحها مِنْ أنْشَرَ ونَشَرَ ـ لغتان ـ وفي قراءة بضمها والزاي ـ نُحرِّكُها ونَرْفَعُها ـ ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ﴾ فنظر إليه وقد تَركَّبَتْ وكُسِيَتْ لحماً ونُفِخَ فيه الروحُ ونهَق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة اعْلَمْ، أمر من الله له.

الصوت الذي يُسمَع ؟ قال : « صوته » ، قالوا : صدقت ، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعُك إن أخبرتنا بها ، فإنه ليس من نبي إلا له ملَكٌ يأتيه بالخبر فأخبرنا مَن

---

(١) قراءة شاذة.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

[٢٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بقدرتي على الإحياء سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتك ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قَلْبِى﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ - بكسر الصاد وضمها - أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سريعاً ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فأخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها.

ربع الحزب ٥

[٢٦١] ﴿مَّثَلُ﴾ صفة نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ فكذلك نفقاتهم تتضاعف لسبعمئة ضعف ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة. [٢٦٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿وَلَآ أَذًى﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. [٢٦٣] ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن وردٌّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذي. [٢٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي أجورها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَٱلَّذِى﴾ أي كإبطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس، وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا أي لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

صاحبك ؟ قال : « جبريل عليه السلام » ، قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدوُّنا ، لو قلت : ميكائيلُ الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان . فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ إلى آخر الآية . [رواه أحمد والطبراني] .

قال ابن عباس : حضرت عِصابة من اليهود نبيَّ الله ﷺ يوماً فقالوا : يا أبا القاسم ، حدِّثنا عن خِلالٍ نسألك عنهن ، لا يعلمُهنَّ إلا نبي ؟ قال : « سلوني عما شئتم

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي تحقيقاً للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ومَن ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها، ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثليْ ما يثمر غيرها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى: تُثمِر وتَزْكُو، كَثُر المطر أم قَلّ، فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلّت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به. [٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فضعف من الكبر عن الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم، وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي، وعن ابن عباس: هو الرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون. [٢٦٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي زكوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿وَمِـ﴾ـن طيبات ﴿مَآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي من المذكور ﴿تُنفِقُونَ﴾ ـه في الزكاة حال من ضمير تيمموا ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال. [٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقاً وخَلَفاً منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمنفق. [٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول.

ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوبُ عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتُتابعنّي على الإسلام ؟ » ، قالوا : فذلك لك ، قال : « فسلوني عما شئتم » ، قالوا : أخبِرْنا عن أربع خِلال نسألك عنهن : أخبرنا أيُّ الطعام حرَّم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنزَّل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماءُ المرأة وماءُ الرجل ، كيف يكون الذكر

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

[٢٧٠] ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ فوفيتم به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ مانعين لهم من عذابه. [٢٧١] ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ﴾ تظهروا ﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي النوافل ﴿ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ أي نعم شيئاً إبداؤها ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ تسروها ﴿ وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليُقتدى به، ولئلاّ يُتّهم، وإيتاؤها الفقراء متعيّن ﴿ وَيُكَفِّرُ ﴾ بالياء والنون مجزوماً بالعطف على محل (فهو) ومرفوعاً على الاستئناف ﴿ عَنكُم مِّن ﴾ بعض ﴿ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه. ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلموا نزل: [٢٧٢] ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ مال ﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ لأن ثوابه لها ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خبر بمعنى النهي ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ جزاؤه ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ تنقصون منه شيئاً والجملتان تأكيد للأولى.

[٢٧٣] ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الصُّفَّةِ وهم أربعمئة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا ﴾ سفراً ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ ﴾ بحالهم ﴿ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿ تَعْرِفُهُم ﴾ يا مخاطباً ﴿ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ شيئاً فيلحفون ﴿ إِلْحَافًا ﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ فمجازٍ عليه. [٢٧٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

منه ؟ وأخبرنا كيف هذا النبيّ الأميّ في النوم ومن وليُّه من الملائكة ؟ قال : « فعليكم عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتكم لتتابعُنِّي ؟ » ، قال : فأعطَوه ما شاء من عهد وميثاق ، قال : « فأنشُدُكم بالذي أنزل التوراة على موسى ﷺ ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً ، وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه لَيُحَرِّمَنَّ أحبَّ الشراب إليه وأحبَّ الطعام إليه ، وكان أحب الطعام إليه لُحمَانَ الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها » ، قالوا : اللهم نعم ، قال : « اللهم اشهد عليهم . فأنشُدُكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيضُ غليظ وأن ماء المرأة أصفرُ رقيقٌ ، فأيهما علا كان له الولد

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

[٢٧٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياماً ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الجنون، متعلق بيقومون ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكله ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله مشبِّهاً له بالبيع في الحلِّ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

[٢٧٦] ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر بأكله، أي يعاقبه.

[٢٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي برباً كان لهم من قبل.

[٢٧٩] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أُمرتم به ﴿فَأْذَنُواْ﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: لا يَدَ لنا بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص. [٢٨٠] ﴿وَإِن كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له أي عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ ـ بفتح السين وضمها ـ أي وقت يُسْرِه ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ ـ بالتشديد ـ على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها، أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: «من أنظر مُعْسِراً أو وضع عنه، أظلّه اللّهُ في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم[1]. [٢٨١] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول تُرَدُّون، وللفاعل تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

والشَّبَه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكَراً بإذن الله، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله»، قالوا: اللهم نعم، قال: «اللهم اشهد عليهم. فأنشُدُكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبيّ الأميّ تنام عيناه ولا ينام قلبه؟»، قالوا: اللهم نعم قال: «اللهم اشهد». قالوا: وأنت

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠٦).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ تعاملتم ﴿ بِدَيۡنٍ ﴾ كسلم وقرض ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ معلوم ﴿ فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿ وَلۡيَكۡتُب ﴾ كتاب الدين ﴿ بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿ وَلَا يَأۡبَ ﴾ يمتنع ﴿ كَاتِبٌ ﴾ من ﴿ أَن يَكۡتُبَ ﴾ إذ دُعي إليها ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب ﴿ فَلۡيَكۡتُبۡ ﴾ تأكيد ﴿ وَلۡيُمۡلِلِ ﴾ يمل الكاتب ﴿ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ ﴾ الدين لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ في إملائه ﴿ وَلَا يَبۡخَسۡ ﴾ ينقص ﴿ مِنۡهُ ﴾ أي: الحق ﴿ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا ﴾ مُبذراً ﴿ أَوۡ ضَعِيفًا ﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿ أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ ﴾ متولي أمره من والدٍ ووَصيّ وقيّم ومترجم ﴿ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ ﴾ أشهدوا على الدَّين ﴿ شَهِيدَيۡنِ ﴾ شاهدين ﴿ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ أي بالغي المسلمينَ الأحرار ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا ﴾ أي الشهيدان ﴿ رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ ﴾ يشهدون ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ لدينه وعدالته. وتعدد النساء لأجل ﴿ أَن تَضِلَّ ﴾ تنسى ﴿ إِحۡدَىٰهُمَا ﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ إِحۡدَىٰهُمَا ﴾ الذاكرة ﴿ ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴾ الناسية، وجملة الإذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه. وفي قراءة بكسر (أن) الشرطية ورفع (تذكر) استئناف جوابه ﴿ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا ﴾ زائدة ﴿ دُعُواْۚ ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ ﴾ تملوا من ﴿ أَن تَكۡتُبُوهُ ﴾ أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿ صَغِيرًا ﴾ كان ﴿ أَوۡ كَبِيرًا ﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ﴾ وقت حلوله حال من الهاء في تكتبوه ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ أي الكتب ﴿ أَقۡسَطُ ﴾ أعدل ﴿ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿ وَأَدۡنَىٰٓ ﴾ أقرب إلى ﴿ أَ ﴾ ن ﴿ لَّا تَرۡتَابُوٓاْ ﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ ﴾ تقع ﴿ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ ﴾ وفي قراءة بالنصب فـ«تكون» ناقصة، واسمها ضمير التجارة ﴿ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ ﴾ أي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ ﴾ في ﴿ أَ ﴾ ن ﴿ لَّا تَكۡتُبُوهَاۗ ﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ ﴾ عليه فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر ندب ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف، أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، أولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿ وَإِن تَفۡعَلُواْ ﴾ ما نُهيتم عنه ﴿ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ﴾ في أمره ونهيه ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ مصالح أموركم، حال مقدرة أو مستأنف ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥

[٢٨٣] ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ وفي قراءة فرهانٌ جمع رَهْن ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقيد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد، وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي الدائن المدين على حقه فلم يرتهنه ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَانَتَهُ﴾ دَيْنه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ يخبركم ﴿بِهِ اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه. والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع أي فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿آمَنَ﴾ صدّق ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي ما أُمِرْنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية التي قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر أي وزره، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكتسبه مما وسوست به نفسه، وقولوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث[1] فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أمراً يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة، وإخراج ربع المال في الزكاة، وقرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم، فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ، قيل له عقب كل كلمة: قد فعلتُ»[2].

---

(١) رواه مسلم (١٢٥).

(٢) رواه مسلم (١٢٦).

سورة آل عمران

ترتيبها | آياتها ٢٠٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿سورة آل عمران﴾

[مدنية وآياتها مئتان أو إلا آية ، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١]﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك . [٢]﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ . [٣]﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ملتبساً ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق في أخباره ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله من الكتب ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ . [٤]﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل تنزيله ﴿ هُدًى ﴾ حال بمعنى هاديين من الضلالة ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ ممن تبعهما، وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزّل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكَرَهُ بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن وغيره ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد. [٥]﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ كائن ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلّي وجزئي، وخصّهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما. [٦]﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في صنعه. [٧] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ واضحات الدلالة ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور، وجعله كله محكماً في قوله ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومتشابهاً في قوله ﴿كتاباً متشابهاً﴾ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ميل عن الحق ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ﴾ طلب ﴿ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ لجُهّالهم، بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ تفسيره ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾ تفسيره ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وحده ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿ كُلٌّ ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أصحاب العقول ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتبعه: [٨] ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ أرشدتنا إليه ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ ﴾ من عندك ﴿ رَحْمَةً ﴾ تثبيتاً ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ . [٩] يا ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ ﴾ تجمعهم ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ أي في يوم ﴿ لَّا رَيْبَ ﴾ لا شك ﴿ فِيهِ ﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى، والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همّهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية، هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

محكمات إلى آخرها وقال: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[(١)]. وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب» الحديث[(٢)]. [١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بفتح الواو: ما تُوقد به. [١١] دأبُهم ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجملة مفسرة لما قبلها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهودَ بالإسلام بعد مرجعه من بدر، فقالوا: لا يغرنك أن قتلت نفراً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال: [١٢] ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ بالوجهين في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي. [١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ عبرة، وذكر الفعل للفصل ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته، وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوّي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ نَصْره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنوا. [١٤] ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زينها الله ابتلاءً أو الشيطانُ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] ﴿۞ قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أأخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدؤه ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن

---

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٣٢) وانظره في مجمع الزوائد (١/ ١٢٨).

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ ﴾ أي مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا ﴾ إذا دخلوها ﴿ وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿ وَرِضْوَٰنٌ ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان أي رضاً كثير ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ ﴾ عالم ﴿ بِٱلْعِبَادِ ﴾ فيجازي كلاً منهم بعمله. [١٦] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نعت أو بدل من الذين قبله ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يا ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ صدَّقنا بك وبرسولك ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾. [١٧] ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الإيمان ﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ المطيعين لله ﴿ وَٱلْمُنفِقِينَ ﴾ المتصدقين ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ ﴾ الله بأن يقولوا اللّهم اغفر لنا ﴿ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ أواخر الليل خُصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم. [١٨] ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ بيَّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿ إِلَّا هُوَ وَ ﴾ شهد بذلك ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ بالإقرار ﴿ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿ قَآئِمًۢا ﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ كرره تأكيداً ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في صنعه. [١٩] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ المرتضى ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح «أن» بدل من أنه... إلخ بدل اشتمال ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ اليهود والنصارى في الدين بأن وحَّد بعضٌ وكفر بعضٌ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ بالتوحيد ﴿ بَغْيًۢا ﴾ من الكافرين ﴿ بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي المجازاة له. [٢٠] ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾ انقدت له أنا ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ اليهود والنصارى ﴿ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ﴾ مشركي العرب: ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ أي أسلموا ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ من الضلال ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإسلام ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ أي التبليغ للرسالة ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال. [٢١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ﴾ وفي قراءة يقاتلون ﴿ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهم اليهود رُوي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً فنهاهم مئة وسبعون من عبّادهم فقتلوهم من يومهم ﴿ فَبَشِّرْهُم ﴾ أعلمهم ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ مؤلم وذِكْرُ البشارة تَهَكُّمٌ بهم ودخلت الفاء في خبر إن لشبه اسمها الموصول بالشرط. [٢٢] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ مانعين من العذاب.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٢٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنظر ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا ﴾ حظاً ﴿ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ التوراة ﴿ يُدْعَوْنَ ﴾ حال ﴿ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن قبول حكمه نزلت في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا[1]. [٢٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التولي والإعراض ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ ﴾ أي بسبب قولهم ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم ﴾ متعلق بقوله ﴿ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ من قولهم ذلك. [٢٥] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ حالهم ﴿ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ ﴾ أي في يوم ﴿ لَّا رَيْبَ ﴾ لا شك ﴿ فِيهِ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاءَ ﴿ مَّا كَسَبَتْ ﴾ عملت من خير ومن شر ﴿ وَهُمْ ﴾ أي الناس ﴿ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. [٢٦] ونزلت لما وعد ﷺ أمته مُلك فارس والروم فقال المنافقون: هيهات ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾ يا الله ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ من خلقك ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ﴾ بإيتائه ﴿ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ بنزعه منه ﴿ بِيَدِكَ ﴾ بقدرتك ﴿ ٱلْخَيْرُ ﴾ أي والشر ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [٢٧] ﴿ تُولِجُ ﴾ تدخل ﴿ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ ﴾ تدخله ﴿ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي رزقاً واسعاً. [٢٨] ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ يوالونهم ﴿ مِن دُونِ ﴾ أي غير ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي يواليهم ﴿ فَلَيْسَ مِنَ ﴾ دين ﴿ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزّة الإسلام ويجري فيمن هو في بلد ليس قوياً فيها ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ﴾ يخوفكم ﴿ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المرجع فيجازيكم. [٢٩] ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿ أَوْ تُبْدُوهُ ﴾ تظهروه ﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَ ﴾ هو ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

الآن فحدِّثنا مَن وَلِيُّك من الملائكة فعندها نجامعُك[2] أو نفارقك، قال: « فإني وليي جبريل عليه السلام، ولم يَبعَثِ الله نبياً قط إلا وهو وليه ». قالوا: فعندها نفارقُك لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك، قال: « فما يمنعُكم من أن تُصدِّقوه »؟ قالوا: إنه عدونا، قال: فعند ذلك قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ

---

(١) رواه البخاري (١٣٢٩) ومسلم (١٦٩٩).

(٢) «نجامعُك» أي: نجتمع معك.

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[٣٠] اذكر ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ ـه ﴿مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ﴾ ـه ﴿مِن سُوٓءٖ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾. ونزل لما قالوا ما نعبد الأصنام إلا حبّاً لله ليقربونا إليه: [٣١] ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى أنه يثيبكم[١] ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٞ﴾ به. [٣٢] ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم[٢]. [٣٣] ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ اختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ بمعنى أنفسهما ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم. [٣٤] ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ﴾ ولد ﴿بَعۡضٖ﴾ منهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [٣٥] اذكر ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ حنة لما أسنَّت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بالنيات، وهلك عمران وهي حامل. [٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يحرَّر إلا الغلمان ﴿قَالَتۡ﴾ معتذرة يا ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا وَضَعَتۡ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء[٣] ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ المطرود. في الحديث «ما من مولود يولد إلا مسّه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها». رواه الشيخان[٤]. [٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سَدَنَة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا: لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة

(١) هذا تعطيل لصفة المحبة، وصَرفها عن ظاهرها إلى الثواب.
(٢) الصواب: أن من نتائج عدم محبة الله لهم أنه يعاقبهم.
(٣) أي: وتسكين العين.
(٤) رواه البخاري (٣٤٣١) ومسلم (٢٣٦٦).

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى ﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدوداً ومقصوراً والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿لَكِ هَٰذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة. [٣٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي لما رأى زكريَّا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولداً صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿ٱلدُّعَآءِ﴾. [٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلاً ومخففاً ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي بعيسى أنه روح الله وسُمي كلمة لأنه خُلق بكلمة كن ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها. [٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مئة وعشرين سنة ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانياً وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء ولإظهاره هذه القدرة العظيمة أُلْهِمَ السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشَّر به. [٤١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صلِّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ أواخر النهار وأوائله. [٤٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أهل زمانك. [٤٣] ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي صلِّي مع المصلِّين. [٤٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي. [٤٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي ولد ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العُلا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ أي طفلاً قبل وقت الكلام ﴿ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. [٤٧] ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿ قَالَ ﴾ الأمر ﴿ كَذَٰلِكِ ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ أراد خلقه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي فهو يكون. [٤٨] ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون والياء ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخط ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾. [٤٩] ﴿ وَ ﴾ يجعله ﴿ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿ أَنِّى ﴾ أي بأني ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ ﴾ علامة على صدقي ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ هي ﴿ أَنِّىٓ ﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿ أَخْلُقُ ﴾ أصوِّر ﴿ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾ الضمير للكاف ﴿ فَيَكُونُ طَيْرًۢا ﴾ وفي قراءة طائراً ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً؛ ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق، وهو الله تعالىٰ، وليعلم أن الكمالَ لله ﴿ وَأُبْرِئُ ﴾ أشفي ﴿ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ الذي وُلد أعمى ﴿ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان ﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ كرره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقاً له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ تخبئون ﴿ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. [٥٠] ﴿ وَ ﴾ جئتكم ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ ﴾ قبلي ﴿ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصة[1] له، وقيل: أحل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ كرره تأكيداً وليبني عليه ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا ﴾ الذي آمركم به ﴿ صِرَٰطٌ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به. [٥٢] ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾ علم ﴿ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ وأرادوا قتله ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ ﴾ أعواني ذاهباً ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ لأنصر دينه ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من الحَوَر وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصَّارين

نصف الحزب ٦

(١) الصِّيصة: بالكسر ـ في حاشية الجمل: صِيْصِيَّة ـ: شوكة الديك، وقرن البقر، والظباء، والحِصْن، وكل ما امتُنِعَ به.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

يُحَوِّرُون الثياب أي يُبَيِّضُونها ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. [٥٣] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق. قال تعالى: [٥٤] ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى؛ إذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أعلمهم به. [٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعدك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين. [٥٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منه. [٥٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي يعاقبهم[1]، رُوي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين. وروى الشيخان حديث[2]: أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبيّنا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية. وفي حديث مسلم[3] أنه يمكث سبع سنين وفي حديثٍ عن أبي داود الطيالسي أربعين سنة ويتوفى ويُصلى عليه. فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده. [٥٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ حال من الهاء في نتلوه وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكم أي القرآن. [٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي آدم أي قالبه ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فكان وكذلك عيسى قال له: كن من غير أب فكان. [٦٠] ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه. [٦١] ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم

---

(١) انظر التعليق (ص٥٤) الحاشية (٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٠).

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجّوه به فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: « إذا دعوتُ فأمِّنوا » فأبَوْا أنْ يُلاعنوه وصالحوه على الجزية، رواه أبو نُعَيْم[1]. وعن ابن عباس: قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً، وفي روايةٍ: لو خرجوا؛ لاحترقوا. [٦٢] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ المذكور ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ﴾ الخبر ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا شك فيه ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في صنعه. [٦٣] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر. [٦٤] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اليهود والنصارى ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ مصدر بمعنى مستو أمرها ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ هي ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿ فَقُولُوا ﴾ أنتم لهم: ﴿ ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ موحدون. ونزل لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك: [٦٥] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ تخاصمون ﴿ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ بطلانَ قولكم. [٦٦] ﴿ ها ﴾ للتنبيه ﴿ أَنتُمْ ﴾ مبتدأ يا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ والخبرُ ﴿ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ من شأن إبراهيم ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ شأنه ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال تعالى تبرئة لإبراهيم: [٦٧] ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيّم ﴿ مُّسْلِمًا ﴾ موحداً ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. [٦٨] ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أحقهم ﴿ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ في زمانه ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ناصرهم وحافظهم. ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم: [٦٩] ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك. [٧٠] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ

(١) انظره في الدر المنثور (٢/ ٢٣١).

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا
مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق. [٧١] ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنه حق. [٧٢] ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي القرآن ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عن دينه إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. [٧٣] وقالوا أيضاً ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ تصدِّقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمۡ﴾ قال تعالى: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال، والجملةُ اعتراض ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل وأن مفعول تؤمنوا، والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى، المعنى: لا تقروا بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوۡ﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ يوم القيامة لأنكم أصح ديناً، وفي قراءة: أَأَن بهمزة التوبيخ أي أإيتاء أحد مثله تقرون به؟ قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن هو أهله. [٧٤] ﴿يَخۡتَصُّ

بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾. [٧٥] ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ أي بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومئتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ لا تفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ بسبب قولهم ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي العرب ﴿سَبِيلٞ﴾ أي إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون. [٧٦] ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيه سبيل ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يثيبهم[1]. [٧٧] ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة وفيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ يرحمهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم.

(١) انظر التعليق (ص٥٤) الحاشية (١).

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ ﴾ أي أهل الكتاب ﴿ لَفَرِيقًا ﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المُنْزَلِ إلى ما حرّفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾ أي المحرف ﴿ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الذي أنزله الله ﴿ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون. [٧٩] ونزل لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً ولما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ ﴿ مَا كَانَ ﴾ ينبغي ﴿ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ ﴾ أي الفهم للشريعة ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن ﴾ يقول ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ أي بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ بالرفع استئنافاً أي الله والنصب عطفاً على (يقول) أي البشر ﴿ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عُزيراً والنصارى عيسى ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ لا ينبغي له هذا. [٨١] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ ﴾ حين ﴿ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ عهدهم ﴿ لَمَآ ﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أي للذي ﴿ ءَاتَيْتُكُم ﴾ إياه، وفي قراءة (آتيناكم) ﴿ مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لهم ﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ ﴾ بذلك ﴿ وَأَخَذْتُمْ ﴾ قبلتم ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ عهدي ﴿ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ ﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم. [٨٢] ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الميثاق ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [٨٣] ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ بالياء والتاء أي المتولون ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ ﴾ انقاد ﴿ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا ﴾ بلا إباء ﴿ وَكَرْهًا ﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجىء إليه ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ بالتاء والياء. والهمزة في أول الآية للإنكار.

فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فعند ذلك باؤوا بغضب على غضب. الآية. [رواه أحمد والطبري].

(١٠٩) قوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، فقال لسعد: «ألم تسمع ما قال أبو الحُبَابِ ـ يريد: عبد الله بن أُبي ـ قال: كذا وكذا»، فقال سعد بن عبادة:

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

[٨٤] ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ أولاده ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار: [٨٥] ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. [٨٦] ﴿ كَيْفَ ﴾ أي لا ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ ﴾ أي شهادتهم ﴿ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ ﴾ قد ﴿ جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي الكافرين. [٨٧] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾. [٨٨] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون. [٨٩] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ عملهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لهم ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بهم. ونزل في اليهود [٩٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بعيسى ﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ بموسى ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ بمحمد ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾. [٩١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ مانعين منه. [٩٢] ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ ﴾ أي ثوابه وهو الجنَّة ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ ﴾ تصَّدَّقوا ﴿ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ من أموالكم ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ فيجازي عليه. ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها: [٩٣] ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا ﴾ حلالاً ﴿ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ ﴾ يعقوب ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق النَّسا ـ بالفتح والقصر ـ فنذر إن شفي لا يأكلها، فحُرِّم عليه ﴿ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ ﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فيه فبُهِتُوا ولم يأتوا بها قال تعالى: [٩٤] ﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل.

اعف عنه واصفح، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن أهل الكتاب والمشركين، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [تفسير ابن كثير].

(١١٥) قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ — الحزب ٧

[٩٥] ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ التي أنا عليها ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم [٩٦] ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴾ مُتعبَّداً ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ في الأرض ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ ـ بالباء ـ لغة في مكة سميت بذلك لأنها تبكُّ أعناق الجبابرة أي تدقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين(١)، وفي حديث: أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته(٢) ﴿ مُبَارَكًا ﴾ حال من (الذي) أي ذا بركة ﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأنه قبلتهم. [٩٧] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ منها ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعلوه(٣) ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ واجب بكسر الحاء وفتحها، لغتان في مصدر حج بمعنى: قصد، ويبدل من الناس ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ طريقاً فسره ﷺ بالزاد والراحلة، رواه الحاكم وغيره(٤) ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم.

[٩٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم عليه. [٩٩] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ ﴾ تصرفون ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي دينه ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ بتكذيبكم النبي وكتم نعمته ﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ أي تطلبون السبيل ﴿ عِوَجًا ﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام كما في كتابكم ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم فيجازيكم. ونزل لما مرّ بعض اليهود على الأوس والخزرج وغاظهم تآلفهم فذكَّروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون: [١٠٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾.

عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مُقبلٌ من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهُهُ، وفيه نزلت: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [رواه مسلم وغيره].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٦) ومسلم (٥٢٠).
(٢) رواه الطبري (٣/ ٣٥٥).
(٣) هذا مردود؛ لأنَّ الواقع يخالفه.
(٤) رواه ابن ماجه (٢٨٩٦) والحاكم (١/ ٤٤٢).

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بأن يُطاع فلا يعصى ويُشكر فلا يكفر، ويُذكر فلا يُنسى فقالوا: يا رسول الله! ومن يقوى على هذا؟ فنسخ بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ موحدون. [١٠٣] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ بعد الإسلام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. [١٠٤] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون، و (من) للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحد كالجاهل، وقيل زائدة، أي لتكونوا أمة. [١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ عن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. [١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخاً ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. [١٠٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. [١٠٨] ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جرم.

---

(١٢٥) قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

عن أنس قال عمر: وافقتُ ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبْنَ، فإنه يكلِّمُهُنَّ البرُّ والفاجرُ. فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: عسى ربه إنْ طلقكن أن يُبدِلَه أزواجاً خيراً منكن. فنزلت هذه الآية. [رواه البخاري وغيره].

وعن ابن عمر قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر. [رواه مسلم].

(١٤٢) قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾.

عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ يُصلِّي نحو بيت المقدس، ويُكثِرُ النظر إلى السماء ينتظِرُ أمر الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

[١٠٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ﴾ تصير ﴿ ٱلْأُمُورُ ﴾. [١١٠] ﴿ كُنتُمْ ﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴾ أظهرت ﴿ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ ﴾ الإيمان ﴿ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ كعبد الله بن سلاّم رضي الله عنه وأصحابه ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الكافرون. [١١١] ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ ﴾ أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿ إِلَّآ أَذًىۖ ﴾ باللسان من سبٍّ ووعيد ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ منهزمين ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم. [١١٢] ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ حيثما وجدوا فلا عزّ لهم ولا اعتصام ﴿ إِلَّا ﴾ كائنين ﴿ بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿ وَبَآءُو ﴾ رجعوا ﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ ﴾ تأكيد ﴿ بِمَا عَصَواْ ﴾ أمر الله ﴿ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام. [١١٣] ﴿ ۞ لَيْسُواْ ﴾ أي أهل الكتاب ﴿ سَوَآءًۗ ﴾ مستوين ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ مستقيمة على الحق ثابتة كعبد الله بن سلاّم رضي الله عنه وأصحابه ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي في ساعاته ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ يصلّون، حال. [١١٤] ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بما ذكر الله ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين. [١١٥] ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ ﴾ ـ بالتاء ـ أيتها الأمة ـ وبالياء ـ أي الأمة القائمة ﴿ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ ﴾ ـ بالوجهين ـ أي تعدموا ثوابه بل تجازون عليه ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

(ربع الحزب ٧)

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فقال رجال من المسلمين: وَددنا لو علمنا علم مَن مات قبل أن نُصرَف إلى القبلة فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ وقال السفهاء من الناس: ما ولاّهم عن قِبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ . . . ﴾ إلى آخر الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

(١٤٣) قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾.

عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يُعجبُهُ أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلّى أو صلاها صلاة العصر وصلّى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلّى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبلَ مكة فداروا كما هم قبَل البيت، وكان الذي مات على القِبلة قبل أن تُحوّل قِبَل البيت رجال قُتلوا فلم ندْر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [رواه البخاري وغيره].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي
صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ
مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ
بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ ﴾ تدفع ﴿ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي من عذابه ﴿ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ وخصها بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[١١٧] ﴿ مَثَلُ ﴾ صفة ﴿ مَا يُنفِقُونَ ﴾ أي الكفار ﴿ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ في عداوة النبي من صدقة ونحوها ﴿ كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ ﴾ حر أو برد شديد ﴿ أَصَابَتۡ حَرۡثَ ﴾ زرع ﴿ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بالكفر والمعصية ﴿ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ ﴾ فلم ينتفعوا به، فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

[١١٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ ﴾ أصفياء تطلعونهم على سرّكم ﴿ مِّن دُونِكُمۡ ﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾ نصب بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنوا ﴿ مَا عَنِتُّمۡ ﴾ أي عنتكم وهو شدة الضرر ﴿ قَدۡ بَدَتِ ﴾ ظهرت ﴿ ٱلۡبَغۡضَآءُ ﴾ العداوة لكم ﴿ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ ﴾ من العداوة ﴿ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ ﴾ على عداوتهم ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿ هَا ﴾ للتنبيه ﴿ أَنتُمۡ ﴾ يا ﴿ أُوْلَآءِ ﴾ المؤمنين ﴿ تُحِبُّونَهُمۡ ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ ﴾ أطراف الأصابع ﴿ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾ شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم. ويعبر عن شدة الغضب بعَضِّ الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثَمَّ عض ﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ ﴾ أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء.

[١٢٠] ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ ﴾ تصبكم ﴿ حَسَنَةٞ ﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿ تَسُؤۡهُمۡ ﴾ تحزنهم ﴿ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾ كهزيمة وجدب ﴿ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ ﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ ﴾ على أذاهم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الله في موالاتهم وغيرها ﴿ لَا يَضُرُّكُمۡ ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها ﴿ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ بالياء والتاء[1] ﴿ مُحِيطٞ ﴾ عالم فيجازيهم به.

[١٢١] ﴿ وَ ﴾ اذكر يا محمد ﴿ إِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ من المدينة ﴿ تُبَوِّئُ ﴾ تنزل ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم وهو يوم أحد خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاثٍ من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوَّى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتوننا من ورائنا

---

(١) قراءة شاذة.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

ولا تبرحوا غُلبنا أو نُصرنا»[1]. [١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبيّ المنافقُ وأصحابه وقال: عَلام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السلمي القائل له أنشدكم الله في نبيّكم وأنفسكم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ليثقوا به دون غيره. [١٢٣] ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ ظرف لنصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم[2] تطميناً ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد. [١٢٥] ﴿بَلَىٰٓ﴾ يكفيكم ذلك وفي «الأنفال»: (بألْفٍ) لأنه أمدّهم أولاً بها، ثم صارت ثلاثةٌ، ثم صارت خمسةٌ كما قال تعالى ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو وفتحها أي مُعَلَّمِينَ، وقد صَبَرُوا وأَنْجزَ اللّهُ وعده، بأن قاتَلَتْ معهم الملائكةُ على خَيْلٍ بُلْقٍ، عليهم عَمائمُ صُفْرٌ أَوْ بيضٌ، أرسلوها بين أكتافهم. [١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تَجزع من كثرة العدو وقلَّتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند. [١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بـ(نصركم) أي ليُهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا۟﴾ يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. [١٢٨] ونزل لما كُسِرَت رباعيتُه ﷺ وشُجَّ وَجْهُه يومَ أُحُد وقال «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيّهم بالدَّم»[3]: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى إلى أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر. [١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته. [١٣٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ بألف ودونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. [١٣١] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أن تعذَّبوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢/ ٥٠٧) والواقدي في المغازي (١/ ٢٢٥) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢٧).

(٢) الصواب أن يُقال: تعدهم. حاشية الجمل (١/ ٥١٥).

(٣) رواه مسلم (١٧٩١).

نصف الحزب ٧

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ
مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ
مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ
فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

[١٣٣] ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ ﴾ بواو ودونها ﴿ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرضُ: السعة ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي. [١٣٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ في طاعة الله ﴿ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ اليُسر والعُسر ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ بهذه الأفعال، أي يثيبهم[1]. [١٣٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ ذنباً قبيحاً كالزنى ﴿ أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي وعيده ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن ﴾ أي لا ﴿ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ ﴾ يداوموا ﴿ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ ﴾ بل أقلعوا عنه ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ أن الذي أتوه معصية. [١٣٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ حال مقدرة، أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ بالطاعة هذا الأجر. ونزل في هزيمة أُحد. [١٣٧] ﴿ قَدۡ خَلَتۡ ﴾ مضت ﴿ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿ فَسِيرُواْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فأنا أمهلهم لوقتهم. [١٣٨] ﴿ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ بَيَانٞ لِّلنَّاسِ ﴾ كلهم ﴿ وَهُدٗى ﴾ من الضلالة ﴿ وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ منهم. [١٣٩] ﴿ وَلَا تَهِنُواْ ﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ بالغلبة عليهم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ حقاً وجوابه دل عليه مجموع ما قبله. [١٤٠] ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ ﴾ يصبكم بأحد ﴿ قَرۡحٞ ﴾ بفتح القاف وضمها جهد من جرح ونحوه ﴿ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ ﴾ الكفار ﴿ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾ ببدر ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا ﴾ نصرِّفها ﴿ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى ليتعظوا ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ﴾ علم ظهور ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين أي يعاقبهم[2]، وما ينعم به عليهم استدراج.

عن ابن عباس قال: لما وجِّهَ النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يُصلُّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ... ﴾ الآية [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

(١٤٤) قوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾.

عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ صلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يُحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة، فأنزل الله

---

(١) انظر (ص٥٤) الحاشية (١). (٢) انظر (ص٥٤) الحاشية (٢).

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

[١٤١] ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿ وَيَمۡحَقَ ﴾ يهلك ﴿ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. [١٤٢] ﴿ أَمۡ ﴾ بل أ ﴿ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا ﴾ لم ﴿ يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ علم ظهور ﴿ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ في الشدائد. [١٤٣] ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ ﴾ حيث قلتم: ليتَ لنا يوْماً كيَوْم بَدْرٍ لِننالَ ما نالَ شُهَداؤُه ﴿ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ ﴾ أي سببه الحرب ﴿ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم؟

ونزل في هزيمتهم لما أُشيع أن النبي قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم: [١٤٤] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ﴾ كغيره ﴿ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري أي ما كان معبوداً فترجعوا ﴿ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ ﴾ وإنما يضر نفسه ﴿ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ نعمه بالثبات. [١٤٥] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ بقضائه ﴿ كِتَٰبٗا ﴾ مصدر أي: كتب الله ذلك ﴿ مُّؤَجَّلٗاۗ ﴾ مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم! والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة ﴿ وَمَن يُرِدۡ ﴾ بعمله ﴿ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي جزاءَه منها ﴿ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾ ما قسم له، ولا حظَّ له في الآخرة ﴿ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ ﴾ أي من ثوابها ﴿ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾. [١٤٦] ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ كم ﴿ مِّن نَّبِيّٖ ﴾ قُتِل، وفي قراءةٍ: ﴿ قَٰتَلَ ﴾ والفاعل ضميره ﴿ مَعَهُۥ ﴾ خبر مبتدؤه ﴿ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ ﴾ جموعٌ كثيرة ﴿ فَمَا وَهَنُواْ ﴾ جبنوا ﴿ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿ وَمَا ضَعُفُواْ ﴾ عن الجهاد ﴿ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾ خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قُتل النبي ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على البلاء أي يثيبهم[1]. [١٤٧] ﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ ﴾ عند قتل نبيِّهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا ﴾ تجاوزنا الحد ﴿ فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾ إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿ وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾ بالقوة على الجهاد ﴿ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. [١٤٨] ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ النصر والغنيمة ﴿ وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ ﴾ أي الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

عزَّ وجلَّ: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ فصلَّى مع النبي ﷺ رجل ثم خرج بعدما صلَّى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهَد أنه صلَّى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرَّف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة. [رواه البخاري وغيره].

عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ فمرَّ رجل من

(١) انظر التعليق رقم (١) (ص٥٤).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. [١٥٠] ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم. [١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحُد على العَوْد، واستئصال المسلمين فرُعِبوا ولم يَرْجعوا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين هي. [١٥٢] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي أَمْرِ النبيِّ ﷺ بالمُقامِ في سَفْحِ الجَبَلِ للرَّمْيِ فقال بعضكم: نَذْهَبُ فقد نُصِرَ أصحابُنا وبعضُكم: لا نُخالِفُ أمرَ النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمره فتركتم المَرْكَزَ لِطَلَبِ الغنيمة ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصر وجواب (إذا) دل عليه ما قبله، أي: منعكم نصره ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فترَكَ المَرْكَزَ للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب إذا المقدر ردّكم للهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو. [١٥٣] اذكروا ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ تعرجون ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ أي من ورائكم يقول: «إليَّ عباد الله! إليَّ عباد الله!» ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمًّا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمِّكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على، أي مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلق بعفا أو بأثابكم فـ(لا) زائدة ﴿تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ٧

بني سلَمَة وهم رُكوعٌ في صلاة الفجر وقد صلَّوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حُوِّلت، فمالوا كما هم نحو القبلة. [رواه مسلم وغيره].

(١٥٨) قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

عن الزهري: قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيتِ قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جُناح ألا يطوفَ بالصفا والمروة، فقالت: بئس ما قلت يا بن أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أوَّلتها عليه كانت لا جُناح عليه ألا

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء والتاء ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يَمِيدُونَ تحت الحَجَفِ[1] وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه، فلم يناموا وهم المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظناً ﴿غَيْرَ﴾ الظن ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي كظن ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا يُنْصر ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي النصر الذي وُعدناه ﴿مِن شَىْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ بالنصب توكيد والرفع مبتدأ وخبره ﴿لِلَّهِ﴾ أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرهاً ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم مَنْ كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿وَ﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾ يختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأُحُد وهم المسلمون إلا اثْنَيْ عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾ سافروا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ جمع غازٍ فقتلوا ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي لا تقولوا كقولهم ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها من مات يموت أي أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالتاء والياء.

---

(١) الحجف بفتحتين وتقديم الحاء جمع حجَفَة كقصبة وقصب اسم للترس والدَّرَقة. كما في المصباح.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾ بالوجهين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم. [١٥٩] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيىء الخُلُق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ جافياً فأغلظت لهم ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره تطييباً لقلوبهم وليستن بك. وكان ﷺ كثير المشاورة لهم. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه. [١٦٠] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ يُعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك نصركم كيوم أُحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليثق ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. ونزلت لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس: لعلّ النبي أخذها: [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالبناء للمفعول أي: يُنسب إلى الغلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال وغيره جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. [١٦٢] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي. لا [١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي أصحاب درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. [١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي عربياً مثلهم ليفهموا عنه ويشرُفوا به لا ملكاً ولا عجمياً ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. [١٦٥] ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأُحد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسولُ الله فينا. والجملةُ الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز فخُذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم.

يتطوّفَ بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يُسلموا يُهلّون لمَناةَ الطاغيةِ التي كانوا يعبدونها بالمُشَلَّلِ ، فكان مَن أهلَّ يتحرّجُ أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

[١٦٦] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حقاً. [١٦٧] ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ الذين ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ نحسن ﴿قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ قال تعالى تكذيباً لهم: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ من النفاق. [١٦٨] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ في الدين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُواْ﴾ عن الجهاد ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ﴾ لهم ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾ ادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أن القعود ينجي منه. ونزل في الشهداء:

الحزب ٨

[١٦٩] ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لأجل دينه ﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ «أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت» كما ورد في الحديث[1] ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة. [١٧٠] ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير يُرزقون ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَ﴾ هم ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين ﴿أَ﴾ نْ أي بأن ﴿لَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم. [١٧١] ﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ﴾ ثوابٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفاً على نعمة وبالكسر استئنافاً ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بل يأجرهم. [١٧٢] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر العام المقبل من يوم أُحد ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ بأحد. وخبرُ المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ مخالفته ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة. [١٧٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَٰنٗا﴾ تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا أمرهم ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ المفوَّض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

وأصحابه فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا. قال الله تعالى: [١٧٤] ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته. [١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي القائل لكم: إن الناس... إلخ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ﴾ ـكم ﴿أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ حقاً. [١٧٦] ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي، وبفتحها وضم الزاي من حَزَنَهُ لغةٌ في أحزنه ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون، أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا﴾ نصيباً ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي الجنة فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار. [١٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم. [١٧٨] ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي﴾ أي إملاءنا ﴿لَهُمۡ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾ و (أنَّ) ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي﴾ نمهل ﴿لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ ذو إهانة في الآخرة. [١٧٩] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيۡهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد يفصل ﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أُحد ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ النفاق ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾. [١٨٠] ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي بخلهم ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۖ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية، وقبل الضمير على التحتانية ﴿بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ أي بزكاته من المال ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه، كما ورد في الحديث(١) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿خَبِيرٞ﴾ فيجازيكم به.

أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ،

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٥) ومسلم (٩٨٨).

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

[١٨١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا۟﴾ في صحائف أعمالهم ليُجازَوْا عليه، وفي قراءة بالياء مبنياً للمفعول ﴿وَ﴾ نكتب ﴿قَتْلَهُمُ﴾ بالنصب والرفع ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ ـ بالنون والياء ـ أي اللَّهُ لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ النار، ويقال لهم إذا أُلقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبَّر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. [١٨٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوٓا۟﴾ لمحمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به، وهو ما يتقرب به إلى الله من نعَم وغيرها فإن قُبل؛ جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه.

ربع الحزب ٨

وعُهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخاً ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم، والخطابُ لمن في زمن نبيّنا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به. [١٨٤] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾ الواضح هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا. [١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بعد ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبه ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الباطل يتمتع به قليلاً ثم يفنى. [١٨٦] ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، لتختبرن ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرَّجُ أن نطوف بالصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطَّوافَ بينهما فليس لأحد أن يترُك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[١٨٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ـ بالياء والتاء في الفعلين ـ ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا. [١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ في الوجهين، تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذَّبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها، ومفعولا (يحسب) الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط. [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين. [١٩٠] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقول. [١٩١] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَٰطِلًا﴾ حال، عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. [١٩٢] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى. [١٩٣] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي إليه وهو محمد أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ غطِّ ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك ـ وإن كان وعده تعالى لا يخلف ـ سؤال أن يجعلهم من مستحقيه، لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير (ربّنا) مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

[١٩٥] ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ دعاءهم ﴿ أَنِّي ﴾ أي بأني ﴿ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم ﴾ كائن ﴿ مِّن بَعْضٍ ﴾ أي الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أُمّ سلمة: يا رسول الله إني لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي ﴾ ديني ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ الكفار ﴿ وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة بتقديمه ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا ﴾ مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له ﴿ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ الجزاء. ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد: [١٩٦] ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ تصرُّفهم ﴿ فِي الْبِلَادِ ﴾ بالتجارة والكسب. [١٩٧] هو ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ الفراش هي. [١٩٨] ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ﴾ أي مقدرين بالخلود ﴿ فِيهَا نُزُلًا ﴾ وهو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جَنَّاتٍ والعامل فيها معنى الظرف ﴿ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ من متاع الدنيا. [١٩٩] ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ أي القرآن ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي التوراة والإنجيل ﴿ خَاشِعِينَ ﴾ حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى (مَنْ) أي: متواضعين ﴿ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت محمد النبي ﷺ ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يُؤْتَوْنَهُ مرتين كما في «القصص» [آية ٥٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا. [٢٠٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ الكفّار فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ أقيموا على الجهاد ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في جميع أحوالكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

يذكرون أن الناس ـ إلا من ذكرت عائشة ممن كان يُهِلُّ بمَنَاةَ ـ كانوا يطوفون كلُّهم بالصفا والمروة فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ، ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن ، قالوا : يا رسول الله ! كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا والمروة فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية . قال أبو بكر : فأسْمعُ هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرَّجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة ، والذين يطوفون ثم تحرَّجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام ، من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكُر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكرَ الطواف بالبيت . [رواه البخاري وغيره] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

﴿سورة النساء﴾

[مدنية وآياتها ١٧٥ أو ١٧٦ أو ١٧٧ ثلاثة أقوال نزلت بعد الممتحنة]

نصف الحزب ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ـ بالمد ـ من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها، أي تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَ﴾ اتقوا ﴿الأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في به، وكانوا يتناشدون بالرَّحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً لأعمالكم فيجازيكم بها، أي لم يزل متصفاً بذلك. ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: [٢] ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى﴾ الصغار الذين لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ﴾ أي أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنباً ﴿كَبِيرًا﴾ عظيماً. ولما نزلت تحرَّجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل: [٣] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ ن ﴿لَا تُقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَى﴾ فتحرّجتم من أمرهم، فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَانْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ أي اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ ن ﴿لَا تَعْدِلُوا﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء، إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسرّي ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا. [٤] ﴿وَآتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق، فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾ طيباً ﴿مَرِيئًا﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردّاً على من كره ذلك. [٥] ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ﴾ المبذّرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ مصدر «قام»، أي تقومُ بِمَعَاشِكم وصَلاحِ أولادكم، فيَضَعُوها في غير وجهها، وفي قراءة (قيماً) جمع قيمة، ما تقوم به الأمتعة ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي أطعموهم منها ﴿وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ عِدُوهم عِدةً جميلةً بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا. [٦] ﴿وَابْتَلُوا﴾ اختبروا ﴿الْيَتَامَى﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام، أو السِّنّ وهو اسْتِكمالُ خَمْسَ عَشْرَةَ سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ أبصرتم ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق حال ﴿وَبِدَارًا﴾

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلّموها وبرئتم، لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البيّنة وهذا أمر إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. ونزل ردّاً لما كان عليه في الجاهلية من عَدَم تَوريث النساء والصغار: [٧] ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم. [٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذوُو القرابة ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُواْ﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه، وأنه للصغار، وهذا قيل إنه منسوخ، وقيل: لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب، وعن ابن عباس: واجب. [٩] ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخَفْ على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ﴾ أي قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾ لِلْمَيِّت[1] ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صواباً بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة. [١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي ملأها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل، والمفعول يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها. [١١] ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِيٓ﴾ شأن ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها ثلث المال وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿نِسَآءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أولى، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى و (فوق) قيل: صلة، وقيل: لدفع توَهُّم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي الميت ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأُلحق بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها فراراً من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٢/١٦): الأَوْلَى: للمريض، وأَوْلَى من هذا كله: وليقولوا لليتامى.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٨

أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعداً ذكوراً أو إناثاً ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للأخوة. وإرث من ذكر ما ذُكر ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِى﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة، فظانٌّ أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع، وبالعكس. وإنما العالم بذلك هو الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم: أي لم يزل متصفاً بذلك. [١٢] ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات تَعَدَّدْنَ أوْ لا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ صفة والخبر ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي للمورث كلالة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي من أم. وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذكَرُهُم وأُنثاهم ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حال من ضمير يوصى أي غير مدخِل الضرر على الورَثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه، وخَصَّت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رقٍّ. [١٣] ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه التي حدَّها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ ـ بالياء والنون ـ التفاتاً ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [١٤] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة روعي في الضمائر في الآيتين لفظ مَنْ وفي خالدين معناها. [١٥] ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الزنى ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ أي ملائكته

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

﴿ أَوۡ ﴾ إلى أن ﴿ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً إلى الخروج منها أمروا بذلك أول الإسلام، ثم جَعَل لهن سبيلاً بجلد البكر مئة وتغريبها عاماً ورجم المحصنة، وفي الحديث لما بين الحد قال: «خذوا عنّي، خذوا عنّي، قد جعل الله لهنَّ سبيلاً» رواه مسلم[1]. [١٦] ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾ ـ بتخفيف النون وتشديدها ـ ﴿ يَأۡتِيَٰنِهَا ﴾ أي الفاحشة الزنى أو اللواط ﴿ مِنكُمۡ ﴾ أي الرجال ﴿ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿ فَإِن تَابَا ﴾ منها ﴿ وَأَصۡلَحَا ﴾ العمل ﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾ ولا تؤذوهما ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا ﴾ على من تاب ﴿ رَّحِيمًا ﴾ به. وهذا منسوخ بالحد إن أُريد بها الزنى. وكذا إن أُريد بها اللواط عند الشافعي. لكن المفعول به لا يُرجم عنده، وإن كان مُحْصَناً، بل يُجْلَد ويُغَرَّب، وإرادةُ اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير، والأول قال أراد الزاني والزانية ويردّه تبيينهما بـ(من) المتصلة بضمير الرجال، واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال، لما تقدم في النساء من الحبس. [١٧] ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ ﴾ المعصية ﴿ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ حال أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن ﴾ زمن ﴿ قَرِيبٖ ﴾ قبل أن يغرغروا ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ ﴾ يقبل توبتهم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٗا ﴾ في صنعه بهم. [١٨] ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الذنوب ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ وأخذ في النزع ﴿ قَالَ ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا ﴾ أعددنا ﴿ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ مؤلماً. [١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ ﴾ أي ذاتهن ﴿ كَرۡهٗاۖ ﴾ ـ بالفتح والضم لغتان ـ أي مُكْرِهِيهنَّ على ذلك، كانوا في الجاهلية يَرِثُون نساء أقربائهم، فإن شاؤوا تزوجوا بلا صداق، أو زوّجوها وأخذوا صداقها، أو عضلوها حتى تفتدي بما ورثته، أو تموت فيرثوها فنُهوا عن ذلك ﴿ وَلَا ﴾ أن ﴿ تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن، ولا رغبة لكم فيهن ضراراً ﴿ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ من المهر ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ ـ بفتح الياء وكسرها ـ أي بينت، أو هي بينة، أي زنى أو نشوز، فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ أي بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ ﴾ فاصبروا ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ ولعلّه يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً.

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠).

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي أخذ بدلها بأن طلقتموها ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً كثيراً صداقاً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا﴾ ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيناً ونصبهما على الحال، والاستفهامُ للتوبيخ وللإنكار في قوله: [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا﴾ عهداً ﴿غَلِيظًا﴾ شديداً وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان. [٢٢] ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ بمعنى مَنْ ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفوٌّ عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نكاحهن ﴿كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ قبيحاً ﴿وَمَقْتًا﴾ سبباً للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً ذلك. [٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّـٰتُكُمْ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَـٰلَـٰتُكُمْ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم. ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن بنات أولادهم ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات، كما بيّنه الحديث ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهنّ موطوآته، والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها لحديث: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاعِ ما يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» رواه البخاري ومسلم[1] ﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ تربونهن. صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾ بخلاف من تبنّيتموهم، فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح، ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ واحدةً ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ ۗ﴾ في الجاهلية من نكاحهم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤٥) ومسلم (١٤٤٧).

الجزء ٥ الحزب ٩

۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ۚ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۚ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

[٢٤] ﴿و﴾ حُرِّمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن، حرائر مسلمات كُنَّ أوْ لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطْؤهُنّ وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر، أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ فمن ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ﴾ أنتم وهن ﴿بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من حطِّها، أو بعضها، أو زيادة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم. [٢٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ أي غنىً لـ ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هو جريٌ على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ينكح ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهره وكِلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفضيلها، ورُبَّ أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مواليهن ﴿وَآتُوهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل ونقصٍ ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفائف، حال ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سرّاً ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ زُوّجن، وفي قراءة بالبناء للفاعل تزوّجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنىً ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنَيْن ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة، ويُقاس عليهنّ العبيد، ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطَّوْل ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿الْعَنَتَ﴾ الزنى، وأصله المشقَّة، سمي به الزنى لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنْكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها، وكذا من استطاع طَوْلَ حرة، وعليه الشافعي، وخرج بقوله «من فتياتكم المؤمنات»: الكافرات، فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة في ذلك: [٢٦] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أموركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتَّبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لكم.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

[٢٧] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ كرره ليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ اليهود والنصارى، أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حُرم عليكم فتكونوا مثلهم . [٢٨] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ لا يصبر عن النساء أو الشهوات. [٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَٰرَةٌ﴾ وفي قراءة بالنصب، أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بارتكاب ما يؤدِّي إلى هلاكها أيّاً كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ في منعه لكم من ذلك . [٣٠] ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي ما نُهي عنه ﴿عُدۡوَٰنٗا﴾ تجاوزاً للحلال، حال ﴿وَظُلۡمٗا﴾ تأكيد ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارٗا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيِّناً. [٣١] ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنى والسرقة، وعن ابن عباس: هي إلى السبعمئة أقرب ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا﴾ ـ بضم الميم وفتحها ـ أي إدخالاً أو موضعاً ﴿كَرِيمٗا﴾ هو الجنة. [٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بهمزة ودونها ﴿ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم. [٣٣] ﴿وَلِكُلّٖ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ عصبة يُعطَوْن ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ لهم من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ﴾ بألف ودونها ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ جمع يمين بمعنى القَسَم، أو اليد، أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمۡ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ مُطّلعاً ومنه حالكم، وهذا منسوخ بقوله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ [الأحزاب: ٦].

عن عاصم بن سليمان، قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة، فقال: كنا نَرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ ...﴾ [رواه البخاري ومسلم].

(١٨٧) قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ .

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

[٣٤] ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ ﴾ مُسَلَّطون ﴿ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ يؤدِّبونَهُنَّ ويأخُذونَ على أيْديهِنَّ ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعِلْم، والعَقْلِ، والوَلايَةِ وغير ذلك ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾ عليهن ﴿ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ منهن ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غَيْبَةِ أزواجهن ﴿ بِمَا حَفِظَ ﴾ لهن ﴿ ٱللَّهُۚ ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ عِصْيانَهُنَّ لكم بأن ظهرت أمارته ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ فخوِّفوهن الله ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ ﴾ ضرباً غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ فيما يراد منهن ﴿ فَلَا تَبْغُواْ ﴾ تطلبوا ﴿ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن. [٣٥]﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ علمتم ﴿ شِقَاقَ ﴾ خلاف ﴿ بَيْنِهِمَا ﴾ بين الزوجين والإضافةُ للاتساع أي شقاقاً بينهما ﴿ فَٱبْعَثُواْ ﴾ إليهما برضاهما ﴿ حَكَمًا ﴾ رجلاً عدلاً ﴿ مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾ أقاربه ﴿ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ويُوَكِّلُ الزوجُ حَكَمَهُ في طلاقٍ وقبول عِوَضٍ عليه، وتُوَكِّل هي حَكَمَها في الاختلاع، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع، أو يُفرِّقان إن رأياه، قال تعالى: ﴿ إِن يُرِيدَآ ﴾ أي الحَكَمان ﴿ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ ﴾ بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بكل شيء ﴿ خَبِيرًا ﴾ بالبواطن كالظواهر. [٣٦] ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وَحِّدوه ﴿ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَ ﴾ أحسنوا ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ برّاً ولين جانب ﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل: الزوجة ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ ﴾ من الأرقاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا ﴾ متكبِّراً ﴿ فَخُورًا ﴾ على الناس بما أوتي. [٣٧] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾ بما يجب عليهم ﴿ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ به[1] ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ ﴾ من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ بذلك وبغيره ﴿ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ذا إهانة.

ربع الحزب ٩

(١) أي: بما يجب.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على الذين قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿قَرِينًا﴾ هو. [٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أيُّ ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، و (لو) مصدرية، أي لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا. [٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أحداً ﴿مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة بالرفع، فكان تامة ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمئة، وفي قراءة ﴿يضعّفها﴾ بالتشديد ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدِّره أحد. [٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيّها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾. [٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم المجيء ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾ أي أن ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بالبناء للمفعول، والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي تتسوّى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. [٤٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي لا تصلوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصْحوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال، ونصبه على الحال وهو يُطلق على المُفرَد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِى﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق أي مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ فلكم أن تصلوا، واستثنى المسافر لأن له حكماً آخر سيأتي. وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جُنُب أو مُحْدِثون ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو المكان المعَدُّ لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ وفي قراءة بلا ألف، وكلاهما بمعنى اللمس، وهو الجَسُّ باليد؛ قاله ابن عمر، وعليه الشافعي، وألحق به الجَسّ بباقي البشرة. وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين منه، ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. [٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظّاً ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ مانعاً لكم من كيدهم. [٤٦] ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يُغيّرون ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وُضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعۡنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ حال بمعنى الدعاء أي لا سمعتَ ﴿وَ﴾ يقولون له ﴿رَٰعِنَا﴾ وقد نُهي عن خطابه بها، وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لَيَّۢا﴾ تحريفاً ﴿بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا﴾ قدحاً ﴿فِي ٱلدِّينِۚ﴾ الإسلام ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ بدل وعصينا ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ فقط ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾ انظر إلينا بدل راعنا ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقۡوَمَ﴾ أعدل منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه. [٤٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾ مسخنا ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفۡعُولًا﴾ ولما نزلت؛ أسلم عبد الله بن سلام، فقيل: كان وعيداً بشرط فلما أسلم بعضهم رُفع. وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة. [٤٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ﴾ أي الإشراك ﴿بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذّبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ كبيراً. [٤٩] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ وهم اليهود حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة[1]. [٥٠] ﴿ٱنظُرۡ﴾ متعجباً ﴿كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ بيّناً. [٥١] ونزل في كعب بن الأشرف، ونحوه من علماءِ اليهود، لما قَدِمُوا مكةَ، وشاهدوا قتلى بدر، وحَرَّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل... أم محمد؟ وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أنتم ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ أقوم طريقاً.

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٢/٦٩): تفسير الفتيل بما ذكر سبق قلم؛ فإنَّ هذا هو القطمير، وأما الفتيل فهو الذي في شق النواة طولاً.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

[٥٢] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ مانعاً من عذابه. [٥٣] ﴿ أَمۡ ﴾ بل أ ﴿ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم. [٥٤] ﴿ أَمۡ ﴾ بل ﴿ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ من النبوة وكثرة النساء[١]، أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ والنبوة ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولسليمان ألف ما بين حُرَّة وسُرِّيَّة[٢]. [٥٥] ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ ﴾ أعرض ﴿ عَنۡهُۚ ﴾ فلم يؤمن ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ عذاباً لمن لا يؤمن. [٥٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ ﴾ ندخلهم ﴿ نَارٗا ﴾ يحترقون فيها ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ ﴾ احترقت ﴿ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾ بأنْ تُعادَ إلى حالها الأوّل غير محترقة ﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾ ليقاسوا شدته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حَكِيمٗا ﴾ في خلقه. [٥٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ ﴾ من الحيض وكلّ قذر ﴿ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ دائماً لا تنسخه شمسٌ، وهو ظل الجنة. [٥٨] ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ ﴾ أي ما اؤتُمِنَ عليه من الحقوق ﴿ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ نـزلَتْ لمّا أخذ عَلِيٌّ رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي، سَادِنِها قَسْراً، لمّا قَدِمَ النبي ﷺ مكة عام الفتح، ومَنَعَهُ وقال: لو علمتُ أنه رسولُ الله لم أمنعه، فأمر رسولُ الله ﷺ بردِّه إليه وقال: «هاك خالدة تالدة»[٣] فعجب من ذلك، فقرأ له عَلِيٌّ الآية، فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده، والآيةُ وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يأمركم ﴿ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا ﴾ فيه إدغام ميم (نِعمّ) في (ما) النكرة الموصوفة، أي نعم شيئاً ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا ﴾ لما يقال ﴿ بَصِيرٗا ﴾ بما يُفعل. [٥٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ﴾ وأصحاب ﴿ ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي الولاة ﴿ مِنكُمۡۖ ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله

(١) ثَبَت أن اليهود حسدوا النبيَّ ﷺ على النبوة. تفسير القرطبي (٥/ ٢٥١).

(٢) لا تصح هذه الأخبار، ولا تثبت.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٨٣ ـ ٨٤) والطبراني في المعجم الكبير (٨٣٩٥) وانظر: مجمع الزوائد (٦/ ١٧٧).

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

ورسوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى سنته، أي اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً. ونزل لما اختصم يهودي ومنافق، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ، فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق، وأتيا عمر فذكر اليهودي ذلك فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقتله: [٦٠] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق. [٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من الحُكْم ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يُعْرِضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾. [٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي، أي أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ معطوف على يصدون ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ صلحاً ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحُكْم دون الحَمْل على مُرِّ الحَق. [٦٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خوِّفهم الله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ مؤثراً فيهم أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم. [٦٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ بأمره لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيماً لشأنه ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم. [٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا زائدة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ من غير معارضة.

عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يُفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يُمسيَ، وإنَّ قيس بن صِرْمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندكِ طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلقُ فأطلُبُ لك وكان يومه يعمَلُ فغلبته عيناهُ فقالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غُشِي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [رواه البخاري وغيره].

وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن
لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم
مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ
أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ
فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ
شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ
فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾

[٦٦] ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ﴾ مفسرة ﴿ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٞ﴾ بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ تحقيقاً لإيمانهم. [٦٧] ﴿وَإِذٗا﴾ أي لو تثبتوا ﴿لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ هو الجنة. [٦٨] ﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾. قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى، ونحن أسفل منك؟ فنزل: [٦٩] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمر به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم.

ثلاثة أرباع الحزب ٩

[٧٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي كونهم مع من ذُكِرَ مبتدأ خبره: ﴿ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ بثواب الآخرة أي فثقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤] [٧١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ من عدوكم أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ متفرقين سَرِيَّة بعد أخرى ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ مجتمعين. [٧٢] ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أُبيٍّ المنافق وأصحابه، وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ حاضراً فأصاب. [٧٣] ﴿وَلَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح وغنيمةٍ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمۡ تَكُنۢ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله قد أنعم الله عليَّ، اعترض به بين القَوْل ومَقُولِه وهو ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ آخذ حظاً وافراً من الغنيمة، قال تعالى: [٧٤] ﴿۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾ يبيعون ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ﴾ يستشهد ﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾ يظفر بعدوِّه ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ ثواباً جزيلاً.

---

(١٨٧) قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾.

عن سهل بن سعد قال: أنزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبيَّن له رؤيتهما فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار. [رواه البخاري ومسلم].

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ، أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين حَبَسَهم الكفار عن الهجرة وآذوهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله دُعاءَهم فَيَسَّر لبعضهم الخُروجَ، وبقي بعضُهم إلى أن فتحت مكة، وولّى ﷺ عليهم عتاب بن أَسِيد فأَنْصَفَ مَظْلومَهم مِنْ ظالِمهم. [٧٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم، لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهياً لا يقاومُ كَيْدَ اللَّهِ بالكافرين. [٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فُرِض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار، أي عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ ـهم عذاب ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له، ونصب أشد على الحال، وجواب (لَمّا) دلّ عليه (إذا) وما بعدها، أي فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُوا۟﴾ جزعاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾ هلاَّ ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ ما يُتمتَّع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيل إلى الفناء ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ عقاب الله بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة[1] فجاهدوا. [٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ﴾ حصون ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصب وسعة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد أي بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ من قِبَله ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلقى إليهم و (ما) استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه. [٧٩] ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال مؤكدة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك.

(١) انظر التعليق (ص ٨٦).

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن طاعتك فلا يهمّنك ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ حافظاً لأعمالهم بل نذيراً وإلينا أمرهم فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال. [٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون إذا جاؤوك: أمرُنا ﴿طَاعَةٞ﴾ لك ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ خرجوا ﴿مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾ بإدغام التاء في الطاء وتركه أي أضمرَتْ ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾ لك في حضورك من الطاعة أي عصيانك ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ﴾ يأمر بكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ بالصفح ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مفوضاً إليه. [٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ يتأملون ﴿ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه. [٨٣] ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾ بالنصر ﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ أفشوه، نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك، فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي لو سكتوا عنه حتى يُخبَروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يُذاع أو لا ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾. [٨٤] ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فلا تهتم بتخلّفهم عنك. المعنى: قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ﴾ حرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ تعذيباً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نَفْسي بيَدِهِ لأخْرُجَنّ ولو وَحْدي» فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصُّغرى، فكَفَّ اللَّهُ بأسَ الكفار بإلقاء الرُّعْبِ في قلوبهم، ومَنْع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في «آل عمران» [الآية ١٥١]. [٨٥] ﴿مَّن يَشۡفَعۡ﴾ بين الناس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ موافقة للشرع ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ﴾ من الأجر ﴿مِّنۡهَاۖ﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ﴾ نصيب من الوزر ﴿مِّنۡهَاۗ﴾ بسببها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ مقتدراً فيجازي كلَّ أحد بما عمل. [٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾ كأن قيل لكم: سلام عليكم ﴿فَحَيُّواْ﴾ المحيّي ﴿بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ بأن تقولوا له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي الواجب أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ محاسباً فيجازي عليه ومنه ردُّ السلام، وخَصَّت السُّنَّة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلِّم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: وعليكَ.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ
تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ
حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

الحزب ١٠

[٨٧] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ والله ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ من قبوركم ﴿ إِلَىٰ ﴾ في ﴿ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ ﴾ لا شك ﴿ فِيهِۗ وَمَنۡ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ قولاً. ولما رجع ناس من أُحد اختلف الناس فيهم، فقال فريق: نقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: [٨٨] ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ ﴾ ما شأنكم صرتم ﴿ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ ﴾ فرقتين ﴿ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم ﴾ ردّهم ﴿ بِمَا كَسَبُوٓاْۚ ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ﴾ ـهُ ﴿ ٱللَّهُۖ ﴾ أي تعدُّوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ﴾ ـهُ ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً إلى الهدى. [٨٩] ﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنوا ﴿ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ ﴾ أنتم وهم ﴿ سَوَآءٗۖ ﴾ في الكفر ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿ فَخُذُوهُمۡ ﴾ بالأسر ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا ﴾ توالونه ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ تنتصرون به على عدوكم. [٩٠] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ يلجؤون ﴿ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ عَهْدٌ بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿ أَوۡ ﴾ الذين ﴿ جَآءُوكُمۡ ﴾ وقد ﴿ حَصِرَتۡ ﴾ ضاقت ﴿ صُدُورُهُمۡ ﴾ عن ﴿ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ ﴾ مع قومهم ﴿ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل. وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ تسليطهم عليكم ﴿ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بأن يقوّي قلوبهم ﴿ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ ﴾ ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ الصلح أي انقادوا ﴿ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً بالأخذ والقتل. [٩١] ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم، وهم أسد وغطفان ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ دعوا إلى الشرك ﴿ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ ﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ ﴾ بترك قتالكم ﴿ وَ ﴾ لم ﴿ يُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ ﴾ لم ﴿ يَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ عنكم ﴿ فَخُذُوهُمۡ ﴾ بالأسر ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ ﴾ وجدتموهم ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ برهاناً بيّناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم.

---

(١٨٩) قوله تعالى : ﴿ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ ﴾ .

عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : نزلت هذه الآية فينا ، كانت الأنصار إذا حجُّوا فجاؤوا ولم يدخلُوا من قِبلِ أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها ، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه ، فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت : ﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ ﴾ . [رواه البخاري وغيره] .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

[٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها. وبيّنت السُّنَّة أنها مئة من الإبل: عشرون بنت مخاض، وكذا بنات لبون وبنو لبون، وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل، وهم عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة، فإن لم يفوا فمن بيت المال، فإن تعذّر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً وثلثا عشرها إن كان مجوسياً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة. ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعيُّ في أصحِّ قَوْلَيْه ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم. [٩٣] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤوّل بمن يستحله أو بأن هذا جزاؤه إن جُوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها، وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به، وأن عليه الدية إن عفي عنه، وسبق قدرها، وبَيَّنت السُّنَّة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً، فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة، والخطأ في التأجيل والحمل، وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ. ونزل لما مرّ نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنماً فسلّم عليهم، فقالوا: ما سلّم علينا إلا تقية، فقتلوه واستاقوا غنمه [٩٤] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ وفي قراءة فتثبّتوا بالمثلثة في الموضعين ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ بألف أو دونها أي التحية، أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

﴿ فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ تُعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيجازيكم به. [٩٥] ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن الجهاد ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ بالرفع صفة والنصب استثناء، من زَمانةٍ أو عمى ونحوه ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ لضرر ﴿ دَرَجَةً ﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿ وَكُلًّا ﴾ من الفريقين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ لغير ضرر ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ويبدل منه. [٩٦] ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لأوليائه ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بأهل طاعته. ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار: [٩٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿ قَالُوا ﴾ لهم موبّخين ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي في أيّ شيء كنتم في أمر دينكم ﴿ قَالُوا ﴾ معتذرين ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض مكة ﴿ قَالُوا ﴾ لهم توبيخاً ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ هي. [٩٨] ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ الذين ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة. [٩٩] ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾. [١٠٠] ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا ﴾ مهاجراً ﴿ كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ في الرزق ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿ فَقَدْ وَقَعَ ﴾ ثبت ﴿ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾. [١٠١] ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ سافرتم ﴿ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ في ﴿ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ بأن تردُّوها من أربع إلى اثنتين ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له، وبيّنت السُّنَّة أن المراد بالسفر: الطويل، وهو أربع بُرُدٍ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿فليس عليكم جُناح﴾ أنه رخصةٌ لا واجبٌ، وعليه الشافعيُّ ﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ بيّني العداوة.

ربع الحزب ١٠

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانت قريش يُدعون الحُمْس، وكانوا يدخلُون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائرُ العرب لا يدخلون من الأبواب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان فخرج من بابه، وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بنَ عامر رجل فاجر إنه خرج

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟
فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟
فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضراً ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة. وقد فعل النبي ﷺ كذلك ببطن نخل، رواه الشيخان[1] ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قوْلَيْن للشافعي، والثاني أنه سُنّة، ورُجِّح ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة. [١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدُّوها بحقوقها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً أي مفروضاً ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه. ونزل لما بعث ﷺ طائفةً في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات: [١٠٤] ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ تضعفوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ﴾ طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي مثلكم ولا يجبنون عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه. [١٠٥] وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومُهُ النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه فنزل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصماً عنهم.

معك من بابه ؟ فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » ، قال : رأيتك فعلت ففعلت كما فعلت ، فقال : « إني أحْمَسيٌّ » . قال : إن ديني دينك ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ :

---

(١) رواه البخاري (٩٤٢) ومسلم (٨٣٩).

وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ
عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ
سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا
ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ ﴾ مما هممت به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾. [١٠٧] ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا ﴾ كثير الخيانة ﴿ أَثِيمٗا ﴾ أي يعاقبه. [١٠٨] ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ ﴾ أي طعمة وقومه حياءً ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ ﴾ بعلمه ﴿ إِذۡ يُبَيِّتُونَ ﴾ يضمرون ﴿ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة، ورمي اليهودي بها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ علماً. [١٠٩] ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ ﴾ يا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿ جَٰدَلۡتُمۡ ﴾ خاصمتم ﴿ عَنۡهُمۡ ﴾ أي عن طعمة وذويه وقرىء[1]: ﴿عنه﴾ ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ إذا عذبهم ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ يتولى أمرهم ويذبُّ عنهم أي لا أحد يفعل ذلك. [١١٠] ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿ أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ منه أي يتب ﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا ﴾ له ﴿ رَّحِيمٗا ﴾ به. [١١١] ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا ﴾ ذنباً ﴿ فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ ﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ في صنعه. [١١٢] ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً ﴾ ذنباً صغيراً ﴿ أَوۡ إِثۡمٗا ﴾ ذنباً كبيراً ﴿ ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا ﴾ منه ﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ ﴾ تحمَّل ﴿ بُهۡتَٰنٗا ﴾ برميه ﴿ وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ بيناً بكسبه. [١١٣] ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ بالعصمة ﴿ لَهَمَّت ﴾ أضمرت ﴿ طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ من قوم طعمة ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن ﴾ زائدة ﴿ شَيۡءٖۚ ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ ﴾ من الأحكام والغيب ﴿ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ ﴾ بذلك وغيره ﴿ عَظِيمٗا ﴾.

﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ ﴾ [رواه الحاكم وصححه] .

(١٩٥) قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

عن سليمان قال : سمعت أبا وائل عن حذيفة : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ قال : نزلت في النفقة . [رواه البخاري وغيره] .

وعن أسلم أبي عِمران التَّجيبي قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم ، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر ،

---

(١) قراءة شاذة.

۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

نصف الحزب ١٠

[١١٤] ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿ إِلَّا ﴾ نجوى ﴿ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ عمل بر ﴿ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ طلب ﴿ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ ﴾ ـ بالنون والياء ـ أي الله ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. [١١٥] ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ﴾ يخالف ﴿ ٱلرَّسُولَ ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿ وَيَتَّبِعْ ﴾ طريقاً ﴿ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ نجعله والياً لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿ وَنُصْلِهِۦ ﴾ ندخله في الآخرة ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ فيحترق فيها ﴿ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ مرجعاً هي. [١١٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ عن الحق. [١١٧] ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ يَدْعُونَ ﴾ يعبد المشركون ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الله، أي غيره ﴿ إِلَّآ إِنَـٰثًا ﴾ أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ يَدْعُونَ ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴾ خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس. [١١٨] ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أبعده عن رحمته ﴿ وَقَالَ ﴾ أي الشيطان ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ ﴾ لأجعلن لي ﴿ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا ﴾ حظّاً ﴿ مَّفْرُوضًا ﴾ مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي. [١١٩] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ﴾ يقطعن ﴿ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ دينه بالكفر، وإحلال ما حرّم الله، وتحريم ما أحلّ ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا ﴾ يتولاه ويطيعه ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ بيناً لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. [١٢٠] ﴿ يَعِدُهُمْ ﴾ طول العمر ﴿ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ بذلك ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً. [١٢١] ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ معدلاً.

وعلى الجماعة فَضَالة بنُ عبيد ، فحمل رجل من المسلمين على صفِّ الروم ، حتى دخل عليهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله ، يلقي بيديه إلى التهلُكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام وكثُر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ ، فكانت التهلُكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم . [رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح] .

وعن أبي جبيرة بن الضحاك قال : كان الأنصار يتصدقون ويعطُون ما شاء الله فأصابتهم سَنَةٌ فأمسكوا فأنزل الله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ . [رواه الطبراني] .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

[١٢٢] ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقّه حقاً ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ أي قولاً. ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب: [١٢٣] ﴿ لَّيْسَ ﴾ الأمر مَنُوطاً ﴿ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ إما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمِحَن، كما ورد في الحديث[1] ﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيًّا ﴾ يحفظه ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ يمنعه منه. [١٢٤] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ ﴾ شيئاً ﴿ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ قدر نقرة النواة. [١٢٥] ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ أي انقاد وأخلص عمله ﴿ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ موحّد ﴿ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿ حَنِيفًا ﴾ حال أي مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ صفياً خالص المحبة له. [١٢٦] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ علماً وقدرة أي لم يزل متصفاً بذلك. [١٢٧] ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿ فِي ﴾ شأن ﴿ النِّسَاءِ ﴾ وميراثهن ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ القرآن من آية الميراث، ويفتيكم أيضاً ﴿ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ ﴾ فرض ﴿ لَهُنَّ ﴾ من الميراث ﴿ وَتَرْغَبُونَ ﴾ أيها الأولياء عن ﴿ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوّجن طمعاً في ميراثهن، أي يفتيكم ألا تفعلوا ذلك ﴿ وَ ﴾ في ﴿ الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ الصغار ﴿ مِنَ الْوِلْدَانِ ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿ وَ ﴾ يأمركم ﴿ أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ فيجازيكم به.

وعن النُّعمان بن بشير في قوله: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ قال: كان الرجل يذنب فيقول: لا يغفرُ الله لي، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [رواه الطبراني].

(١٩٦) قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾.

عن صفوان بن يَعلى بن أمية عن أبيه قال: جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: كيف تأمُرني يا رسول الله في عُمْرتي؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فقال

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٣٩) وأحمد (١/١١).

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

[١٢٨] ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ خَافَتۡ ﴾ توقعت ﴿ مِنۢ بَعۡلِهَا ﴾ زوجها ﴿ نُشُوزًا ﴾ ترفعاً عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها، وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿ أَوۡ إِعۡرَاضًا ﴾ عنها بوجهه ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يصَّالَحَا ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة ﴿ يُصۡلِحَا ﴾ من أصلح ﴿ بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ ﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ شدة البخل أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه، المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿ وَإِن تُحۡسِنُواْ ﴾ عشرة النساء ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الجور عليهن ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ فيجازيكم به. [١٢٩] ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ ﴾ تسووا ﴿ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ في المحبة ﴿ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ ﴾ على ذلك ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿ فَتَذَرُوهَا ﴾ أي تتركوا المُمَالَ عنها ﴿ كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾ التي لا هي أيِّم ولا هي ذات بعل ﴿ وَإِن تُصۡلِحُواْ ﴾ بالعدل بالقسم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الجور ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا ﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿ رَّحِيمٗا ﴾ بكم في ذلك. [١٣٠] ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿ يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا ﴾ عن صاحبه ﴿ مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ لخلقه في الفضل ﴿ حَكِيمٗا ﴾ فيما دبر لهم. [١٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ وَإِيَّاكُمۡ ﴾ يا أهل القرآن ﴿ أَنِ ﴾ أي بأن ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿ وَ ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ ﴾ بما وُصيتم به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً، فلا يضره كفركم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ حَمِيدٗا ﴾ محموداً في صنعه بهم. [١٣٢] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ شهيداً بأن ما فيهما له. [١٣٣] ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ ﴾ يا ﴿ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ ﴾ بدلكم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴾. [١٣٤] ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ﴾ بعمله ﴿ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلِمَ يطلُبُ أحدُكم الأخسَّ، وهلاّ طلب الأعلى بإخلاصه له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾.

رسول الله ﷺ: « مَن السائلُ عن العمرة » ؟ فقال : أنا ، فقال : « ألق ثيابك ، واغتسل ، واستنشق ما استطعت ، وما كنت صانعاً في حجتك فاصنع في عمرتك » [رواه الطبراني] .

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٠

[١٣٥] ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ ﴾ قائمين ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ بالحق ﴿ لِلَّهِ وَلَوْ ﴾ كانت الشهادة ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿ أَوِ ﴾ على ﴿ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ ﴾ المشهود عليه ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ ﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغنيّ لرضاه أو الفقير رحمةً له لـ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ تَعْدِلُوا۟ ۚ ﴾ تميلوا عن الحق ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ ﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً[1] ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا۟ ﴾ عن أدائها ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيجازيكم به. [١٣٦] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴾ داوموا على الإيمان ﴿ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ على الرسل بمعنى الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ عن الحق. [١٣٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ بعبادتهم العجل ﴿ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ﴾ بعده ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ بعيسى ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ بمحمد ﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ ما أقاموا عليه ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ طريقاً إلى الحق. [١٣٨] ﴿ بَشِّرِ ﴾ أخبر يا محمد ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلماً هو عذاب النار. [١٣٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿ أَيَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ استفهام إنكار، أي لا يجدون عندهم ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه. [١٤٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ القرآن في سورة الأنعام[2] ﴿ أَنْ ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي أنه ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ ﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ إن قعدتم معهم ﴿ مِّثْلُهُمْ ﴾ في الإثم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

---

(١٩٦) قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ ﴾ .

عن مجاهد قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أنّ كعب بن عُجْرة حدَّثه قال: وقفت على رسول الله ﷺ بالحُدَيبيَة ورأسي يتهافتُ قَملاً فقال: «يُؤذيك هوامُّك؟»، قلت: نعم، قال: «فاحلِق رأسك أو احلق»، قال: فيَّ نزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾ إلى آخرها، فقال النبي ﷺ:

---

(١) أي وضم اللام؛ أي: ﴿تَلُوا۟﴾.

(٢) الآية: ٦٧.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾

[١٤١] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل من (الذين) قبله ﴿ يَتَرَبَّصُونَ ﴾ ينتظرون ﴿ بِكُمۡ ﴾ الدوائر ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ ﴾ ظفر وغنيمة ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ ﴾ لكم ﴿ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ ﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ ﴾ من الظفر عليكم ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ لهم ﴿ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ ﴾ نستول ﴿ عَلَيۡكُمۡ ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿ وَ ﴾ ألم ﴿ نَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة، قال تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ ﴾ وبينهم ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ طريقاً بالاستئصال. [١٤٢] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ مع المؤمنين ﴿ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلين ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ بصلاتهم ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾ يصلون ﴿ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ رياء. [١٤٣] ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ ﴾ مترددين ﴿ بَيۡنَ ذَٰلِكَ ﴾ الكفر والإيمان ﴿ لَآ ﴾ منسوبين ﴿ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي الكفار ﴿ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾ أي المؤمنين ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ﴾ ـهُ ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً إلى الهدى. [١٤٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بموالاتهم ﴿ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم. [١٤٥] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ﴾ المكان ﴿ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهو قعرها ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ مانعاً من العذاب. [١٤٦] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ من النفاق ﴿ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ عملهم ﴿ وَٱعۡتَصَمُواْ ﴾ وثقوا ﴿ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ ﴾ من الرياء ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ فيما يؤتونه ﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ في الآخرة وهو الجنة. [١٤٧] ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ ﴾ نعمه ﴿ وَءَامَنتُمۡۚ ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿ عَلِيمٗا ﴾ بخلقه.

« صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرَقٍ بين ستة أو انسُك مما تيسَّر » ؟ [رواه البخاري وغيره] .

(١٩٧) قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ .

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزوَّدون ويقولون : نحن المتوكِّلون فإذا قدموا المدينة سألوا الناس ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ . [رواه البخاري وغيره] .

(١٩٨) قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾ .

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجزء ٦ الحزب ١١

(١٨٧) قوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ .

[١٤٨] ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ من أحد أي يعاقبه عليه ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾ لما يقال ﴿ عَلِيمًا ﴾ بما يفعل. [١٤٩] ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ﴾ تظهروا ﴿ خَيْرًا ﴾ من أعمال البر ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ تعملوه سراً ﴿ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ ﴾ ظلم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ . [١٥٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ﴾ من الرسل ﴿ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ منهم ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الكفر والإيمان ﴿ سَبِيلًا ﴾ طريقاً يذهبون إليه. [١٥١] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ذا إهانة وهو عذاب النار. [١٥٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ كلهم ﴿ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ ﴾ بالنون والياء ﴿ أُجُورَهُمْ ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لأوليائه ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بأهل طاعته. [١٥٣] ﴿ يَسْـَٔلُكَ ﴾ يا محمد ﴿ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اليهود ﴿ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنتاً، فإن استكبرت ذلك ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ ﴾ أي آباؤهم ﴿ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ ﴾ أعظم ﴿ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عياناً ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ الموت عقاباً لهم ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ ولم نستأصلهم ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه. [١٥٤] ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الجبل ﴿ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ ﴾ باب القرية ﴿ سُجَّدًا ﴾ سجود انحناء ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ ﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي لا تعتدوا ﴿ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ على ذلك فنقضوه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عُكاظ ومَجَنَّةُ وذو المَجازِ أسواقاً في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثَّموا من التجارة ، فأنزل الله تعالى : « ليسَ عليكمْ جُناحٌ في مواسم الحَجِّ » قرأ ابن عباس كذا . [رواه البخاري وغيره] .

وعن أبي أَمامة التَّيْمي ، قال : كنت رجلاً أكري في هذا الوجه ، وكان ناس يقولون إنه ليس لك حج فلقيتُ ابن عمر فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إني رجل أكري في هذا الوجه ، وإن ناساً يقولون : إنه ليس لك حج ؟ فقال ابن عمر : أليسَ تحرمُ وتلبِّي وتطوف بالبيت ، وتفيضُ من عرفات وترمي الجمار ؟ قال : قلت : بلىَ ، قال : فإن لك حجّاً . جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن مثل ما سألتني عنه ، فسكت عنه رسول الله ﷺ ولم يُجبْه ، حتى نزلت هذه الآية : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ فأرسل إليه رسول الله ﷺ وقرأ عليه هذه الآية وقال : « لك حج » . [رواه أبو داود وأحمد] .

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٥٥] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾ «ما» زائدة و«الباء» سببية متعلقة بمحذوف، أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿ مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ ﴾ للنبي ﷺ ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ لا تعي كلامك ﴿ بَلْ طَبَعَ ﴾ ختم ﴿ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ فلا تعي وعظاً ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه. [١٥٦] ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ ثانياً بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ حيث رموها بالزنى. [١٥٧] ﴿ وَقَوْلِهِمْ ﴾ مفتخرين ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ في زعمهم، أي بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيباً لهم في قتله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى، أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ أي في عيسى ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ ﴾ بقتله ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ استثناء منقطع، أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ حال مؤكدة لنفي القتل. [١٥٨] ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعه. [١٥٩] ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أحد ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ بعيسى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي الكتابي حين يُعاين ملائكةَ الموت فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث[1] ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ ﴾ عيسى ﴿ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم. [١٦٠] ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ أي فبسبب ظلم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ هم اليهود ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ هي التي في قوله تعالى: ﴿ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ... ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٦] ﴿ وَبِصَدِّهِمْ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه صداً ﴿ كَثِيرًا ﴾. [١٦١] ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ في التوراة ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ بالرشا في الحكم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلماً. [١٦٢] ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ الثابتون ﴿ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من الكتب ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ نصب على المدح وقرىء[2] بالرفع ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ بالنون والياء ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ هو الجنة.

---

(١) رواه الطبري (٦/ ١٨).

(٢) قراءة شاذة.

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

ربع الحزب ١١

[١٦٣] ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَ﴾ كما ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى والضم مصدر بمعنى مزبوراً أي مكتوباً. [١٦٤] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ(١) في سورة «غافر الآية٧٨» ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكۡلِيمٗا﴾. [١٦٥] ﴿رُّسُلٗا﴾ بدل من (رسلاً) قبله ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ تقال ﴿بَعۡدَ﴾ إرسال ﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧] فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزٗا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه. ونزل لما سُئِلَ اليهودُ عن نبُوّتهِ ﷺ فأنكروه: [١٦٦] ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ يبين نبوتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي عالماً به أو وفيه علمه ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ لك أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك. [١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق. [١٦٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ نبيّه بِكِتْمانِ نَعْتِهِ ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ من الطرق. [١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المؤدي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ هيناً. [١٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ﴾ به واقصدوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه بهم.

---

(١٩٩) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

عن هشام بن عروة قال عروة: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمْس ـ والحُمْس: قريش وما ولدت ـ وكانت الحُمْس يحتسبُون على الناس، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الحُمْسُ طاف بالبيت عُرْياناً، وكان يُفيضُ جماعة الناس من عَرَفات ويفيض

---

(١) هو الجلال المحلّي.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

[١٧١] ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ الإنجيل ﴿ لَا تَغْلُوا ﴾ تتجاوزوا الحد ﴿ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا ﴾ القول ﴿ الْحَقَّ ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا ﴾ أوصلها الله ﴿ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ ﴾ أي ذو روح ﴿ مِنْهُ ﴾ أضيف إليه تعالى تشريفاً له، وليس كما زعمتم: ابن الله، أو إلٰهاً معه، أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذا الروح مركب والإلٰه منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ﴾ الآلهة ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿ انْتَهُوا ﴾ عن ذلك وائتوا ﴿ خَيْرًا لَكُمْ ﴾ منه وهو التوحيد ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيهاً له عن ﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً والملكية تنافي النبوة ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ شهيداً على ذلك. [١٧٢] ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ الذي زعمتم أنه إلٰه عن ﴿ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً، وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكِرَ لِلرَّدِّ على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رَدَّ بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم ﴿ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ في الآخرة. [١٧٣] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن عبادته ﴿ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيًّا ﴾ يدفعه عنهم ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ يمنعهم منه. [١٧٤] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ ﴾ حجة ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ بيناً وهو القرآن. [١٧٥] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا ﴾ طريقاً ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ هو دين الإسلام.

الحمس من جمع. قال: وأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحُمْس: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع فدفعوا إلى عَرَفات. [رواه البخاري ومسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها: كانت قريش ومَن دان دينَها يقفون بالمُزدَلِفَة، وكانوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقفُ بها ثم يُفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾. [رواه البخاري ومسلم].

(٢٠٧) قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾.

عن عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة، فنثَل كِنانَتَهُ، فأخرج منها أربعين سهماً فقال: لا تَصِلُون إليَّ حتى أضَعَ في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعده إلى السيف فتعلمون أنّي رَجُلٌ، وقد خلفت بمكة قينتَين فهما لكم، ونزلت على النبي ﷺ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾



يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴿١٧٦﴾

سورة المائدة — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد ﴿١﴾ يا أيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا ءامين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿ يستفتونك ﴾ في الكلالة ﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ هلك ﴾ مات ﴿ ليس له ولد ﴾ أي ولا والد وهو الكلالة ﴿ وله أخت ﴾ من أبوين أو أب ﴿ فلها نصف ما ترك وهو ﴾ أي الأخ كذلك ﴿ يرثها ﴾ جميع ما تركت ﴿ إن لم يكن لها ولد ﴾ فإن كان لها ولد ذكر: فلا شيء له، أو أنثى: فله ما فضل عن نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم: ففرضه السدس، كما تقدم أول السورة [الآية: ١١] ﴿ فإن كانتا ﴾ أي الأختان ﴿ اثنتين ﴾ أي فصاعداً لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿ فلهما الثلثان مما ترك ﴾ الأخ ﴿ وإن كانوا ﴾ أي الورثة ﴿ إخوة رجالا ونساء فللذكر ﴾ منهم ﴿ مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ ومنه الميراث. روى الشيخان(١) عن البراء أنها آخر آية نزلت أي من الفرائض.

نصف الحزب ١١

﴿سورة المائدة﴾

[مدنية وآياتها مئة وعشرون أو اثنتان أو ثلاث نزلت بعد الفتح]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿ يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود ﴾ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ تحريمه في ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ الآية [٣] فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لِمَا عَرَضَ من الموت ونحوه ﴿ غير محلي الصيد وأنتم حرم ﴾ أي مُحرمون، ونُصب (غير) على الحال من ضمير (لكم) ﴿ إن الله يحكم ما يريد ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه. [٢] ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ جمع شعيرة أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ بالقتال فيه ﴿ ولا الهدي ﴾ ما أهدي إلى الحرم من النَّعم بالتعرّض له ﴿ ولا القلائد ﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلّد به مَنْ شجر الحرم ليأمن، أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿ ولا ﴾ تحلوا ﴿ ءامين ﴾ قاصدين ﴿ البيت الحرام ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿ يبتغون فضلا ﴾ رزقاً ﴿ من ربهم ﴾ بالتجارة ﴿ ورضوانا ﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة ﴿ وإذا حللتم ﴾ من الإحرام ﴿ فاصطادوا ﴾ أمر إباحة ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ يكسبنّكم ﴿ شنئان ﴾ ـ بفتح النون وسكونها ـ بُغْض ﴿ قوم ﴾ لأجل ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿ وتعاونوا على البر ﴾ بفعل ما أُمرتم به ﴿ والتقوى ﴾ بترك ما نُهيتم عنه ﴿ ولا تعاونوا ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ على الإثم ﴾ المعاصي ﴿ والعدوان ﴾ التعدي في حدود الله ﴿ واتقوا الله ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿ إن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالفه.

(١) رواه البخاري (٤٦٠٥) ومسلم (١٦١٨).

حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ
بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ
فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ
عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي
مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾
يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم
مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ
عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ
لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

[٣] ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ أي أكلها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في «الأنعام» ﴿وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأن ذُبح على اسم غيره ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ المقتولة ضرباً ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾ تطلبوا القَسْم والحكم ﴿بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾ جمع زَلَم ـ بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام ـ قِدْح ـ بكسر القاف ـ صَغِيرٌ لا رِيشَ له ولا نَصْل، وكانت سَبْعةً عند سَادِن الكعبة عليها أعلام، وكانوا يُحَكِّمُونَها فإن أَمَرَتْهُمْ ائتَمَرُوا، وإن نَهَتْهُم انتهوا ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ﴾ خروج عن الطاعة، ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي اخترت ﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرّم عليه فأكله ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾ مائل ﴿لِّإِثۡمٖ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٞ﴾ به في إباحته له بخلاف المائل لإثم أي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل. [٤] ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ﴾ من الطعام ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من كلَّبتُ الكلبَ ـ بالتشديد ـ أي أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير (مكلّبين) أي تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وإن قتلنه بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها، وعلامتها أن تسترسل إذا أُرسلت، وتنزجر إذا زُجرت، وتمسك الصيد ولا تأكل منه، وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات، فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله، كما في حديث الصحيحين[1]، وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ عند إرساله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾. [٥] ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلّٞ﴾ حلال ﴿لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ﴾ إياهم ﴿حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إِذَآ

---

(١) رواه البخاري (٥٤٨٤) ومسلم (١٩٢٩).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهنَّ ﴿ مُحۡصِنِينَ ﴾ متزوجين ﴿ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ مُعْلنينَ بالزنى بهن ﴿ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾ مِنْهُنَّ تُسِرُّونَ بالزنى بهن ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ أي يرتد ﴿ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ الصالح قبل ذلك، فلا يعتد به ولا يُثاب عليه ﴿ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ إذا مات عليه. [٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ ﴾ أي أردتم القيام ﴿ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ وأنتم مُحْدِثون ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ أي معها كما بيّنته السُّنَّة ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه، وهو مسح بعض الشعر، وعليه الشافعي ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ - بالنصب - عطفاً على أيديكم، وبالجر على الجوار ﴿ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ أي معهما كما بيّنته السُّنّة، وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السُّنّة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ فاغتسلوا ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ ﴾ مَرَضاً يضره الماء ﴿ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ أي مسافرين ﴿ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ ﴾ أي أحدث ﴿ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ سبق مثله في «سورة النساء، الآية ٤٣» ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ ﴾ بعد طلبه ﴿ فَتَيَمَّمُواْ ﴾ اقصدوا ﴿ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ تراباً طاهراً ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم ﴾ مع المرفقين ﴿ مِّنۡهُۚ ﴾ بضربتين، والباء للإلصاق وبيّنت السُّنّة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ ﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ نعمه. [٧] ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بالإسلام ﴿ وَمِيثَٰقَهُ ﴾ عهده ﴿ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ عاهدكم عليه ﴿ إِذۡ قُلۡتُمۡ ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ ﴾ في كل ما تأمر به وتنهى مما نحب ونكره ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بما في القلوب فبغيرها أوْلى. [٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ ﴾ قائمين ﴿ لِلَّهِ ﴾ بحقوقه ﴿ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ بالعدل ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾ يحملنّكم ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ بُغض ﴿ قَوۡمٍ ﴾ أي الكفار ﴿ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ ٱعۡدِلُواْ ﴾ في العدو والولي ﴿ هُوَ ﴾ أي العدل ﴿ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ فيجازيكم به. [٩] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وعداً حسناً ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ هو الجنة.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾

[١٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾.

[١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ ﴾ هم قريش ﴿ أَن يَبۡسُطُوٓاْ ﴾ يمدّوا ﴿ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ ليفتكوا بكم ﴿ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾. [١٢] ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ بما يذكر بعد ﴿ وَبَعَثۡنَا ﴾ فيه التفات عن الغيبة، أقمنا ﴿ مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿ وَقَالَ ﴾ لهم ﴿ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ ﴾ بالعون والنصرة ﴿ لَئِنۡ ﴾ لام قسم ﴿ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ ﴾ نصرتموهم ﴿ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿ لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ الميثاق ﴿ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أخطأ طريق الجنّة. والسواء في الأصل الوسط، فنقضوا الميثاق، قال تعالى: [١٣] ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم ﴾ ما زائدة ﴿ مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿ وَنَسُواْ ﴾ تركوا ﴿ حَظّٗا ﴾ نصيباً ﴿ مِّمَّا ذُكِّرُواْ ﴾ أمروا ﴿ بِهِۦۚ ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿ وَلَا تَزَالُ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ تَطَّلِعُ ﴾ تظهر ﴿ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ ﴾ أي: خيانة ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ ﴾ ممن أسلم ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف[١].

الآية. فلما رآه النبي ﷺ قال: « أبا يحيى ربح البيع »، قال: وتلا عليه الآية. [رواه الحاكم وصححه].

(٢١٩) قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ ﴾: يأتي حديثها في المائدة.

(٢٢٢) قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾.

عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأةُ فيهم لم يُواكلوها، ولم يُجامِعُوهنَّ في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: « اصنعُوا كل شيءٍ إلا النِّكاح »، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يَدَعَ من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ وعَبَّاد بنُ بشرٍ فقالا: يا رسول الله إنَّ اليهودَ تقول كذا وكذا فلا نُجامِعُهُنَّ، فتَغَيَّرَ وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجَدَ

---

(١) أي: قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ... ﴾ الآية [التوبة: ٢٩].

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ متعلق بقوله ﴿ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿ فَأَغۡرَيۡنَا ﴾ أوقعنا ﴿ بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفِّر الأخرى ﴿ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ في الآخرة ﴿ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ فيجازيهم عليه. [١٥] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ اليهود والنصارى ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ محمد ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ ﴾ تكتمون ﴿ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾ من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ ﴾ هو النبي ﷺ ﴿ وَكِتَٰبٞ ﴾ قرآن ﴿ مُّبِينٞ ﴾ بيِّن ظاهر. [١٦] ﴿ يَهۡدِي بِهِ ﴾ أي بالكتاب ﴿ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ ﴾ بأن آمن ﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ طرق السلامة ﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ الكفر ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الإيمان ﴿ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ بإرادته ﴿ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ دين الإسلام. [١٧] ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ ﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم اليعقوبية، فرقة من النصارى ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ ﴾ أي يدفع ﴿ مِنَ ﴾ عذاب ﴿ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ ﴾ أي لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً؛ لقدر عليه ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ شاءه ﴿ قَدِيرٞ ﴾.

عليهما فخرجا فاستقبلهما هَدِيَّةٌ من لبن إلى النبي ﷺ ، فأرسل في آثارهما فعرفا أن لم يَجِد عليهما . [رواه مسلم وغيره] .

(٢٢٣) قوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾ .

عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله قال : كانت اليهودُ تقول إذا جامعها من وَرَائها جاء الولد أحول ، فنزلت : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن عبد الرحمن بن سابط قال : دخلْتُ على حفصة ابنة عبد الرحمن فقلت : إني سائلُك عن أمر ، وأنا أستحي أن أسألك عنه ، فقالت : لا تستحي يا بن أخي قال : عن إتيان النساء في أدبَارهن ؟ قالت : حدّثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا لا يُجَبُّونَ النِّساء وكانت اليهود تقول : إنه من جَبَّى امرأته كان ولده أحوَلَ ، فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فَجَبُّوهُنَّ فأبت امرأة أن تُطيعَ زوجها ، فقالت لزوجها : لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله ﷺ ، فدخلت على أم سلمة ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : اجلسي حتى يأتيَ رسول الله ﷺ ، فلما جاء رسول الله ﷺ استحَتِ الأنصاريةُ أن تسأله فخرجت فحدَّثت أم سلمة رسول الله ﷺ فقال : « ادعِي الأنصارية » فدُعِيَت فتلا عليها هذه الآية : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾ صَمَّاماً واحداً . [رواه أحمد] .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

[١٨] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي كلٌّ منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة و الشفقة ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب الأبُ ولدَه ولا الحبيبُ حبيبَه، وقد عذّبكم، فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ ۚ﴾ من البشر، لكُم ما لهُم، وعلَيْكُم ما عليْهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع. [١٩] ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمئة وتسع وستون سنة لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا۟﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ﴾ فلا عذر لكم إذاً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه. [٢٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي منكم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من المنّ والسلوى وفلق البحر وغير ذلك. [٢١] ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ في سعيكم. [٢٢] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ لها. [٢٣] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله، وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتَما ما اطّلعا عليه من حالهم إلا عن موسى، بخلاف بقيّة النُّقباء فأفشَوْه، فجَبُنوا ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ باب القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ﴾ قالا ذلك تيقّناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وأما ما جاء عن ابن عمر أنها نزلت في إتيان النساء في أدبارهن كما في البخاري الإشارة إليه وفي الفتح فقد رده العلماء وعلى رأسهم حبر الأمة كما في الفتح، وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تفسيره بعد ذكره الرد على ذلك، وتبين صحة معنى ما روي عن جابر وابن عباس من أن هذه الآية نزلت فيما كانت اليهود تقوله للمسلمين إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرها في قُبُلها جاء الولد أحول. وقد قال قبل ذلك: وأي مُحترَثٍ في الدبر فيقال: ائته من وجهه.

وقال العلامة الشوكاني بعد ذكره بعض القائلين بالجواز: وليس في أقوال هؤلاء حجة ألبتّةَ، ولا يجوز لأحد أن يعمل على أقوالهم، فإنهم لم يأتوا بدليل يدل على الجواز، فمن زعم منهم أنه فهم ذلك من الآية فقد أخطأ في فهمه كائناً من كان، ومن زعم منهم أن سبب نزول الآية أن رجلاً أتى امرأته في دبرها فليس في هذا ما يدل على أن الآية أحلت ذلك، ومن زعم ذلك فقد أخطأ، بل الذي تدُل عليه الآية أن ذلك حرام، فكَوْنُ ذلك هو السبب لا يستلزمُ أن تكون الآية نازلة في

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ١٢

[٢٤] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ هم ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ عن القتال. [٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما فأُجبرُهم على الطاعة ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ فافصل ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾. [٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ يَتِيهُونَ﴾ يتحيّرون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس. ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمئة ألف، ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمة لهما، وعذاباً لأولئك، وسأل موسى ربَّه عند موته أن يُدْنِيَهُ من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما في الحديث[1]، ونُبِّىء يوشع بعد الأربعين سنة، وأُمر بقتال الجبّارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس»[2]. [٢٧] ﴿۞وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ أُتل ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبُّل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. [٢٨] ﴿لَئِنۢ﴾ لام قسم ﴿بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قتلك. [٢٩] ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم، قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [٣٠] ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ زيّنت ﴿لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت مات على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره. [٣١] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي﴾ يستر ﴿سَوۡءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ عن ﴿أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ

(١) رواه البخاري (٣٤٠٧) ومسلم (٢٣٧٢).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٢٥).

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له، وواراه. [٣٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أتاه ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من كفر أو زنىً أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحدّ بالكفر والقتل وغير ذلك. ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى، فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحّوا؛ قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل[1] [٣٣] ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أو لترتيب الأحوال، فالقتلُ لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط؛ قاله ابن عباس، وعليه الشافعي، وأصح قوليه أن الصَّلبَ ثلاثاً بعد القتل. وقيل قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار. [٣٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من المحاربين والقطّاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. عبّر بذلك دون: فلا تحدُّوهم؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أرَ من تعرض له والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولَيْ الشافعي، ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوليه أيضاً. [٣٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. [٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٤٦١٠).

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿ يُرِيدُونَ ﴾ يتمنون ﴿ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائم. [٣٨] ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ أي يمين كل منهما من الكوع. وبيّنت السّنّة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يُعَزَّرُ ﴿ جَزَآءً ﴾ نصب على المصدر ﴿ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا ﴾ عقوبة لهما ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في خلقه.

ربع الحزب ١٢

[٣٩] ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ ﴾ رجع عن السرقة ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع، ورد المال، نَعَمْ بيَّنت السُّنَّةُ أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القَطْعُ، وعليه الشافعي. [٤٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ تعذيبه ﴿ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ المغفرة له ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة. [٤١] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾ صنع ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ يقعون فيه بسرعة، أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿ مِنَ ﴾ للبيان ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بألسنتهم متعلّق بقالوا ﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ وهم المنافقون ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ قوم ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾ منك ﴿ لِقَوْمٍ ﴾ لأجل قوم ﴿ ءَاخَرِينَ ﴾ من اليهود ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان، فكرهوا رجمهما، فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدِّلونه ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لمن أرسلوهم ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا ﴾ الحكم المحرّف أي الجلد إن أفتاكم به محمد ﴿ فَخُذُوهُ ﴾ فاقبلوه ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾ أن تقبلوه ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ ﴾ إضلاله ﴿ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ في دفعها ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ من الكفر ولو أراده لكان ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

تحليله، فإن الآيات النازلات على أسباب تأتي تارة بتحليل هذا وتارة بتحريمه. اهـ. كلام الشوكاني رحمه الله. وأما الحافظ ابن كثير رحمه الله فبعد أن ذكر قول ابن عمر في سبب نزول الآية قال: وهذا محمول على ما تقدم، وهو أنه يأتيها في قبُلها من دُبُرِهَا لِمَا رواه النَّسائي من حديث كعب بن علقمة، عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لنافع مولى ابن عمر: إنه قد أكثرَ عليك القول أنك تقول عن ابن عمر: إنه أفتى أنْ تؤتى النساء في أدبارهن، قال: كذبوا عليَّ ولكن سأُحَدِّثُكَ كيف كان الأمر: إن ابن عمر عَرَض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ فقال: يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا.

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٢] هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ - بضم الحاء وسكونها - أي الحرام كالرشا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا، وهو أصح قولَيْ الشافعي، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم أي يثيبهم. [٤٣] ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ بالرجم، استفهام تعجيب، أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. [٤٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٞۚ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ العلماء منهم ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أي بسبب الذي ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ استودعوه أي استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يبدلوه ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ به. [٤٥] ﴿وَكَتَبۡنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾ أي التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ تقتل ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَٱلۡعَيۡنَ﴾ تُفقأ ﴿بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ﴾ يُجدع ﴿بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة ﴿وَٱلۡجُرُوحَ﴾ بالوجهين ﴿قِصَاصٞۚ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

قال: إنا كنا معشر قريش نُجَبِّي النِّساء، فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار، أردنا منهن مثل ما كنا نريد فآذاهُنَّ فكرهنَ ذلك، وأعظمنه، وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود إنما يؤتين على جُنوبهنَّ فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾. وهذا إسناد صحيح، ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على تحريم إتيان النساء في أدبارهن وبعدها قال: وَقد تقدّم قول ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو في تحريم ذلك، وهو الثابت بلا شك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه يُحَرِّمُهُ.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٤٦] ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ أي النبيين ﴿ بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله ﴿ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَنُورٌ ﴾ بيان للأحكام ﴿ وَمُصَدِّقًا ﴾ حال ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. [٤٧] ﴿ وَ ﴾ قلنا ﴿ لْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ ﴾ من الأحكام وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفاً على معمول آتيناه ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾. [٤٨] ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأنزلنا ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله ﴿ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ شاهداً ﴿ عَلَيْهِ ۖ ﴾ والكتاب بمعنى الكتب ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ إليك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ عادلاً ﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ أيها الأمم ﴿ شِرْعَةً ﴾ شريعة ﴿ وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على شريعة واحدة ﴿ وَلَٰكِن ﴾ فرّقكم فرقاً ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليختبركم ﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ ﴾ سارعوا إليها ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ بالبعث ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين ويجزي كلاً منكم بعمله. [٤٩] ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ ﴾ لـ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ يَفْتِنُوكَ ﴾ يضلوك ﴿ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم ﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾. [٥٠] ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴾ بالياء والتاء، يطلبون من المداهنة والميل إذا تولّوا، استفهام إنكاري ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ ﴾ عند قوم ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرون.

وعن سعيد بن يسار أبي الحُباب قال : قلت لابن عمر : ما تقول في الجواري أيُحَمَّضُ لَهُنَّ ؟ قال : وما التَّحميضُ ؟ فذكر الدُّبُرَ فقال : وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ وهذا إسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك ، فكل ما ورد عنه مما يحتمل فهو مردود إلى هذا المحكم .

(٢٣٢) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ .

عن يونس عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها ، فتركها حتى انقضت عدتها ، فخطبها ، فأبى معقل فنزلت : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ . [رواه البخاري وغيره] .

(٢٣٨) قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ .

عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ يصلِّي الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يُصَلِّي صلاةً أشدَّ على أصحاب النبي ﷺ منها قال : فنزلت : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ١٢

[٥١] ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ من جملتهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ بموالاتهم الكفار. [٥٢] ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أُبيّ المنافق ﴿ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ في موالاتهم ﴿ يَقُولُونَ ﴾ معتذرين عنها ﴿ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿ نَادِمِينَ ﴾. [٥٣] ﴿ وَيَقُولُ ﴾ بالرفع استئنافاً بواو ودونها، وبالنصب عطفاً على يأتي ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ في الدين قال تعالى: ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَالُهُمْ ﴾ الصالحة ﴿ فَأَصْبَحُوا ﴾ صاروا ﴿ خَاسِرِينَ ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب. [٥٤] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ ﴾ بالفك والإدغام يرجع ﴿ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله وقوعه وقد ارتدّ جماعةٌ بعد موت النبي ﷺ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ ﴾ بدلهم ﴿ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قال ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعريّ، رواه الحاكم في «صحيحه»[1] ﴿ أَذِلَّةٍ ﴾ عاطفين ﴿ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ ﴾ أشداء ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ كثير الفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن هو أهله. ونزل لما قال ابن سلام: يا رسول الله إن قومنا هجرونا: [٥٥] ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ خاشعون، أو يُصلّون صلاة التطوع. [٥٦] ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع فإنهم بياناً لأنهم من حزبه، أي أتباعه. [٥٧] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا ﴾ مهزوءاً به ﴿ وَلَعِبًا مِّنَ ﴾ للبيان ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ ﴾ المشركين بالجر والنصب ﴿ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بترك موالاتهم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ صادقين في إيمانكم.

الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ . وقال : إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين . [رواه أحمد وأبو داود] .

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣١٣).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

[٥٨] ﴿وَ﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتم ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالأذان ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾. ونزل لما قالَ اليهودُ للنبيِّ ﷺ: بمن تؤمن من الرسل فقال تعالى: [البقرة، الآية: ١٣٦] ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ فلما ذكر عيسى قالوا: لا نَعْلَمُ ديناً شرّاً مِنْ دينكم: [٥٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾ تنكرون ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ عطف على (أن آمنا)، المعنى: ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر. [٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً بمعنى جزاء ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿وَ﴾ من ﴿عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في (منهم) معنى (مَنْ) وفيما قبله لفظها وهم اليهود، وفي قراءة بضم باء (عبد) وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعَبْد، ونصبه بالعطف على القردة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم لا نعلم ديناً شراً من دينكم. [٦١] ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أي مُنافِقُو اليهود ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟﴾ إليكم متلبسين ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِهِۦ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ ـهُ من النفاق. [٦٢] ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام كالرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ـهُ عملهم هذا. [٦٣] ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ـهُ ترك نهيهم. [٦٤] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ لما ضُيِّقَ عليهم بتكذيبهم النبيَّ ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، كنّوا به عن البُخلِ ـ تعالى الله عن ذلك ـ قال تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾ أُمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات، دُعاءٌ عليهم ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجود، وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غايةُ ما يبذله السَّخيُّ من ماله أن يعطيَ بيدَيْهِ[1] ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي كلما أرادوه ردهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

(١) صرف المؤلف صفة اليدين عن حقيقتها، وفسَّر الآية باللازم وترك الملزوم، فيجب إثبات صفة اليدين ولوازمها. وفي الحديث: "وكلتا يدي ربنا يمين".

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. [٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ من الكتب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به وهم من آمن بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ـهُ. [٦٧] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً منه خوفاً أن تُنال بمكروه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أن يقتلوك وكان ﷺ يُحرس حتى نزلت فقال: «انصرفوا عنّي فقد عصمني الله» رواه الحاكم[١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [٦٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك أي لا تهتم بهم. [٦٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود مبتدأ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فرقة منهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودال على خبر إن. [٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة[٢].

---

(٢٣٨) قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلّم في الصلاة يكلّم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت. [رواه البخاري وغيره].

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣١٣).

(٢) جاء في حاشية الجمل (٢/ ٢٧٠): عبارة غيره: وللمحافظة على رؤوس الآي، فكأنه سقط من الشارح واو العطف.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ ظنوا ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا تَكُونَ﴾ بالرفع فأن مخففة والنصب فهي ناصبة أي تقع ﴿فِتۡنَةٞ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ بدل من الضمير ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. [٧٢] ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ «سبق مثله في الآية ١٧من هذه السورة» ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ فإني عَبْدٌ ولست بإله ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٖ﴾ يمنعونهم من عذاب الله. [٧٣] ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَٰثَةٖۘ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه وهم فرقة من النصارى ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم وهو النار. [٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٞ﴾ به. [٧٥] ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كغيرهما من الناس[1] ومن كان كذلك لا يكون إلهاً لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿ٱنظُرۡ﴾ متعجباً ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ يُصْرَفون عن الحق مع قيام البرهان. [٧٦] ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالكم والاستفهام للإنكار.

تنبيه :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره : وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت عندهم أنَّ تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة ، وبعد الهجرة إلى أرض الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال : كنا نُسَلِّمُ على النبي ﷺ قبل أن نهاجر إلى الحبشة وهو في الصلاة ، فَيَرُدُّ علينا قال : فلما قدمنا فسلمت عليه ، فلم يرد عليَّ فأخذني ما قَرُب وما بَعُدَ ، فلما سلَّم قال : « إني لم أردَّ عليك إلا أني كنت في الصلاة وإن الله يُحدِثُ من أمره ما يشاء ، وإن مما أحْدَثَ ألا تتكلموا في الصلاة » .

---

(١) في الأصول: الحيوانات، والمثبت هو الأنسب، علماً بأن المقصود بالحيوانات: المخلوقات ذات الحياة، ومنها الحيوانات الناطقة، وهم البشر.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

[٧٧] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ غلوّاً ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ بغلوّهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل الوسط. [٧٨] ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة، وهم أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾. [٧٩] ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عَن﴾ معاودة ﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ ـه فعلهم هذا. [٨٠] ﴿تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة بُغْضاً لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم[1] ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾. [٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ محمد ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾ أي الكفار ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان. [٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ من أهل مكة لِتَضاعُف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي قُرْب مودّتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ ﷺ سورة يٰس فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى[2]. قال تعالى:

الجزء ٧ الحزب ١٣

وقد كان ابن مسعود ممَّن أسلَم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم قدِم منها إلى مكة مع مَن قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ مدنية بلا خلاف. فقال قائلون: إنما أراد زيد بن أرقم بقوله ـ كان الرجل يكلِّم أخاه في حاجته في الصلاة ـ الإخبار عن جنس الكلام، واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسَب ما فهمه منها، والله أعلم. وقال قوم: إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك قد أبيح مرتين وحُرِّم مرتين ـ كما اختار ذلك قوم من

---

(١) أي: الموجب لهم سخط الله عليهم.

(٢) هذا الخبر غير ثابت.

وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

[٨٣] ﴿ ۞وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ من القرآن ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ صدّقنا بنبيك وكتابك ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المُقرّبين بتصديقهم. [٨٤] ﴿وَ﴾ قالوا في جواب من عيَّرَهُم بالإسلام من اليهود: ﴿ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ القرآن أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿ وَنَطْمَعُ ﴾ عطف على نؤمن ﴿ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المؤمنين الجنة قال تعالى: [٨٥] ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بالإيمان. [٨٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾. [٨٧] ونزل لما هَمَّ قَوْمٌ من الصحابة أن يُلازموا الصومَ والقيامَ، ولا يقربوا النساء والطِّيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾. [٨٨] ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾. [٨٩] ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ ﴾ الكائن ﴿ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ﴾ بالتخفيف والتشديد وفي قراءة: عاقدتم ﴿ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾ لكل مسكين مدٌّ ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ ﴾ منه ﴿ أَهْلِيكُمْ ﴾ أي أقْصَدهُ وأغْلَبه، لا أعلاه ولا أدناه ﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ بما يسمى كسوةً كقميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ ﴾ عتق ﴿ رَقَبَةٍ ﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ واحداً مما ذكر ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع، وعليه الشافعي ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ وحنثتم ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل برٍّ أو إصلاح بين الناس كما في [سورة البقرة الآية: ٢٢٤] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ـهُ على ذلك.

أصحابنا وغيرهم والأول أظهر، والله أعلم.

ووجهُ الصَّواب في المسألة: أن الكلام حرم بمكة بالسنّة المطهّرة كما في حديث ابن مسعود، فلما قدم ﷺ المدينة صار بعضهم ممن لم يَبْلُغْهُ التحريم يَتكلَّمُ في الصلاة، كما حصل من معاوية بن الحكم السُّلمي فنزلت الآية ـ والله أعلم ـ.

(٢٥٦) قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ قداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ خبيث مستقذر ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزيّنه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خصَّها بالذكر تعظيماً لها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ عن إتيانهما، أي انتهوا. [٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ البيِّن وجزاؤكم علينا. [٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ المحرمات ﴿وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنى أنه يُثيبهم.[1] [٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ ليَختبِرنَّكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يُرسله لكم ﴿مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾ أي الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه، وكان ذلك بالحُديبية وهم مُحرِمون فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال أي غائباً لم يره فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ مُحْرِمون بحجٍّ أو عُمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده أي فعليه جزاءٌ هو ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي شبهه في الخلقة، وفي قراءة بإضافة جزاء ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ لهما فِطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابنُ عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابنُ عمر وابنُ عَوْف في الظبي بشاة، وحكم بها ابنُ عباس وعمرُ وغيرهما في الحمام، لأنه يشبهها في العَبِّ ﴿هَدْيًا﴾ حال من جزاء ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتاً لما قبله وإن أُضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النَّعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غير الجزاء وإن وجده هي ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مُدّ، وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه عن كل مُدّ يوم، وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ ممن عصاه، وألحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ.

(١) انظر التعليق (ص٥٤) الحاشية (١).

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

ربع الحزب ١٣

[٩٦] ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ أيها الناس حلالاً كنتم أو محرمين ﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿ وَطَعَامُهُۥ ﴾ ما يقذفه ميْتاً ﴿ مَتَٰعًا ﴾ تمتيعاً ﴿ لَّكُمْ ﴾ تأكلونه ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ المسافرين منكم يتزوّدونه ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ فلو صاده حلالٌ[1] فللمحرم أكلُه كما بيّنته السُّنّة ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾. [٩٧] ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ المُحرَّم ﴿ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه، وفي قراءة قيماً بلا ألف مصدر قام غير معل ﴿ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ بمعنى الأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، قياماً لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ قياماً لهم بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الجعل المذكور ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنَّ جَعْلَهُ ذلك لِجَلْبِ المصالح لكم وَدَفْعِ المَضارّ عنكم قبل وقوعها دليلٌ على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن. [٩٨] ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لأعدائه ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لأوليائه ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بهم. [٩٩] ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ لكم ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ تظهرون من العمل ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ تُخفون منه فيجازيكم به. [١٠٠] ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ ﴾ الحرام ﴿ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ الحلال ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ ﴾ أي سرَّك ﴿ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في تركه ﴿ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تفوزون. ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ [١٠١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ ﴾ تظهر ﴿ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ لما فيها من المَشقّة ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها ومتى أبدأها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾. [١٠٢] ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾ أي الأشياء ﴿ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ ﴾ صاروا ﴿ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ بتركهم العمل بها. [١٠٣] ﴿ مَا جَعَلَ ﴾ شرع ﴿ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرةُ: التي يُمنح درُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبةُ: التي كانوا يُسيِّبونها لآلهتهم فلا يُحمَل عليها شيء، والوَصيلةُ: الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يُسيِّبونها لطواغيتهم إن وَصَلَت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذَكر، والحام: فَحْلُ الإبِلِ يَضْرِبُ الضِّرَابَ المعدودة فإذا قضى ضِرابه وَدَعُوهُ للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وَسَمَّوه الحامي ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أن ذلك افتراءٌ؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

---

(١) أي: غير مُحْرِم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ
مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ
أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين والشريعة قال تعالى: ﴿أَ﴾ حسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق والاستفهام للإنكار. [١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب وقيل: المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً، وهوىً مُتَّبعاً، ودُنيا مؤثرة، وإعجابَ كل ذي رأيٍ برأيه، فعليك نفسك» رواه الحاكم وغيره[١] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. [١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليشهد وإضافة شهادة لبين على الاتساع وحين بدلٌ من إذا أو ظرف لحضر ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي غير ملّتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ توقفونهما صفة آخران ﴿مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شككتم فيها ويقولان ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾ بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضاً نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذباً لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إن كتمناها ﴿لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾. [١٠٧] ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطُّلع بعد حلفهما ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي فَعَلا ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة، بأن وُجد عندهما مثلاً ما اتُّهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ بالميت أي الأقربان إليه. وفي قراءة: الأوّلين جمع أوّل صفةٌ أو بدل من الذين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثةُ فيهما، فادّعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعماً أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره، فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادعيا دافعاً له حَلَفَ أقرب الورثة على كذبهما، وصدق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي ما رواه البخاري[٢]: أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء أي وهما نصرانيان، فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته؛ فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ، فنزلت،

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٣٢٢) وأبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨). (٢) رواه البخاري (٢٧٨٠).

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

نصف الحزب ١٣

فأحلفهما ثم وُجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا. وفي رواية الترمذي[1]: فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكان أقرب إليه، وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي. [١٠٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب إلى ﴿ أَن يَأْتُوا۟ ﴾ أي الشهود أو الأوصياء ﴿ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿ أَوْ ﴾ أقرب إلى أن ﴿ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ على الوَرَثَةِ المدّعين، فيحلفون على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحون ويغرمون فلا يَكْذبوا ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير. [١٠٩] اذكر ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ فَيَقُولُ ﴾ لهم توبيخاً لقومهم ﴿ مَاذَآ ﴾ أي الذي ﴿ أُجِبْتُمْ ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ بذلك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم، ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون. [١١٠] اذكر ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ اشكرها ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ ﴾ قويتك ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ جبريل ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ ﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ أي طفلاً ﴿ وَكَهْلًا ۖ ﴾ يفيد نزوله قبل الساعة، لأنه رُفع قبل الكهولة، كما سبق في [آل عمران، الآية: ٥٥] ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ﴾ كصورة ﴿ ٱلطَّيْرِ ﴾ والكافُ اسم بمعنى مثل مفعول ﴿ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ ﴾ بإرادتي ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من قبورهم أحياء ﴿ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ حين همّوا بقتلك ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ ﴾ الذي جئت به ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وفي قراءة: ﴿ساحرٌ﴾ أي عيسى. [١١١] ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿ أَنْ ﴾ أي بأن ﴿ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ عيسى ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ بهما ﴿ وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾. [١١٢] اذكر ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ أي يفعل ﴿ رَبُّكَ ﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده أي تقدِر أن تسأله ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ﴾ لهم عيسى ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في اقتراح الآيات ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. [١١٣] ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ ﴾

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٩).

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾

سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعۡلَمَ﴾ نزداد علماً ﴿أَن﴾ مخففة أي أنك ﴿قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. [١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نُعظمه ونُشرفه ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدل اشتمال من لنا بإعادة الجار ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ممن يأتي بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَۖ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ إياها ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾. [١١٥] ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مستجيباً له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ﴾ أي بعد نزولها ﴿مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعةُ أرْغِفة، وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا، قاله ابن عباس. وفي حديث[١] «أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا ألا يخونوا ولا يدّخروا لِغَدٍ، فخانوا وادَّخروا فمُسِخوا قردةً وخنازير». [١١٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ﴾ عيسى وقد أرعد ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ خبر ليس، ولي للتبيين ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

[١١٧] ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ وهو ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا﴾ رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ مُطّلع عالم به. [١١٨] ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ﴾ أي مَنْ أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ على أمره ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه. [١١٩] ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صِدۡقُهُمۡۚ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب. [١٢٠] ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ أتى بـ «ما» تغليباً لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ ومنه إثابة الصادق، وتعذيب الكاذب. وخصَّ العقلُ ذاته[٢] فليس عليها بقادر.

---

(١) رواه الطبري (٧/ ١٣٤).

(٢) أي: الذات الإلهية، فالله شيء لا كالأشياء.

سورة الأنعام

ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

﴿سورة الأنعام﴾

[مكية إلا الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و١١٤ و١٤١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما؟ احتمالات ثلاثة أفْيَدُها الثالث، قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة. [٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلقِ أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِندَهُۥ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكّون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم، ومَنْ قَدَرَ على الابتداء فهو على الإعادة أقدر. [٣] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من خير وشرّ. [٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي أهل مكة ﴿مِّنْ﴾ صلة ﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. [٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. [٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ أعطيناهم مكاناً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نعط ﴿لَّكُمْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ متتابعاً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾. [٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ رَقّ كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنُّتاً وعناداً. [٨] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يُمهَلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبْلَهُم من إهلاكهم عند وجود مُقْتَرَحِهِمْ إذا لم يؤمنوا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت المرأة تكون مِقْلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهَوِّدَهُ ، فلما أُجليَت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ . [أخرجه أبو داود والنسائي] .

(٢٦٧) قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ .

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

[٩] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي المنزل إليهم ﴿ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي الملك ﴿ رَجُلًا ﴾ أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوّة للبشر على رؤية الملك ﴿ وَ ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿ لَلَبَسْنَا ﴾ شبهنا ﴿ عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم. [١٠] ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك. [١١] ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا. [١٢] ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ قضى على نفسه ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾ فضلاً منه. وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ شك ﴿ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

[١٣] ﴿ ۞ وَلَهُۥ ﴾ تعالى ﴿ مَا سَكَنَ ﴾ حلَّ ﴿ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ أي كل شيء، فهو ربُّه وخالقه ومالكه ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما يقال ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما يفعل. [١٤] ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ أعبده ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبدعهما ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ ﴾ يرزُق ﴿ وَلَا يُطْعَمُ ۗ ﴾ يُرزَق ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ ﴾ لله من هذه الأمة ﴿ وَ ﴾ قيل لي ﴿ لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ به. [١٥] ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى ﴾ بعبادة غيره ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة. [١٦] ﴿ مَّن يُصْرَفْ ﴾ بالبناء للمفعول أي العذاب، وللفاعل أي الله والعائد محذوف ﴿ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ تعالى أي أراد له الخير ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النجاة الظاهرة. [١٧] ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿ فَلَا كَاشِفَ ﴾ رافع ﴿ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ كصحة وغنًى ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ومنه مسُّكَ به ولا يقدر على ردِّه عنك غيره. [١٨] ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعلياً ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في خلقه ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ببواطنهم كظواهرهم.

عن البراء : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ قال : نزلت فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل ، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته ، وكان الرجل يأتي بالقِنْو والقِنوين فيعلِّقه في المسجد ، وكان أهل الصُّفَّة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاء أتى القنْو فضربه بعصاه ، فيسقُط البُسر والتمر فيأكل ، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلِّقه فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ .

قال ﷺ : « لو أن أحدكم أُهدي إليه مثل ما أعطي لم يأخذه إلا على إغماض أو حياء » . قال : فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده .

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال : أمر رسول الله ﷺ بصدقة ، فجاء رجل من هذا السُّحَّل ، قال سفيان : يعني : الشيص ، ـ فقال رسول الله ﷺ : « مَن

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

ونزل لما قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك: [١٩] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز محول عن المبتدأ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ﴾ أخوِّفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ عطف على ضمير (أنذركم) أي بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ استفهام إنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام. [٢٠] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمداً بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به. [٢١] ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك. [٢٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله؟ [٢٣] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالتاء والياء ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي قولهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ بالجر نعت والنصب نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. [٢٤] قال تعالى: ﴿انْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ـه على الله من شركاء. [٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم. [٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك. [٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ برفع الفعلين استئنافاً ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني، وجواب لو: رأيت أمراً عظيماً.

جاء بهذا؟ »، وكان لا يَجيءُ أحد بشيء إلا نُسب إلى الذي جاء به فنزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ ونهى رسول الله ﷺ عن لونين من التمر أن يؤخذا في الصَدَقة: الجُعْرُور ولون الحَبِيق، قال الزهري: واللونان من تمر المدينة. [رواه الحاكم وصححه].

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسولَ الله ﷺ نهى عن لونين من التمر: الجُعْرُور ولون الحَبِيقِ، قال: وكان ناس يَتَيَمَّمُونَ شرَّ ثمارهم، فيخرِجُونها في الصدقة فنُهُوا عن لونين من التمر ونزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾. [رواه الحاكم وصححه].

(٢٧٢) قوله تعالى: ﴿۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

قال تعالى: [٢٨] ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ يكتمون بقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام، آية: ٢٣] بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان. [٢٩] ﴿وَقَالُوا﴾ أي منكرو البعث ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. [٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا﴾ عُرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمراً عظيماً. ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا. [٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ هي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانُك فاحْضَري ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصَّرنا ﴿فِيهَا﴾ أي الدُّنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً فتركبهم ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حمْلهم ذلك. [٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يُعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ وفي قراءة ﴿ولدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء ذلك فيؤمنون.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإهلاك قومهم، فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مواعيده ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلْبُك. [٣٥] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سرباً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا فافعل، المعنى: أنك لا تستطيع ذلك، فاصبر حتى يحكم الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك.

عن ابن عباس قال: كانوا لا يَرضَخُون لقراباتهم من المشركين فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. [رواه الحاكم والنسائي].

(٢٨٥ ـ ٢٨٦) قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾.

عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾

الحزب ١٤

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تفهُّم واعتبار ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي الكفار، شبَّهَهُمْ بهم في عدم السماع ﴿ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ في الآخرة ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ يُردّون، فيجازيهم بأعمالهم. [٣٧] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَوْلَا ﴾ هلاّ ﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ ءَايَةً ﴾ مما اقترحوا ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن نزولها بلاءٌ عليهم، لوجوب هلاكهم إن جحدوها. [٣٨] ﴿ وَمَا مِن ﴾ زائدة ﴿ دَآبَّةٍ ﴾ تمشي ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ ﴾ في الهواء ﴿ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿ مَّا فَرَّطْنَا ﴾ تركنا ﴿ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ مِن ﴾ زائدة ﴿ شَىْءٍ ﴾ فلم نكتبه ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ فيقضي بينهم، ويقتص للجمّاء من القرْناء ثم يقول لهم: كونوا تراباً. [٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ صُمٌّ ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ عن النطق بالحق ﴿ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ الكفر ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ ﴾ إضلاله ﴿ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ ﴾ هدايته ﴿ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ دين الإسلام. [٤٠] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الدنيا ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ لا ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها. [٤١] ﴿ بَلْ إِيَّاهُ ﴾ لا غيره ﴿ تَدْعُونَ ﴾ في الشدائد ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أن يكْشِفهُ عنكم من الضر ونحوه ﴿ إِن شَآءَ ﴾ كشفه ﴿ وَتَنسَوْنَ ﴾ تتركون ﴿ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه. [٤٢] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن ﴾ زائدة ﴿ قَبْلِكَ ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ شدة الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرض ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ يتذللون فيؤمنون. [٤٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاّ ﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابنا ﴿ تَضَرَّعُوا۟ ﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي فأصرُّوا عليها. [٤٤] ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ ﴾ تركوا ﴿ مَا ذُكِّرُوا۟ ﴾ وُعظوا وخُوِّفوا ﴿ بِهِۦ ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿ فَتَحْنَا ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ من النِّعَم استدراجاً لهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾ فرحَ بطَر ﴿ أَخَذْنَـٰهُم ﴾ بالعذاب ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ آيسون من كل خير.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بَرَكوا على الرُّكَب فقالوا: أيْ رسولَ الله كُلِّفْنَا من الأعمال ما نطيق الصلاةَ والصيامَ والجهادَ والصدقةَ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقُها. قال رسول الله ﷺ: « أتُريدُون أن تقولوا كما قال أهلُ الكِتَابين من قبلِكم سمعنا وعصَينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير ». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؛ فلما اقترأها القومُ ذلَّت بها ألسنتُهم، فأنزل الله في أثرها:

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي آخرهم بأن استؤصلوا ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين. [٤٦] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمّكم ﴿وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾ أعماكم ﴿وَخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا. ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يُعرضون عنها فلا يؤمنون. [٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الكافرون أي ما يهلك إلا هم. [٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. [٤٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة. [٥٠] ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ التي منها يرزق ﴿وَلَآ﴾ إني ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ولم يوح إليّ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنو. [٥١] ﴿وَأَنذِرْ﴾ خوِّف ﴿بِهِ﴾ أي القرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ينصرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات. [٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض[1] الدنيا وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مَرْضِيّ ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ قال: نعم. [رواه مسلم وغيره].

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٢/ ٣٧٥): بالغين المعجمة أو بالعين المهملة.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف بالوضيع والغني بالفقير، بأن قدّمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدًى ما سبقونا إليه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لـه فيهديهم: بلى. [٥٤] ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن، وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له. [٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبيّن ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ القرآن ليظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فتجتنب، وفي قراءة بالتحتانية، وفي أخرى بالفوقانية، ونصب (سبيل) خطاب للنبي ﷺ. [٥٦] ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعتها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. [٥٧] ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّى وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾[1] القضاء ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ الحاكمين، وفي قراءة (يقصُّ) أي يقول. [٥٨] ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أُعجّله لكم وأستريح، ولكنه عند الله ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ متى يعاقبهم. [٥٩] ﴿۞ وَعِندَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خزائنه، أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية كما رواه البخاري[2] ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ القفار ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾ زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على ورقة ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ. والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله.

عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء، لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٢/ ٣٨١): لم يُرسم (يقض) إلا بضاد، كأن الياء حُذفت خطاً كما حُذفت لفظاً؛ لالتقاء الساكنين.

(٢) رواه البخاري (١٠٣٩).

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

[٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾ كسبتم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي النهار بردِّ أرواحكم ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. [٦١] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ مستعلياً ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ﴾ وفي قراءة: ﴿توفاه﴾ ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يُقصّرون فيما يؤمرون به. [٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أي الخَلْق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾ مالكهم ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحَديثٍ بذلك. [٦٣] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾ علانية ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾ سراً تقولون ﴿لَّئِنۡ﴾ لام قسم (أنجيتنا) وفي قراءة ﴿أَنجَىٰنَا﴾ أي الله ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المؤمنين. [٦٤] ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ غمٍّ سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ به. [٦٥] ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من السماء كالحجارة والصَّيْحَة ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ كالخسف ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾ يخلطكم ﴿شِيَعٗا﴾ فِرَقاً مختلفة الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: «هذا أهون وأيسر»، ولما نزل ما قبله: «أعوذ بوجهك» رواه البخاري[1]، وروى مسلم[2] حديث: «سألت ربي ألا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها» وفي حديث لما نزلت قال: «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد»[3] ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين لهم ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ يعلمون أنّ ما هم عليه باطل. [٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ فأجازيكم إنما أنا منذر وأَمْرُكم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال. [٦٧] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾ خبر ﴿مُّسۡتَقَرّٞ﴾ وقت يقع فيه ويَسْتَقِرّ، ومنه عذابكم ﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديدٌ لهم. [٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي تذكره ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف، فنزل:

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٨).
(٢) رواه مسلم (٢٨٩٠).
(٣) رواه الترمذي (٣٢٧٤) وأحمد (١/ ١٧١).

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي الخائضين ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. [٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الذي كُلِّفُوهُ ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكِّرْ﴾ عِظ ﴿بِهِۦٓ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ تُسْلَم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تَفْدِ كُلَّ فِداءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدى به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم. [٧١] ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلّته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيّراً لا يدري أين يذهب، حال من الهاء ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي ليهدوه الطريق يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يجيبهم فيهلك، والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب. [٧٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقاً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره ﴿لمن الملك اليوم؟ لله﴾ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

النبي ﷺ «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ قال: قد فعلت. [رواه أحمد].

* * *

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

نصف الحزب ١٤

[٧٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لقبه واسمه «تارخ» ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ بيِّن. [٧٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال. [٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل: هو الزهرة ﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجامين ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ﴾ أن أتخذهم أرباباً لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك. [٧٧] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعاً ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يُثبّتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال، فلم ينجع فيهم ذلك. [٧٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ ذكّره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى مُحْدِث، فقالوا له: ما تعبد؟ [٧٩] قال ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به. [٨٠] ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ جادلوه في دينه، وهدّدوه بالأصنام أنْ تُصيبه بسُوءٍ إنْ تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء أتجادلونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ تعالى إليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـه ﴿بِهِۦٓ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ من المكروه يُصيبني فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وَسِعَ عِلْمُه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون. [٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حُجّة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به، أي وهو نحن فاتبعوه. قال تعالى:

سورةُ آل عمران

(٧٧) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٢] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ ﴾ يخلطوا ﴿ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ أي شِرْك كما فُسِّر بذلك في حديث الصحيحين[1] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ من العذاب ﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ . [٨٣] ﴿ وَتِلۡكَ ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿ حُجَّتُنَآ ﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكوكب وما بعده والخبر ﴿ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم والحكمة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٞ ﴾ بخلقه. [٨٤] ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ ﴾ ابنه ﴿ كُلًّا ﴾ منهما ﴿ هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴾ أي قبل إبراهيم ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ أي نوح ﴿ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ ﴾ ابنه ﴿ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ ﴾ ابن يعقوب ﴿ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناهم ﴿ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ . [٨٥] ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ ﴾ ابنه ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿ وَإِلۡيَاسَۖ ﴾ ابن أخي هارون أخي موسى ﴿ كُلّٞ ﴾ منهم ﴿ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . [٨٦] ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾ ابن إبراهيم ﴿ وَٱلۡيَسَعَ ﴾ اللام زائدة ﴿ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ ﴾ ابن هاران أخي إبراهيم ﴿ وَكُلّٗا ﴾ منهم ﴿ فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ بالنبوة. [٨٧] ﴿ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ ﴾ عطف على كلاً أو نوحاً و (مِنْ) للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ ﴾ اخترناهم ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ . [٨٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الدين الذي هُدوا إليه ﴿ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ ﴾ فرضاً ﴿ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ . [٨٩] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ وَٱلۡحُكۡمَ ﴾ الحكمة ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا ﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا ﴾ أرصدنا لها ﴿ قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ هم المهاجرون والأنصار. [٩٠] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ﴾ هم ﴿ ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ بهاء السكت وقفاً ووصلاً، وفي قراءة بحذفها وصلاً ﴿ قُل ﴾ لأهل مكة ﴿ لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي القرآن ﴿ أَجۡرًاۖ ﴾ تعطونيه ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ ما القرآن ﴿ إِلَّا ذِكۡرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجن.

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَن حَلَف على يمين يقتطعُ بها مال امرىء، هو عليها فاجرٌ لقي الله وهو عليه غضبان »، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ الآية. فجاء الأشعثُ فقال: ما حدثكُم أبو عبد الرحمن؟ فيَّ أنزلت هذه الآية، كانت لي بئرٌ في أرض ابن عمٍّ لي، فقال لي: شُهودُك، قلت: ما لي شهود، قال: فيمينه، قلت: يا رسول الله إذاً يحلِفُ، فذكر النبي ﷺ هذا الحديث فأنزل الله ذلك تصديقاً له. [رواه البخاري وغيره].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٩) ومسلم (١٢٤).

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾ أي اليهود ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أي ما عظموه حق عظمته، أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ﴾ لهم: ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تُبۡدُونَهَا﴾ أي ما يحبون إبداءه منها ﴿وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿وَعُلِّمۡتُم﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ﴾ من التوراة، ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ أنزله إن لم يقولوه: لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ﴾ باطلهم ﴿يَلۡعَبُونَ﴾.
[٩٢] ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله، أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ خوفاً من عقابها.
[٩٣] ﴿وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بادّعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ نزلت في مُسَيْلَمة ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ وهم المستهزئون، قالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآۙ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣١] ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي غَمَرَٰتِ﴾ سكرات ﴿ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفاً: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ إلينا لنقبضها ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب لو: رأيت أمراً فظيعاً. [٩٤] ﴿وَ﴾ يقال لهم إذا بعثوا: ﴿لَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أي حُفاة عُراة غُرْلاً ﴿وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَ﴾ يقال لهم توبيخاً: ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ لله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ وَصْلُكُم أي تشتّتَ جمعكم. وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ في الدنيا من شفاعتها. [٩٥] ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شاقّ ﴿ٱلۡحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ عن النخل ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المُخْرِج ﴿ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟! [٩٦] ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاقّ عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

﴿ وَجَعَلَ (١) ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ تسكن فيه الخلقُ مِنَ التَّعب ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ بالنصب عطفاً على محل الليل ﴿ حُسْبَانًا ﴾ حساباً للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْعَلِيمِ ﴾ بخلقه. [٩٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ في الأسفار ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ﴾ بينا ﴿ ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يتدبرون. [٩٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾ خلقكم ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هي آدم ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ منكم في الرَّحِم ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ منكم في الصُّلْب، وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرارٍ لكم ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ما يقال لهم. [٩٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿ بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ينبت ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ أي النبات شيئاً ﴿ خَضِرًا ﴾ بمعنى أخضر ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ ﴾ من الخضر ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ ﴾ خبر ويبدل منه ﴿ مِن طَلْعِهَا ﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ عراجين(٢) ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿ وَ ﴾ أخرجنا به ﴿ جَنَّـٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا ﴾ ورقهما حال ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ﴾ ثمرها ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ ﴾ يا مخاطبون نظر اعتبار ﴿ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة وخشب ﴿ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿ وَ ﴾ إلى ﴿ يَنْعِهِۦٓ ﴾ نُضْجِهِ إذا أدرك كيف يعود ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ خُصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين. [١٠٠] ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ ﴾ مفعول ثان ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ مفعول أول ويبدل منه ﴿ ٱلْجِنَّ ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿ وَ ﴾ قد ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿ وَخَرَقُوا۟ ﴾ بالتخفيف والتشديد أي: اختلقوا ﴿ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ حيث قالوا: عُزَيْر ابنُ الله، والملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾ تنزيهاً له ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ بأن له ولداً. [١٠١] هو ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿ أَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ﴾ زوجة ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

---

(١) في الأصل: وجاعلُ الليلِ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب، وأثبتنا ما يوافق رواية حفص عن عاصم ووافقه: حمزة والكسائي وخلف.

(٢) جمع عرجون، قيل: هي الشماريخ، وقيل: هي السبائط.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٞ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ وحِّدوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾ حفيظ. [١٠٣] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوْمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [سورة القيامة: ٢٢- ٢٣] وحديث الشيخين[1]: «إنكم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كما تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ» وقيل: المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه، أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم. [١٠٤] قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ حُجج ﴿مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها فضلّ ﴿فَعَلَيْهَاۚ﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ﴾ رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير. [١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نُبيّن ﴿ٱلْأٓيَٰتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿دارست﴾ ذاكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي كُتُبَ الماضين وجئت بهذا منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ﴾. [١٠٦] ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ أي القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. [١٠٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظٗاۖ﴾ رقيباً فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٖ﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال. [١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا﴾ اعتداءً وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٖۗ﴾ أي جهلاً منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زيّنا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. [١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٞ﴾ مما اقترحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت، أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى بفتح (أن) بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها. [١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

---
(١) رواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الجزء ٨ الحزب ١٥

[١١١] ﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ كما اقترحوا ﴿ وَحَشَرۡنَا ﴾ جمعنا ﴿ عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا ﴾ بضمتين جمع قبيل أي فَوْجاً فَوْجاً، وبكسر القاف وفتح الباء، أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ ﴾ لما سبق في علم الله ﴿ إِلَّآ ﴾ لكن ﴿ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴾ ذلك. [١١٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا ﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه ﴿ شَيَٰطِينَ ﴾ مَرَدَة ﴿ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي ﴾ يُوَسْوِس ﴿ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ مُمَوّهه من الباطل ﴿ غُرُورٗاۚ ﴾ أي ليغروهم ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ أي الإيحاء المذكور ﴿ فَذَرۡهُمۡ ﴾ دع الكفار ﴿ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال. [١١٣] ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ ﴾ عطف على غروراً أي تميل ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ أي الزخرف ﴿ أَفۡـِٔدَةُ ﴾ قلوب ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ ﴾ يكتسبوا ﴿ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه. ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً: [١١٤] قل: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي ﴾ أطلب ﴿ حَكَمٗا ﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق. [١١٥] ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ تمييز ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ ﴾ بنقص أو خلف ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما يقال ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بما يفعل. [١١٦] ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي الكفار ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ دينه ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل اللهُ أَحَقُّ أن تأكلوه مما قتلتم ﴿ وَإِنۡ ﴾ ما ﴿ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ يكذبون في ذلك. [١١٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ ﴾ أي عالم ﴿ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ فيجازي كلاً منهم. [١١٨] ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أُعطِيَ بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ إلى آخر الآية. [رواه البخاري].

(٨٦ إلى ٨٩) قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.

عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم، فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله هل من توبة قال: فنزلت ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [صححه الحاكم وأقره الذهبي].

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آيـة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه فهو أيضاً حلال لكم، المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرّم أكله، وهذا ليس منه، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام. [١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ أتركوا ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ علانيته وسره. والإثْمُ: قيل: الزنى، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون. [١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذَبَحَهُ المسلمُ ولم يُسَمّ فيه عمداً أو نسياناً فهو حلال؛ قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يُوَسْوِسُون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. [١٢٢] ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ مثل زائدة أي كمن هو ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زيّن للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي. [١٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا فُسّاق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالصّدّ عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك. [١٢٤] ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالاً وأكبر سناً قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ بالجمع والإفراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه (أَعْلَم): أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذلٌّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي بسبب مكرهم.

---

(٩٠) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

عن ابن عباس أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [تفسير ابن كثير].

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع الحزب ١٥

[١٢٥] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله، كما ورد في حديث(1) ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد، عن قبوله ﴿حَرَجٗا﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة، وفتحها مصدر، وُصِفَ فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة يصّاعد وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يُسلّطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾. [١٢٦] ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾ بيّنا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي يتّعظون، وخُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون. [١٢٧] ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. [١٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ بالنون والياء، أي الله الخلق ﴿جَمِيعٗا﴾ ويقال لهم: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ بإغوائكم ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ استمتع الإنسُ بتزيين الجنّ لهم الشهوات، والجنُّ بطاعة الإنس لهم. ﴿وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تَحسُّرٌ منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ مأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم، فإنه خارجها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فـ(ما) بمعنى من ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٞ﴾ بخلقه. [١٢٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما متّعنا عُصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّي﴾ من الولاية ﴿بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ أي على بعض ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من المعاصي. [١٣٠] ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أي من مجموعكم، أي بعضكم الصادق بالإنس، أو رسل الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ أن قد بلغنا، قال تعالى: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾. [١٣١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إرسال الرسل ﴿أَن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ منها ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يرسل إليهم رسولاً يبين لهم.

(1) رواه الطبري (٨/ ٢٦).

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ جزاء ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء والتاء. [١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أذهبهم ولكنّه أبقاكم رحمةً لكم. [١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَأٓتٖ﴾ لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا. [١٣٥] ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾ على حالتي ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العِلْم ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون. [١٣٦] ﴿وَجَعَلُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ بالفتح والضم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيءٌ مِن نَصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا كما قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحۡكُمُونَ﴾ حكمهم هذا. [١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زُيِّن لهم ما ذُكِر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ﴾ بالوَأْد ﴿شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ من الجن بالرفع فاعل (زَيّن) وفي قراءة ببنائه للمفعول، ورفع (قتلُ) ونصب الأولاد به، وجر شركائهم بإضافته، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ـ ولا يضر ـ وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ يُهْلِكوهم ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ﴾ يخلطوا ﴿عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾.

---

(١١٣) قوله تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾.

عن ابن مسعود قال: أخّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرُونَ الصلاة قال: «أمَا إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكُرُ الله هذه الساعة غيرُكم». قال: وأنزل الله هؤلاء الآيات: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾. [رواه أحمد وابن حبان].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لما أسلم عبدُ الله بنُ سَلام وثَعلبةُ بن سَعْيَة وأسد بن عُبَيد ومَن أسلم من يهودَ فآمنوا وصدقوا، ورغبوا في الإسلام، قالت أحبار يهودَ أهلُ الكفر: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارُنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قوله: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ إلى قوله

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف الحزب ١٥

[١٣٨] ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ حرام ﴿ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ فلا تُركب كالسوائب والحوامي ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ، ونَسَبُوا ذلك إلى الله ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ عليه. [١٣٩] ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ المحرمة وهي السَّوائِب والبَحائِر ﴿ خَالِصَةٌ ﴾ حلال ﴿ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ أي النساء ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً ﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ ﴾ الله ﴿ وَصْفَهُمْ ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه. [١٤٠] ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ بالوَأْدِ ﴿ سَفَهًۢا ﴾ جهلاً ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ مما ذكر ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾. [١٤١] ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾ خلق ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطّيخ ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنَّخْل ﴿ وَ ﴾ أنشأ ﴿ ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾ ثَمرُه وحَبُّه في الهيئة والطعم ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا ﴾ ورقهما حال ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ طَعْمُهما ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ قبل النضج ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ ﴾ زكاته ﴿ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ بالفتح والكسر من العشر أو نصفه ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ بإعطاء كله فلا يَبْقى لِعيالِكُم شيءٌ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ المتجاوزين ما حَدَّ لهم. [١٤٢] ﴿ وَ ﴾ أنشأ ﴿ مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً ﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿ وَفَرْشًا ﴾ لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سُمّيت فَرْشاً؛ لأنها كالفَرْش للأرض لِدُنُوِّها منها ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ بَيِّنُ العَداوة.

تعالى : ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [رواه الطبراني] .

(١٢٢) قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ .

عن جابر رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية فينا : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ بني سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ [رواه البخاري وغيره] .

(١٢٨) قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ .

عن الزهري حدّثني سالم عن أبيه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول : « اللهم العن فلاناً وفلاناً » ، بعدما يقول : « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ وعن حَنْظَلَةَ بن أبي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

[١٤٣] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ أصناف بدل من ﴿حَمُولَةً وفَرْشاً﴾ ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكون ﴿ٱثْنَيْنِۗ قُلْ﴾ يا محمد لمن حرّم ذكور الأنعام تارةً، وإناثها أخرى، ونَسَبَ ذلك إلى الله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ ذكراً كان أو أنثى ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه، المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان مِنْ قِبَلِ الذُّكُورَةِ فجميعُ الذُّكُورِ حَرام، أو الأنوثة فجميــع الإنــاث، أو اشتمـال الرحـم فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار. [١٤٤] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ﴾ بـل أ ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضـوراً ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [١٤٥] ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية[١] ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلاً بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ﴾ إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذُكِرَ فأكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، ويُلْحَقُ بما ذُكِرَ بالسُّنَّة كلّ ذي نابٍ من السباع ومِخْلَبٍ مِنَ الطير[٢]. [١٤٦] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الثروب[٣] وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ الأمعاء جمع حاوياء أو حاوية ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ منه وهو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة [النساء الآية: ١٦٠] ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

---

(١) قال في حاشية الجمل (٢/ ٤٨٢): صوابه: مع الفوقانية، وتكون حينئذ تامة، فالقراءات ثلاثة.

(٢) انظر صحيح مسلم (١٩٣٤).

(٣) جمع ثَرْب: شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيقٌ.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

[١٤٧] ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ فيما جئت به ﴿ فَقُل ﴾ لهم ﴿ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطُّفٌ بدعائهم إلى الإيمان ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ ﴾ عذابُه إذا جاء ﴿ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾. [١٤٨] ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ نحن ﴿ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ﴾ عذابنا ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ أي لا علم عندكم ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ تَتَّبِعُونَ ﴾ في ذلك ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ ﴾ ما ﴿ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون فيه. [١٤٩] ﴿ قُلْ ﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ التامة ﴿ فَلَوْ شَآءَ ﴾ هدايتكم ﴿ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. [١٥٠] ﴿ قُلْ هَلُمَّ ﴾ أحضروا ﴿ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ الذي حرمتموه ﴿ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يشركون. [١٥١] ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ ﴾ أقرأ ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ ﴾ ن مفسِّرة ﴿ لَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَ ﴾ أحسنوا ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم ﴾ بالوأد ﴿ مِّنْ ﴾ أجل ﴿ إِمْلَٰقٍ ﴾ فقر تخافونه ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ الكبائر كالزنى ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي علانيتها وسرّها ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ كالقَوَد، وَحدّ الرِّدَّة، ورَجْم المُحصَن ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ المذكور ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تتدبرون.

(ثلاثة أرباع الحزب ١٥)

يقول: كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوانَ بن أمية وسُهَيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾. [رواه البخاري وغيره].

وعن أنس بن مالك قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قَتَلُوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً، يدعو على رعل وذَكْوان ولِحيان وعُصَيَّة عصت الله ورسوله. قال أنس: أنزل الله عزَّ وجلَّ في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه. [رواه مسلم وغيره].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يَدعُوَ على أحد، أو يدعُوَ لأحد قَنَتَ بعد الركوع فربَّما قال: إذا قال سمع الله لمن حمده: « اللهم ربَّنا لك الحمد اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمَةَ بن هشام وعَيَّاشَ بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مُضَرَ، واجعلها سنين كسني يوسف » يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: « اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من العرب » حتى أنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾. [رواه البخاري وغيره]. قال الحافظ في الفتح: وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ: « اللهم العن رعلاً وذكوان وعصَيَّة ».

ثم قال: تقدم استشكاله في غزوة أحد وأن قصة رِعل وذكوان كانت بعد أحدَ ونزول: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ كان في قصة أحد ثم ظهر لي علة الخبر يعني خبر ـ نزول: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ في قصة رِعْلٍ وذكوانَ ـ وأن فيه إدراجاً، وأن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عمن بلغه، بين ذلك مسلم في رواية يونس

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ بأن يحتلم ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك، فإن أخطأ في الكيل والوزن، والله يعلم صحة نيته، فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث[1] ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد: تتّعظون، والسكون[2].

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافاً ﴿هَٰذَا﴾ الذي وصّيتكم به ﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين: تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة و (ثم) لترتيب الأخبار. ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بياناً ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١٥٦] أنزلناه لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذ ليست بلغتنا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجودة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي أشدّه ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾.

المذكورة فقال: هنا قال: يعني الزهري.

ثم بلغنا أنه ترك ذلك لمّا نزلت، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكر، ثم قال رحمه الله: طريق الجمع بين حديث ابن عمر وأنس المتقدمين فقال: وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معاً فيما وقع له من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء وذلك كله في أحد بخلاف قصة رِعْلٍ وذَكْوَان. ويحتمل أن يقال: إنَّ قصتهم كانت عقِبَ ذلك، وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً، ثم نزلت في جميع ذلك، والله أعلم.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، وعزاه لابن مردويه (٣/ ١٣٨٧) وقال: هذا مرسل غريب.

(٢) صوابه: والتخفيف إذ لم يقرأ بسكون الذال، فمن شدد قلب التاء ذالاً وأدغمها في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى التاءين.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظر المكذّبون ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ﴾ بالتاء والياء ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ أي أمره بمعنى عذابه[1] ﴿ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين[2] ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ الجملة صفة النفس ﴿ أَوْ ﴾ نفساً لم تكن ﴿ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ أحد هذه الأشياء ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ذلك. [١٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ فِرَقاً في ذلك، وفي قراءة: (فارقوا) أي تركوا دينهم الذي أمروا به، وهم اليهود والنصارى ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ أي فلا تتعرض لهم ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يتولاه ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم ﴾ في الآخرة ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف. [١٦٠] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ أي جزاءه ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ينقصون من جزائهم شيئاً. [١٦١] ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ويبدل من محله ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ مستقيماً ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. [١٦٢] ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى ﴾ عبادتي من حجٍّ وغيره ﴿وَمَحْيَاىَ ﴾ حياتي ﴿ وَمَمَاتِى ﴾ موتي ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[١٦٣] ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في ذلك ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ أي التوحيد ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمة. [١٦٤] ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿ وَهُوَ رَبُّ ﴾ مالك ﴿ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ذنباً ﴿ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ ﴾ تحمل نفس ﴿ وَازِرَةٌ ﴾ آثمة ﴿ وِزْرَ ﴾ نفسٍ ﴿ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾. [١٦٥] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ جمع خليفة: أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليختبركم ﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ أعطاكم لِيُظْهِرَ المُطيعَ منكم والعاصي ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن عصاه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ ﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمٌۢ ﴾ بهم.

---

(١٥٤) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾.
عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحدٌ إلا يَميدُ تحت حَجَفَتِهِ من النعاس فذلك قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

---

(١) هذا صرفٌ للفظ عن ظاهره، وتعطيل لصفة الإتيان. قال ابنُ جرير: "يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاءالعادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت، فتقبض أرواحهم. أو أن يأتيهم ربك يامحمد بين خلقه في موقف القيامة".
(٢) رواه البخاري (٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧).

ترتيبها ٧ — سُورَةُ الأَعْرَافِ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

[مَكِّيَّة إلا من آية ١٦٣ إلى غاية ١٧٠ فَمَدَنِيَّة، وآياتها ٢٠٥ أو ٢٠٦ نزلت بعد صٓ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ١٦

[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلِّغَهُ مخافة أن تُكذَّب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للإنذار ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به. [٣] قل لهم ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ تتّعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها[1]، و (ما) زائدة لتأكيد القلة. [٤] ﴿وَكَم﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ نائمون بالظهيرة، و «القيلولة»: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، أي مرة جاءها ليلاً، ومرّة جاءها نهاراً. [٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾. [٦] ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرُّسُل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ. [٧] ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا. [٨] ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان، كما ورد في حديث[2]، كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ العَدْل صفة الوزن ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. [٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيّئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ بتصْيِيرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يَجْحَدون. [١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء أسباباً تعيشون بها، جَمْع معيشة ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك. [١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي صوّرناه وأنتم في ظَهْره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سُجودَ تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

---

(١) صوابه بتخفيفها. انظر: الحاشية رقم (٢) ص ١٤٩.

(٢) انظره في الحلية (٦/ ١٧٤) ومسند الفردوس (٨٧٦٢) والبدور السافرة (٢٣٠) وأهوال يوم القيامة؛ لابن كثير (١٣٢) بتحقيق: يوسف بديوي.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾ ن ﴿لا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾. [١٣] ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السموات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الذليلين. [١٤] ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس. [١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨١] أي وقت النفخة الأولى. [١٦] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي على الطريق الموصل إليك. [١٧] ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ مؤمنين. [١٨] ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ ـ بالهمزة ـ معيباً أو ممقوتاً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مُبْعداً عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس، واللام للابتداء، أو موطئة للقسم وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي منك بذريّتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «مَنْ» الشرطية أي: مَنْ تبعَكَ أُعذبه. [١٩] ﴿وَ﴾ قال ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ فُوعِلَ من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وقُرِىء بكسر اللام[1] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى [طه، الآية: ١٢٠] ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾. [٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في ذلك. [٢٢] ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قُبلُهُ وقُبُلَ الآخر، ودُبُرُهُ، وسمي كل منها سوأة، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّن العداوة، والاستفهام للتقرير.

وعن الزبير : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يومَ أُحُدٍ حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم ، فما منَّا أحد إلا وذَقْنُهُ ـ أو قال ذقنه ـ في صدره ، فوالله إني لأسمعُ

---

(١) قراءة شاذة.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَٰتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟
فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا۟ الشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ بمعصيتنا ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴾ . [٢٤] ﴿ قَالَ اهْبِطُوا۟ ﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه مِنْ ذرّيتكما ﴿ بَعْضُكُمْ ﴾ بعض الذرية ﴿ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ مِنْ ظُلمِ بعضِهم بعضاً ﴿ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي مكان استقرار ﴿ وَمَتَٰعٌ ﴾ تمتّع ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ تنقضي فيه آجالكم. [٢٥] ﴿ قَالَ فِيهَا ﴾ أي الأرض ﴿ تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول. [٢٦] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ أي خلقناه لكم ﴿ يُوَٰرِى ﴾ يستر ﴿ سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ وهو ما يُتجمَّل به من الثياب ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب عطف على (لباساً) والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ ﴾ دلائل قدرته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب. [٢٧] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ﴾ يضلّنكم ﴿ الشَّيْطَٰنُ ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم ﴾ بفتنته ﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ ﴾ حال ﴿ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ ﴾ أي الشيطان ﴿ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ جنوده ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ ﴾ للَطافةِ أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ أعواناً وقرناء ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . [٢٨] ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنهوا عنها ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ ﴾ أيضاً ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه قاله، استفهام إنكار. [٢٩] ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ ۖ ﴾ بالعدل ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ﴾ معطوف على معنى بالقسط أي قال: أقسطوا وأقيموا، أو قبله: فاقبلوا مقدراً ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾ لله ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿ وَادْعُوهُ ﴾ اعبدوه ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ ﴾ من الشرك ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ تَعُودُونَ ﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة. [٣٠] ﴿ فَرِيقًا ﴾ منكم ﴿ هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا۟ الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ .

كالحُلم قول مُعتِّب بن قُشير: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ فحفظتها فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ إلى قوله: ﴿ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾، لقول مُعتِّب بن قُشير قال: ﴿ لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ حتى بلغ: ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [رواه ابن راهويه كما في المطالب العالية] .

(١٦١) قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ .

عن ابن عباس قال: بعث نبي الله ﷺ جيشاً فرُدّت رايتُهُ، ثم بَعَثَ فردّت بغُلُول رأس غزال من ذهب فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ . [رواه الطبراني] .

وعن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ وكيف لا يكون له أن يُغَلَّ وله أن يُقْتَل؟ قال الله: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ ﴾ ولكن المنافقين اتهموا النبي ﷺ في شيء، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [رواه الطبراني] .

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ١٦

[٣١] ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ ﴾ ما يستر عورتكم ﴿ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ ما شئتم ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ . [٣٢] ﴿ قُلۡ ﴾ إنكاراً عليهم ﴿ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ من اللباس ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ المستلذات ﴿ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿ خَالِصَةٗ ﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ نبيّنها مثل ذلك التفصيل ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ يتدبّرون فإنهم المنتفعون بها. [٣٣] ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ الكبائر كالزنى ﴿ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي جَهْرَها وسرَّها ﴿ وَٱلۡإِثۡمَ ﴾ المعصية ﴿ وَٱلۡبَغۡيَ ﴾ على الناس ﴿ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ وهو الظلم ﴿ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ ﴾ بإشراكه ﴿ سُلۡطَٰنٗا ﴾ حُجّة ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ من تحريم ما لم يحرّم وغيره. [٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ ﴾ مدة ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ ﴾ عنه ﴿ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ عليه . [٣٥] ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا ﴾ فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿ يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ الشرك ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ في الآخرة. [٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ تكبروا ﴿ عَنۡهَآ ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . [٣٧] ﴿ فَمَنۡ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾ القرآن ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ ﴾ يصيبهم ﴿ نَصِيبُهُم ﴾ حظهم ﴿ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ ﴾ مما كُتِبَ لهم في اللوح المحفوظ ، مِنَ الرِّزْق والأجل وغير ذلك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا ﴾ أي الملائكة ﴿ يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ ﴾ لهم تبكيتاً ﴿ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ ﴾ غابوا ﴿ عَنَّا ﴾ فلم نرهم ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ عند الموت ﴿ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ .

---

(١٦٥) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال : نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمئة ونيِّفٌ ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهم أين ما وعدتني ، اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إنك إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً » قال : فما زال يستغيثُ ربه عزَّ وجلَّ ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فردَّاه ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدَتَك ربَّك فإنه سينجزُ لك ما وعدك وأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ ، فلما كان يومئذ والتقوا فهَزَمَ الله عزَّ وجلَّ المشركين ، فقُتِلَ منهم سَبعُون رَجُلاً وأُسِرَ منهم سبعون رجلاً ، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر رضي الله عنهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكونِ ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عَضُداً ، فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب » قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان ـ قريباً لعُمر ـ فأضربَ عنقه ، وتُمكِّنَ علياً رضي الله عنه

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق بادخُلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ أي لأجلائهم وهم المَتْبُوعونَ ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضعَّفاً ﴿مِّنَ النَّارِ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عَذابٌ مُضعَّف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء ما لكل فريق. [٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾. [٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبّروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سِجِّين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر. [٤١] ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فِراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ وقوله ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها من العمل، اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. [٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقْدٍ كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن﴾ مُخفَّفة أي أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

من عقيل فيضرب عُنُقَه، وتُمكِّنَ حمزة من فلان أخيه فيضربَ عُنُقَه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء، صَناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه، ولم يَهوَ ما قلت فأخذ منهم الفداء، فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه: غدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدتُ بكاء بكيت، وإنْ لم أجد تباكيت لبكائكما؟ قال: فقال النبي ﷺ: «الذي عَرض عليَّ أصحابك من الفداء لقد عَرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة، وأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ثم أحل الله لهم الغَنائم، فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون وفر أصحابُ النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُه، وهُشِمَت البيضةُ على رأسه وسال الدم على وجهه وأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ بأخذكم الفداء. [رواه أحمد].

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالًا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ تقريراً أو تبْكِيتاً ﴿ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ من الثواب ﴿ حَقًّا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ ﴾ كم ﴿ رَبُّكُمۡ ﴾ من العذاب ﴿ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ ﴾ نادى منادٍ ﴿ بَيۡنَهُمۡ ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. [٤٥] ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه ﴿ وَيَبۡغُونَهَا ﴾ أي يطلبون السبيل ﴿ عِوَجًا ﴾ معوجة ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾. [٤٦] ﴿ وَبَيۡنَهُمَا ﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿ حِجَابٌ ﴾ حاجزٌ، قيل: هو سُور الأعراف ﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾ وهو سُور الجنة ﴿ رِجَالٌ ﴾ اسْتَوَتْ حسناتهم وسيئاتهم، كما في الحديث[1] ﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿ بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم، إذْ موضعهم عال ﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ قال تعالى: ﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا ﴾ أي أصحابُ الأعراف الجنة ﴿ وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ في دخولها قال الحسن: لم يُطْمِعْهُم إلا لِكرامةٍ يُريدها بهم. وروى الحاكم[2] عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربُّك فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم». [٤٧] ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿ تِلۡقَآءَ ﴾ جهة ﴿ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا ﴾ في النار ﴿ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. [٤٨] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالًا ﴾ من أصحاب النار ﴿ يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ ﴾ من النار ﴿ جَمۡعُكُمۡ ﴾ المال أو كثرتكم ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ أي واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين: [٤٩] ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ قد قيل لهم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ وقرىء: «أُدْخِلوا»[3] بالبناء للمفعول، و«دخلوا» فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك. [٥٠] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ من الطعام ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا ﴾ منعهما ﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. [٥١] ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾ نتركهم في النار ﴿ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾ بتركهم العمل له ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ أي: وكما جَحَدوا.

نصف الحزب ١٦

(١٦٩ إلى ١٧١) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾.

(١) رواه الطبري (٨/ ١٩٠).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٣٢٠).

(٣) قراءة شاذة.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ القرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فُصِّل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به. [٥٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحِّد الله ونترك الشرك، فيقال لهم: لا، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى الشريك. [٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي في قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شَمْسٌ ولو شاء خلقهُنّ في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبُّت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواءً يليق به ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ ـ مخففاً ومشدّداً ـ أي يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفاً على السموات والرفع مبتدأ خبره: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ مذلّلات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته[1] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالكُ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٥٥] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرّاً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدُّق ورفع الصوت. [٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير (قريب) المخبر به عن (رحمة) لإضافتها إلى الله. [٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرقة قدام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون: أي مُبَشِّراً، ومُفْرَد الأولى: نَشُور، كرسول، والأخيرة بَشير. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحد جعَلَ الله عزَّ وجلَّ أرواحهم في أجواف طير خُضر ترِدُ أنهار الجنة تأكُلُ من ثمارها، وتهوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيِّبَ شربهم ومأكلهم وحسن مُنقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنَعَ الله لنا لئلا يزهدُوا في الجهاد ولا ينكلُوا عن الحرب فقال الله عزَّ وجلَّ: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عزَّ وجلَّ هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [رواه أحمد وصححه

(١) هذا صَرْفٌ للفظ عن ظاهره، وتعطيل لصفة الأمر، والصواب أن يقال: إنّ المراد من الأمر كلام الله، وحكمه، وهو غير القدرة.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ العذب التراب ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ ﴾ حسناً ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ ﴾ ترابه ﴿ لَا يَخْرُجُ ﴾ نباته ﴿ إِلَّا نَكِدًا ﴾ عسراً بمشقة، وهذا مَثَلٌ للكافر ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما بينا ما ذُكِر ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ نبيِّن ﴿ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ الله فيؤمنون. [٥٩] ﴿ لَقَدْ ﴾ جواب قسم محذوف ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ بالجرّ صفةً لإله والرفع بدل من محله(1) ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إن عبدتم غيره ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة. [٦٠] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾ الأشراف ﴿ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ بيِّن. [٦١] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه ﴿ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. [٦٢] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ ﴾ أريد الخير ﴿ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [٦٣] ﴿أَ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ لسان ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ وَلِتَتَّقُوا۟ ﴾ الله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ بها. [٦٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ من الغرق ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ السفينة ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالطوفان ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ عن الحق. [٦٥] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحِّدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ تخافونه فتؤمنون. [٦٦] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ جهالة ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ في رسالتك. [٦٧] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

الحاكم وأقره الذهبي].

وعن جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: « يا جابر مالي أراك منكسراً ؟ » قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً ؟ قال: « ألا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ » قال: بلى يا رسول الله، قال: « ما كلّم الله أحداً قط إلا من وراء حجابه وأحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال: تمنَّ عليّ أعطك ؟ قال: يا رب تُحييني فأُقتل فيك ثانية ؟ قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ الآية . . . [رواه الترمذي وابن ماجه].

وعن أنس بن مالك في أصحاب النبي ﷺ الذين أرسلهم نبي الله ﷺ إلى أهل بئر مَعُونَة قال: لا أدري أربعين أو سبعين قال: وعلى ذلك الماء عامر بن الطُّفيل الجعفري فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي ﷺ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيّكم يُبلِّغُ رسالة رسول الله ﷺ إلى أهل هذا الماء ؟ فقال:

(1) فإنَّ محلَّه الرفع على زيادة «مِنْ»، و «إله»: مبتدأ، و «لكم» خبر.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

[٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة. [٦٩] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قوة وطُولاً، وكان طويلهم مئة ذراع وقصيرهم ستين[1] ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. [٧٠] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك. [٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ذلكم بتكذيبكم لي، فأُرسلت عليهم الريحُ العقيم. [٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على كذبوا. [٧٣] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ حال عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أنْ يُخرجها لهم من صخرةٍ عيَّنُوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعُقْرٍ أو ضربٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أراه أبو ملحان الأنصاري: أنا أبلِّغُ رسالة رسول الله ﷺ، فخرج حتى أتى حياً منهم، فاحتبى أمام البيوتِ ثم قال: يا أهل بئر مَعُونة إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كِسْر البيت برمح فضربَ به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال: الله أكبر فزت وربِّ الكعبةِ فاتبعوا أثره حتى أتـوا أصحابه فقتلهم أجمعين عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ قال: قال إسحاق: حدّثني أنس بن مالك أنّ الله تعالى أنزل فيهم قرآناً رفع بعدما قرأناه زماناً وأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [رواه الطبري في التاريخ].

قال العلامة الشوكاني في تفسيره: وعلى كل حال فالآية باعتبار عمومها تعم كل شهيد.

(١٧٢ إلى ١٧٤) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

---

(١) في هذا التفسير مخالفة للحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «خلق اللهُ آدم وطوله ستون ذراعاً... فلم يزلِ الخلقُ ينقص حتى الآن».

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ في الأرض ﴿ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴾ أسكنكم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ تسكنونها في الصَّيْف ﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾. [٧٥] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ تكبّروا عن الإيمان به ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي من قومه، بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ إليكم ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ نعم ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾. [٧٦] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾. [٧٧] وكانت الناقةُ لها يَوْمٌ في الماء، ولَهُم يَوْمٌ، فَمَلّوا ذلك ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ عقرها قُدار بأمرهم، بأَنْ قتلها بالسيف ﴿ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾. [٧٨] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميّتين. [٧٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض صالح ﴿ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾. [٨٠] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ لُوطًا ﴾ ويبدل منه ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ أي أدبار الرجال ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجنّ.

[٨١] ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ـ وفي قراءةٍ ﴿ إنكم ﴾ ﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

عن عكرمة قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الرَّوْحَاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعبَ أردفتم، شرٌّ ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندَبَ الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأسد أو بئر أبي عُيَيْنَةَ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: مَوعِدُك موسم بدر حيث قتلتم أصحابَنا، فأمَّا الجبانُ فرجَعَ وأمَّا الشجاعُ فأخذ أهبةَ القتال والتجارة، فأتوه فلم يجدوا به أحداً، وتسوقوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾. [رواه الطبراني والنسائي].

(١٨٦) قوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ـ وكان أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم ـ وكان كعب بن الأشرف يهجُو النبي ﷺ ويُحَرِّضُ عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلُها أخْلاط منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النَّبيَّ ﷺ وأصحابه، فأمر الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ بالصبر والعفو ففيهم أنزل الله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الآية.

فلما أبى كعب بن الأشرف أنْ يَنزِعَ عن أذى النبي ﷺ أمَرَ النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رَهْطاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة وذكر قصة قتله فلما قتلوه فزعت يهودُ

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال. [٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. [٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. [٨٥] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُواْ﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ﴾ ببعث الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه. [٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوّفون الناس بأخذ ثيابهم، أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعّدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًاۚ﴾ معوجة ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيب رسلهم، أي آخر أمرهم من الهلاك. [٨٧] ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ به ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ وبينكم بإنجاء المُحِقّ وإهْلاكِ المُبْطِل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أَعْدَلُهم.

والمشركون ، فغدوا على النبي ﷺ فقالوا : طرق صاحبنا فقتل ، فذكَرَ لهمُ النبي ﷺ الذي كان يقول ، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يَكْتُبَ بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة... الحديث . [رواه ابو داود] .

(١٨٨) قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾ .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالاً من المنافقين على عهد الرسول ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تَخَلَّفُوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، وإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذرُوا إليه وأحبوا أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوا فنزلت : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾ [رواه البخاري ومسلم] .

وعن ابن أبي مُلَيْكَةَ أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لِبَوَّابِهِ : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : لئن كان كل امرىء فَرِحَ بما أوتي وأَحَبَّ أن يُحمَدَ بما لم يَفْعَل معذباً لنعذبنَّ أجمعون فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه الآية إنما دعا النبي ﷺ يهوداً وسألهم عن شيء فكَتَمُوه إياه ، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم . ثم قرأ ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ كذلك حتى قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾ [رواه البخاري ومسلم] .

قال الحافظ في الفتح : وعمومها يَشملُ كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب، وأحب أن يَحمَدَهُ الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه . هذا ومما يؤيد في الترجيح أنَّ

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

الجزء ٩ الحزب ١٧

[٨٨] ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ عن الإيمان ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ ترجعن ﴿ فِى مِلَّتِنَا ﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب: ﴿ قَالَ أَ ﴾ نعود فيها ﴿ وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ لها؟ استفهام إنكار. [٨٩] ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ ﴾ ينبغي ﴿ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ ذلك فيخذلنا ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ ﴾ احكم ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ الحاكمين. [٩٠] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ لَئِنِ ﴾ لام قسم ﴿ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾. [٩١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميّتين. [٩٢] ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا ﴾ مبتدأ خبره ﴿ كَأَن ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿ لَّمْ يَغْنَوْا۟ ﴾ يقيموا ﴿ فِيهَا ﴾ في ديارهم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق. [٩٣] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض ﴿ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ فلم تؤمنوا ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أحزن ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾؟ استفهامٌ بمعنى النفي. [٩٤] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ ﴾ فكذبوه ﴿ إِلَّآ أَخَذْنَآ ﴾ عاقبنا ﴿ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ شدة الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرض ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ يتذللون فيؤمنون. [٩٥] ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا ﴾ أعطيناهم ﴿ مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾ العذاب ﴿ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ الغنى والصحة ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا۟ ﴾ كثروا ﴿ وَّقَالُوا۟ ﴾ كفراً للنعمة ﴿ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم ﴾ بالعذاب ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بوقت مجيئه قبله.

الحافظ رحمه الله قال في الفتح في أبي رافع الرسول إلى ابن عباس الذي يدور عليه الحديث : لم أر له ذكراً في كتب الرواة إلا بما أتى في الحديث والذي يظهر من سياق الحديث أنه توجه إلى مروان فبلغه الرسالة ورجع مروان بالجواب ، فلولا أنه معتمد عند مروان ما قنع برسالته إلى آخر ما قال رحمه الله . وعلى هذا فأبو رافع مجهول .

(١٩٩) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

عن أنس أن النبي ﷺ صلّى على النجاشي حين نُعِي فقيل : يا رسول الله تصلي على عبدٍ حبشي ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ . . . ﴾ الآية [رواه البزار والطبراني] .

وعن أنس قال : لما جاء نَعْيُ النجاشي قال رسول الله ﷺ : « صلُّوا عليه » قالوا : يا رسول الله نصلِّي على عَبدٍ حبشي ؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ ﴾ [رواه النسائي] .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. [٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ غافلون عنه. [٩٨] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. [٩٩] ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. [١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبيَّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ فاعل[1] مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا مَنْ قبلهم. والهمزةُ في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدبُّر. [١٠١] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مرَّ ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعَهْدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾. [١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم. [١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك فكذبه، فقال: أنا.

سورة النساء

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانتْ له يَتيمةٌ فنكحها وكان له عِذْقٌ، وكان يُمسكُها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العِذق وفي ماله. [رواه البخاري ومسلم].

---

(١) أي المصدر المأخوذ من «أن» المخففة ومن جواب «لو» هو الفاعل لـ: «يهد»، والتقدير: أو لم يتبين إصابتنا لهم بالعذاب لو شئنا الإصابة.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

[١٠٥] ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء، فـ (حقيق) مبتدأ خبره (أن) وما بعده ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وكان استعبدهم. [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها. [١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حيّة عظيمة. [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدمة. [١٠٩] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر. وفي الشعراء[1] أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور. [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. [١١١] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعين. [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سحّار﴾ ﴿عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا. [١١٣] ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ﴾ وفي قراءة: ﴿أإن﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾. [١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. [١١٥] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ما معنا.

ربع الحزب ١٧

[١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوّفوهم حيث خيّلوها بحيّاتٍ تسعى ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾. [١١٧] ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل، تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبون بتمويههم. [١١٨] ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر. [١١٩] ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ صاروا ذليلين. [١٢٠] ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

---

(٦) قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً فإنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. [رواه البخاري ومسلم].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ الآية: ٣٤.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

[١٢١] ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

[١٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً[1] ﴿ بِهِۦ ﴾ بموسى ﴿ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ ﴾ أنا ﴿ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الذي صنعتموه ﴿ لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينالكم مني.

[١٢٤] ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي يَدَ كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

[١٢٥] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا ﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿ مُنقَلِبُونَ ﴾ راجعون في الآخرة.

[١٢٦] ﴿ وَمَا تَنقِمُ ﴾ تنكر ﴿ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ عند فعل ما توَعّدنا به لئلا نرجع كفّاراً ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾.

[١٢٧] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ له ﴿ أَتَذَرُ ﴾ تترك ﴿ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها، وقال أنا ربُّكم وربها، ولذا قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات، الآية: ٢٤] ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ المولودين ﴿ وَنَسْتَحْىِۦ ﴾ نستبقي ﴿ نِسَآءَهُمْ ﴾ كفِعْلنا بهم من قبل ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.

[١٢٨] ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا ﴾ يعطيها ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الله.

[١٢٩] ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فيها.

[١٣٠] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ بالقحط ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتعظون فيؤمنون.

(١١ ـ ١٢) قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ .

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين ، فوجدني النبي ﷺ لا أعقلُ ، فدعا بماء فتوضأ منه ، ثم رش عليَّ فأفقت . فقلت : ما تأمُرني أن أصنع في مالي يا رسول الله ، فنَزَلَتْ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن جابر بن عبد الله قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتِلَ أبوهما معك يوم أُحُدٍ شهيداً وإن عمَّهُمَا أخذ مالهما فلم يَدَعْ لهما مالاً ولا تُنكَحَانِ إلا ولَهُمَا مال قال : « يَقْضِي الله في ذلك » فنزلت آية الميراث ، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمِّهما فقال : « أعطِ ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثُّمُنَ وما بقي فهو لك » . [رواه الترمذي وقال : حسن صحيح] .

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٣/ ٩٥): صوابه: الثالثة التي هي فاء الفعل؛ لأن أصله: «آمن» بهمزتين ثانيتهما مبدلة ألفاً دخلت عليه همزة الاستفهام.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصب والغنى ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي نَسْتحقُّها ولم يشكروا عليها ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جدب وبلاء ﴿ يَطَّيَّرُواْ ﴾ يتشاءموا ﴿ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ شؤمهم ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يأتيهم به ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ ما يصيبهم من عنده. [١٣٢] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ لموسى ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فدعا عليهم. [١٣٣] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حُلقومِ الجالسين سبعة أيام ﴿ وَٱلْجَرَادَ ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم، كذلك ﴿ وَٱلْقُمَّلَ ﴾ السوس أو نوع من القُراد، فَتَتَبَّعُ ما تركه الجراد ﴿ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ في مياههم ﴿ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ مبينات ﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾. [١٣٤] ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ العذاب ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ مِنْ كَشْفِ العذاب عنَّا إن آمنا ﴿ لَئِن ﴾ لام قسم ﴿ كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾. [١٣٥] ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا ﴾ بدعاء موسى ﴿ عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ ينقضون عهدهم ويُصرُّون على كفرهم. [١٣٦] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ البحر المالح ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ لا يتدبرونها. [١٣٧] ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بالاستعباد، وهم بنو إسرائيل ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض وهي الشام ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلخ [القصص: ٥] ﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ على أذى عدوهم ﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ من العمارة ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ بكسر الراء وضمها، يرفعون من البنيان.

وعن جابر رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتِلَ أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يَدَعْ لهما مالاً، فقال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آيةُ المواريث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك». [صححه الحاكم وأقرَّه الذهبي].

قال الحافظ في الفتح: ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين وآخرها وهي قوله: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ في قصة جابر ويكون مراد جابر فنزلت: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية، والله أعلم. اهـ.

(١٩) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾.

عن ابن عباس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته إن

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. [١٣٩] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. [١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ معبوداً، وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله: [١٤١] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ وفي قراءة أنجاكم ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلِّفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدّه وهو: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتّعظون فتَنْتَهُوا عما قلتم.

نصف الحزب ١٧

[١٤٢] ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكلِّمه عند انتهائها بأن يصومها، وهي ذو القعدة، فصامها، فلما تمّت أنْكَرَ خُلُوفَ فَمِهِ، فاستاك، فأمره الله بعشرة أخرى ليُكلِّمه بخُلُوفِ فَمِهِ كما قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ٱخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي. [١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون لن أُرى يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي أظهر من نوره قَدْرَ نِصْفِ أُنْمُلَةِ الخِنْصَر، كما في حديث صححه الحاكم[1] ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ بالقصر والمد، أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٢٠).

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لأنعمي. [١٤٥] ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة، وكانت من سدر الجنة أو زَبَرْجَد أو زُمُرُّد سبعة أو عشرة[1] ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذۡهَا﴾ قبله قلنا مقدراً ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه، وهي مصر لتعتبروا بهم. [١٤٦] ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ يسلكوه ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ تقدم مثله. [١٤٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتۡ﴾ بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلَّة عرس فبقي عندهم ﴿عِجۡلٗا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدٗا﴾ بدل لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي صوت يُسْمَع، انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه، فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه، ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلهاً ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ فكيف يُتَّخذ إلهاً؟ ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ باتخاذه. [١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوۡاْ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، وهم أحقُّ بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك. [رواه البخاري وغيره].

وعن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوباً كان أحَقَّ بها فنزلت. [تفسير ابن كثير]. اهـ.

---

(١) هذه رواية إسرائيلية. انظرها في تفسير الرازي (١٤/ ٢٣٧).

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ بِئْسَمَا﴾ أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنۢ بَعْدِيٓۖ﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد أمي، وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفرح ﴿بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أَشْرَكَهُ في الدعاء إرضاءً له ودفعاً للشماتة به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ قال تعالى: [١٥٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ﴾ رجعوا عنها ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَۖ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ فيها، أي كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول لتقدمه. [١٥٥] ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل، فخرج بهم ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يُزايِلُوا قَوْمَهُم حين عَبَدُوا العِجْلَ، قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأَخَذَتْهُم الصاعقةُ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل خروجي بهم ليُعاينَ بنو إسرائيل ذلك ولا يتّهموني ﴿وَإِيَّٰيَۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ استفهام استعطاف، أي لا تُعذّبْنا بذنْب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الفتنة التي وقع فيها السفهاءُ ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضْلالَهُ ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

وعن أبي أُمامة قال: لما تُوُفِّيَ أبو قيس بن الأسلَتِ أراد ابنه أن يتزوجَ امرأتَهُ، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فنزلت [تفسير الطبري].

(٢٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾.

عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يُحَرِّمُون ما يَحرُمُ إلا امرأةَ الأب والجمعَ بين الأختين قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾. [تفسير الطبري].

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

[١٥٦] ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ ﴾ أوجب ﴿ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ حسنة ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ ﴾ تبنا ﴿ إِلَيۡكَۚ قَالَ ﴾ تعالى: ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ ﴾ تعذيبه ﴿ وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ ﴾ عمّت ﴿ كُلَّ شَىۡءٖۚ ﴾ في الدنيا ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا ﴾ في الآخرة ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾. [١٥٧] ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ﴾ محمداً ﷺ ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ باسمه وصفته ﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ مما حُرم في شرعهم ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ من الميتة ونحوها ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ ﴾ ثقلهم ﴿ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ﴾ الشدائد ﴿ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ كقتل النفس من التوبة وقطع أثر النجاسة. ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ ﴾ منهم ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ وقَّروه ﴿ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ أي القرآن ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾. [١٥٨] ﴿ قُلۡ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ القرآن ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ ترشدون. [١٥٩] ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ ﴾ جماعة ﴿ يَهۡدُونَ ﴾ الناس ﴿ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ في الحكم.

---

(٢٤) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ يومَ حُنين بعث جيشاً إلى أوطاسَ فلقُوا عدواً فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناساً من أصحاب الرسول ﷺ تحرجوا من غِشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾ أي: فهن لكم حلالٌ إذا انقضت عِدتُهن. [رواه مسلم وغيره].

(٥١ ـ ٥٢) قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾.

عن ابن عباس قال: لما قدم كعبُ بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيِّدُهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا نحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، قال: أنتم خير منه، قال: فأنزلت: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾.

وأنزلت: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾. [رواه ابن حبان وابن كثير في تفسيره].

(٥٩) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حُذافَة بن قَيس إذ بعثه النبي ﷺ في سَرِيَة. [رواه البخاري وغيره].

بيان الحديث الأول

عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سَرِيةً واستعمل عليها رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يُطيعُوه. فَغَضِبَ فقال: أليس أمَرَكُم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا:

وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

[١٦٠] ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ﴾ فرّقنا بني إسرائيل ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾ حال ﴿أَسۡبَاطًا﴾ بدل منه، أي قبائل ﴿أُمَمٗاۚ﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ﴾ في التيه ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾ فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾ انفجرت ﴿مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ﴾ سبط منهم ﴿مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ﴾ في التِّيهِ مِنْ حَرّ الشمس ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾ هما التَّرَنْجُبين والطير: السُّمَانَى، بتخفيف الميم والقصر، وقلنا لهم ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾. [١٦١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدٗا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغۡفِرۡ﴾ بالنون والتاء مبنياً للمفعول ﴿لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً. [١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ فقالوا: حبّة في شعرة، ودخلوا يزحفون على أستاهِهِمْ ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾. [١٦٣] ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾ مجاورة بحر القلزم، وهي أَيْلَة ما وقع بأهلها ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ﴾ يَعْتَدُونَ ﴿فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ بصَيْد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذۡ﴾ ظرف ليعدون ﴿تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ﴾ لا يُعَظِّمونَ السبت على سائر الأيام ﴿لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾ ابتلاءً من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك؛ افترقت القرية أثلاثاً: ثُلُثٌ صادوا معهم، وثُلُثٌ نَهَوْهُم، وثُلُثٌ أَمسَكُوا عن الصيد والنهي.

بلى . قال : فاجمعُوا لي حَطَباً ، فجمعوا له فقال : أوقدوا ناراً فأوقَدُوها فَقَال : ادخلُوها فهمُّوا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون : فررنا إلى النبي ﷺ من النار فما زالوا حتى خَمَدت فسكن غضبه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة الطاعة في المعروف » . [رواه البخاري] .

(٦٠) قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ .

عن ابن عباس قال : كان أبو بَرزَةَ الأسلميُّ كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه ناسٌ من المشركين ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴾ . [تفسير ابن كثير] .

(٦٥) قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ .

عن عروة قال : خاصم الزبيرُ رجلاً من الأنصار في شَريج من الحَرَّةِ فقال النبي ﷺ : « اسْقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك » ، فقال الأنصاري : يا رسول الله إنْ كان ابن عمتك فتلوَّنَ وجهه ثم قال : « اسقِ يا زبيرُ ثم احبسِ الماءَ حتى يرجِعَ إلى الجُدُرِ ثم أرسل الماء إلى جارك » . واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم ، حين

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على (إذ) قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لَمْ تَصِدْ ولَمْ تَنْهَ لِمَنْ نَهى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟﴾ موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا نُنْسَب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيد. [١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا ﴿بِهِۦٓ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾. [١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ صاغرين فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فُعِل بالفرقة الساكتة. وقال عكرمة: لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لم تعظون...﴾ إلخ، وروى الحاكم[1] عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه. [١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان، وبعده بختنصر، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدونها إلى المجوس، إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ فرّقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ﴾ بالنِّعَم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النِّقَم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم. [١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي حُطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال، أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مُصرّون عليه، وليس في التوراة وَعْدُ المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟﴾ عطف على (يؤخذ) قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلِمَ كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ - بالياء والتاء - أنها خير فيؤثرونها على الدنيا. [١٧٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر الذين، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجرهم.

أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير :

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٥٢).

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

الحزب ١٨

[١٧١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أَبَوْها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [١٧٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صُلْب بعض، من صُلْب آدم، نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذّر بنعمان[1] يوم عرفة، ونَصَبَ لهم دَلائِلَ على رُبُوبيّتِه، ورَكَّب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك والإشهاد لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ ـ بالياء والتاء ـ في الموضعين، أي الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَافِلِينَ﴾ لا نعرفه. [١٧٣] ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس. [١٧٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبيّنها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

[١٧٥] ﴿وَاتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها، وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، سُئل أن يدعو على موسى وأُهدي إليه شيء، فَدعا، فانقَلَبَ عليه، واندَلَعَ لِسانُهُ على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. [١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك، وجملتا الشرط حال، أي لاهثاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخسة، بقرينة الفاء المُشْعِرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها، من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبّرون فيها فيؤمنون. [١٧٧] ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ

---

(١) مكان بجنب عرفة.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ بالتكذيب. [١٧٨] ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾. [١٧٩] ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ خلقنا ﴿ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الحق ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿ وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ ﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ ﴾ من الأنعام؛ لأنها تَطْلبُ مَنَافِعَهَا وتَهْربُ مِنْ مَضارِّهَا، وهؤلاء يُقْدِمُونَ على النار مُعانَدةً ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾. [١٨٠] ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث[1]، و (الحُسْنى) مؤنث الأحسن ﴿ فَادْعُوهُ ﴾ سمُّوه ﴿ بِهَا ۖ وَذَرُوا ﴾ اتركوا ﴿ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ من أَلْحَدَ ولَحَدَ، يميلون عن الحق ﴿ فِي أَسْمَائِهِ ۚ ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم: كـ(اللَّات) من (الله)، و (العُزَّى) من (العزيز)، و(مناة) من (المنان) ﴿ سَيُجْزَوْنَ ﴾ في الآخرة جزاء ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال. [١٨١] ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في حديث[2].

[١٨٢] ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ القرآن من أهل مكة ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. [١٨٣] ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ ﴾ أمهلهم ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ شديد لا يُطاق. [١٨٤] ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ فيعلموا ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ محمد ﷺ ﴿ مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾ جنون ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ بيِّن الإنذار. [١٨٥] ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ﴾ مُلك ﴿ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ ﴾ في ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ بيان لـ (ما)، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿ وَ ﴾ في ﴿ أَنْ ﴾ أي أنه ﴿ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ ﴾ قرب ﴿ أَجَلُهُمْ ۖ ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار، فيبادروا إلى الإيمان ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ أي القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾.

[١٨٦] ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ ﴾ ـ بالياء والنون ـ مع الرفع استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يترَدَّدون تحيُّراً. [١٨٧] ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ أي أهل مكة ﴿ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ القيامة ﴿ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا ﴾ متى تكون ﴿ عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا ﴾ يظهرها ﴿ لِوَقْتِهَا ﴾ اللام بمعنى في ﴿ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ ﴾ عظمت ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ﴾ على أهلها لِهَوْلها ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ﴾ فجأة ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ﴾ مبالغ في السؤال ﴿ عَنْهَا ۖ ﴾ حتى علمتها ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ تأكيد ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن علمها عند الله تعالى.

---

(١) التسعة والتسعون من أسماء الله الحسنى؛ لأن أسماء الله غير محصورة بعدد.

(٢) الدر المنثور (٣/٦١٧).

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

[١٨٨] ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ ما غاب عني ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٞ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

ربع الحزب ١٨

[١٨٩] ﴿۞ هُوَ﴾ أي الله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحٗا﴾ سوياً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك عليه. [١٩٠] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكاً ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بتسميته عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم. وروى سَمُرَة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سَمِّيهِ عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمّته فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» رواه الحاكمُ وقال: صحيح، والترمذيُّ وقال: حسن غريب[1] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي أهل مكة به من الأصنام، والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض. [١٩١] ﴿أَيُشۡرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾. [١٩٢] ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. [١٩٣] ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ إليه ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم. [١٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أنها آلهة. ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال: [١٩٥] ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾ بل أ ﴿لَهُمۡ أَيۡدٖ﴾ جمع يد ﴿يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾ بل أ ﴿لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾ بل أ ﴿لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ استفهام إنكاري، أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ تُمهِلُونِ، فإني لا أبالي بكم.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٥٤٥) والترمذي (٣٠٧٧).

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

[١٩٦] ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ﴾ متولي أموري ﴿ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ بحفظه. [١٩٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ فكيف أبالي بهم. [١٩٨] ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أي الأصنام ﴿ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ ﴾ أي الأصنام يا محمد ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾. [١٩٩] ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ بالمعروف ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فلا تقابلهم بسفههم. [٢٠٠] ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارفٌ ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ ﴾ للقول ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالفعل. [٢٠١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ ﴾ أصابهم ﴿طيف﴾ وفي قراءة ﴿ طَٰٓئِفٌ ﴾ أي شيء ألمَّ بهم ﴿ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الحق من غيره فيرجعون. [٢٠٢] ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ أي الشياطين ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ ﴾ هم ﴿ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصَّر المتَّقون. [٢٠٣] ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بِـَٔايَةٍ ﴾ مما اقترحوا ﴿ قَالُوا۟ لَوْلَا ﴾ هلاّ ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ أنشأتها مِنْ قِبَلِ نفسك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ بَصَآئِرُ ﴾ حُجج ﴿ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. [٢٠٤] ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ عن الكلام ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة، وعبَّر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً. [٢٠٥] ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ أي سراً ﴿ تَضَرُّعًا ﴾ تذلُّلاً ﴿ وَخِيفَةً ﴾ خوفاً منه ﴿ وَ ﴾ فوق السرّ ﴿ دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي قصداً بينهما ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ عن ذكر الله. [٢٠٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي الملائكة ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يتكبَّرون ﴿ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾ ينزِّهونه عما لا يليق به ﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ أي يَخصُّونه بالخضوع والعبادة، فكونوا مثلهم.

فما أحسَبُ هذه الآية إلا نزلت في ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [رواه البخاري ومسلم] .

(٦٩) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ .

عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنك لأحبُّ إلي من نفسي وإنك لأحبُّ إليّ من أهلي ومالي وأحبُّ إلي من ولدي ، لأكونُ في البيت فأذكُرُك فيما أصبِرُ حتى آتيَك فأنظُر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعتَ مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك. فلم يَرُدَّ عليه

سورة الأنفال (ترتيبها ٨ - آياتها ٧٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

﴿سورة الأنفال﴾

[مدنية إلا من آية ٣٠ إلى ٣٦ فمكيّة وآياتها ٧٥ أو ٧٧ نزلت بعد البقرة].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ١٨

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان: هي لنا لأننا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا ردْءاً لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لَفِئْتُم إلينا فلا تستأثروا بها، فنزل: [١] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولِ﴾ يقسّمها بأمر الله، فقسّمها ﷺ بينهم على السواء، رواه الحاكم في «المستدرك»(١) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودّة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً. [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي وَعِيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون لا بغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله. [٤] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموْصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأخرج ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الخروج، والجملة حال من «كاف» (أخرجك) و (كما) خبر مبتدأ محذوف، أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيراً لهم، فكذلك أيضاً، وذلك أن أبا سفيان قَدِمَ بِعيرٍ من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة لِيَذُبُّوا عنها، وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجع، فأبى وسار إلى بدر، فشاور النبيُّ ﷺ أصحابه وقال: «إن الله وعدني إحدى الطائفتين»، فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لَمْ نستعدَّ له كما قال تعالى: [٦] ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليه عياناً في كراهتهم له. [٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عددها ومددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير. [٨] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿الْبَاطِلَ﴾ الكفر

---

(١) رواه الحاكم (٢/٣٢٦).

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون ذلك. [٩] اذكر ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي ﴾ أي بأني ﴿ مُمِدُّكُم ﴾ معينكم ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أوّلاً، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم خمسة كما في [آل عمران، الآيتان: ١٢٤-١٢٥] وقرىء ﴿بآلُف﴾[1] كأفلس جمع. [١٠] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴾ أي الإمداد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. [١١] اذكر ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً ﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف ﴿ مِّنْهُ ﴾ تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿ وَلِيَرْبِطَ ﴾ يحبس ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ باليقين والصبر ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ أن تسوخ في الرمل. [١٢] ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ الذين أمدَّ بهم المسلمين ﴿ أَنِّي ﴾ أي بأني ﴿ مَعَكُمْ ﴾ بالعوْن والنصر ﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالإعانة والتبشير ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ الخوف ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ أي الرؤوس ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ أي أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفهُ، ورماهم ﷺ بقبضةٍ من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا. [١٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ﴾ خالفوا ﴿ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ له. [١٤] ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ العذاب ﴿ فَذُوقُوهُ ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ في الآخرة ﴿ عَذَابَ النَّارِ ﴾. [١٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا ﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ منهزمين. [١٦] ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم لقائهم ﴿ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا ﴾ منعطفاً ﴿ لِّقِتَالٍ ﴾ بأن يريهم الفرّة مكيدةً وهو يريد الكرّة ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا ﴾ منضماً ﴿ إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿ فَقَدْ بَاءَ ﴾ رجع ﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ المرجع هي، وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف.

النبي ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ الآية. [رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية].

---

(١) قراءة شاذة.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ ببدر بقوتكم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ بنصره إياكم ﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ بالحصى؛ لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً ﴾ عطاء ﴿ حَسَنًا ﴾ هو الغنيمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ الإبلاء حق ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ ﴾ مضعف ﴿ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[١٩] ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ﴾ أيها الكفار إن تطلبوا الفتح، أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة، أي أهلكه ﴿ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ ﴾ عن الكفر والحرب ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ ﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿ نَعُدْ ﴾ لنصره عليكم ﴿ وَلَن تُغْنِىَ ﴾ تدفع ﴿ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ جماعاتكم ﴿ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بكسر (إن) استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام.

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

[٢٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ ﴾ تعرضوا ﴿ عَنْهُ ﴾ بمخالفة أمره ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ القرآن والمواعظ.

[٢١] ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون. [٢٢] ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ﴾ عن سماع الحق ﴿ ٱلْبُكْمُ ﴾ عن النطق به ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ـه.

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿ لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع تفهم ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿ لَتَوَلَّوا۟ ﴾ عنه ﴿ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً. [٢٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ بالطاعة ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم. [٢٥] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً ﴾ إن أصابتكم ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن خالفه.

---

(٧٧) قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

عن ابن عباس: أنَّ عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنَّا كُنَّا في عِزَّة ونحنُ مُشركُونَ فلما آمنا صِرْنا أذلَّةً، فقال: « إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا » فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفُّوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. [رواه النسائي والحاكم وصحَّحه].

(٨٣) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾.

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ قوّاكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه، فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم: [٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. [٢٨] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم صادّةٌ عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوِّتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ونزل في توبته: [٢٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. [٣٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قِتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه، وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم به. [٣١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتّجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدِّث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾. [٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاءً وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه. قال تعالى: [٣٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمَّ، ولم تعذَّب أمة إلا بعد خروج نبيّها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك، وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح، الآية: ٢٥].

عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزَلَ نبي الله ﷺ نساءَه قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتُون بالحصي ويقولون: طلَّقَ رسول الله ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمَرْن بالحجاب، فقال عمر: فقلت: لأعلمَنَّ ذلك اليوم قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذِيَ رسول الله ﷺ، فقالت: ما لي وما لَكَ يا بن الخطاب عليك بعيبتِك قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة أقَد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ: لا يُحِبُّكِ ولولا أنَا لطلَّقكِ رسول الله ﷺ، فبكت أشد البكاء فقلت لها: أين رسول الله ﷺ قالت: هو في خزانته في المَشْرَبة فدخلت فإذا أنا برَباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفَّة المشرَبة مُدْلٍ رجليه على نقير من خشب ـ وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر ـ فناديت: يا رَبَاح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿ وَمَا لَهُمْ أَ ﴾ ن ﴿ لاّ يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين، وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها، وقد عذّبهم الله ببدر وغيره ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أن يطوفوا به ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ كما زعموا ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. [٣٥] ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً ﴾ صفيراً ﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ تصفيقاً أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ ببدر ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾. [٣٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ ﴾ في عاقبة الأمر ﴿ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ منهم ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ في الآخرة ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ يساقون. [٣٧] ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ متعلق بـ (تكون) بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الكافر ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ المؤمن ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿ فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. [٣٨] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿ إِن يَنتَهُوا۟ ﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من أعمالهم ﴿ وَإِن يَعُودُوا۟ ﴾ إلى قتاله ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي سُنَّتُنا فيهم بالإهلاك فكذا نفعل بهم. [٣٩] ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ ﴾ توجد ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ شرك ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ عن الكفر ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيهم به. [٤٠] ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ هو ﴿ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ أي الناصر لكم.

إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رَبَاح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رَبَاح إلى الغرفة ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي فقلت: يا رَبَاح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فَإنِّي أظنُّ أن رسول الله ﷺ ظنَّ أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي فأومأ إلي أن ارقه فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصيرُ قد أثَّرَ في جنبه، فنظرت ببصري في خِزانَةِ رسول الله ﷺ فإذا أنا بِقبضَةٍ من شعير نَحوَ الصَّاع ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة وإذا أفيقٌ مُعلّق قال: فابتدرَت عيناي قال: « ما يبكيك يا بن الخطاب؟ » قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك، فقال: « يا بن الخطاب: ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ » قلت: بلى قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت: يا رسول الله ما يَشُقُّ عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتَهُنَّ فإن اللهَ معَكَ وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقال:

۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

الجزء ١٠ الحزب ١٩

[٤١] ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب. ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكلٍّ خُمسَ الخمس، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَآ﴾ عطف على (بالله) ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم مع قِلّتكم وكثْرتهم. [٤٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من (يوم) ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البُعْدَى منها ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه وهو نصر الإسلام وَمَحْقُ الكفر، فعل ذلك: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي بعد حُجّة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [٤٣] اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ أي نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرتَ به أصحابك فسُرُّوا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب. [٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين أو مئة وهم ألفٌ لِتُقْدِمُوا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لِيُقْدِمُوا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في [آل عمران، الآية: ١٣] ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾. [٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

ما تكلمت وأحمَدُ الله بكلام إلا رجوتُ أن يكونَ اللهُ يُصدِّقُ قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ...﴾ [التحريم: ٥]. وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أطلقتهن؟ قال: «لا» قلت: يا رسول الله، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكُتُون بالحصى يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تُطَلِّقْهُنَّ؟ قال: «نعم إن شئت» فلم أزل أحدثه حتى تحسَّر الغضبُ عن وجهه وحتى كشَّر

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ تجبنوا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ قُوّتُكم ودَوْلَتُكم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والعون. [٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا عِيرَهُم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر، فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[1] ﴿مُحِيطٞ﴾ علماً فيجازيهم به. [٤٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إبليس ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ من كنانة، وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيّد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلۡفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له: أَتخذلُنا على هذه الحال؟: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾ من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ مِنَ الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ أن يُهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾. [٤٩] ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمۡۗ﴾ إذْ خرجوا مع قِلّتِهِمْ يقاتلون الجمع الكثير، تَوَهُّماً أنهم يُنْصرون بسببه، قال تعالى في جوابهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٞ﴾ في صنعه. [٥٠] ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذۡ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَ﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي النار، وجواب لو: لرأيت أمراً عظيماً. [٥١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ عبّر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تُزاوَل بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾ فيعذّبهم بغير ذنب. [٥٢] دأبُ هؤلاء ﴿كَدَأۡبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾ جملة (كفروا) وما بعدها مفسِّرة لما قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

فضحك ، وكان من أحسن الناس ثغراً ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلت فنزلت أتشبّثُ بالجذع ، ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده ، فقلت : يا رسول الله

---

(1) قوله: (بالياء والتاء) سبق قلم من الشارح؛ إذ لم يُعرف من السبعة ولا من العشرة أحدٌ قرأ هنا بالتاء الفوقية، بل كلهم أجمعوا على القراءة بالياء التحتية. [حاشية الجمل ٣/٢٠٨].

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[٥٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كُفراً، كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع، وأمنهم من خوف، وبعث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصَّدِّ عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [٥٤] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾. ونزل في قريظة: [٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ ألا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في غدرهم. [٥٧] ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنّهم ﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرِّق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي الذين من خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتَّعظون بهم. [٥٨] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في العهد بأمارة تلوح لك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال أي مستوياً أنت وهم في العلم بِنَقْضِ العَهْدِ بأَنْ تُعْلِمَهُم به لئلا يتّهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾. ونزل فيمن أفْلَتَ يوم بدر:

ربع الحزب ١٩

[٥٩] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف، أي أنفسهم، وفي أخرى بفتح (إن) على تقدير اللام. [٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: «هي الرمي» رواه مسلم[1] ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حَبْسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تُخوِّفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً. [٦١] ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها: الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف[2]، وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧).

(٢) انظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٩.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدّوا لك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ﴾ كافيك ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. [٦٣] ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ بعد الإحَن ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٞ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته. [٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسبك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. [٦٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ حث ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر، أي ليقاتل العشرون منكم المئتين، والمئةُ الألفَ ويثبتوا لهم، ثم نُسخ لما كثروا بقوله: [٦٦] ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ بضم الضاد وفتحها، عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم، وتثبتوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بعونه. ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر: [٦٧] ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حُطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ وهذا منسوخ بقوله تعالى ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد، الآية: ٤]. [٦٨] ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾. [٦٩] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين ؟ قال : « إن الشهر يكون تسعاً وعشرين » فقمت على باب المسجد ، فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله عزَّ وجلَّ آية التخيير .

(٨٨) قوله تعالى : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ ﴾ .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُدٍ رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين : فرقةٌ تقولُ نقاتلُهم وفرقةٌ تقول لا نقاتلهم فنزلت : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ ﴾ وقال : إنها طيِّبةٌ تنفي الذنوب كما تنفي النار خَبَثَ الحديد . [رواه البخاري ومسلم] .

(٩٤) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ قال : قال ابن عباس : كان رجل في غُنَيۡمَةٍ له فلحقه المسلمون فقال : السلام

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٧٠) وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (٧٢) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ (٧٣) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ (٧٤) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ (٧٥)

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ﴾ الأسارى ﴾ وفي قراءة ﴿ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾ ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿ يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ من الفداء بأن يضعّفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾ ذنوبكم ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾. [٧١] ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ ﴾ أي الأسرى ﴿ خِيَانَتَكَ ﴾ بما أظهروا من القول ﴿ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ ﴾ ببدر قتْلاً وأسْراً، فليتوقّعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه. [٧٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وهم المهاجرون ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ ﴾ النبي ﷺ ﴿ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ وهم الأنصار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ في النصرة والإرث ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿ مِّن شَيۡءٍ ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ لهم على الكفار ﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾. [٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ أي تولي المؤمنين وقطع الكفار ﴿ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام. [٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ في الجنة. [٧٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ ذوو القرابات ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ ومنه حكمة الميراث.

عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنيمَته فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ تلك الغُنَيْمَة. [رواه البخاري ومسلم].

عن القَعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه عبد الله بن أبي حَدْرَد قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى أَضَم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعي ومُحَلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر الأشجعي على قعودٍ له متيع وَوَطب من لبن، فلما مرَّ بنا سلّم عليه فأمسكنا عنه وحمل عليه مُحَلِّم بن جثامَة فقتله بشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [رواه أحمد وابن الجارود].

(٩٥) قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ ﴾.

﴿سورة التوبة﴾

[مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ نزلت بعد المائدة]

سُورَةُ التَّوْبَةِ — ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

نصف الحزب ١٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم(١)، وأخرج في معناه عن عَليّ أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف(٢)، وعن حذيفة: «إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب»(٣) وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت(٤). [١] هذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونَقْضُ العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَسِيحُوا۟﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مذلُّهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار. [٣] ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بريء أيضاً «وقد بعث النبي ﷺ علياً في تلك السنة وهي سنة تسع فأذّن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وألا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» رواه البخاري(٥) ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود. [٥] ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حِلٍّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونَصبَ (كل) على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب. [٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ وهو دار قومه إن لم يُؤْمِن لينظر

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٣٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) رواه البخاري (٤٦٥٤) ومسلم (١٦١٨).
(٥) رواه البخاري (٣٦٩).

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا
ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

في أمره ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا.

[٧] ﴿ كَيْفَ ﴾ أي لا ﴿ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ وهم كافرون بالله ورسوله غادرون ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ على الوفاء به و(ما) شرطية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة. [٨] ﴿ كَيْفَ ﴾ يكون لهم عهد ﴿ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ ﴾ يراعوا ﴿ فِيكُمْ إِلًّا ﴾ قرابة ﴿ وَلَا ذِمَّةً ﴾ عهداً بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بكلامهم الحسن ﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ الوفاء به ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ناقضون للعهد. [٩] ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿ فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ﴾ دينه ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ ﴾ بئس ﴿ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ـه عملهم هذا. [١٠] ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾. [١١] ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ﴾ نبين ﴿ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يتدبرون. [١٢] ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ ﴾ نقضوا ﴿ أَيْمَٰنَهُم ﴾ مواثيقهم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ عابوه ﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ ﴾ عهود ﴿ لَهُمْ ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ عن الكفر. [١٣] ﴿ أَلَا ﴾ للتحضيض ﴿ تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ ﴾ نقضوا ﴿ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ عهودهم ﴿ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ ﴾ بالقتال ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ أتخافونهم ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ في ترك قتالهم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: لمَّا نزلت: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فجاءه بكَتِفٍ فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته، فنزلت: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾. [رواه البخاري وغيره].

وعن سهل بن سعد السَّاعِديِّ أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه ـ ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ـ قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليّ فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفَخِذُهُ على فَخِذي فثقلت علي، حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي ثم سُرِّيَ عنه فأنزل الله عز وجلّ: ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾. [رواه البخاري وغيره].

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

[١٤] ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فُعل بهم هم بنو خزاعة. [١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ﴾ بطانة وأولياء، المعنى: ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. [١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لعدم شرطها[1] ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾. [١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. [١٩] ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ في الفضل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت رداً على من قال ذلك وهو العباس أو غيره. [٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ من غيرهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

وعن الفَلَتَان بن عاصم قال: كنا عند النبي ﷺ فأنزل عليه وكان إذا أنزل عليه دام بصره، وفرغ سمعه وقلبه، مفتوحة عيناه، لِمَا يأتيه من الله فكنا نعرف ذلك فقال للكاتب: اكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: فقام الأعمى فقال: يا رسول الله ما ذنبنا؟ فأنزل الله عليه فقلنا للأعمى: إنه يُنَزَّلُ على النبي ﷺ فبقي قائماً ويقول: أعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ قال: فقال النبي ﷺ للكاتب: اكتب: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [رواه ابن حبان والبزار بإسناد حسن].

وعن ابن عباس أنه قال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ عن بدرٍ، والخارجون إلى بدر لما نزلت غزوة بدر، قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ... فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر. [رواه الترمذي والطبراني].

(٩٧ ـ ٩٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود قال: قطع على أهلِ المدينة بَعْث فاكتتبتُ فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِرُون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السَّهمُ يُرمى بِهِ فَيُصيبُ أحدَهم فيقتله، أو يضرب فيقتل

---

(١) وهو الإيمان.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢١] ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائم. [٢٢] ﴿ خَالِدِينَ ﴾ حال مقدرة ﴿ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾. ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته: [٢٣] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا ﴾ اختاروا ﴿ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾. [٢٤] ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ أقرباؤكم، وفي قراءة ﴿عشيراتكم﴾ ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ عدم نفاقها ﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ انتظروا ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. [٢٥] ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ ﴾ للحرب ﴿ كَثِيرَةٍ ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوّال سنة ثمان ﴿ إِذْ ﴾ بدل من يوم ﴿ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ فقلتم لن نُغلب اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ (ما) مَصْدَريّة، أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان[١] آخذ بركابه[٢]. [٢٦] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ طمأنينته ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فردوا[٣] إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾.

فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية . [رواه البخاري وغيره] .

(١٠٠) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ وكان بمكة رجل يقال له ضَمْرة من بني بكر وكان مريضاً، فقال لأهله: أخرجوني من مكة فإني أجِدُ الحَرَّ ، فقالوا : أينَ نُخرِجُك؟ فأشار بيده نحو المدينة فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى آخر الآية. [تفسير الطبري وأبو يعلى] .

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وليس أبا سفيان صخر بن حرب.

(٢) الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم حنين (١٣٣) صحابياً من المهاجرين، و (٦٦) من الأنصار.

(٣) أي رجعوا.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾. [٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾. [٢٩] ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ﴾ بيان للذين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٖ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام. [٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾[1] يشابهون به ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ من آبائهم تقليداً لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الحق مع قيام الدليل. [٣١] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ عبّاد النصارى ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ أي بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

---

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

عن أبي عياش الزُّرَقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القِبلة، فصلى بنا رسول الله ﷺ الظُّهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غِرّتَهم ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات، بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح، قال: فصففنا خلفه صفَّين قال: ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً ـ الحديث. [رواه أحمد وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي].

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ﴾. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف وكان جريحاً. قال الحافظ: أي فنزلت الآية. [البخاري وغيره].

---

(١) هذه قراءة عاصم، وقرأ سائر القراء العشرة: يضاهون.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

[٣٢] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ شرعه وبراهينه ﴿ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بأقوالهم فيه ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ ﴾ يظهر ﴿ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ذلك. [٣٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ ﴾ محمداً ﷺ ﴿ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ ﴾ يعليه ﴿ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ ذلك. [٣٤] ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ ﴾ يأخذون ﴿ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ كالرشا في الحكم ﴿ وَيَصُدُّونَ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ﴿ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ أي الكنوز ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿ فَبَشِّرْهُم ﴾ أخبرهم ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ مؤلم. [٣٥] ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ ﴾ تحرق ﴿ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي جزاءه. [٣٦] ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴾ المعتد بها للسنة ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ ﴾ أي الشهور ﴿ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ﴾ محرَّمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي تحريمها ﴿ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ ﴾ المستقيم ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزراً، وقيل في الأشهر كلها ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ جميعاً في كل الشهور ﴿ كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ بالعون والنصر.

---

(١١٩) قوله تعالى : ﴿ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ .

عن ابن عباس أنه كره الإخْصاء وقال : فيه نزلت : ﴿ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ .

[الطبري ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم] .

(١٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ .

عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ فذكرت نحو ما تقدم في أول السورة قال : قالت : ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [رواه البخاري ومسلم] .

(١٢٨) قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ .

عن عائشة رضي الله عنها ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ قالت : الرجل تكون عنده المرأة ليس بِمُسْتَكْثِرٍ منها ، يريد أن يُفارِقَها ، فتقول : أجعلك من شأني في حل ، فنزلت هذه الآية في ذلك . [رواه البخاري ومسلم] .

ولفظ أبي داود : قالت عائشة لعُروة : يا بن أختي كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّلُ بعضنا على بعض في القَسْمِ من مُكثِهِ عندنا وكان قَلَّ يومٌ إلا وهو يطوف علينا جميعاً ،

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حُرْمة المحرّم إذا حَلَّ وهم في القتال إلى صَفَر ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي النسيء ﴿عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ يوافقوا بتحليل شهرٍ وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. ونزل لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عُسْرَةٍ وشدّة حَرٍّ فَشَقَّ عليهم: [٣٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل، أي تباطأتم ومِلْتُم عن الجهاد ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولَذّاتها ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أي بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ جَنْبَ متاع ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير. [٣٩] ﴿إِلَّا﴾ بإدغام (لا) في نون (إن) الشرطية في الموضعين ﴿تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي يأتِ بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي الله أو النبيَّ ﷺ ﴿شَيۡـٔٗاۗ﴾ بترك نصره فإنّ الله ناصرُ دينه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه. [٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي النبيَّ ﷺ ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ﴾ حين ﴿أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكة أي ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حَبْسَهُ أو نَفْيَه بدارِ النَّدْوَةِ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ حال، أي أحد اثنين والآخر أبو بكر، المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها، ﴿إِذۡ﴾ بدل من (إذ) قبله ﴿هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ نقب في جبل ثَوْر ﴿إِذۡ﴾ بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيۡهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتّى يبلُغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ حين أَسَنَّتْ وفرقَتْ أن يُفارقَها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منها، قالت: تقول في ذلك أنزل الله عزّ وجلّ وفي أشباهها أراه قال: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾. [رواه أبو داود].

ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾ نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا: [٤٢] ﴿ لَوۡ كَانَ ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿ عَرَضٗا ﴾ متاعاً من الدنيا ﴿ قَرِيبٗا ﴾ سهل المأخذ ﴿ وَسَفَرٗا قَاصِدٗا ﴾ وسطاً ﴿ لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾ طلباً للغنيمة ﴿ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ ﴾ المسافة، فتخلفوا ﴿ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا ﴾ الخروج ﴿ لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بالحلف الكاذب ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم ذلك. وكان ﷺ أَذِنَ لجماعة في التخلُّف باجتهاد منه، فنزَّل عتاباً له، وقدَّم العفْوَ تطميناً لقلبه [٤٣] ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ في التخلف، وهلا تركتهم ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في العُذر ﴿ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ فيه. [٤٤] ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ في التخلُّف عن ﴿ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾. [٤٥] ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ﴾ في التخلُّف ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ ﴾ شكّت ﴿ قُلُوبُهُمۡ ﴾ في الدين ﴿ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ يتحيّرون. [٤٦] ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ ﴾ معك ﴿ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ ﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ أي لم يُرد خروجهم ﴿ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ كسّلهم ﴿ وَقِيلَ ﴾ لهم ﴿ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ المرضى والنساء والصبيان، أي قدر الله تعالى ذلك. [٤٧] ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿ وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴾ أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿ يَبۡغُونَكُمُ ﴾ يطلبون لكم ﴿ ٱلۡفِتۡنَةَ ﴾ بإلقاء العداوة ﴿ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ربع الحزب ٢٠

وعن رافع بن خَديج أنه كانت تحته امرأة قد خلا من سنها ، فتزوج عليها شابة فآثر البكر عليها فأبت امرأته الأولى أن تَقَرَّ على ذلك ، فطلقها تطليقة ، حتى إذا بقي من أجلها يَسيرٌ قال : إنْ شئت راجعتك وصبرت على الأمر ، وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك ، قالت : بل راجعني أصبر على الأثَرَة ، ثُم آثر عليها فلم تصبر على الأثَرَة فطلقها الأخرى ، وآثر عليها الشابة قال : فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله قد أنزل فيه : ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗا ﴾ [صححه الحاكم وأقره الذهبي] .

ولا تنافي بين هذه الأقوال فإن حديث عائشة الأول مبهم وحديثها الثاني مفسر للإبهام ، وأما حديث رافع فإنما قال إنها شاملة لما فعل والآية تشمل الجميع ، والله أعلم .

(١٧٦) قوله تعالى : ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴾ .

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ
إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٨] ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ﴾ لك ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ أول ما قدِمتَ المدينة ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عزّ ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ له، فدخلوا فيه ظاهراً. [٤٩] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ: «هل لك في جلاد بني الأصفر؟»، فقال: إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن فأُفتتن، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ بالتخلُّف، وقرىء: ﴿سقط﴾(1) ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها. [٥٠] ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ شدة ﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبۡلُ﴾ قبل هذه المعصية ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك. [٥١] ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾. [٥٢] ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ تثنية حُسنَى، تأنيث أحسن: النصر أو الشهادة ﴿وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعةٍ من السماء ﴿أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم. [٥٣] ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ﴾ في طاعة الله ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر. [٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ﴾ فاعل و (أن تقبل) مفعول ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ النفقة لأنهم يُعِدّونها مَغْرَماً.

عن محمد بن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يَعُودانِي ماشيَيْنِ فأغميَ عليَّ، فتوضَّأَ ثم صَبَّ عليَّ من وَضُوئِهِ فأفقتُ قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يردَّ عليَّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [رواه مسلم وغيره].

وقد تقدم أنها نزلت في جابر: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ وهنا يقول إنها نزلت فيه: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ وقد رجح الحافظ ابن كثير رحمه الله أن آية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ نزلت في بنات سعد بن الربيع وأن آية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ نزلت في جابر فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات، ولم يكن له بنات. اهـ. وقال الحافظ في الفتح: وهذه قصة أخرى غير التي تقدمت فيما يظهر، وقد تقدَّم المستند واضحاً في أوائل هذه السورة، والله أعلم.

---

(1) قراءة شاذة.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾ أي لا تستحسن نعمَنا عليهم فهي استدراج ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم ﴾ أي أن يعذبهم ﴿ بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بما يلقون في جمعها من المشقّة وفيها من المصائب ﴿ وَتَزْهَقَ ﴾ تخرج ﴿ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب. [٥٦] ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ أي مؤمنون ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية. [٥٧] ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ يلجؤون إليه ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ سراديب ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ موضعاً يدخلونه ﴿ لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم، إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجَموح. [٥٨] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ يعيبك ﴿ فِى ﴾ قَسْم ﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾. [٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ﴾ كافينا ﴿ ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ أن يغنينا وجواب «لو»: لكان خيراً لهم. [٦٠] ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾ الزكوات مصروفة ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ أي الصدقات مِن جَابٍ وقاسمٍ وكاتبٍ وحاشرٍ ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ ليُسلموا، أو يَثْبُتَ إسلامُهم، أو يُسلم نُظراؤهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام، الأول والأخير لا يُعْطَيان اليومَ عند الشافعي رضي الله تعالى عنه، لعزِّ الإسلام، بخلاف الآخرين فيُعطَيان على الأصح ﴿ وَفِى ﴾ فك ﴿ ٱلرِّقَابِ ﴾ أي المكاتبين ﴿ وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾ أهل الدَّيْن إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فَيْء لهم ولو أغنياء ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره ﴿ فَرِيضَةً ﴾ نصب بفعله المقدر ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا منع صنف منهم إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع، وبيَّنت السنة أن شرط المُعْطَى منها الإسلام وألا يكون هاشمياً ولا مطلبياً. [٦١] ﴿ وَمِنْهُمُ ﴾ أي المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ بعَيْبه وبنقل حديثه ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ إذا نُهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل؛ صَدَّقنا ﴿ قُلْ ﴾ هو ﴿ أُذُنُ ﴾ مستمع ﴿ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ لا مستمع شر ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ ﴾ يصدق ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ بالرفع عطفاً على (أذن) والجر عطفاً على (خير) ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

نصف الحزب ٢٠

يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم
بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ
بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ
عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾

[٦٢] ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو خبر (الله ورسوله) محذوف. [٦٣] ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ بـ ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يُشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾. [٦٤] ﴿يَحۡذَرُ﴾ يخاف ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ﴾ مُظْهِر ﴿مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ إخراجه من نفاقكم. [٦٥] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلۡتَهُمۡ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. [٦٦] ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ عنه ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن نَّعۡفُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ بإخلاصها وتوبتها كـ: مَخْشِيّ بن حُمَيِّر ﴿نُعَذِّبۡ﴾ بالتاء والنون ﴿طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ مصرّين على النفاق والاستهزاء. [٦٧] ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمۡۗ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾. [٦٨] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ﴾ جزاءً وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ دائم.

ولا مانع أن تكون الآيتان نزلتا معاً في قصة جابر في آن واحد إذ الحديث حديث واحد يدور على محمد بن المنكدر، فبعضهم يرويه عنه ويقول: آية الميراث وبعضهم يرويه عنه ويقول: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ وبعضهم يرويه عنه ويقول: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ فإن قيل يشكل عليك أن آية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ نزلت في شأن جابر وبنات سعد بن الربيع وقد استشهد بأحد وآية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ من آخر القرآن نزولاً، ولا إشكال، فعلى فرض صحة حديث جابر في بنات سعد بن الربيع، لا يلزم أنها قسمت تركته بعد موته، على أنه لا ينبغي أن تعارض الأحاديث الصحيحة بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل فهو سيىء الحفظ كما هو معروف من ترجمته.

***

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٦٩] أنتم أيها المنافقون ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ ﴾ تمتعوا ﴿ بِخَلَـٰقِهِمْ ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم ﴾ أيها المنافقون ﴿ بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ أي كخوضهم ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾.
[٧٠] ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ﴾ خبر ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ ﴾ قوم هود ﴿ وَثَمُودَ ﴾ قوم صالح ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ ﴾ قوم شعيب ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ﴾ قرى قوم لوط أي أهلها ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأُهلكوا ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بارتكاب الذنب.
[٧١] ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله.
[٧٢] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

سُورةُ المائدة

(٦) قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي ، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسَهُ على فخذي قد نام ، فقال : حبستِ رسول الله ﷺ والنَّاسَ وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة : فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خاصِرَتي فلا يمنعُني من التحرك إلا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي ، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمَّمُوا فقال أسيد بن الحُضَير : ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت : فبعثنا البعير الذي كنت عليه ، فأصبنا العِقْد تحته . [رواه البخاري ومسلم] .

(٣٣) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ .

عن أبي قلابة عن أنس بن مالك بهذا الحديث ـ يعني حديث العرنيين ـ قال فيه : فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم قافلة فأتي بهم فأنزل الله في ذلك : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ الآية . [رواه أبو داود والنسائي] .

(٤١ إلى ٤٥) قوله تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي. [٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقون ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ ما بلغك عنهم من السَّبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً، فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أنكروا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلْءَاخِرَةِۚ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم. [٧٥] ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل ذي حق حقه، فدعا له، فوُسِّعَ عليه، فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة[1] كما قال تعالى: [٧٦] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾. [٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصيَّر عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ فيه فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه. [٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أَسَرُّوه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون: مُراءٍ، وجاء رجل فتصدّق بصاع فقالوا: إنّ الله لَغَنِيٌ عن صدقة هذا فنزل: [٧٩] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم، فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْۙ﴾ والخبر: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) هذا الخبر لا يصحّ. انظر: الإصابة (١/١٩٨).

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ﴾ يا محمد ﴿لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ: «إني خُيِّرتُ فاخترت» يعني الاستغفار، رواه البخاري[1] ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ قيل: المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لو أعلمُ أني لو زِدْتُ على السبعين غفرَ؛ لزِدْتُ عليها»[2] وقيل: المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً: «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون: ٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾. [٨١] ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي بقعودهم ﴿خِلَٰفَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ أي قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التَّخلُّف ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلَّفوا. [٨٢] ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ في الدنيا ﴿وَلۡيَبۡكُواْ﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر. [٨٣] ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ ردَّك ﴿ٱللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ ممَّن تخلَّف بالمدينة من المنافقين ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. [٨٤] ولما صلى النبي ﷺ على عبدالله بن أُبيّ نزل: [٨٤] ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ كافرون. [٨٥] ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾. [٨٦] ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿أَنۡ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ ذوو الغنى ﴿مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾.

عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحمَّماً مجلوداً، فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشُدُكَ باللهِ الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدُون حد الزاني في كتابكم» قال: لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثُر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع،

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٦).

(٢) المصدر السابق.

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

[٨٧] ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة، أي النساء اللاتي تخلّفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخير. [٨٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون. [٨٩] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [٩٠] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي المُعْتَذِرون بمعنى المعذورين وقرىء به ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [٩١] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعُمْي والزَّمْنَى[1] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك. [٩٢] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوا۟﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد. [٩٣] ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التخلّف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله.

(الجزء ١١ — الحزب ٢١)

فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه». فأمر به فَرُجِم فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: ائتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. [رواه البخاري وغيره].

سبب آخر في نزول الآيات:

عن ابن عباس قال: كانت قريظة والنضير، وكان النضير أشرفَ من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير فُودِيَ بمئة

---

(١) جمع زَمِن، وهو المُبتَلى البين الابتلاء، الذي يدوم مرضه زماناً طويلاً.

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

[٩٤] ﴿ ۞ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ في التخلف ﴿ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ من الغزو ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ ﴾ نصدقكم ﴿ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ ﴾ بالبعث ﴿ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي الله ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ فيجازيكم عليه. [٩٥] ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾ رجعتم ﴿ إِلَيۡهِمۡ ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ ﴾ بترك المُعاتَبة ﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ ﴾ قذر لِخُبْثِ باطِنِهِم ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾. [٩٦] ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله. [٩٧] ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ أهل البدو ﴿ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿ وَأَجۡدَرُ ﴾ أولى ﴿ أ ﴾ ن أي بأن ﴿ لَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٞ ﴾ في صنعه بهم. [٩٨] ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾ في سبيل الله ﴿ مَغۡرَمٗا ﴾ غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان ﴿ وَيَتَرَبَّصُ ﴾ ينتظر ﴿ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص[1] ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ ﴾ بالضم والفتح، أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوال عباده ﴿ عَلِيمٞ ﴾ بأفعالهم. [٩٩] ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ كجهينة ومزينة ﴿ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾ في سبيل الله ﴿ قُرُبَٰتٍ ﴾ تقربه ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ وسيلة إلى ﴿ صَلَوَٰتِ ﴾ دعوات ﴿ ٱلرَّسُولِۚ ﴾ له ﴿ أَلَآ إِنَّهَا ﴾ أي نفقتهم ﴿ قُرۡبَةٞ ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿ لَّهُمۡۚ ﴾ عنده ﴿ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ ﴾ جنته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ ﴾ لأهل طاعته ﴿ رَّحِيمٞ ﴾ بهم.

وسْق من التمر ، فلما بعث النبي ﷺ قَتَلَ رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا ادفعوه إلينا نقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم النبي ﷺ فنزلت : ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ والقسط : النفس بالنفس ، ثم نزلت : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ [رواه أبو داود وصححه الحاكم وأقره الذهبي] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد ، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله ، والله أعلم . اهـ .

(٦٧) قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ .

---

(١) أي: مِنَ الإنفاق.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً أو جميع الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وفي قراءة بزيادة «مِن» ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضاً ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ لَجُّوا فيه واسْتَمَرُّوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار. [١٠٢] ﴿وَ﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف نعته، والخبر: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلَّهم لما نزلت: [١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَّهُمْ﴾ وقيل: طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم، والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة. [١٠٥] ﴿وَقُلِ﴾ لهم أو للناس ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. [١٠٦] ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز وتركه: مُؤَخَّرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، تخلَّفوا كَسَلاً ومَيْلاً إلى الدَّعَة، لا نفاقاً، ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتُهم بعد.

عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نَزَلَ منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها، فجعلوها للنبي ﷺ، فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة، فبينما هو نازل تحت شجرة وقد علق السيف عليها، إذ جاءَ أعرابي، فأخذ السيف من الشجرة ثم دنا من النبي ﷺ وهو نائم، فأيقظهُ. فقال: يا محمد مَنْ يمنعُك مني فقال النبي ﷺ: «الله» فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية. [رواه ابن حبان].

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

[١٠٧] ﴿وَ﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب، ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يُصَلُّون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه، وهو أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هَدَمُوه وحَرَّقوه وجعلوا مكانه كناسة تُلْقَى فيها الجيَف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بُنِيَت قَوَاعِدُه ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وُضِعَ يوم حَلَلْتَ بدار الهجرة، وهو مسجد قباء كما في «البخاري»[١] ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي يثيبهم[٢]، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خُزَيْمَة في «صحيحه»[٣] عن عُوَيْم بن ساعدة: «أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟

(ربع الحزب ٢١)

قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا» وفي حديث رواه البزار[٤]: «فقالوا نُتْبِعُ الحِجارة بالماء، فقال: هو ذاك فَعَلَيْكُموه». [١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مخافة ﴿مِنَ اللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها، جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خيرٌ. تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير، أي الأوّلُ خيرٌ، وهو مثال مسجد قباء، والثاني مثال مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. [١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ شكاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم. [١١١] ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول، أي فَيُقْتَل بعضُهم، ويُقاتِل الباقي ﴿وَعْدًا﴾

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦) ومسلم (١٣٩٨).
(٢) الصواب أن يقال: إن الله يحبكم، وإنْ أحبكم يثبكم؛ لأن المثوبة من آثار المحبة، لاعين المحبة.
(٣) رواه ابن خزيمة (١/ ٤٥).
(٤) رواه البزار (١/ ١٣٠-١٣١).

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن
يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ ﴾ البيع ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ المنيل غاية المطلوب. [١١٢] ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ. من الشرك والنفاق ﴿ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ له على كل حال ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ الصائمون ﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ أي المصلون ﴿ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالجنة. ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين [١١٣] ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ ذوي قرابة ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ النار، بأن ماتوا على الكفر. [١١٤] ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ بقوله: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾ [مريم، الآية ٤٧] رجاء أن يُسلم ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ بموته على الكفر ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ ﴾ وترك الاستغفار له ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿ حَلِيمٌ ﴾ صبور على الأذى. [١١٥] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾ للإسلام ﴿ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية. [١١٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم ﴾ أيها الناس ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ مِن وَلِىٍّ ﴾ يحفظكم منه ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يمنعكم عن ضرره. [١١٧] ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ﴾ أي أدام توبته ﴿ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ أي وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يَقْتَسمان تَمْرَةً، والعشرة يَعْتَقِبُونَ البَعيرَ الواحد، واشتد الحَرُّ حتى شَربوا الفَرْثَ ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ ﴾ بالتاء والياء، تميل ﴿ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ بالثبات ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

---

(٨٣) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾.

عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ الآية. [رواه ابن أبي حاتم والنسائي والبزار].

(٨٩) قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

[١١٨] ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي مع رحبها، أي سَعَتها فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ قلوبهم للغمّ والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مُخففة ﴿لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وفَّقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [١١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق. [١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا﴾ مصدر بمعنى وَطْئاً ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ﴾ لله ﴿نَّيۡلًا﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي أجرهم بل يثيبهم. [١٢١] ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسَّير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ﴾ به عمل صالح ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي جزاءه. [١٢٢] ولما وُبِّخُوا على التخلُّف وأرسل النبي ﷺ سَرِيَّة؛ نفَرُوا جميعاً فنزل: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ﴾ إلى الغزو ﴿كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا﴾ فهلاَّ ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ﴾ قبيلة ﴿مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾ جماعة، ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي الماكثون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلّموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلُّف أحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

نصف الحزب ٢١

عن ابن عباس قال: كان الرجل يَقُوتُ أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾. [رواه ابن ماجه].

(٩٠ ـ ٩١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

عن ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته، فيقول: فعل بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال ناس من المتكلفين: هي رجس وهي في بطن فلان قتل يوم بدر وقتل فلان يوم أحد فأنزل الله: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآية. [رواه الطبري والحاكم والبيهقي].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

[١٢٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ شدة، أي أغلظوا عليهم ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ بالعون والنصر. [١٢٤] ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ من القرآن ﴿ فَمِنْهُم ﴾ أي المنافقين ﴿ مَّن يَقُولُ ﴾ لأصحابه استهزاءً ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ تصديقاً. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ لتصديقهم بها ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون بها. [١٢٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ كفراً إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾. [١٢٦] ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ ﴾ بالياء أي المنافقون، والتاء أيها المؤمنون ﴿ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾ يُبتلون ﴿ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ من نفاقهم ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتعظون. [١٢٧] ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ﴾ على كفرهم ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ عن الهدى ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الحق لعدم تدبُّرهم. [١٢٨] ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي منكم: محمد ﷺ ﴿ عَزِيزٌ ﴾ شديد ﴿ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي عَنَتُكم، أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أن تهتدوا ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ ﴾ شديد الرحمة ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ يريد لهم الخير. [١٢٩] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ عن الإيمان بك ﴿ فَقُلْ حَسْبِىَ ﴾ كافيّ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ﴾ الكرسي[1] ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ خصَّه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. روى الحاكم في «المستدرك» عن أُبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة.

---

(٩٣) قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾.

عن أنس رضي الله عنه: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخَ فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حُرِّمَت قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهَرقتُها فجَرت في سِكَك المدينة فقال بعض القوم: قد قُتِل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ الآية. [رواه البخاري ومسلم].

---

(١) ثمة أخبار كثيرة تدل على أن العرش غير الكرسي. انظرها في كتاب «العظمة» لأبي الشيخ (٧٧ ـ ١٠٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

﴿سورة يونس﴾

[مكّية إلا الآيات ٤٠ و٩٤و٩٥و٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ أو١١٠ نزلت بعد الإسراء].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى مِنْ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكم. [٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر كان، وبالرفع[1] اسمها والخبر ـ وهو اسمها على الأولى[2] ـ: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ أي إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مُفسِّرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوِّف ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلَف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن، وفي قراءة ﴿لَساحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ. [٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي في قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمسٌ ولا قمرٌ، ولو شاء لَخلقهنَّ في لَمْحَةٍ، والعُدولُ عنه لتعليم خلْقِهِ التَّثبُّت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ صلة ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ ردٌّ لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحِّدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال. [٤] ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافاً والفتح على تقدير اللام ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِىَ﴾ يثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفرهم. [٥] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ ذات ضياء، أي نور ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ﴾ من حيث سَيْره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويَسْتَتِرُ لَيْلَتَيْنِ إنْ كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلةً إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا عبَثاً، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون يُبيِّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبّرون. [٦] ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة

---

(١) قراءة شاذة.

(٢) أي: على القراءة الأولى وهي (عجباً) بالنصب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ـه فيؤمنون، خصّهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة لإنكارهم لها ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَٰفِلُونَ﴾ تاركون النظر فيها. [٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

[٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يُرْشِدُهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ به بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. [١٠] ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ﴾ مُفسِّرة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونزل لما استعجل المشركون العذاب:

[١١] ﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ أي كَاستعجالهم ﴿بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب، بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتردّدون متحيّرين. [١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كما زُيّن له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. [١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ عطف على (ظَلَموا) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين. [١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا.

---

(١٠١) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » قال : فغطّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ، لهم خنين ، فقال رجل : مَنْ أبي ؟ قال : فلان . فنزلت هذه الآية ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل : مَن أبي ؟ ويقول الرجل : تَضِلُّ ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا ﴾ القرآن ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ ظاهرات، حَال ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يخافون البعث ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ ﴾ ليس فيه عَيْب آلهتنا ﴿ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ مِنْ تِلْقاء نفسك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَا يَكُونُ ﴾ ينبغي ﴿ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ ﴾ قبل ﴿ نَفْسِىٓ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى ﴾ بتبديله ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة. [١٦] ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم ﴾ أعلمكم ﴿ بِهِۦ ﴾ و «لا» نافية عطف على ما قبله، وفي قراءة بلام جواب «لو»: أي لأَعْلَمَكُم به على لسان غيري ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ ﴾ مكثتُ ﴿ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ سنيناً أربعين ﴿ مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾ لا أحدّثكم بشيء ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنه ليس من قِبَلي. [١٧] ﴿ فَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ القرآن ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي الشأن ﴿ لَا يُفْلِحُ ﴾ يَسْعد ﴿ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون. [١٨] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن لم يعبدوه ﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوه وهو الأصنام ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ عنها ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ﴾ تخبرونه ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ استفهام إنكار، إذْ لو كان له شريك لَعَلِمَهُ؛ إذ لا يَخْفَى عليه شيء ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تنزيهاً له ﴿ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بـــه معه. [١٩] ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على دين واحد وهو الإسلام، مِنْ لَدُن آدمَ إلى نوح، وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحيٍّ ﴿ فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين. [٢٠] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي أهل مكة ﴿ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ على محمد ﷺ ﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ ﴾ ما غاب عن العباد أي أمره ﴿ لِلَّهِ ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما عليَّ التبليغ ﴿ فَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾.

الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ حتى فرغ من الآية كلها . [رواه البخاري وغيره] .

وعن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج » فقام مِحصَن الأسدي فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « أما إني لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتم لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فإنما هَلَك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ إلى آخر الآية . [رواه الطبري وابن خزيمة وأصله في مسلم] .

وعن سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : قام رسول الله ﷺ في الناس فقال : « كتب عليكم الحج » فقال رجل من الأعراب فقال : أفي كل عام ؟ قال : فعلا كلام رسول الله ﷺ وأسكت وأغضب واستغضب ، فمكث طويلاً ثم تكلم فقال : « من السائل ؟ » فقال الأعرابيُّ : أنا ذا فقال : « ويحكَ ماذا يُؤمِنكَ أن

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

[٢١] ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحۡمَةٗ﴾ مطراً وخصباً ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ مجازاة[1] ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ بالتاء والياء. [٢٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ﴾ وفي قراءة: ﴿ينشركم﴾ ﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ السُّفُن ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ ليِّنة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أي أهلكوا ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الموحدين. [٢٣] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ بالشرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ﴾ ظُلْمُكُم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ لأنَّ إثْمه عليها، هو ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه. وفي قراءة بنصب ﴿متاع﴾: أي تتمتعون. [٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البرّ والشعير وغيرهما ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ من الكلأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ بالزهر، وأصله تزينت، أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدٗا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَّمۡ تَغۡنَ﴾ تكن ﴿بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾. [٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة، وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ دين الإسلام.

أقول: نعم ولو قلت نعم لَوَجَبَتْ، ولو وجبت لكفرتم، ألا إنه إنما أهلك الذين قبلكم أئمةُ الحَرَج والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض، وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه» قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ...﴾ إلى آخر الآية. [رواه الطبري].

(١٠٦ إلى ١٠٨) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتَرِكَتِهِ فقدوا جاماً من فضة مُخَوَّصاً من ذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وُجِدَ الجام بمكة فقالوا: ابتعناه من تميم وعَدِيٍّ، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا لَشَهَادَتُنَا أحق من شهادتهما وأن الجامَ لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [رواه البخاري وغيره].

---

(١) المكر أخصُّ من مُطْلَق الجزاء؛ لأنه عقوبة على وجهٍ مخصوص. والله خيرُ الماكرين، وهو سبحانه يمكر بالكافرين والمنافقين.

۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ
وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا
بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ
ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ
ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ
فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

[٢٦] ﴿ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ بالإيمان ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ هي النظر إليه تعالى، كما في حديث مسلم[1] ﴿ وَلَا يَرْهَقُ ﴾ يغشى ﴿ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ سواد ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ كآبة ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . [٢٧] ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ عطف على (للذين أحسنوا)، أي وللذين ﴿ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ عملوا الشرك ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ ﴾ زائدة ﴿ عَاصِمٍ ﴾ مانع ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ ﴾ أُلبست ﴿ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا ﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي جزءاً ﴿ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . [٢٨] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾ أي الخلق ﴿ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ ﴾ نُصب بالزموا مُقدَّراً ﴿ أَنْتُمْ ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ أي الأصنام ﴿ فَزَيَّلْنَا ﴾ ميَّزنا ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ وبين المؤمنين كما في آية: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩] ﴿ وَقَالَ ﴾ لهم ﴿ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ «ما» نافية، وقدّم المفعول للفاصلة. [٢٩] ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ ﴾ مخففة أي إنا ﴿ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ . [٣٠] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي ذلك اليوم ﴿ تَبْلُو ﴾ من البلوى، وفي قراءة بتاءين من التلاوة ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ قدمت من العمل ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ الثابت الدائم ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ عليه من الشركاء. [٣١] ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ بالمطر ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ بالنبات ﴿ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ ﴾ بمعنى الأسماع، أي خلقها ﴿ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ بين الخلائق ﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ هو ﴿ اللَّهُ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ـه فتؤمنون. [٣٢] ﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ الفعّال لهذه الأشياء ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ﴾ الثابت ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ استفهام تقرير، أي ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿ فَأَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ تُصْرَفُونَ ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان. [٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ كفروا وهي: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [السجدة: ١٣]، أو هي ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

سورة الأنعام

(٥٢) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم (١٨١).

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تُصْرَفون عن عبادته مع قيام الدليل. [٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ﴾ بنَصْبِ الحُجَج وخَلْقِ الاهْتِداء ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ﴾ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَع؟ استفهام تقرير وتوبيخ، أي الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتِّباع ما لا يحق اتباعه. [٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ حيث قلَّدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ فيما المطلوب منه[1] العلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه. [٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي افتراءً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بـ(تصديق) أو بأنزل المحذوف، وقرئ[2] برفع (تصديق) و (تفصيل) بتقدير هو. [٣٨] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك، قال تعالى: [٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي القرآن ولم يتدبّروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ رُسُلهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك، فكذلك نُهلك هؤلاء. [٤٠] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم. [٤١] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ﴾ أي لكلٍّ جزاءُ عَمَلِهِ ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف[3]. [٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شبَّهَهُم بهم في عدم الانتفاع بما يُتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟﴾ مع الصَّمَم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد : فيَّ نزلت : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم وكان المشركون قالوا له :

---

(١) في نسخة: (فيه) بدل (منه).

(٢) قراءة شاذة.

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٩.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ
النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٣] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ شبّههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]. [٤٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . [٤٥] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن ﴾ أي كأنهم ﴿ لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بُعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال، والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾.
[٤٦] ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف، أي فذاك ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ مطلع ﴿ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب. [٤٧] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم ﴿ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ إليهم فكذبوه ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل، فيُعَذَّبون ويُنَجَّى الرسول ومَنْ صدَّقه ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء.

ربع الحزب ٢٢

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ بالعذاب ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيه. [٤٩] ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا ﴾ أدفعه ﴿ وَلَا نَفْعًا ﴾ أجلبه ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن يقدّرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مُدّة معلومة لهلاكهم ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ يتأخرون عنه ﴿ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يتقدمون عليه. [٥٠] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ ﴾ أي الله ﴿ بَيَاتًا ﴾ ليلاً ﴿ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا ﴾ أيُّ شيء ﴿ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ﴾ أي العذاب ﴿ الْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط: كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني. والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه. [٥١] ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ حلَّ بكم ﴿ آمَنتُم بِهِ ﴾ أي الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم ﴿ آلْآنَ ﴾ تؤمنون ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ استهزاء. [٥٢] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ أي الذي تخلدون فيه ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ تُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾. [٥٣] ﴿ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ ﴾ يستخبرونك ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿ قُلْ إِي ﴾ نعم ﴿ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين العذاب.

تذني هؤلاء ؟! [رواه مسلم] .
وعن المِقدَام بن شُرَيح عن أبيه عن سعد قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفَر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ كفرت ﴿ مَا فِي الْأَرْضِ ﴾ جميعاً من الأموال ﴿ لَافْتَدَتْ بِهِ ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ على ترك الإيمان ﴿ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم ﴾ بين الخلائق ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ شيئاً. [٥٥] ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ حَقٌّ ﴾ ثابت ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي الناس ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك. [٥٦] ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. [٥٧] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أي أهل مكة ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿ وَشِفَاءٌ ﴾ دواء ﴿ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلال ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بـه. [٥٨] ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ الإسلام ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ القرآن ﴿ فَبِذَٰلِكَ ﴾ الفضل والرحمة ﴿ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الدنيا بالياء والتاء. [٥٩] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم ﴾ أخبروني ﴿ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ خلق ﴿ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه. [٦٠] ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ أي أيُّ شيء ظنُّهم به ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم! لا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾. [٦١] ﴿ وَمَا تَكُونُ ﴾ يا محمد ﴿ فِي شَأْنٍ ﴾ أمر ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ ﴾ أي من الشأن أو الله ﴿ مِن قُرْآنٍ ﴾ أنزله عليك ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ ﴾ خاطبه وأُمّته ﴿ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ رُقباء ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ ﴾ تأخذون ﴿ فِيهِ ﴾ أي العمل ﴿ وَمَا يَعْزُبُ ﴾ يغيبُ ﴿ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ﴾ وزن ﴿ ذَرَّةٍ ﴾ أصغر نملة ﴿ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ بيّن، هو اللوح المحفوظ.

ورجل من هُذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدّث نفسه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾. [رواه مسلم وغيره].

(١٢١) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾.

عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾. [رواه أبو داود وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

***

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخرة. [٦٣] هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الله بامتثال أمره ونهيه. [٦٤] ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فسِّرت في حديث صحَّحه الحاكم(١): «بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له» ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ الجنة والثواب ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ لا خُلْفَ لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾. [٦٥] ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ لك: لست مُرْسَلاً وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف ﴿ٱلۡعِزَّةَ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك. [٦٦] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَآءَۚ﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنۡ﴾ ما ﴿هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك. [٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز؛ لأنه يُبْصَر فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سَماع تَدَبُّرٍ واتِّعاظ. [٦٨] ﴿قَالُواْ﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ قال تعالى لهم: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ عن كل أحد، وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾ حُجّة ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ استفهام توبيخ. [٦٩] ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بنِسْبَةِ الولد إليه ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾ لا يسعدون. [٧٠] لهم ﴿مَتَٰعٞ﴾ قليل ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يتمتعون به مُدّة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

سورة الأعراف

(٣١) قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾.

عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوفُ بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوافاً تجعلهُ على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا أحله

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٤٠).

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

نصف الحزب ٢٢

[٧١] ﴿ ۞ وَٱتۡلُ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي كفار مكة ﴿ نَبَأَ ﴾ خبر ﴿ نُوحٍ ﴾ ويبدل منه ﴿ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ ﴾ شقّ ﴿ عَلَيۡكُم مَّقَامِي ﴾ لُبْثي فيكم ﴿ وَتَذۡكِيرِي ﴾ وَعْظي إياكم ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ﴾ مستوراً بل أظهِرُوهُ وجَاهِروني به ﴿ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ تُمهلُونِ فإني لست مُبالياً بكم. [٧٢] ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ عن تذكيري ﴿ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿ إِنۡ ﴾ ما ﴿ أَجۡرِيَ ﴾ ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾. [٧٣] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾ السفينة ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ ﴾ أي مَنْ معه ﴿ خَلَٰٓئِفَ ﴾ في الأرض ﴿ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ ﴾ بالطوفان ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب. [٧٤] ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ أي نوح ﴿ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ ﴾ أي قبل بَعْثِ الرسل إليهم ﴿ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ ﴾ نختم ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ فلا تقْبَلُ الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك. [٧٥] ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ قومه ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ التسع ﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾. [٧٦] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ بيِّنٌ ظاهر. [٧٧] ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ ﴾ إنه لسحر ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ﴾ وقد أفلح من أتى به، وأبطل سِحْرَ السَّحَرَةِ ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار. [٧٨] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا ﴾ لِتَرُدَّنا ﴿ عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾ الملك ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أرض مصر ﴿ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ مصدّقين.

فنزلت هذه الآية : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ . [رواه مسلم وغيره] .

***

سورةُ الأنفال

(١) قوله تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ .

عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت : يا رسول الله إنَّ الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا ، هَبْ لي هذا السيف ، فقال : هذا ليس لي ولا لك ، فقلت : عسى أن يُعطَى هذا من لا يُبلي بَلائي ، فجاءني الرسول ﷺ ، فقال : « إنك سألتني وليس لي ، وإنه قد صار لي ، وهو لك » قال : فنزلت : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾ [رواه مسلم وغيره] .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ فائق في علم السحر. [٨٠] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ ﴾ بعد ما قالوا له: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾[الأعراف، الآية: ١١٥]: ﴿ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾. [٨١] ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ﴾ حبالَهم وعصيَّهم ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا ﴾ استفهامية مبتدأ، خبره: ﴿ جِئْتُم بِهِ ﴾ ﴿ ٱلسِّحْرُ ﴾ بدل وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار ف (ما) اسم موصول مبتدأ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ أي سيمحقه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾. [٨٢]﴿ وَيُحِقُّ ﴾ يثبت ويظهر ﴿ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ بمواعيده ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾. [٨٣] ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ ﴾ طائفة ﴿ مِّن ﴾ أولاد ﴿ قَوْمِهِۦ ﴾ أي فرعون ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ ﴾ متكبر ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ المتجاوزين الحد بادّعاء الربوبية. [٨٤] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾. [٨٥] ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنُّوا أنهم على الحق فيُفْتَتَنُوا بنا. [٨٦] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. [٨٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾ اتخذا ﴿ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ مصلًّى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أتمُّوها ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا ﴾ آتيتهم ذلك ﴿ لِيُضِلُّوا۟ ﴾ في عاقبته ﴿ عَن سَبِيلِكَ ﴾ دينك ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ امسخها ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ المؤلم، دعا عليهم وأمَّنَ هارون على دعائه.

وعن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدوَّ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمُونَ ويقتُلُونَ، فأكبَّتْ طائفة على المعسكر يحوُونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدوُّ منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منّا، نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: خفنا أن يصيب العدوُّ منه غرة واشتغلنا به فنزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ فقسمها رسول الله ﷺ على وِفاقٍ بين المسلمين، [رواه أحمد وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر « من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا » قال: فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة الرَّايات، فلم يبرحوها فلما فتح الله عليهم قالت المشيخة: كنا رِدْءاً لكم لو انهزمتم فِئْتُم إلينا فلا تذهبونَ بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ إلى قوله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ يقول: فكان ذلك خيراً لهم فكذلك أيضاً فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم. [رواه أبو داود].

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٢

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فَمُسِخت أموالُهم حجارة(١)، ولم يؤمن فرعونُ حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي. روي أنه مكث بعدها أربعين سنة. [٩٠] ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنه، وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كرّره ليقبل منه فلم يقبل، وَدَسَّ جبريلُ في فيه من حمأة البحر مخافة أنْ تنالَه الرحمة، وقال له: [٩١] ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان. [٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نُخْرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عِبْرَة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك. وعن ابن عباس: أن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موته فأُخْرِجَ لهم ليروه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها. [٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين. [٩٤] ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً ﴿فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»(٢) ﴿لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه. [٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ﴾. [٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [٩٧] ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا» ثم ساق نحوه، وحديث خالد أتم. [رواه أبو داود وابن حبان].

---

(١) ضعّف الآلوسي هذا الخبر، وأشار إلى أنه لا يخلو عن وهن. انظر: روح المعاني (١١/ ١٧٣).

(٢) الدر المنثور (٤/ ٣٨٩).

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

[٩٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاّ ﴿ كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ أريد أهلها ﴿ ءَامَنَتْ ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ ﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخّروا إلى حلوله ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ انقضاء آجالهم. [٩٩] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ لا. [١٠٠] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بإرادته ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾ العذاب ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبّرون آيات الله. [١٠١] ﴿ قُلِ ﴾ لكفار مكة ﴿ ٱنظُرُواْ مَاذَا ﴾ أي الذي ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ ﴾ جمع نذير أي الرُّسُل ﴿ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ في علم الله أي ما تنفعهم. [١٠٢] ﴿ فَهَلْ ﴾ فما ﴿ يَنتَظِرُونَ ﴾ بتكذيبك ﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم، أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ ذلك ﴿ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾. [١٠٣] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ من العذاب ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ الإنجاء ﴿ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين. [١٠٤] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي أهل مكة ﴿ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾ أنه حق ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره، وهو الأصنام لشكّكم فيه ﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ يقبض أرواحكم ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ ﴾ أي بأن ﴿ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [١٠٥] ﴿ وَ ﴾ قيل لي ﴿ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً إليه ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. [١٠٦] ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ تعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إن عبدته ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إن لم تعبده ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ ذلك فرضاً ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

---

(٩) قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾.

عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمئة ونيّفٌ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً». قال: فما زال يستغيث ربه عزّ وجلّ ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فردّاه ثم التزمه مِن ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّكَ، فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [رواه مسلم وغيره].

(١٦) قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾.

عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [رواه أبو داود وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

ثم قال الحافظ ابن كثير: وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم، كما دل عليه حديث أبي هريرة

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

آياتها ١٢٣ — ترتيبها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ يصبك ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [١٠٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أيأهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأجبركم على الهدى. [١١٠] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من ربِّك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلُهم. وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

﴿سورة هود﴾

[مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي الله. [٢] ﴿أَ﴾ أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم. [٣] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فيه حذف إحدى التاءين، أي تُعرضوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة. [٤] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب. [٥] ونزل كما رواه البخاري[1] عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء. وقيل: في المنافقين ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ أي الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يُغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بما في القلوب.

المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجمهور، والله أعلم.

(١٧) قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

عن حَكِيم بن حِزَام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحَصْباء فاستقبلَنا به فرمانا بها وقال: «شاهت الوُجُوه» فانهزمنا فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٢).

۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

[٦] ﴿ ۞ وَمَا مِن ﴾ زائدة ﴿ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ هي ما دبَّ عليها ﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ مسكنها في الدنيا أو الصُّلْبِ ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ بعد الموت أو في الرَّحِم ﴿ كُلٌّ ﴾ مما ذكر ﴿ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ. [٧] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ ﴾ قبل خلقهما ﴿ عَلَى الْمَاءِ ﴾ وهو على متن الريح ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلق بخلق، أي خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي أطوع لله ﴿ وَلَئِن قُلْتَ ﴾ يا محمد لهم ﴿ إِنَّكُم مَبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ ﴾ ما ﴿ هَذَا ﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ بيِّن، وفي قراءة (ساحر)، والمشار إليه النبي ﷺ. [٨] ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى ﴾ مجيء ﴿ أُمَّةٍ ﴾ أوقات ﴿ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ﴾ استهزاء ﴿ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ ما يمنعه من النزول قال تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا ﴾ مدفوعاً ﴿ عَنْهُمْ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ من العذاب. [٩] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾ الكافر ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ غِنًى وصحَّة ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿ كَفُورٌ ﴾ شديد الكفر به. [١٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ ﴾ فقر وشدة ﴿ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ ﴾ المصائب ﴿ عَنِّي ﴾ ولم يتوقع زوالها، ولا شكرَ عليها ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ ﴾ بطِرٌ ﴿ فَخُورٌ ﴾ على الناس بما أُوتي. [١١] ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على الضراء ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ في النعماء ﴿ أُولَئِكَ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ هو الجنة. [١٢] ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿ أَن يَقُولُوا لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ يصدِّقه كما اقترحنا ﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ حفيظ فيجازيهم.

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ . [رواه الطبراني] .

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه : أنها نزلت لما رمى النبي ﷺ أبي بن خلف . [صححه الحاكم وأقره الذهبي] .

(١٩) قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ .

عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر قال : كان المُستفتِحُ يوم بدر أبا جهل قال : اللهم أقطَعُنَا للرحم وآتانا بما لم نَعرِفْ فأَحِنْهُ الغَداةَ ، فأنزل الله : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ . [رواه الطبري وصححه الحاكم وأقره الذهبي] .

(٣٣) قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تَحَدَّاهم بها أولاً، ثم بِسُورةٍ ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء. [١٤] ﴿فَإِ﴾ ن ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي مَنْ دَعَوْتُمُوهُم للمُعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة، أي أسلِموا. [١٥] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أَصرَّ على الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصِلَةِ رَحِم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ ينقصون شيئاً. [١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ه ﴿فِيهَا﴾ أي الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [١٧] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله وهو جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال كمن ليس كذلك؟ لا ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي بالقرآن فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنِسْبَة الشريك والولد إليه ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين. [١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾.

عن عبد الحميد صاحب الزيادي سمع أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآيتان.
[رواه البخاري ومسلم].

سبب آخر:

عن ابن عباس أن المشركين كانوا يَطُوفون بالبيت يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبي ﷺ: «قد قد» فيقولون: لا شريك لك إلا شريك هو لك تملِكُه

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ ﴾ الله ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾ للحق ﴿ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ ـه أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك. [٢١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ على الله من دعوى الشريك. [٢٢] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾. [٢٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ ﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. [٢٤] ﴿ ۞ مَثَلُ ﴾ صفة ﴿ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ ﴾ هذا مثل الكافر ﴿ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ لا ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: تتعظون[1]. [٢٥] ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنِّي ﴾ أي بأني، وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ بيّن الإنذار. [٢٦] ﴿ أَن ﴾ أي بأن ﴿ لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ إن عبدتم غيره ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة. [٢٧] ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾ وهم الأشراف ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾ ولا فضلَ لك علينا ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا ﴾ أسافلنا كالحاكة والأساكفة ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ بالهمز وتركه، أي ابتداءً من غير تفكر فيك، ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ في دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه في الخطاب. [٢٨] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ ﴾ أخبروني ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾ بيان ﴿ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ ﴾ نُبُوّة ﴿ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ ﴾ خفيت ﴿ عَلَيۡكُمۡ ﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا ﴾ أنجبركم على قبولها ﴿ وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ لا نقدر على ذلك.

ربع الحزب ٢٣

وما مَلَك، ويقولون: غفرانك غفرانك فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ فقال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبيُّ الله والاستغفار قال: فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ قال: فهذا عذاب الآخرة قال: وذاك عذاب الدنيا. [رواه الطبري].

---

(١) وفي قراءة سَبعية بتخفيف الذال.

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

[٢٩] ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًاۖ﴾ تعطونيه ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم. [٣٠] ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلاّ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال تتّعظون[1].

[٣١] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إني ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ﴾ تحتقر ﴿أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه. [٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إليّ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ بفائتين الله. [٣٤] ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ أي إغواءكم، وجواب الشرط دل عليه: (ولا ينفعكم نصحي) ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قال تعالى: [٣٥] ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ إثمي، أي عقوبته ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إليّ. [٣٦] ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ من الشرك فدعا عليهم بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ...﴾ إلخ [نوح، الآية: ٢٦] فأجاب الله دعاءه فقال: [٣٧] ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

ولا مانع أن تكون الآية نزلت في هذا وهذا، وأنهما معاً كانا سبباً لنزول الآية، والله أعلم.

(٦٦) قوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفرَّ واحد من عشرة فجاء التخفيف فقال: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾. [رواه البخاري وغيره].

(٦٧) قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلِّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم، قال: ففداهم

---

(١) وفي قراءة سَبعية بتخفيف الذال.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

نصف الحزب ٢٣

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ استهزؤوا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نجونا وغرقتم. [٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم. [٤٠] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للصنع ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، أي من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى وهو مفعول. وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها، فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء. [٤١] ﴿۞ وَقَالَ﴾ نوح ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بفتح الميمين[1] وضمهما مصدران أي جريها ورُسُوّها أي منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا. [٤٢] ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [٤٣] ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو المعصوم قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾. [٤٤] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دُونَ ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكاً ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين. [٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٣/ ٤٥٠): قوله: بفتح الميمين: فيه تساهل؛ فإن فتحهما قراءة شاذة، والسبعية إنما هي ضمهما وفتح الأولى مع ضم الثانية.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة بكسر ميم (عمل) فعل، ونصب (غير) فالضمير لابنه ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ من إنجاء ابنك ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ بسؤالك ما لم تعلم. [٤٧] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ ﴾ من ﴿ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي ﴾ ما فرط مني ﴿ وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾. [٤٨] ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ﴾ انزل من السفينة ﴿ بِسَلَٰمٖ ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ ﴾ خيرات ﴿ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿ وَأُمَمٞ ﴾ بالرفع ممن معك ﴿ سَنُمَتِّعُهُمۡ ﴾ في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ في الآخرة وهم الكفار. [٤٩] ﴿ تِلۡكَ ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ ﴾ يا محمد ﴿ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ ﴾ المحمودة ﴿ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾. [٥٠] ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ ﴾ من القبيلة ﴿ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحِّدوهُ ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ ﴾ زائدة ﴿ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ ﴾ ما ﴿ أَنتُمۡ ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ على التوحيد ﴿ أَجۡرًاۖ إِنۡ ﴾ ما ﴿ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ ﴾ خلقني ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾. [٥٢] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ ﴾ ارجعوا ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ بالطاعة ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ ﴾ المطر، وكانوا قد مُنِعُوهُ ﴿ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾ كثير الدُّرُور ﴿ وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ ﴾ مع ﴿ قُوَّتِكُمۡ ﴾ بالمال والولد ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ مشركين. [٥٣] ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ ﴾ برهان على قولك ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ ﴾ أي لقولك ﴿ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾.

رسولُ الله ﷺ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: «كاد أنْ يُصيبنا بلاء في خِلافك». [رواه الحاكم، ولمسلم نحوُه].

(٦٨ ـ ٦٩) قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

عن أبي هريرة قال: لما كان يوم بدر تعجَّل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ: «إن الغنيمة لا تَحِلُّ لأحد سُودِ الرؤوس غيركم» وكان النبي ﷺ وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فأكلتها فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ إلى آخر الآيتين. [رواه الطيالسي والترمذي وأحمد].

وعن خَيْثَمَةَ قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر فذكروا علياً فشتَمُوه فقال سعد: مهلاً عن أصحاب رسول الله ﷺ فإنا أصبنا دنيا مع رسول الله ﷺ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ فأرجو أن تكون رحمة من عند الله سبقت لنا، فقال بعضهم: فوالله إنه كان يبغضُك ويسمِّيك

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوٓا أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُۥ وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)

[٥٤] ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ نَّقُولُ ﴾ في شأنك ﴿ إِلَّا اعْتَرَاكَ ﴾ أصابك ﴿ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ فخبلك لِسبّكَ إياها فأنت تَهْذِي ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ اللَّهَ ﴾ عليَّ ﴿ وَاشْهَدُوٓا أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ـه به. [٥٥] ﴿ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي ﴾ احتالوا في هلاكي ﴿ جَمِيعًا ﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ تُمهلُون. [٥٦] ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن ﴾ زائدة ﴿ دَآبَّةٍ ﴾ نسمة تَدبُّ على الأرض ﴿ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ أي مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخَصّ الناصية بالذكر لأن من أُخذ بناصيته يكون في غاية الذُّل ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي طريق الحق والعدل. [٥٧] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ فيه حذف إحدى التاءين، أي تعرضوا ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾ بإشراككم ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ رقيب. [٥٨] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ ﴾ هداية ﴿ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديد. [٥٩] ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ إشارة إلى آثارهم، أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُۥ ﴾ جمع، لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿ وَاتَّبَعُوٓا ﴾ أي السفلة ﴿ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ معاند للحق من رؤسائهم. [٦٠] ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ من الناس ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا ﴾ جحدوا ﴿ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا ﴾ من رحمة الله ﴿ لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾. [٦١] ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ ﴾ من القبيلة ﴿ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحّدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم ﴾ ابتدأ خلقكم ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ جعلكم عُمّاراً تسكنون بها ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓا ﴾ ارجعوا ﴿ إِلَيْهِ ﴾ بالطاعة ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ ﴾ من خلقه بعلمه ﴿ مُّجِيبٌ ﴾ لمن سأله. [٦٢] ﴿ قَالُوا يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ نرجو أن تكون سيّداً ﴿ قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ الذي صدر منك ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ من الأوثان ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع في الريب.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

الأخنس، فضحك سعد حتى استعلاء الضحك ثم قال: أليس قد يجد المرء على أخيه في الأمر يكون بينه وبينه ثم لا يبلغ ذلك أمانته وذكر كلمة أخرى. [رواه الحاكم وصححه].

(٧٥) قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ ﴾.

عن عكرمة عن ابن عباس قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه ووَرّثَ بعضهم من بعض حتى نزلت: ﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنَّسب. [رواه الطيالسي وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

[٦٣] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾ بيان ﴿ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾ نبوة ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي ﴾ يمنعني ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي عذابه ﴿ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي ﴾ بأمركم لي بذلك ﴿ غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴾ تضليل. [٦٤] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ ﴾ حالٌ عاملُهُ الإشارة ﴿ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾ عُقْرٍ ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴾ إن عَقَرْتُموها. [٦٥] ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ عقرَها قُدار بأمرهم ﴿ فَقَالَ ﴾ صالح ﴿ تَمَتَّعُواْ ﴾ عيشوا ﴿ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ﴾ ثم تهلكون ﴿ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴾ فيه. [٦٦] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَ ﴾ نجيناهم ﴿ مِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ ﴾ بكسر الميم إعراباً، وفتحها بناء لإضافته إلى مبني، وهو الأكثر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الغالب. [٦٧] ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ باركين على الرُّكَبِ ميّتين. [٦٨] ﴿ كَأَن ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿ لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ ﴾ يقيموا ﴿ فِيهَآ ﴾ في دارهم ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ[1] كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴾ بالصرف وتركه، على معنى الحي والقبيلة. [٦٩] ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ ﴾ مصدر ﴿ قَالَ سَلَٰمٞۖ ﴾ عليكم ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ مشوي. [٧٠] ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ ﴾ بمعنى أنكرهم ﴿ وَأَوۡجَسَ ﴾ أضمر في نفسه ﴿ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ ﴾ خوفاً ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴾ لِنُهلِكَهم. [٧١] ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ أي امرأة إبراهيم: سارة ﴿ قَآئِمَةٞ ﴾ تخدمهم ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ استبشاراً بهلاكهم ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ ﴾ بعد ﴿ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه.

سورة التوبة

(١٩) قوله تعالى : ﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ .

عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام قال : حدّثني النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ ، فقال رجل : ما أبالي ألا أعملَ عملاً بعدَ الإسلام إلا أن أسقيَ الحاج . وقال آخر : ما أبالي ألا أعملَ عَملاً بعد الإسلام إلا أن أعمُرَ المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضلُ مما قلتم . فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عندَ منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيتُه فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ

---

(١) في الأصل: ثموداً بالتنوين، وما أثبت هو الموافق لرواية حفص.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ له مئة وعشرون سنة ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين. [٧٣] ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قُدْرتِهِ ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ كريم. [٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالولد أخذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ يجادل رُسُلَنا ﴿فِى﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾. [٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ رجّاع، فقال لهم أتُهلِكون قريةً فيها ثلاثمئة مؤمن؟ قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها مئتا مؤمن؟ قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا لا، قال أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا لا، قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها... إلخ. [٧٦] فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾. [٧٧] ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ حَزِنَ بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قَوْمَه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد. [٧٨] ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لَمّا علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يُسْرِعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فتزوَّجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ تَفْضحُونِ ﴿فِى ضَيْفِىٓ﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. [٧٩] ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال. [٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عشيرة تنصرني، لَبَطَشْتَ بكم. فلما رأت الملائكة ذلك: [٨١] ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾ بالرفع بدل من (أحد) وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل أي فلا تَسْرِ بها ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها وقيل: خرجت والتفتت فقالت: واقوماه! فجاءها حَجَرٌ فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال أريد أعجل من ذلك قالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. الآية إلى اخرها. [رواه مسلم وغيره].

(٣٤) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الحزب ٢٤

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا ﴾ أي قراهم ﴿ سَافِلَهَا ﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ طين طبخ بالنار ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ متتابع. [٨٣] ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ معلّمة عليها اسم من يرمى بها ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ ظرف لها ﴿ وَمَا هِىَ ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي أهل مكة ﴿ بِبَعِيدٍ ﴾. [٨٤] ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحّدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ بكم يهلككم، ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه. [٨٥] ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ أتمّوهما ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل وغيره، مِنْ «عثي» بكسر المثلثة أفسَدَ، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها (تعثوا). [٨٦] ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من البخس ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بُعِثْتُ نذيراً. [٨٧] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ له استهزاء ﴿ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ بتكليف ﴿ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ من الأصنام ﴿ أَوْ ﴾ نترك ﴿ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ المعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ قالوا ذلك استهزاء. [٨٨] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ حلالاً أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ ﴾ وأذهب ﴿ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ فأرتكبه ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ ﴾ لكم بالعدل ﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أرجع.

عن زيد بن وهب قال: مررت بالرَّبَذَة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلَكَ مَنْزِلَكَ هذا؟ قال: كنت بالشَّام فاختلفْتُ أنا ومعاوية في: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن اقدم المدينة، فَقَدِمْتُهَا فكثر عليَّ الناس حتى كأنَّهم لم يَروني قبلَ ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إنْ شئت تنحَّيت فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمَّروا عليَّ حبشياً لسمعت وأطعت. [رواه البخاري وغيره].

(٥٨) قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخُويصرةِ التَّميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: « ويلَكَ مَن يَعدِلُ إذا لَم أعدِلْ ». قال عمر بن الخطاب: دعني أضربْ عنُقَهُ، قال: « دعه فإن له أصحاباً يَحقِرُ أحدُكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يَمرُقون من الدِّين كما يمرُق السهم من

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

[٨٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ خلافي فاعل يجرم، والضمير مفعول أول، والثاني: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا. [٩٠] ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ مُحِبٌّ لهم. [٩١] ﴿قَالُواْ﴾ إيذاناً بقلة المبالاة ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَٰكَۖ﴾ بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة. [٩٢] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ﴾ منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً، فيجازيكم. [٩٣] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٌۖ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر. [٩٤] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين. [٩٥] ﴿كَأَن﴾ مخففة: أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. [٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بيّن ظاهر. [٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سَدِيد.

الرَّمية ينظر في قُذَذِهِ فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نَصلِهِ فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رِصَافِهِ فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نَضِيِّهِ فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتُهُم رَجُلٌ إحدى يديهِ أو قال : ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال : مثل البَضْعَة تُدردِرُ ، يخرجون على حين فُرقةٍ مِنَ النَّاس » . قال أبو سعيد : أشهد سمعت من رسول الله ﷺ وأشهد أن علياً قتَلَهُم وأنا مَعَهُ جِيءَ بالرَّجُلِ عَلى النَّعتِ الذي نعته رسول الله ﷺ قال : فنزلت فيهم : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ . [رواه البخاري وغيره] .

(٦٥) ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .
عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تَبُوك في مجلس يوماً : ما رأيت مثل قُرَّائنا هؤلاء لا أرغبَ بُطوناً ولا أكذَبَ ألسنةً ، ولا أجْبَنَ عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، ونزل القرآن ، قال عبد الله : فأنا رأيته متعلقاً بحَقَبِ نَاقةِ رسول الله تنكبُهُ الحجارة وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول : ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . [رواه ابن أبي حاتم والطبري] .
(٧٩) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ .

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيتّبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ هي. [٩٩] ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾ العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ رفدهم. [١٠٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿قَآئِمٌ﴾ هلك أهلُه دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له، كالزرع المحصود بالمناجل. [١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير.

[١٠٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أريد أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بالذنوب: أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾ الآية»(١).

ربع الحزب ٢٤

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق. [١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله. [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخلق ﴿شَقِىٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ كُتِبَ كُلٌّ في الأزَلِ. [١٠٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف. [١٠٧] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له، والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. [١٠٨] ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ بفتح السين وضمها ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدّم(٢)، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مقطوع. وما تقدّم من التأويل هو الذي ظهر وهو خالٍ من التكلف، والله أعلم بمراده.

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) أي: في تفسير الآية رقم (١٠٧) وهي التي قبل هذه.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الأصنام إنا نعذبهم كما عذبنا مَنْ قَبْلَهُم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي كعبادتهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي تاماً. [١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ مُوقع في الريبة. [١١١] ﴿وَإِنَّ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿كُلًّا﴾ أي كل الخلائق ﴿لَمَا﴾ ما زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة، وفي قراءة بتشديد ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى إلا ف(إن) نافية ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم ببواطنه كظواهره. [١١٢] ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَ﴾ ليستقم ﴿مَن تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به. [١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا﴾ تميلوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمَوَدَّةٍ أو مُداهَنةٍ أو رضاً بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تصيبكم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه. [١١٤] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الغداة والعشي أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة أي: طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب الصغائر، نزلت فيمن قَبَّلَ أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال أَلِيَ هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان(1) ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ عِظَةٌ للمُتَّعِظِين. [١١٥] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة. [١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاّ ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المراد به النفي: أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نَهَوا، فنجَوا، و (من) للبيان ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَآ أُتْرِفُوا﴾ نُعِّموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾. [١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

---

(1) رواه البخاري (٥٢٦) ومسلم (٢٧٦٣).

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين. [١١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. [١٢٠] ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بـ (نقصُّ)، وتنوينه عوض المضاف إليه، أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا﴾ بدل من (كلاًّ) ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمّنُ ﴿بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكفار. [١٢١] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم. [١٢٢] ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك. [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي عِلْمُ ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل يعود وللمفعول يُرَدّ ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحّده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم وفي قراءة بالفوقانية.

﴿سورة يوسف﴾

[مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى «مِنْ» ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المُظْهِر للحق من الباطل. [٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلُغَةِ العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه. [٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن﴾ مخففة أي وإنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾. [٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر، دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما نَزَلَتْ آيةُ الصدقة كنا نُحامِلُ، فجاء رجل فَتَصدَّقَ بشيء كثير فقالوا: مُرَاءٍ، وجاء رجل فَتَصَدَّقَ بصاعٍ، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية. [رواه البخاري وغيره].

(٨٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أبيٍّ لما تُوفِّيَ جاءَ ابنُهُ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني قَميصَكَ أكفنْه فيه، وصَلِّ عَلَيه، واستغفرْ له. فأعطاه النبي ﷺ قَميصَهُ، فقال: آذنّي أصلي عليه، فآذنه فلما أراد أن يُصَلِّي عليه جَذَبهُ عمر رضي الله عنه فقال: أليسَ اللهُ قد نهاك أن تُصَلِّيَ على المنافقين، فقال: «أنا بين خِيرتَينِ»، قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾. فصَلَّى عليه فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾. [رواه البخاري ومسلم].

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ
يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

نصف الحزب ٢٤

يجب الادغام أو الروم

[٥] ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ﴾ يحتالون في هلاكك حسداً، لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب، والشمس أمُّك، والقمر أبوك ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ظاهر العداوة. [٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما رأيت ﴿ يَجۡتَبِيكَ ﴾ يختارك ﴿ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ تعبير الرؤيا ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ بالنبوة ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾ أولاده ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا ﴾ بالنبوة ﴿ عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٞ ﴾ في صنعه بهم. [٧] ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي ﴾ خبر ﴿ يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ﴾ وهم أحد عشر ﴿ ءَايَٰتٞ ﴾ عبر ﴿ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ عن خبرهم. [٨] اذكر ﴿ إِذۡ قَالُواْ ﴾ أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿ لَيُوسُفُ ﴾ مبتدأ ﴿ وَأَخُوهُ ﴾ شقيقه بنيامين ﴿ أَحَبُّ ﴾ خبر ﴿ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾ جماعة ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ ﴾ خطأ ﴿ مُّبِينٍ ﴾ بيّن بإيثارهما علينا. [٩] ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا ﴾ أي بأرض بعيدة ﴿ يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ بأن تتوبوا. [١٠] ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ هو يهوذا ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ ﴾ اطرحوه ﴿ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع ﴿ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ المسافرين ﴿ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك. [١١] ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ لقائمون بمصالحه. [١٢] ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا ﴾ إلى الصحراء ﴿ يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ ﴾ بالنون والياء فيهما، ننشط ونتسع[1] ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾. [١٣] ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ ﴾ أي ذهابكم ﴿ بِهِۦ ﴾ لفراقه ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴾ مشغولون. [١٤] ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ ﴾ لام قسم ﴿ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾ جماعة ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ عاجزون فأرسله معهم.

(٩٥ ـ ٩٦) قوله تعالى: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾.

عن ابن شهاب قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يقول لما قَدِمَ رسول الله ﷺ من تبوكَ، جلس للناس فلما فَعَلَ ذلك جاءه المُخَلَّفون فطفِقُوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بِضعَةً وثمانين رجلاً، فَقَبِلَ منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، وَوَكَل سرائرهم إلى الله، وَصَدَقْتُهُ حديثي، فقال كعب: والله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ ألا أكونَ كَذَبْتُهُ فأهلِكَ كما هَلَكَ الذين كذبوا، إنَّ الله قال للذين كذبوا؛ حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحَدٍ:

---

(١) أي: نتفسّح بأكل الثمار والفواكه. (حاشية الجمل).

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟﴾ عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجواب (لمّا) محذوف، أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء ثم أوى إلى صخرة، فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم، فأرادوا رضخه بصخرة، فمنعهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجُبّ وحْيَ حقيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء. [١٦] ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾. [١٧] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمُصدِّقٍ ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ عندك لاتهمتنا في هذه القصة، لمحبة يوسف، فكيف وأنتَ تُسيء الظَّنّ بنا. [١٨] ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ محلّه نصبٌ على الظرفية أي فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب، بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلِم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينتِ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف أي أمري إلى الله ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف. [١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مَدْيَن إلى مصر فنزلوا قريباً من جُب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ الذي يَرِدُ الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ﴾ (يابُشْرايَ) وفي قراءة: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَٰعَةً﴾ بأن قالوا هذا عبدنا أبَق، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا۟﴾ أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ فجاءت به السَّيّارة إلى مصر، فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً، وزَوْجَيْ نَعْل، وثوْبَيْن. [٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وكان حَصوراً[1] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجب وعطّفْنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بـ (مكنا) أي لنمكّنه أو الواو زائدة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فِقهاً في الدين، قبل أن يُبْعث نبياً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

---

(١) أي لا يأتي النساء.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ هي زليخا ﴿ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ أي طلبت منه أن يواقعها ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ للبيت ﴿ وَقَالَتۡ ﴾ له ﴿ هَيۡتَ لَكَ ﴾ أي هَلُمَّ، واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ الذي اشتراني ﴿ رَبِّيٓ ﴾ سيّدي ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي الشأن ﴿ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الزُّناة. [٢٤] ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ ﴾ قصدت منه الجماع ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[1] قصد ذلك ﴿ لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ قال ابن عباس: مُثِّل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله[2] وجواب (لولا) محذوف: لجامعها ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أريناه البرهان ﴿ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الخيانة ﴿ وَٱلۡفَحۡشَآءَ ﴾ الزنى ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ في الطاعة وفي قراءة بفتح اللام أي المختارين. [٢٥] ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ بادر إليه يوسف للفرار وهي للتشبث به، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿ وَقَدَّتۡ ﴾ شقّت ﴿ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا ﴾ وَجَدا ﴿ سَيِّدَهَا ﴾ زوجها ﴿ لَدَا ٱلۡبَابِ ﴾ فنزّهت نفسها ثم ﴿ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ زنىً ﴿ إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ ﴾ يُحبَس في سجن ﴿ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ مؤلم بأن يُضرَب. [٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ يوسف متبرّئاً ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد فقال ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ ﴾ قُدّام ﴿ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾. [٢٧] ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ ﴾ خلف ﴿ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. [٢٨] ﴿ فَلَمَّا رَءَا ﴾ زوجها ﴿ قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ ﴾ أي قولك: (ما جزاء من أراد) إلخ ﴿ مِن كَيۡدِكُنَّ ﴾ أيها النساء ﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾. [٢٩] ثم قال يا ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِي ﴾ يا زليخا ﴿ لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴾ الآثمين، واشتهر الخبر وشاع. [٣٠] ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ مدينة مصر ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾ عبدها ﴿ عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ تمييز، أي دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ أي في خطأ ﴿ مُّبِينٖ ﴾ بيِّن بحبها إياه.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ

---

(١) قيل: المراد بهمِّه خطرات النفس. وحكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق، وأورد حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة: «إذا همّ عبدي بحسنة...». وقيل همّ بضربها. وقيل: همّ بها لولا أن رأى برهان ربه أي فلم يهمّ بها (ابن كثير: ٢/ ٤٩٢).
وذكر الرازي أن الفائدة من ذكر الهمّ مع أنه لم يكن هناك همّ: الإخبار أن هذا الامتناع لم يكن لعجز، ولكنه ترك ذلك لله وفي الله (عصمة الأنبياء: ٧٩). والأنبياء معصومون، وكل ما ورد مخالفاً لهذه العصمة فباطل من وضع القصاص وأصحاب الأخبار.

(٢) هذا خبر لا يصح، ويردُّه العقل السليم.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ غيبتهن لها ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ ﴾ أعدت ﴿ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ طعاماً يُقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿ وَءَاتَتْ ﴾ أعطت ﴿ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ﴾ ليوسف ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ أعْظَمْنه ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيهاً له ﴿ مَا هَٰذَا ﴾ أي يوسف ﴿ بَشَرًا إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ لِمَا حواهُ من الحُسْن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الصحيح: أنه أعطي شطر الحسن[1]. [٣٢] ﴿ قَالَتْ ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ﴾ فهذا هو ﴿ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ في حبه بيان لعذرها ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ امتنع ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ ﴾ به ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الذليلين فقلن له: أطع مولاتك. [٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ ﴾ أَمِل ﴿ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن ﴾ أصِرْ ﴿ مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى: [٣٤] ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ دُعاءَه ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ للقول ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بالفعل. [٣٥] ﴿ ثُمَّ بَدَا ﴾ ظهر ﴿ لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ ﴾ إلى ﴿ حِينٍ ﴾ ينقطع فيه كلام الناس فسجن. [٣٦] ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ غلامان للملك، أحدهما ساقيه، والآخر صاحبُ طَعامِه، فرأياه يُعَبِّر الرؤيا فقالا: لَنَخْتبرَنَّهُ ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ ﴾ وهو الساقي ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أي عِنباً ﴿ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ ﴾ وهو صاحب الطعام ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا ﴾ خبرنا ﴿ بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾ بتعبيره ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. [٣٧] ﴿ قَالَ ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في منامكما ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ في اليقظة ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ تأويله ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ فيه حث على إيمانهما ثم قوّاه بقوله: ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ ﴾ دين ﴿ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ ﴾ تأكيد ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾.

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ . [رواه الطبري وللبخاري نحوُه]

(١١٣) قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله ﷺ فَوَجَدَ عنده أبا جهل بنَ هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: « يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمةً أشهدْ لك بها عند الله »، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغبُ عن

---

(١) رواه مسلم (١٦٢).

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فيشركون، ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: [٣٩] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾ ساكني ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ خير؟ استفهام تقرير. [٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سميتم بها أصناماً ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حُجَّة وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون. [٤١] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي الساقي فيَخْرُجُ بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته. هذا تأويل رؤياه ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ هذا تأويل رؤياه، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿قُضِىَ﴾ تمَّ ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه، صَدَقْتُما أم كَذَبْتُما. [٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ﴾ أَيْقَنَ ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ سَيِّدكَ، فقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظُلْماً، فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي الساقي ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قيل سبعاً وقيل اثنتي عشرة[1]. [٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ ملك مصر: الريان بن الوليد ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ جمع عَجْفَاء ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٍ﴾ قد الْتَوَتْ على الخُضْر وعَلَتْ عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها لي.

ملَّة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضُها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخِرَ ما كلَّمَهُم : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : « أما والله لأستغفِرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنك » فأنزل الله تعالى فيه الآية . [رواه البخاري ومسلم] .

(١١٧ إلى ١١٩) قوله تعالى : ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ .

---

(١) هذا قول مردود؛ لأنَّ البضع ما بين الثلاث إلى التسع. وانظر هذا المعنى ص ٤٠٤ سورة الروم، الآية (٤).

قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٤] ﴿قَالُوٓا۟﴾ هذه ﴿أَضْغَٰثُ﴾ أخلاط ﴿أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾. [٤٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي من الفتيين وهو الساقي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً، وإدغامها في الدال، أي تذكّر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ فأرسلوه، فأتى يوسف، فقال: [٤٦] يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تعبيرها. [٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ متتابعة، وهي تأويل السَّبْع السِّمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ أي اتركوه ﴿فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه. [٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي السبع المُخْصِبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مُجْدِبات صعاب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحَبّ المَزْرُوع في السنين المُخْصِبات، أي تأكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تدَّخِرُون. [٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي السبع المُجْدِبات ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الأعناب وغيرها لخصْبه. [٥٠] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ﴾ أي بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي يوسف ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً إظهار براءته ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع فأخبر الملك، فجمعهن. [٥١] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكن ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ﴾ وضح ﴿ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قوله: (هي راودتني عن نفسي) فأخبر يوسف بذلك فقال: [٥٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ ثم تواضع لله فقال: [٥٣] ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ﴾[1] من الزلل ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌۢ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ بمعنى مَنْ ﴿رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِيَ قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلَّف عن

---

(١) يرجح ابن كثير قول ابن عباس ومجاهد أن ذلك من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل أحضره الملك بعد ذلك. ويوضح هذا سياق الكلام (ابن كثير: ٢/٤٩٩).

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

الجزء ١٣ الحزب ٢٥

[٥٤] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أجعله خالصاً لِي دون شريك، فجاءه الرسولُ وقال: أَجِب الملكَ، فقامَ وودَّع أهل السجن، ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثياباً حِساناً ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وادخر الطعام في سنبله، فتأتي إليك الخلقُ لِيَمْتَارُوا منك، فقال: ومن لي بهذا؟ [٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ذو حِفْظٍ وعِلْمٍ بأمرها، وقيل: كاتب حاسب. [٥٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ بعد الضيق والحبس. وفي القصة أن الملك توَّجَهُ وختَّمه وولاه مكان العزيز وعزله، ومات بَعْدُ، فزَوَّجَهُ امْرَأَتَهُ فوجدها عذراء، وولدت له ولدين[1]، وأقام العدل بمصر ودانت له الرِّقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. [٥٧] ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام. [٥٨] ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به، وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبَّنا إليه وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم. [٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ وفَّى لهم كَيْلَهم ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ أي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ أُتمُّه من غير بَخْس ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾. [٦٠] ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي مِيرة ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾ نهي أو عطف على محل (فلا كيل) أي تُحْرَمُوا ولا تُقرَّبُوا. [٦١] ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك. [٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لفتيته﴾ غلمانه ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ وفرّغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها. [٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ

(١) كيف يقترن نبيٌّ بامرأةٍ سبق أن طلبتْ منه ارتكابَ الفاحشة؟! فالخبر مردود.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

أبيهم ﴿قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ بالنون والياء ﴿وإنا له لحافظون﴾. [٦٤] ﴿قال هل﴾ ما ﴿آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فالله خير حفظاً﴾ وفي قراءة: ﴿حافظاً﴾ تمييز كقولهم: لله دره فارساً ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ فأرجو أن يمنَّ بحفْظِه. [٦٥] ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ «ما» استفهامية أي أيَّ شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا، وقرىء[1] بالفوقانية خطاباً ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا﴾ نأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير﴾ لأخينا ﴿ذلك كيل يسير﴾ سهل على الملك لسخائه. [٦٦] ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً﴾ عهداً ﴿من الله﴾ بأن تحلفوا ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾ بأن تموتوا أو تُغْلبوا فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابوه إلى ذلك ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ بذلك ﴿قال الله على ما نقول﴾ نحن وأنتم ﴿وكيل﴾ شهيد، وأرسله معهم. [٦٧] ﴿وقال يا بني لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وما أغني﴾ أدفع ﴿عنكم﴾ بقولي ذلك ﴿من الله من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ قدّره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إن﴾ ما ﴿الحكم إلا لله﴾ وحده ﴿عليه توكلت﴾ به وثقت ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾. [٦٨] قال تعالى: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ أي متفرقين ﴿ما كان يغني عنهم من الله﴾ أي قضائه ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء إلا﴾ لكن ﴿حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ لتعليمنا إياه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ إلهام الله لأصفيائه. [٦٩] ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى﴾ ضم ﴿إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس﴾ تحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسد لنا، وأمره ألا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يُبْقِيَهُ عنده.

قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلَّفْ عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تَبُوكَ، غير أني تخلفت في غزوة بَدْرٍ ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العَقَبَة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدرٌ أذكرَ في الناس مِنها، كان من خبري أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى

---

(١) قراءة شاذة.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مُرَصَّعٌ بالجوهر ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾. [٧١] ﴿قَالُوا۟ وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ ـه. [٧٢] ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل. [٧٣] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ما سرقنا قط. [٧٤] ﴿قَالُوا۟﴾ أي المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في قولكم (ما كنا سارقين) ووجد فيكم؟ [٧٥] ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ يُسْتَرَقُّ، ثم أكَّد بقوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي السارق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي المسروق لا غير، وكانت سُنَّة آل يعقوب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالسرقة فصرّحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم.

ربع الحزب ٢٥

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يُتَّهم ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علّمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة والتنوين، في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى. [٧٧] ﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي يوسف وكان سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره لئلا يعبده ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله. ﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه، لسرقتكم أخاكم من أبيكم، وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمره. [٧٨] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ولا يجمَعُهُم كتابٌ حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رَجُلٌ يريدُ أن يتغيَّبَ إلا ظن أنه سَيَخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثِّمارُ والظلالُ، وتجهَّزَ رسول الله ﷺ

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله، وأضيف إلى المفعول، أي نعوذ بالله من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾. [٨٠] ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا۟﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سناً: روبيل، أو رأياً: يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ وقيل «ما» مصدرية مبتدأ خبره «من قبل» ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ بالعودة إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلهم. [٨١] ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ تيقنًا من مشاهدة الصاع في رَحْلِهِ ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَٰفِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه. [٨٢] ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَٱلْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك. [٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه. اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٨٤] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة أي يا حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبُدِّل بياضاً مِنْ بُكائِهِ ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه. [٨٥] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَؤُا۟﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مُشْرِفاً على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ الموتى. [٨٦] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يُصْبَر عليه حَتَّى يُبَثَّ إلى الناس ﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صِدْق وهو حَيّ ثم قال:

والمسلمون معه، فَطَفِقْتُ أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقضِ من جَهَازي شيئاً، فقلت: أتَجَهَّزُ بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فَصَلُوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت، ولم أقضِ شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارطَ الغَزو، وهممت أن أرتحلَ فأدركهم وليتني فعلت، فلم يُقَدَّرْ لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فَطُفْتُ فيهم وأحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مَغْموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عَذَرَ الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بَلَغَ تبوكَ فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرداه ونَظَرُهُ في عِطْفِه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ﴾ تقنطوا ﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف. [٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ الجوع ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفاً أو غيرها ﴿فَأَوۡفِ﴾ أتم ﴿لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ يُثيبهم، فرَقَّ لهم وأدركته الرحمة، ورَفَع الحِجابَ بينه وبينهم. [٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخاً ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف. [٩٠] ﴿قَالُوٓاْ﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله مُتَثَبِّتِينَ ﴿أَءِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ﴾ أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. [٩١] ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ﴾ فضَّلك ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنّا ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ آثمين في أمرك فأذللناك. [٩٢] ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وسألهم عن أبيه، فقالوا ذهبت عيناه فقال: [٩٣] ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين أُلقي في النار كان في عنقه في الجب وهو من الجنة، أمره جبريل بإرساله، وقال إن فيه ريحها ولا يُلقى على مبتلًى إلا عُوفِيَ ﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ﴾ يَصِرْ ﴿بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾. [٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾ أَوْصَلَتْهُ إليه الصَّبَا بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تُسَفِّهونِ؛ لَصَدَّقتُمُوني. [٩٥] ﴿قَالُواْ﴾ له ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ﴾ خطئك ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بُعْدِ العَهْد.

يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجَّه قافلاً حَضَرَني همي ، فطفقْتُ أتذكَّرُ الكذب وأقول بماذا أخرج مِن سَخَطِهِ غداً واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن أَخرجَ منه أبداً بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المُخَلَّفون فطفقوا يعتذِرُون إليه ويحلِفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانِيَتَهُم ، وبايَعَهُم واستغفر لهم ، ووَكَلَ سرائِرَهم إلى الله ، فجئته ، فلما سلَّمتُ عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ثم

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٦] ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ زائدة ﴿جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾ يهوذا بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم، فأحب أن يُفرِحَهُ كما أحزَنَهُ ﴿أَلۡقَىٰهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾. [٩٧] ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾. [٩٨] ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أخّر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة. ثم توجهوا إلى مصر، وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم. [٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مَضْرَبِهِ ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أباه وأمه أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فدخلوا وجلس يوسف على سريره. [١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ السرير ﴿وَخَرُّواْ﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ سجود انحناء، لا وضع جبهة، وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ إليَّ ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ لم يقل من الجب تكرماً لئلا يَخجل إخوتُه ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ البادية ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة، وكانت مدة فراقه ثماني عشرة، أو أربعين، أو ثمانين سنة، وحضره الموتُ فوصّى يوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودَفَنَهُ ثَمَّةَ، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة، ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال: [١٠١] ﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ متولي مَصالحي ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي. فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر، ومات وله مئة وعشرون سنة، وتشاحَّ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مَرْمَر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه. [١٠٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ في كيده أي عزموا عليه ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ به، أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي. [١٠٣] ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

نصف الحزب ٢٥

قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خَلَّفَكَ ألم تكن قد ابتَعْتَ ظَهرك» فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعُذر، والله لقد أُعطيتُ جَدَلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتُكَ اليومَ حديثَ كَذِبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يُسخطَكَ عليَّ،

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. [١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكّرون بها. [١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، يعنونها. [١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله. [١٠٨] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وفسرها بقوله ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ آمن بي عطف على (أنا) المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً. [١٠٩] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِم﴾ لا ملائكة ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أهل مكة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء يا أهل مكة هذا فتؤمنون. [١١٠] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ﴾ يئس ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف، أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وُعِدُوا به من النصر ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ﴾ بنونين[1] مشدداً ومخففاً وبنون مشدداً ماض ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين. [١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

ولئن حدثتك حديث صِدقٍ تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلَّفْتُ عنك، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) قراءة النونين مع التشديد شاذة.

سورة الرعد

ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

﴿سورة الرعد﴾

[مكية إلا ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية أو مدنية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآيتين، ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى «مِنْ» ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن مبتدأ، خبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى. [٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العُمُد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾. [٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾ بسط ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كل نوع ﴿يُغْشِى﴾ يغطي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله.

ثلاثة ارباع الحزب ٢٥

[٤] ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾ بقاعٌ مختلفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ متلاصقات فمنها طَيِّبٌ، وسَبِخٌ، وقليلُ الرَّيع، وكثيرُهُ، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾ بالرفع عطفاً على جنات، والجر على أعناب وكذا قوله: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صِنْو، وهي النَّخْلاتُ يَجْمَعُها أَصْلٌ واحد وتَتَشَعَّبُ فُروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ منفردة ﴿تُسْقَىٰ﴾ بالتاء، أي الجنات وما فيها، والياء أي المذكور ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون والياء ﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ بضم الكاف وسكونها، فَمِنْ حُلْوٍ وحَامِضٍ، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون. [٥] ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأنَّ القادرَ على إنْشاءِ الخَلْقِ وما تقدَّمَ على غَيْرِ مِثالٍ، قادرٌ على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها، وفي قراءة بالاستفهام في الأول، والخبر في الثاني، وأخرى عكسه ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

« أمَّا هذا فَقَد صَدَقَ ، فقم حتى يَقْضِيَ اللهُ فيك » . فقمت وثار رجال من بني سلَمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ ألا تكون

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

ونزل في استعجالهم العذاب استهزاءً [٦] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ العذاب: ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ جمع المَثُلَة، بوزن السَّمُرَة، أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه. [٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مخوِّف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات، لا بما يقترحون. [٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى، وواحد ومتعدّد، وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدرٍ واحدٍ لا يتجاوزه. [٩] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالِ﴾ على خلقه بالقهر[1]، بياء ودونها. [١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سربه[2]، أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾. [١١] ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة تتعقَّبُه ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمره من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المُعقِّبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي غير الله ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَالٍ﴾ يمنعه عنهم. [١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر. [١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه متلبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ يسبح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتحرقه، نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه، فقال: مَنْ رسولُ الله؟ وما الله؟ أَمِن ذَهَبٍ هُوَ أَمْ مِنْ فِضَّة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه[3] ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ القوة أو الأخذ.

---

(١) هذا قَصْرٌ لمعنى المتعال على معنى واحد؛ لأنه يحتمل معنيين أُخريين هما: المتعالي عن كل سوء ونقص بكماله، والمتعالي بذاته فوق خلقه.

(٢) بفتح السين وسكون الراء، يقال: سرب في الأرض سرباً ذهب فيها ذهاباً.

(٣) رواه أبو يعلى (٦/ ٨٧) وانظره في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢). بقِحف: بكسر القاف عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

سَجْدَة

[١٤] ﴿لَهُۥ﴾ تعالى ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ضياع. [١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أُكره بالسيف ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ﴾ البُكَر[1] ﴿وَٱلْأَصَالِ ۩﴾ العَشايا. [١٦] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكها؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا. ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾ أي خَلق الشُّركاء بخَلقِ الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا شريك له فيه، فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لعباده. [١٧] ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ عالياً عليه، وهو ما على وجه الأرض من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ يُنتفَعُ به كالأواني إذا أُذيبت ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي مثل زبد السيل، وهو خبثه الذي يَنفيهِ الكيرُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي مَثَلهُما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ مِنَ السَّيْلِ وما أُوقِدَ عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾ يبقى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبيِّن ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾. [١٨] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

---

(١) البكر: جمع بُكرة وهي من أول النهار.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٦

ونزل في حمزة وأبي جهل: [١٩] ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ فآمن به ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أصحاب العقول. [٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض. [٢١] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي وعيده ﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ تقدم مثله. [٢٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ طلب ﴿ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ ﴾ في الطاعة ﴿ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ ﴾ يدفعون ﴿ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، هي: [٢٣] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ هم ﴿ وَمَن صَلَحَ ﴾ آمن ﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة. [٢٤] يقولون ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ هذا الثواب ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ عقباكم. [٢٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ البعد من رحمة الله ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم. [٢٦] ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿ وَفَرِحُوا۟ ﴾ أي أهل مكة فَرَحَ بَطَرٍ ﴿ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي بما نالوه فيها ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ﴾ جنب حياة ﴿ ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب. [٢٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من أهل مكة ﴿ لَوْلَآ ﴾ هلاّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ على محمد ﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿ وَيَهْدِىٓ ﴾ يرشد ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلى دينه ﴿ مَنْ أَنَابَ ﴾ رجع إليه. [٢٨] ويُبْدَل مِن «مَن»: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ ﴾ تسكن ﴿ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي وعده ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ أي قلوب المؤمنين.

اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافِيَك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى أردتِ أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لَقِيَ هذا معي أحد، قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مَرَارَةُ بن االربيع العمري وهِلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهِدا بدراً، لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين مَن تخلَّفَ عنه فاجْتَنَبَنا الناس وتغيروا لنا حتَّى تنكَّرَتْ في نفسي الأرضُ فَمَا هي التي أعرفُ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبايَ فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القومِ وأجلدَهُم فكنت أخرجُ فأشهَدُ الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

[٢٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ خبره ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مئة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ مرجع. [٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾. ونزل لما قالوا له إن كنت نبياً فسيّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لِنَغْرِسَ ونَزْرَع، وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي: [٣١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأن يجيبوا لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وقد حلَّ بالحديبية حتى أتى فتح مكة. [٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استُهزِىء بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك. [٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار، أي لا شريك له، إذ لو كان لَعَلِمَهُ، تعالى عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. [٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿مِن وَاقٍ﴾ مانع.

الصلاة فأقول في نفسي: هل حَرَّكَ شفتيه برَدِّ السلام عليَّ، أم لا ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبلَ إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوَّرتُ جدارَ حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحَبُّ الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلامَ، فقلت: يا أبا قتادة أنشُدُكَ بالله، هل تعلمني أحِبُّ اللهَ ورسولَه؟ فسكتَ فعدت لـه فنشدته، فسكت فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى

۞ مَثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٢٦

[٣٥] ﴿ ۞ مَثَلُ ﴾ صفة ﴿ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ ﴾ مبتدأ خبره محذوف ، أي فيما نقص عليكم ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا ﴾ ما يؤكل فيها ﴿ دَآئِمٞ ﴾ لا يفنى ﴿ وَظِلُّهَاۚ ﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿ تِلۡكَ ﴾ أي الجنة ﴿ عُقۡبَى ﴾ عاقبة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ ﴾ الشرك ﴿ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ . [٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ الذين تحزَّبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ ﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ ﴾ فيما أنزل إليَّ ﴿ أَنۡ ﴾ أي بأن ﴿ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾ مرجعي. [٣٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ الإنزال ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ أي القرآن ﴿ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ ﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ﴾ أي الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿ بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ بالتوحيد ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن ﴾ زائدة ﴿ وَلِيّٖ ﴾ ناصر ﴿ وَلَا وَاقٖ ﴾ مانع من عذابه . ونزل لما عيروه بكثرة النساء : [٣٨] ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ ﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ منهم ﴿ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ ﴾ مدة ﴿ كِتَابٞ ﴾ مكتوب فيه تحديده. [٣٩] ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ ﴾ منه ﴿ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾ بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أصله الذي لا يُغيَّر منه شيء وهو ما كتبه في الأزل. [٤٠] ﴿ وَإِن مَّا ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾ به من العذاب في حياتك ، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم. [٤١] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ أي أهل مكة ﴿ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ ﴾ نقصد أرضهم ﴿ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ ﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿ لَا مُعَقِّبَ ﴾ لا رادّ ﴿ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾. [٤٢] ﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ ﴾ وليس مكرُهم كمكرِه لأنه تعالى ﴿ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ ﴾ فيُعِدّ لها جزاءه، وهذا هو المكر كله، لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكَافِرُ ﴾ المراد به الجنس وفي قراءة ﴿ ٱلۡكُفَّٰرُ ﴾ ﴿ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألَهُم أم للنبي ﷺ وأصحابه؟

تسورت الجدار قال : فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه : أما بعد . فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسِك ، فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور ، فسجرته بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال : إن

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

﴿سورة إبراهيم﴾

[مكية إلا آيتي ٢٨ و٢٩ فمدنيتان وآياتها ٥٢ أو ٥٤ أو ٥٥ آية].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك. هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من: (إلى النور) ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود. [٢] ﴿ٱللَّهِ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان، وما بعده صفة، والرفع مبتدأ خبَرُه: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. [٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق. [٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليُفهِّمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع[1] وقلنا له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم.

رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك ، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم فهل تَكْرُهُ أن أخدمه ؟ قال: « لا، ولكن لا يقربُك ». قالت : إنه والله ما به حَرَكَةٌ إلى شيء ، واللهِ ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنتَ رسول الله ﷺ في امرأتِكَ كما أذِنَ لامرأة هلال بن أمية أن تخدُمَهُ ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟ فلبثت بعد ذلك عشر لَيال ، حتى كَمُلت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال الذي ذكر الله : قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، سمعتُ صوتَ صارخ أوفى على جبل سَلْع ، صاحَ بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، قال : فخررت ساجداً وقد عرفت أنه قد جاء فرج ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهَب الناس يبشروننا وذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون ، وركض إليّ رجل فرَساً ، وسعى ساعٍ منْ أسَلَمَ فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت

---

(١) انظرها في تفسير الآية (١٠١) من سورة الإسراء (ص ٢٩٢).

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. [٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم، دلَّ عليه ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾. [٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه بهم. [٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَؤُا۟﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوٓا۟﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

نصف الحزب ٢٦

[١٠] ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

صوته يبشرني نزعت ثَوبَيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساه لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يَبْرُقُ وجهُهُ من السرور: «أبشِرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك»، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنَارَ وجهُهُ حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخَلعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحدِّثَ إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلمُ أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ، أن لا أكونَ كَذَبتُهُ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾ ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوة ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره لأننا عبيد مربوبون ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يثقوا به. [١٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَ﴾ ن ﴿لَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ على أذاكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾. [١٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ لتصيرن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين. [١٤] ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب. [١٥] ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق. [١٦] ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم. [١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ يَزْدَرِدُهُ لِقُبْحِهِ وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ قوي متصل. [١٨] ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة كصلةٍ وصدقةٍ في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباءً منثوراً، لا يقدر عليه، والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي لا يجدون له ثواباً لعدم شرطه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ الهلاك ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾.

لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

قال كعب: وكنا تخلفنا ـ أيها الثلاثةُ ـ عن أمر أولئك الذين قَبِلَ منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أَمْرَنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ وليس الذي ذكر الله سبحانه وتعالى حينما خُلِّفْنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حَلَفَ له واعتذر إليه فقبل منه. [رواه البخاري ومسلم].

* * *

سورة هودٍ

(٥) قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنظر يا مخاطب! استفهام تقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ بدلكم. [٢٠] ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ شديد. [٢١] ﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾ أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾ الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ المتبوعين ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ جَمْعُ تَابِع ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ ﴾ دافعون ﴿ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ «مِنْ» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا۟﴾ المتبوعون ﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن ﴾ زائدة ﴿ مَّحِيصٍ ﴾ ملجأ. [٢٢] ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ أنه غير كائن ﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن ﴾ زائدة ﴿ سُلْطَٰنٍ ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿ إِلَّآ ﴾ لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾ على إجابتي ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ بمغيثكم ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم. [٢٣] ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ ﴾ حال مقدرة ﴿ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا ﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿ سَلَٰمٌ ﴾. [٢٤] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنظر ﴿ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ ويبدل منه ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ هي النخلة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ في الأرض ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ غصنها ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ قال : سألته عنها فقال : أناس كانوا يَسْتَخْفُونَ أن يتخلوا فيُفضوا إلى السماء وأن يُجَامِعُوا نساءهم فيُفْضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم . [رواه البخاري] .

وعن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ قلت : يا أبا العباس ما يثنون صدورهم ؟ قال : كان الرجل يجامع امرأته فيستحي ، أو يتخلى فيستحي ، فنزل ذلك فيهم . [رواه البخاري وغيره] .

(١١٤) قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ .

عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ . فقال الرجل : يا رسول الله ، أليَ هذا ؟ قال : « لجميع أمتي كلهم » . [رواه البخاري وغيره] .

وعن أبي اليسر قال : أتتني امرأة تَبْتَاعُ تمراً فقلت : إن في البيت تمراً أطيبَ منه ، فدخلت معي في البيت ، فأهويت إليها فقبلتها ، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له ،

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

[٢٥] ﴿تُؤْتِيٓ﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾ بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون. [٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة. [٢٧] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ أي في القبر لمّا يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب، كما في حديث الشيخين[1] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون: لا ندري، كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. [٢٨] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَحَلُّواْ﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ الهلاك. [٢٩] ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ المقر هي. [٣٠] ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ بفتح الياء وضمّها ﴿عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾. [٣١] ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ مُخالَّة، أي صداقة تنفع، هو يوم القيامة. [٣٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦۖ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾. [٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ﴾ جاريَيْنِ في فلَكِهما لا يفْتُرانِ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

فقال: استر علي نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «أخلفتَ غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟» حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار قال: وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحي إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠).

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه. [٣٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أَمْنٍ وقد أجابَ اللَّهُ دعاءه فجعله حَرَماً لا يُسفك فيه دَمُ إنسان، ولا يُظْلَم فيه أحدٌ، ولا يُصادُ صيْدُه، ولا يُختلى خلاه ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ بَعِّدْني ﴿وَبَنِىَّ﴾ عن ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾. [٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا قبل عِلْمِهِ أنّه تعالى لا يَغْفِرُ الشرك. [٣٧] ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ قلوباً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ﴾ تميل وتحنُّ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس لو قال: «أفْئِدَةَ الناس» لَحَنَّتْ إليه فارسُ والرُّومُ والناسُ كلُّهم ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه[1]. [٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ نُسِرُّ ﴿وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم. [٣٩] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ وُلِدَ ولَهُ تِسْعٌ وتِسعون سنةً ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ ولد وله مئة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾. [٤٠] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ من يقيمها، وأتى «بمن» لإعلام الله تعالى له أَنَّ مِنْهُم كُفَّاراً ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ المذكور. [٤١] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل. وقيل: أسلمت أمه، وقُرِئ[2] (والدي) مفرداً و(ولدي) ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾ قال تعالى: [٤٢] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لهول ما ترى، يُقال: شَخُصَ بَصَرُ فُلانٍ، أي فَتَحَهُ فَلَمْ يُغْمِضْهُ.

قال أبو اليسر: فأتيته فقرأها على رسول الله ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله ألهذا خاصةً أم للناس عامَّةً؟ قال: بل للناس عامة. [رواه الترمذي والبخاري في التاريخ].

---

(١) هذا خبر لا يصح، وفيه نظر.

(٢) قراءة شاذة.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفزعهم. [٤٤] ﴿وَأَنذِرِ﴾ خوّف يا محمد ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ بأن تردّنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخاً ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخرة. [٤٥] ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا. [٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإنْ عظُمَ ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ المعنى: لا يعبأ به ولا يضرون إلا أنفسهم. والمراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة بفتح لام (لتزول) ورفع الفعل، «فإنْ» مخففة، والمراد تعظيم مكرهم. وقيل: المراد بالمَكْر كفرهم، ويناسبه على الثانية ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[مريم، الآية: ٩١] وعلى الأول ما قرىء[1]: «وما كان». [٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ممّن عصاه. [٤٨] واذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هو يوم القيامة، فيُحْشَرُ الناسُ على أرض بيضاء نقية، كما في حديث الصحيحين[2]، وروى مسلم حديث: سُئل النبي ﷺ أين الناس يومئذٍ؟ قال: «على الصراط»[3] ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. [٤٩] ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد تبصر ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ القيود أو الأغلال. [٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قُمُصُهُمْ ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغْشَىٰ﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾. [٥١] ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلق ببرزوا ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لِحَديثٍ بذلك. [٥٢] ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي أُنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾ بما فيه من الحُجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، يتّعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول.

---

(١) قراءة شاذة. (٢) رواه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠). (٣) رواه مسلم (٢٧٩١).

سُورَةُ الحِجۡرِ

ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

﴿سورة الحجر﴾

[مكية وآياتها٩٩].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ١٤ الحزب ٢٧

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلۡكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى «مِن» ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ مُظْهِرٍ للحَقِّ من الباطل، عطف بزيادة صفة. [٢] ﴿رُّبَمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ «ورُبَّ» للتكثير، فإنه يكثر منهم تمَنّي ذلك، وقيل: للتقليل، فإن الأهوال تُدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة. [٣] ﴿ذَرۡهُمۡ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلۡهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿ٱلۡأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم. وهذا قبل الأمر بالقتال. [٤] ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن﴾ زائدة ﴿قَرۡيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ﴾ أجل ﴿مَّعۡلُومٞ﴾ محدود لإهلاكها. [٥] ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه. [٦] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾. [٧] ﴿لَّوۡ مَا﴾ هلا ﴿تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله. [٨] قال تعالى: ﴿مَاتُنَزَّلُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين[1] ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُّنظَرِينَ﴾ مؤخرين. [٩] ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص. [١٠] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شِيَعِ﴾ فِرَق ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾. [١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ. [١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي كفار مكة. [١٣] ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم. [١٤] ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعۡرُجُونَ﴾ يصعدون. [١٥] ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ﴾ سُدَّت ﴿أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ يُخيَّل إلينا ذلك.

---

(١) وقراءة حفص: ﴿نُنَزِّلُ﴾ والمثبت قراءة الأعمش.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: «المريخ» وله الحمل والعقرب، و«الزهرة» ولها الثور والميزان، و «عطارد» وله الجوزاء والسنبلة، و « القمر» وله السرطان، و «الشمس» ولها الأسد، و «المشتري» وله القوس والحوت، و«زُحَل» وله الجدي والدلو. ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ بالكواكب ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾. [١٧] ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا ﴾ بالشهب ﴿ مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ مرجوم. [١٨] ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ خطفه ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ كوكب[1] مضيء يحرقه، أو يثقبه، أو يخبله. [١٩] ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ بسطناها ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ معلوم مقدر. [٢٠] ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ - بالياء - من الثمار والحبوب ﴿ وَ ﴾ جعلنا لكم ﴿ مَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله. [٢١] ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ مِّن ﴾ زائدة ﴿ شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ على حسب المصالح. [٢٢] ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ تلقح السحاب فيمتلىء ماء ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ السحاب ﴿ مَآءً ﴾ مطراً ﴿ فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم. [٢٣] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ الباقون نرث جميع الخلق. [٢٤] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾ أي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة. [٢٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه. [٢٦] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ آدم ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة، أي صوت، إذا نقر ﴿ مِّنْ حَمَإٍ ﴾ طين أسود ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ متغير. [٢٧] ﴿ وَٱلْجَآنَّ ﴾ أبا الجنّ وهو إبليس ﴿ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل خلق آدم ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام. [٢٨] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾. [٢٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ أتممته ﴿ وَنَفَخْتُ ﴾ أجريت ﴿ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ سجود تحية بالانحناء. [٣٠] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ فيه تأكيدان. [٣١] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿ أَبَىٰٓ ﴾ امتنع من ﴿ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

(١) سيأتي ص (٥٦٢) أن الشهاب ينفصل عن الكوكب.

قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَـٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

ربع الحزب ٢٧

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أ﴾ ن ﴿لَّا﴾ زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾. [٣٣] ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ﴾. [٣٤] ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود. [٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء. [٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي الناس. [٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾. [٣٨] ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى. [٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي بإغوائك لي، و «الباء» للقسم، وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي المؤمنين. [٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾. [٤٢] وهو: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المؤمنين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ الكافرين. [٤٣] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي من تبعك معك. [٤٤] ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ﴾ أطباق ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ﴾ نصيب ﴿مَّقۡسُومٌ﴾. [٤٥] ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [٤٦] ويقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف، أو مع سلام، أي سلِّموا وادخلوا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من كل فزع. [٤٧] ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ حقد ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ حال منهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ حال أيضاً أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرَّة بهم. [٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ أبداً. [٤٩] ﴿۞ نَبِّئۡ﴾ خبِّرْ يا محمد ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم. [٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ المؤلم. [٥١] ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل.

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عباس أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان يُحبُّ امرأة، فاستأذن النبي ﷺ في حاجة، فأذن له فانطلق في يوم مطير، فإذا هو بالمرأة على غدير ماء تغتسل، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرِّك ذَكَرَهُ فإذا هو به هُدْبَةٌ، فقام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «صلِّ أربع ركعات» فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَـٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ الآية. [رواه البزار في كشف الأستار].

***

سورة يوسف

(٣) قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

[٥٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ أي هذا اللفظ ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم لما عَرَضَ عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون. [٥٣] ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ ﴾ لا تخف ﴿ إِنَّا ﴾ رسل ربك ﴿ نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ ذي علم كثير هو إسحاق، كما ذكرنا في سورة هود. [٥٤] ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى ﴾ بالولد ﴿ عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾ حال، أي مع مَسِّه إيَّايَ ﴿ فَبِمَ ﴾ فبأي شيء ﴿ تُبَشِّرُونَ ﴾ استفهام تعجب. [٥٥] ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴾ الآيسين. [٥٦] ﴿ قَالَ وَمَن ﴾ أي لا ﴿ يَقْنَطُ ﴾ بكسر النون وفتحها ﴿ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الكافرون. [٥٧] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ شأنكم ﴿ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾. [٥٨] ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم. [٥٩] ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لإيمانهم. [٦٠] ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب لكفرها. [٦١] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ﴾ أي لوطاً ﴿ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾. [٦٢] ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ لا أعرفكم. [٦٣] ﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ ﴾ أي قومك ﴿ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يشكّون وهو العذاب. [٦٤] ﴿ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ في قولنا. [٦٥] ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ امْشِ خلفهم ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ وهو الشام. [٦٦] ﴿ وَقَضَيْنَآ ﴾ أوحينا ﴿ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ وهو ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ حال، أي يتم استئصالهم في الصباح. [٦٧] ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ مدينة سَذُوم، وهم قوم لوط، لما أُخبروا أن في بيت لوط مُرْداً حساناً وهم الملائكة ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ حال، طمعاً في فعل الفاحشة بهم. [٦٨] ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾. [٦٩] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم. [٧٠] ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ عن إضافتهم.

عن مصعب بن سعد عن سعد في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ الآية، قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ الآية. فتلاها رسول الله ﷺ زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدّثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا ﴾ الآية. [رواه ابن راهويه كما في المطالب العالية، وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

* * *

سورةُ الرعد

(١٣) قوله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوّجوهن. قال تعالى: [٧٢] ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ: أي وحياتك ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ يتردّدون. [٧٣] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس. [٧٤] ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار. [٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ للناظرين المعتبرين. [٧٦] ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تندرس أفلا يعتبرون بهم؟ [٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. [٧٨] ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنه ﴿كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقُرب مَدْيَن، وهم قوم شعيب ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً. [٧٩] ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بأن أهلكناهم بشدّة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٖ﴾ طريق ﴿مُّبِينٖ﴾ واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة. [٨٠] ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ وادٍ بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحاً لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد. [٨١] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها. [٨٢] ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾. [٨٣] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ﴾ وقت الصباح. [٨٤] ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنۡهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال. [٨٥] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ يا محمد عن قومك ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف. [٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لكل شيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بكل شيء. [٨٧] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ قال ﷺ «هي الفاتحة» رواه الشيخان[١]، لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾. [٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافاً ﴿مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. [٨٩] ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ البيِّن الإنذار. [٩٠] ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ اليهود والنصارى.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٤).

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[٩١] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾ أجزاء، حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل: المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يَصُدُّون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سِحْر، وبعضهم: كِهانة، وبعضهم شعر. [٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سؤال توبيخ. [٩٣]﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. [٩٤]﴿فَٱصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به أي اجهر به وأمضه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد. [٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بك بأن أهلكنا كلاً منهم بآفة وهم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث. [٩٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ صفة، وقيل: مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم. [٩٧]﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء والتكذيب. [٩٨]﴿فَسَبِّحْ﴾ ملتبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلين. [٩٩] ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ الموت.

نصف الحزب ٢٧

﴿سورة النحل﴾

[مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لما استبطأ المشركون العذاب نزل: [١] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الساعة، وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه أي قَرُبَ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره. [٢] ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي جبريل ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ خافون. [٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقاً ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام. [٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ إلى أنْ صَيَّرَهُ قوياً شديداً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ بيّنها في نفْيِ البَعْثِ قائلاً: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[يس: ٧٨]. [٥] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصبه بفعل مقدر يُفَسِّرُهُ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ من النَّسْلِ والدَّرِّ والرُّكُوبِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قَدَّمَ الظرف للفاصلة. [٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تَرُدُّونَها إلى مُراحِهَا[1] بالعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تُخرِجُونها إلى المَرْعَى بالغَدَاةِ.

(١) المراح: بالضم: المكان الذي تأوي إليه الإبل والغنم بالليل.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ أحمالكم ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾ بجهدها ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ بكم حَيْثُ خَلَقها لكم. [٨] ﴿ وَ ﴾ خلق ﴿ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ مفعول له، والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك، كالأكل في الخيل، الثابت بحديث الصحيحين[1] ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة. [٩] ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أي بيان الطريق المستقيم ﴿ وَمِنْهَا ﴾ أي السبيل ﴿ جَائِرٌ ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿ وَلَوْ شَاءَ ﴾ هدايتكم ﴿ لَهَدَاكُمْ ﴾ إلى قصد السبيل ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم. [١٠] ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾ تشربونه ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ ينبت بسببه ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ترعون دوابكم. [١١] ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَآيَةً ﴾ دالَّة على وحدانيته تعالى ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في صنعه فيؤمنون. [١٢] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع مبتدأ ﴿ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ ﴾ بالوجهين ﴿ مُسَخَّرَاتٌ ﴾ بالنصب حال والرفع خبر ﴿ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ بإرادته ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبرون. [١٣] ﴿ وَ ﴾ سخر لكم ﴿ مَا ذَرَأَ ﴾ خلق ﴿ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتعظون. [١٤] ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ ذَلَّلَهُ لركوبه والغوص فيه ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ هو السمك ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿ وَتَرَى ﴾ تبصر ﴿ الْفُلْكَ ﴾ السفن ﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ تمخر الماء، أي تشقه بجريها فيه مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً، بريح واحدة ﴿ وَلِتَبْتَغُوا ﴾ عطف على لتأكلوا، تطلبوا ﴿ مِن فَضْلِهِ ﴾ تعالى بالتجارة ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله على ذلك.

عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى فقال: أَيْش رَبُّكَ الذي تدعوني إليه من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضةٍ هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاده النبي ﷺ الثانية فقال مثل ذلك فأرسله إليه الثالثة فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقةً فأحرقته، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته ». فنزلت هذه الآية: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾. [رواه البزار وأبو يعلى].

---

(١) رواه البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢).

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم. [١٦] ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بمعنى النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطُّرُق والقِبْلَة بالليل. [١٧] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة؟ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون. [١٨] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ تضبطوها فضلاً عن أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم. [١٩] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾. [٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يُصَوَّرُونَ مِنَ الحِجارة وغيرها. [٢١] ﴿أَمْوَٰتٌ﴾ لا روح فيهم، خبر ثان ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي الخلق فكيف يُعْبَدُونَ؟ إذْ لا يكون إلهاً إلا الخالقُ الحيُّ العَالِم بالغيب. [٢٢] ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان بها. [٢٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم. [٢٤] ونزل في النضر بن الحارث: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾ استفهامية ﴿ذَآ﴾ موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوٓا۟﴾ هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إضلالاً للناس. [٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يُكفَّر منها شيء ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتَّبعوهم فاشْتَرَكُوا في الإثم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حملهم هذا. [٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمروذُ، بَنَى صَرْحاً طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليُقاتِل أهلَها ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ قَصَدَ ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي وهم تحته ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

سورة إبراهيم

(٢٧) قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمكم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقولونه شماتةً بهم. [٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ شرْكٍ، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. [٢٩] ويقال لهم ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾. [٣٠] ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالإيمان ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هي. [٣١] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. [٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأُهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر. [٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي العذاب.

عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: « ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربُّك؟ فيقول ربي الله وديني دين محمد ﷺ، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ». [رواه النسائي وابن ماجه وللبخاري نحوه].

* * *

سورة النحل

(٧٥ ـ ٧٦) قوله تعالى: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله: ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ من أهل مكة ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ من البحائر والسوائب، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الإبلاغ البيِّن وليس عليهم هداية. [٣٦] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿ أَنِ ﴾ أي بأن ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحِّدوه ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ فآمن ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ ﴾ وجبت ﴿ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿ فَسِيرُواْ ﴾ يا كفار مكة ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ رُسُلَهُم من الهلاك. [٣٧] ﴿ إِن تَحْرِصْ ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ وقد أضلهم الله لا تَقْدِر على ذلك ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿ مَن يُضِلُّ ﴾ من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ مانعين من عذاب الله. [٣٨] ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ قال تعالى ﴿ بَلَىٰ ﴾ يبعثهم ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر، أي وَعَدَ ذلك وَحَقَّهُ حَقّاً ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك. [٣٩] ﴿ لِيُبَيِّنَ ﴾ متعلق بيبعثهم المقدر ﴿ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ ﴾ مع المؤمنين ﴿ فِيهِ ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ في إنكار البعث. [٤٠] ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ ﴾ أي أردنا إيجاده، و (قولنا) مبتدأ خبره: ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على نقول، والآية لتقرير القدرة على البعث. [٤١] ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾ لإقامة دينه ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ ننزلهم ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ داراً ﴿ حَسَنَةً ﴾ هي المدينة ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي الجنة ﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظم ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم. [٤٢] هم ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

شَىْءٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . قال : هو عثمان بن عفان ، قال : والأبكم الذي أينما يُوجِّهُه لا يأتي بخير ، ذاك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ، ويكفله ، ويكفيه المؤونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه ، وينهاه عن الصدقة ، والمعروف فنزلت فيهما . [رواه الطبري ورجاله رجال الصحيح] .

(١٠٣) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبْدانِ من أهل غير اليمن وكانا طفلين ، وكانا يقال لأحدهما يسار والآخر جَبْرٌ ، فكانا يقرأان التوراة ، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) الطاغوت: كل ماعُبِد من دون الله ، وهو راضٍ بالعبادة.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٣] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ لا ملائكة ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ. [٤٤] ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ متعلق بمحذوف، أي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿ وَٱلزُّبُرِۗ ﴾ الكتب ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ ﴾ القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ذلك فيعتبرون. [٤٥] ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ﴾ المَكْرات ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة، من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذُكِرَ في «الأنفال» ﴿ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ كقارون ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أُهلِكوا ببَدْرٍ ولم يكونوا يقدّرون ذلك. [٤٦] ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ بفائتي العذاب. [٤٧] ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾ تنقُّصٍ شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع، حال من الفاعل أو المفعول ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة. [٤٨] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿ تَتَفَيَّؤُ ﴾[1] تتميَّلُ ﴿ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿ سُجَّدٗا لِّلَّهِ ﴾ حال أي خاضعين له بما يراد منهم ﴿ وَهُمۡ ﴾ أي الظلال ﴿ دَٰخِرُونَ ﴾ صاغرون نُزِّلوا مَنْزِلَةَ العُقلاء. [٤٩] ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ ﴾ أي نسمةٍ تدبُّ عليها، أي تخضع له بما يُراد منها، وغلب في الإتيان بما لا يعقل لكثرته ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ يتكبّرون عن عبادته. [٥٠] ﴿ يَخَافُونَ ﴾ أي الملائكة، حال من ضمير (يستكبرون) ﴿ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ حال مِنْ: (هم)[3] أي عالياً عليهم بالقهر[2] ﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴾ به. [٥١] ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾ تأكيد ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوَحْدانية ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ خافُونِ دُونَ غيري، وفيه التفات عن الغيبة. [٥٢] ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾ الطاعة ﴿ وَاصِبًاۚ ﴾ دائماً حال من (الدين) والعامل فيه معنى الظرف ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ. [٥٣] ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ لا يأتي بها غيره وما شرطية أو موصولة ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ﴾ أصابكم ﴿ ٱلضُّرُّ ﴾ الفقر والمرض ﴿ فَإِلَيۡهِ

(١) المثبت هو قراءة أبي عمرو وغيره، وقراءة حفص: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾.

(٢) انظر التعليق (ص٤٢) الحاشية (٢).

(٣) صوابه: حال من (ربهم) كما يدل عليه ما بعده. حاشية الجمل (٤/٢٤٣).

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿ تَجْـَٔرُونَ ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره. [٥٤] ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾. [٥٥] ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ من النعمة ﴿ فَتَمَتَّعُوا ﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام. أمر تهديد ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة ذلك. [٥٦] ﴿ وَيَجْعَلُونَ ﴾ أي المشركون ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنها تضُرّ ولا تنفع، وهي الأصنام ﴿ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ ﴾ سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك. [٥٧] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيهاً له عمّا زعموا ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ـه أي البنون، والجملة في محل رفع أو نصب بيجعل. المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو مُنزّه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم فيختصون بالأسنى كقوله ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الصافات، الآية: ١٤٩]. [٥٨] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ﴾ تولد له ﴿ ظَلَّ ﴾ صار ﴿ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ متغيّراً تغيُّر مغتمٍّ ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ممتلىء غمّاً، فكيف تُنسبُ البناتُ إليه تعالى. [٥٩] ﴿ يَتَوَارَىٰ ﴾ يختفي ﴿ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ أي قومه ﴿ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ خوفاً من التعيير متردّداً فيما يفعل به ﴿ أَيُمْسِكُهُ ﴾ يتركه بلا قتل ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ هوان وذُلّ ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ بأن يئده ﴿ أَلَا سَاءَ ﴾ بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل. [٦٠] ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ أي الكفار ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ أي الصفة السوأى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في ملكه ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في خلقه. [٦١] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ بالمعاصي ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ أي الأرض ﴿ مِن دَابَّةٍ ﴾ نسمةٍ تدبُّ عليها ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ عنه ﴿ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ عليه. [٦٢] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ لأنفسهم من البنات، والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿ وَتَصِفُ ﴾ تقول ﴿ أَلْسِنَتُهُمُ ﴾ مع ذلك ﴿ الْكَذِبَ ﴾ وهو ﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ عند الله أي الجنة لقوله: ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾[فصلت: ٤٩] قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ متروكون فيها، أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء أي متجاوزون الحد. [٦٣] ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ رسلاً ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ متولي أمورهم ﴿ الْيَوْمَ ﴾ أي في الدنيا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم في الآخرة وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم!. [٦٤] ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ للناس ﴿ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ من أمر الدين

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿ وَهُدًى ﴾ عطف على لتبين ﴿ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ به. [٦٥] ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ بالنبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ يُبْسِها ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَةً ﴾ دالّة على البعث ﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر. [٦٦] ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ اعتبار ﴿ نُّسْقِيكُم ﴾ بيان للعبرة ﴿ مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ أي الأنعام ﴿ مِنۢ ﴾ للابتداء متعلقة بـ (نسقيكم) ﴿ بَيْنِ فَرْثٍ ﴾ ثُفْلُ الكَرِش ﴿ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ لا يَشُوبُه شيء من الفَرْثِ والدَّم مِنْ طَعْم أو ريح أو لَوْنٍ وهو بينهما ﴿ سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ سهلَ المرور في حلقهم لا يُغَصُّ به. [٦٧] ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ ثَمَرٌ ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ خَمْراً يُسْكِر، سُمِّيت بالمصدر وهذا قبل تحريمها ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَةً ﴾ دالة على قُدْرته تعالى ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يَتدبَّرون. [٦٨] ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ وَحْيَ إلْهام ﴿ أَنِ ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ تأوين إليها ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ بيوتاً ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي الناس يبنون لك من الأماكن. وإلا لَمْ تَأْوِ إليها. [٦٩] ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى ﴾ ادخلي ﴿ سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ طُرُقَهُ في طَلَبِ المَرْعَى ﴿ ذُلُلًا ﴾ جمْع ذَلُول، حال من السُّبُل، أي مُسَخَّرَةً لكِ، فلا تَعْسُرُ عليكِ وإن تَوَعَّرَتْ، ولا تَضِلِّي عن العَوْدِ منها وإنْ بَعُدَت، وقيل: من الضمير في (اسلكي) أي مُنْقادةً لما يُرادُ منكِ ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ هو العسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ من الأوجاع، قيل: لبعضها؛ كما دل عليه تنكير شفاء، أو لِكُلِّها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيَّتِه[1]، وقد أَمَرَ به ﷺ من اسْتَطْلَقَ عليه بَطْنُه، رواه الشيخان[2] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في صنعه تعالى. [٧٠] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ أي أَخَسِّهِ من الهَرَم والخَرَف ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يَصِرْ بهذه الحالة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بتدبير خلقه ﴿ قَدِيرٌ ﴾ على ما يريده. [٧١] ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ أي الموالي ﴿ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿ فَهُمْ ﴾ أي المماليك والموالي ﴿ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ شركاء، المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء. [٧٢] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ فَخَلَقَ حَوَّاءَ من ضِلَع آدَمَ، وسائرَ الناسِ

(١) أي: بنيَّة الشفاء الجازمة بأنَّ الله يخلق الشفاء عند استعماله؛ لإخباره تعالى بذلك.

(٢) رواه البخاري (٥٧١٦) ومسلم (٢٢١٧).

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ربع الحزب ٢٨

مِنْ نُطَفِ الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم. [٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْـًٔا﴾ بَدَل مِنْ (رزقاً) ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهم الأصنام. [٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ لا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك. [٧٥] ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تُمَيِّزُهُ مِنَ الحُرِّ، فإنه عبد الله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَن﴾ نكرة موصوفة أي حُرّاً ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يَتَصَرَّفُ فيه كيف يشاء، والأول مَثَلُ الأصنام، والثاني مَثَلُه تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ أي العبيدُ العَجَزَة والحُرُّ المُتَصَرِّفُ؟ لا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون. [٧٦] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وُلِدَ أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لأنه لا يَفْهَم ولا يُفْهِم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ وليّ أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ بنُجح[1] وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ أي الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مَثَلٌ لله، والأبكم للأصنام والذي قبله مَثَلُ الكافر والمؤمن. [٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنه بلفظ كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٧٨] ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ـه على ذلك فتؤمنون. [٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها.

(١) أي: بمطلوبٍ، وقضاء حاجةٍ، والنُّجح: الظَّفر بالشيء.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ
قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ
فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ
إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ موضعاً تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ سفركم ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أي الغنم ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ أي الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ أي المعز ﴿أَثَٰثٗا﴾ متاعاً لبيوتكم كبُسُطٍ وأكسيةٍ ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ يَبْلَى فيه. [٨١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشَّجر والغَمام ﴿ظِلَٰلٗا﴾ جمْعُ ظِلٍّ، تقيكم حَرَّ الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ جمع كِنٍّ، وهو ما يُستَكَنُّ فيه، كالغَارِ والسَّرَبِ ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾ قُمُصاً ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ أي والبَرْد ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ حربكم، أي الطَّعْن والضرب فيها كالدُّروع والجَواشِن[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسۡلِمُونَ﴾ تُوَحِّدونه. [٨٢] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعْرَضُوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الإبلاغ البيِّن، وهذا قبل الأمر بالقتال. [٨٣] ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي يقرّون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾. [٨٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ هو نبيُّها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ لا يُطْلَب منهم العُتْبَى، أي الرجوع إلى ما يُرْضِي اللّه. [٨٥] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون عنه إذا رأوه. [٨٦] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ﴾ نعبدهم ﴿مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولكم: إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ [مريم: ٨٢]. [٨٧] ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.

ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ [رواه الطبري].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ قالوا: إنما يُعلِّمُ محمداً عبد

---

(1) الجواشن: الدُّروع، فهو عطف تفسير.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب ٢٨

[٨٨] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ الذي استحقوه بكفرهم. قال ابن مسعود: عَقَارِبُ أنيابُها كالنَّخل الطِّوال ﴿ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ بِصَدِّهِمْ الناسَ عن الإيمان. [٨٩] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهو نبيهم ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي قومك ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ تِبْيَٰنًا ﴾ بياناً ﴿ لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ ﴾ بالجنة ﴿ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ الموحدين. [٩٠] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ أداء الفرائض أو أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كأنّك تَراهُ، كما في الحديث[1] ﴿ وَإِيتَآىِٕ ﴾ إعطاء ﴿ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القَرابَة، خَصَّه بالذِّكْرِ اهتماماً به ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾ الزنى ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ شرعاً من الكفر والمعاصي ﴿ وَٱلْبَغْىِ ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ بالأمر والنهي ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تَتَّعِظُونَ، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرك»[2] عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر. [٩١] ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ توثيقها ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ بالوفاء حيث حلَفتُم به، والجملة حال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ تهديد لهم. [٩٢] ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ ﴾ أَفْسَدَتْ ﴿ غَزْلَهَا ﴾ ما غزَلَتْهُ ﴿ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ إحْكام له وبَرْم ﴿ أَنكَٰثًا ﴾ حال، جَمْع «نِكْثٍ» وهو ما يُنْكث أي يُحَلُّ إحْكامُهُ، وهي امرأة حَمْقاء مِنْ مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿ تَتَّخِذُونَ ﴾ حال من ضمير تكونوا: أي لا تكونوا مِثْلَها في اتّخاذكم ﴿ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا ﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فساداً أو خديعة ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ بأن تنقضوها ﴿ أَن ﴾ أي لأن ﴿ تَكُونَ أُمَّةٌ ﴾ جماعة ﴿ هِىَ أَرْبَىٰ ﴾ أكثر ﴿ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وَجدوا أكثر منهم وأَعَزّ، نقضوا حِلْفَ أولئك ويحالفوهم ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ﴾ يختبركم ﴿ ٱللَّهُ بِهِۦ ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي، أو يكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي. [٩٣] ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أهل دين واحد ﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ يوم القيامة سؤال تَبْكيت ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لتجازوا عليه.

---

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩).
(٢) رواه الحاكم (٢/٣٥٦).

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ كرره تأكيداً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ أي أقدامُكم عن مَحَجَّةِ الإسلام ﴿بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي بصَدِّكم عن الوفاء بالعهد، أو بصَدِّكم غيْرَكُمْ عنه لأنه يُسْتَنُّ بكم ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخرة. [٩٥] ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوه. [٩٦] ﴿مَا عِندَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ دائم ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ﴾ بالياء والنون ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن. [٩٧] ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ قيل: هي حياة الجنة، وقيل: في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. [٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [٩٩] ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ تسَلُّطٌ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾. [١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ بطاعته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي الله ﴿مُشۡرِكُونَ﴾. [١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ بنَسْخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي الكفار للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾ كَذَّاب تقوله من عندك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النَّسخ. [١٠٢] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلّق بـ (نزل) ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

ابن الحضرمي وهو صاحب الكتب فقال الله : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ . . . إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [رواه الحاكم] .

(١١٠) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ .

عن ابن عباس قال : كان قومٌ من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأُصيبَ بعضُهم وقُتِلَ بعضٌ ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهُوا فاستغفروا لهم فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ إلى آخر الآية .

قال : وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم قال : فخرجوا فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية . فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسُوا من كل خير ثم نزلت فيهم : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ فكتبوا إليهم بذلك ، إن الله قد جعل لكم مَخرجاً ، فخرجوا فأدركهُمُ المشركون

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

[١٠٣] ﴿ وَلَقَدۡ ﴾ للتحقيق ﴿ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ ﴾ القرآن ﴿ بَشَرٞۗ ﴾ وهو قَيْنٌ نَصْرَانِيٌّ كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿ لِّسَانُ ﴾ لغة ﴿ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ ﴾ يميلون ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ أنه يُعلِّمه ﴿ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يُعلِّمُه أعجمي؟! [١٠٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم. [١٠٥] ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ ﴾ القرآن بقولهم: هذا من قول البشر ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ والتأكيد بالتكرار، «وإن» وغيرهما رَدٌّ لقولهم: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ ﴾. [١٠٦] ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ على التَّلَفُّظ بالكُفر فتلفَّظ به ﴿ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ و (مَن) مبتدأ، أو شرطية والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دَلّ على هذا: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾ له أي فتحه ووسعه، بمعنى طابَتْ به نَفْسُه ﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾. [١٠٧] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوعيد لهم ﴿ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ اختاروها ﴿ عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. [١٠٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ عما يراد بهم. [١٠٩] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [١١٠] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ إلى المدينة ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ عُذِّبوا وتلفّظوا بالكفر، وفي قراءة بالبناء للفاعل أي كفروا، أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ ﴾ على الطاعة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ أي الفتنة ﴿ لَغَفُورٞ ﴾ لهم ﴿ رَّحِيمٞ ﴾ بهم، وخبر إن الأولى دل عليه خبر الثانية.

فقاتلوهم، ثم نجا من نجا وقتل من قتل. [رواه الطبري].

(١٢٦) قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾.

عن أبي العالية قال: حدثني أبي بن كعب قال: لما كانَ يوم أُحدٍ أصيبَ من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فَمَثَّلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لَنُربِيَنَّ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ فقال رجل: لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله ﷺ: « كفُّوا عن القوم إلا أربعة ». [رواه الترمذي وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

* * *

سورة الإسراء

(٥٦ ـ ٥٧) قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾.

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٨

[١١١] اذكر ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ ﴾ تحاج ﴿ عَن نَّفْسِهَا ﴾ لا يهمها غيرها، وهو يوم القيامة ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ جزاء ﴿ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ شيئاً. [١١٢] ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ ويبدل منه ﴿ قَرْيَةً ﴾ هي مكة والمُراد أهلها ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ منَ الغاراتِ لا تُهاجُ ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾ لا يُحتاج إلى الانتقال عنها لِضيقٍ أو خَوْفٍ ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ واسعاً ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ ﴾ فقحطوا سبع سنين ﴿ وَٱلْخَوْفِ ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾. [١١٣] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ محمد ﷺ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ الجوع والخوف ﴿ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾. [١١٤] ﴿ فَكُلُوا۟ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾. [١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. [١١٦] ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ﴾ أي لوصف ألسنتكم ﴿ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ لما لم يُحِلَّهُ اللَّهُ ولم يُحَرِّمْه ﴿ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾. [١١٧] لهم ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم. [١١٨] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ أي اليهود ﴿ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ في آية: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٤٧] إلى آخرها ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بتحريم ذلك ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

[١١٩] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الشرك ﴿ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ ﴾ رجعوا ﴿ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ ﴾ عملهم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ أي الجهالة أو التوبة ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لهم ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بهم. [١٢٠] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ إماماً قدوة جامعاً لخصال الخير ﴿ قَانِتًا ﴾ مطيعاً ﴿ لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. [١٢١] ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ اصطفاه ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [١٢٢] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هي الثناء الحسن في كلّ أهل الأديان ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الذين لهم الدرجات العلى. [١٢٣] ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ ﴾ دين ﴿ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كُرِّرَ رَدّاً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه. [١٢٤] ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ ﴾ فُرِضَ تعظيمُهُ ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ على نبيهم، وهم اليهود، أُمِرُوا أن يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا: لا نريده، واختاروا السبت، فَشُدِّدَ عليهم فيه ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[١٢٥] ﴿ادْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي﴾ أي بالمجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والدعاء إلى حُجَجِه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال، ونَزَلَ لما قُتِلَ حمزةُ ومُثِّلَ به فقال ﷺ وقد رآه: «لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم مكانك»: [١٢٦] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفَّر عن يمينه. رواه البزّار[1]. [١٢٧] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار إن لم يؤمنوا لِحِرْصِكَ على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي لا تهتم بمكرهم فأنَا ناصرُكَ عليهم. [١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكُفْرَ والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر، بالعون والنصر.

﴿سورة الإسراء﴾

[مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية ٨٠ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَانَ﴾ أي تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسْراءُ: سَيْرُ الليل، وفائدة ذكره[2] الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله[3]، فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على: اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالى، فإنه ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراق، وهو دابَّةٌ أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حَافِرَهُ عند منتهى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ، فسار بي حتى أتيتُ بيت المقدس، فربطتُ الدابة بالحلقة التي تَرْبِط فيها الأنبياءُ، ثم دخلتُ فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناءٍ من خَمْر وإناءٍ من لَبَنٍ، فاخترتُ اللبن، قال جبريل: أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، قال: ثم عُرِج بنا إلى السماء الدنيا، فاسْتَفْتَحَ جبريلُ، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: قَدْ أُرْسِلَ إليه، ففُتِحَ لنا فإذا أنا بآدم، فَرَحَّبَ بي ودعا لي بالخير، ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الثانية، فاسْتَفْتَحَ جبريلُ فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: قد بُعِثَ

---

(١) رواه البزار (١٧٩٥) وانظره في مجمع الزوائد (٦/ ١١٩).

(٢) قوله: وفائدة ذكره، أي: الليل مع أنه معلوم من ذكر الإسراء.

(٣) جاء في حاشية الجمل (٤/ ٣٠٠): فسّر هاتين الصفتين بالعلم، وهو غير ظاهر، وأبقاهما غيره على ظاهرهما كالبيضاوي.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

الجزء ١٥ — الحزب ٢٩

إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ لنا فإذا بابْنَيْ الخالَة يحيى وعيسى، فرحَّبا بي ودَعَوَا لي بالخير، ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وَقَد أُرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وَقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بعث إليه، فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بإدريس فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أُرْسِلَ إليه؟ قال: قد أرسل إليه، فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بهارون فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد فقيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بعث إليه فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بموسى فرحَّبَ بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بعث إليه ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مُسْتَنِدٌ إلى البَيْتِ المَعْمُور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذُهِبَ بي إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفِيَلَةِ وإذا ثمرها كالقلال، فلما غَشِيَها مِنْ أَمْرِ الله ما غَشِيَها تغَيَّرَتْ فما أحدٌ مِنْ خَلْقِ الله تعالى يستطيع أن يَصِفَها من حُسْنِها قال: فأوحى الله إليَّ ما أوحى، وفرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى فقال: ما فرض ربُّك على أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعتُ إلى ربي فقلتُ: أيْ ربِّ! خَفِّفْ عن أمتي، فَحَطَّ عني خمساً، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلتَ؟ فقلتُ: قد حَطّ عني خمساً قال: إنّ أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أراجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال: يا محمد! هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنَةٌ، فإن عملها كُتِبَتْ له عشراً، ومَنْ هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تُكتب، فإن عملها كُتبت له سيئةٌ واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقلتُ: قد رَجَعْتُ إلى ربي حتى اسْتَحْيَيْتُ» رواه الشيخان[1] واللفظ لمسلم، وروى الحاكم في «المستدرك»[2]

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٧) ومسلم (١٦٢). (٢) رواه الحاكم (٢/١٦ و ٣٢٦).

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عز وجل». قال تعالى: [٢] ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لـ ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ يفوّضون إليه أمرهم، وفي قراءة (تتخذوا) بالفوقانية التفاتاً فـ (أن) زائدة والقول مضمر. [٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله. [٤] ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تبغون بغياً عظيماً. [٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أولى مرّتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا۟﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسط دياركم؛ ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا[1]، فبُعِثَ عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم، وسبوا أولادهم، وخربوا بيت المقدس. [٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مئة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة. [٧] وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابها لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ هلاكاً وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى، فبُعِثَ عليهم بُخْتَنَصَّر، فقتل منهم ألوفاً وسبى ذريتهم، وخرب بيت المقدس. [٨] وقلنا في الكتاب ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة. وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبساً وسجناً. [٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي للطريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. [١٠] ﴿وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو النار. [١١] ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي كدعائه له ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته. [١٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام؛ لتسكنوا

---

(١) انظر: قصص الأنبياء؛ لابن كثير (٥٦٨) وحدائق الإنعام في فضائل الشام؛ لابن عبد الرزاق (١٢٨ ـ ١٢٩).

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ربع الحزب ٢٩

فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي مُبْصَراً فيها بالضوء ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فِيهِ﴾ ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبييناً. [١٣] ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله يحمله ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لـ: كتاباً. [١٤] ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ مُحاسباً. [١٥] ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحداً ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يُبيِّنُ له ما يجب عليه. [١٦] ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ مُنَعَّميها، بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها. [١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق ﴿بِذُنُوبِ﴾. [١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيل له بدل من (له) بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً عن الرحمة. [١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عند الله أي مقبولاً مثاباً عليه. [٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بـ (نُمِدُّ) ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد. [٢١] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها. [٢٢] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ لا ناصر لك. [٢٣] ﴿۞ وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبُّكَ أَ﴾ ن أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة: ﴿يَبْلُغَانِّ﴾ فـ ﴿أحدهما﴾ بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ بفتح الفاء وكسرها مُنوناً وغير مُنوَّن، مصدر بمعنى تبّاً وقُبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً ليناً. [٢٤] ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أَلِنْ لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي لرقّتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾. [٢٥] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِن

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿ تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ ﴾ طائعين لله ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ ﴾ الرجّاعين إلى طاعته ﴿ غَفُورًا ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقاً. [٢٦] ﴿ وَءَاتِ ﴾ أعط ﴿ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ حَقَّهُۥ ﴾ من البر والصلة ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله. [٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أي على طريقتهم ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر. [٢٨] ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ أي المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تُعطِهِمْ ﴿ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ ليناً سهلاً بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق. [٢٩] ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا ﴾ في الإنفاق ﴿ كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ راجع للأول ﴿ مَّحْسُورًا ﴾ منقطعاً لا شيء عندك. راجع للثاني. [٣٠] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم. [٣١] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ بالوأد ﴿ خَشْيَةَ ﴾ مخافة ﴿ إِمْلَٰقٍ ﴾ فقر ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا ﴾ إثماً ﴿ كَبِيرًا ﴾ عظيماً. [٣٢] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ أبلغ من: لا تأتوه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ قبيحاً ﴿ وَسَآءَ ﴾ بئس ﴿ سَبِيلًا ﴾ طريقاً هو. [٣٣] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ ﴾ لوارثه ﴿ سُلْطَٰنًا ﴾ تسلطاً على القاتل ﴿ فَلَا يُسْرِف ﴾ يتجاوز الحد ﴿ فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾ بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾. [٣٤] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ عنه. [٣٥] ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾ أتموه ﴿ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ الميزان السوي ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ مآلاً. [٣٦] ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ تتبع ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾ القلب ﴿ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ صاحبه ماذا فعل به. [٣٧] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾.

عن عبد الله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال : كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجنّ فأسلَمَ النَّفَرُ من الجنّ واستمسَكَ الإنسُ بعبادتهم فنزلت : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ . ثم ساقه من طريق أخرى إلى ابن مسعود وفيه : فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت . [رواه مسلم وغيره] .

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾ مطروداً عن رحمة الله. [٤٠] ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ أخلصكم (يا أهل) مكة ﴿رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوۡلًا عَظِيمًا﴾. [٤١] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ بيّنّا ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ يتّعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق. [٤٢] ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي الله ﴿ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي الله ﴿سَبِيلٗا﴾ طريقاً ليقاتلوه. [٤٣] ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾. [٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنزهه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن﴾ ما ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ متلبساً ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة. [٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ أي ساتراً لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ. [٤٦] ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ عنه. [٤٧] ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بسببه من الهزء ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ يتناجون بينهم أي يتحدثون ﴿إِذۡ﴾ بدل من (إذ) قبله ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله. قال تعالى: [٤٨] ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ طريقاً إليه. [٤٩] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾.

---

(٥٩) قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾.

عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أنْ يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يُنحّيَ الجبال عنهم فيزدرعون فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت مَنْ قبلهم قال: «لا بل أستأني بهم». فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [رواه أحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

(٨٥) قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

عن عبد الله: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في ضُرُب المدينة ـ وهو يتوكأ على عَسيب معه ـ فمرَّ بنفرٍ من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألَنَّهُ، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت فلما انجلى عنه

۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

نصف الحزب ٢٩

[٥٠] ﴿ ۞ قُلْ ﴾ لهم ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾. [٥١] ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ يعظم عن قبول الحياة، فضلاً عن العِظام والرُّفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ إلى الحياة؟ ﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ ﴾ خلقكم ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ يحركون ﴿ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ تعجُّباً ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ استهزاء ﴿ مَتَىٰ هُوَ ﴾؟ أي البعث ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾. [٥٢] ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ بأمره وقيل: وله الحمد ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن ﴾ ما ﴿ لَّبِثْتُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لهول ما ترون. [٥٣] ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي ﴾ المؤمنين ﴿ يَقُولُوا ﴾ للكفار الكلمة ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ ﴾ يُفسدُ ﴿ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ بيِّن العداوة. والكلمة التي هي أحسن هي: [٥٤] ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿ أَوْ إِن يَشَأْ ﴾ تعذيبكم ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالموت على الكفر ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال. [٥٥] ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فيخصّهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة: كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلّة، ومحمد بالإسراء ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾. [٥٦] ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أنهم آلهة ﴿ مِّن دُونِهِ ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ له إلى غيركم. [٥٧] ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ هم آلهة ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ القربة بالطاعة ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ بدَل من «واو» (يبتغون) أي يبتغيها الذي هو ﴿ أَقْرَبُ ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾. [٥٨] ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أريد أهلها ﴿ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ بالموت ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ بالقتل وغيره ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ مَسْطُورًا ﴾ مكتوباً.

قال: « ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ». [رواه البخاري ومسلم].

وعن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل؟ فقال: سلوه عن الروح؟ فسألوه عن الروح؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قالوا: أوتينا علماً كبيراً أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كبيراً فأنزلت: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ إلى آخر الآية. [رواه الترمذي وأحمد والحاكم والطبري].

(١١٠) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذّبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة واضحة ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد ليؤمنوا. [٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ علماً وقدرة، فهُمْ في قبضته، فبلّغهُم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ عياناً ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنةً لهم إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟! ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾. [٦١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنزع الخافض أي من طين. [٦٢] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي أخبرني ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾ فضّلت ﴿عَلَىَّ﴾ بالأمر بالسجود له و (أنا خير منه خلقتني من نار) ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممّن عصمته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿ٱذْهَبْ﴾ مُنظَراً إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ وافراً كاملاً. [٦٤] ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ استخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير، وكلّ داعٍ إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ﴾ صِحْ ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الرّكاب والمُشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ من الزنى ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً. [٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ تسلُّط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظاً لهم منك. [٦٦] ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ تعالى بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ، قال : نزلت ورسول الله ﷺ مُخْتَفٍ بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبُّوا القرآن ومَنْ أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي : بقراءتك فيسمعُ المُشركونَ فيسُبُّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلّي تفرقوا وأبَوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يستمعَ من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يُصلّي استرق السمع دونهم فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يَستَمِعُ ذهب خشيةَ أذاهم فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله ﷺ صوته لم يستمع الذين يستمعون من

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ جحوداً للنّعم. [٦٨] ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً منه. [٦٩] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أي ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فُلككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ نصيراً أو تابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم. [٧٠] ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فـ(من) بمعنى «ما» أو على بابها، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفرادهم؛ إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء. [٧١] اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ نبيهم فيُقال: يا أمة فلان؛ أو بكتاب أعمالهم فيُقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر؛ وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة[1]. [٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أبعد طريقاً عنه. ونزل في ثقيف وقد سألوه ﷺ أن يحرم واديهم وألحوا عليه: [٧٣] ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلونك ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾. [٧٤] ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾ ركوناً ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب. [٧٥] ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعاً منه.

(١) صوابه: قدر الخيط الذي في الحزّ الكائن فيه طولاً؛ إذ هذا هو الفتيل. انظر: حاشية الجمل (٤/٣٤٩).

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

ونزل لما قال له اليهود: إن كنتَ نبياً فالْحَقْ بالشام فإنها أرض الأنبياء: [٧٦] ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون. [٧٧] ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ﴾ أي كسُنَّتِنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً. [٧٨] ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي من وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ إقبال ظلمته؛ أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. [٧٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصلِّ ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أُمَّتك، أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء. ونزل لما أُمِرَ بالهجرة: [٨٠] ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك. [٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ بطل الكفر ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دَخَلَها ﷺ وحَوْلَ البَيْتِ ثلاثمئةٍ وستون صنماً، فجعل يَطْعَنُها بعُودٍ في يده ويقول ذلك، حتى سقطت؛ رواه الشيخان[1]. [٨٢] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به. [٨٣] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ﴾ ثنى عِطْفَهُ مُتبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ قنوطاً من رحمة الله. [٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ طريقاً، فيثيبه. [٨٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي علمه لا تعلمونه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى. [٨٦] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

(١) رواه البخاري (٢٤٧٨) ومسلم (١٧١٨).

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾

[٨٧] ﴿ إِلَّا ﴾ لكن أبقيناه ﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴾ عظيماً حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل. [٨٨] ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ معيناً، نزل رَدّاً لقولهم: ﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣١]. [٨٩] ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا ﴾ بيّنّا ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾ صفة لمحذوف أي مثلاً من جنس كل مثل؛ ليتعظوا ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ جحوداً للحق. [٩٠] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ عطف على (أبى) ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ عيناً ينبع منها الماء. [٩١] ﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ ﴾ بستان ﴿ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا ﴾ وسطها ﴿ تَفۡجِيرًا ﴾. [٩٢] ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ قِطَعاً ﴿ أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ مقابلة وعياناً فنراهم. [٩٣] ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾ ذهب ﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ ﴾ تصعد ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ بسُلّم ﴿ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ لو رقيت فيها ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا ﴾ منها ﴿ كِتَٰبٗا ﴾ فيه تصديقك ﴿ نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ ﴾ لهم: ﴿ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾ تعجب ﴿ هَلۡ ﴾ ما ﴿ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله. [٩٤] ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ أي قولهم منكرين: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾؟ ولم يبعث مَلَكاً. [٩٥] ﴿ قُل ﴾ لهم: ﴿ لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بدل البشر ﴿ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ لِيُمكنهم مُخاطَبتُه والفهمُ عنه. [٩٦] ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾ على صدقي ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم.

قراءته شيئاً فأنزل الله عليه: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ فلا تسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ﴿ وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾. [رواه الطبري].

***

سورةُ مريم

(٦٤) قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أنْ تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا ﴾. [رواه البخاري وغيره].

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

[٩٧] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ يهدونهم ﴿ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ماشين ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ سكن لهبها ﴿ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ تلهُّباً واشتعالاً. [٩٨] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ ﴾ منكرين للبعث: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾.

الحزب ٣٠

[٩٩] ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ مع عظمهما ﴿ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا ﴾ للموت والبعث ﴿ لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ جحوداً له. [١٠٠] ﴿ قُل ﴾ لهم: ﴿ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾ من الرزق والمطر ﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ ﴾ لبخلتم ﴿ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ ﴾ خوف نفادها بالإنفاق فتفتقروا ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ بخيلاً. [١٠١] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ ﴾ واضحات وهي اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقُمّل، والضفادع، والدم، والطمس، ونقص من الثمرات ﴿ فَسْـَٔلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو فقلنا له: اسأل. وفي قراءة[1] بلفظ الماضي ﴿ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك. [١٠٢] ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ عِبراً، ولكنك تُعانِد، وفي قراءة بضم التاء ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ هالكاً أو مصروفاً عن الخير. [١٠٣] ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعون ﴿ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ يُخرج موسى وقومه ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾. [١٠٤] ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي الساعة ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ جميعاً أنتم وهم. [١٠٥] ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي القرآن ﴿ وَبِٱلْحَقِّ ﴾ المشتمل عليه ﴿ نَزَلَ ﴾ كما أُنزل لم يَعْتَرِه تبديلٌ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ مَنْ آمَنَ بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ مَنْ كفَرَ بالنار. [١٠٦] ﴿ وَقُرْءَانًا ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ نزّلناه مُفرَّقاً في عشرين سنة أو وثلاث ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ مَهْلٍ وتُؤدة ليَفْهَمُوهُ ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ شيئاً بعد شيء على حسب المصالح. [١٠٧] ﴿ قُلْ ﴾ لكفار مكة ﴿ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ ﴾ تهديد لهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾. [١٠٨] ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ تنزيهاً له عن خُلف الوعد ﴿ إِن ﴾ مخففة ﴿ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا ﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿ لَمَفْعُولًا ﴾. [١٠٩] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ القرآن

---

(١) قراءة شاذة.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سجدة — ثمن الحزب

﴿ خُشُوعًا ۩ ﴾ تواضعاً لله. وكان ﷺ يقول: «يا الله يا رحمٰن» فقالوا: أينهانا أن نعبد إلٰهين وهو يدعو إلهاً آخر معه؟ فنزل: [١١٠] ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾(١) أي سموه بأيّهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن ﴿ أَيًّا ﴾ شرطية ﴿ مَّا ﴾ زائدة أي أيَّ هذين ﴿ تَدْعُوا۟ ﴾ فهو حسَنٌ، دلَّ على هذا: ﴿ فَلَهُ ﴾ أي لِمُسَمَّاهُما ﴿ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهذان منها، فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارىء المصور، الغفار، القهار، الوهاب الرزاق الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض الرافع، المعز المُذل، السميع البصير، الحكم العدل، اللطيف الخبير، الحليم العظيم، الغفور الشكور، العلي الكبير، الحفيظ المقيت، الحسيب الجليل الكريم، الرقيب المجيب، الواسع الحكيم، الودود، المجيد، الباعث الشهيد، الحق الوكيل، القوي المتين، الولي الحميد، المحصي، المبدىء المعيد، المحيي المميت، الحي القيوم، الواجد الماجد، الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر المقتدر، المقدم المؤخر، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الوالي المتعالي، البر التواب، المنتقم، العفو الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع، الغَنِيّ المغني المانع، الضار النافع، النور الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد الصبور» رواه الترمذي(٢). قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فَيَسُبُّوك ويَسُبُّوا القرآن ومَنْ أنزله: ﴿ وَلَا تُخَافِتْ ﴾ تُسِرّ ﴿ بِهَا ﴾ لينتفع أصحابك ﴿ وَٱبْتَغِ ﴾ اقصد ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الجهْر والمُخافَتة ﴿ سَبِيلًا ﴾ طريقاً وسطاً. [١١١] ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ في الألوهية ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ ﴾ ينصره ﴿ مِّنَ ﴾ أجل ﴿ ٱلذُّلِّ ﴾ أي لم يذِلّ فيحتاج إلى ناصر ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ عَظِّمْهُ عَظَمَةً تامّة عن اتخاذ الولد، والشريك، والذُلّ، وكلِّ ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاتِه، وتَفرُّده في صفاته. وروى الإمام أحمد في «مسنده»(٣) عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آيَةُ العِزّ: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك» إلى آخر السورة، والله تعالى أعلم. قال مؤلفه: هذا آخر ما كَمَّلْتُ به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغتُ فيه جُهدي، وبذلتُ فِكري فيه في نفائسَ أراها إن شاء الله تعالى تُجدي، وألّفته في مدة قَدْرِ ميعاد الكليم(٤)، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم،

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٤٨) (٢) رواه الترمذي (٣٧٥٤). (٣) رواه أحمد (٣/٤٣٩). (٤) وذلك أربعون يوماً.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني
لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطأ فأرد عنه
ومن لي بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً ويفتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً، وكأني بمن اعتاد المطولات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسماً، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهماً ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً واطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً، وجعلنا به ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمئة، وكان الابتداء في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمئة والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي فقال: انظر. وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه، والشيخ يبتسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وَضَعَهُ الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته أحسنُ مِنْ وَضْعِي أنا بطبقات كثيرة، كيف وغالبُ ما وضعتُه هنا مُقْتَبَسٌ مِنْ وَضْعِه، ومُسْتفادٌ منه، لا مِرْيَةَ عندي في ذلك، وأما الذي رُئي في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفتُ وَضْعَه فيها لنكتة، وهي يسيرة جداً، ما أظنها تبلغ عشرة مواضع، منها: أن الشيخ قال في سورة صٓ: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء، الآية: ٨٥] الآية فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها. ومنها أن الشيخ قال في سورة

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

الحج: الصابئون فِرْقَةٌ من اليهود، فذكرتُ ذلك في سورة البقرة وزدتُ أو النصارى بياناً لقول ثان، فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي «المنهاج»: وإن خالفت السامرة اليهود، والصابئة النصارى في أصل دينهم حرمن(١)، وفي «شرحه»: أن الشافعي رضي الله عنه نصَّ على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا. واللهُ أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

ربع الحزب ٣٠

﴿سورة الكهف﴾

[مكية إلا الآية ٢٨ ومن آية ٨٢ إلى غاية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ أو وخمس عشرة آية نزلت بعد سورة الغاشية].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى. وهل المُراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي فيه ﴿عِوَجَا﴾ اختلافاً أو تناقضاً، والجملة حال من الكتاب. [٢] ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً، حالٌ ثانية مؤكدة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بَأْسًا﴾ عذاباً ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ مِنْ قِبَلِ الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾. [٣] ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو الجنة. [٤] ﴿وَيُنذِرَ﴾ مِنْ جملة الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. [٥] ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ كلمة: تمييز مفسر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف أي مقالتهم المذكورة ﴿إِن﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾. [٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ بعدهم أي بعد توليهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ غيظاً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه أي أزهد له. [٨] ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فُتاتاً ﴿جُرُزًا﴾ يابساً لا ينبت. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَانُوا۟﴾ في قصتهم ﴿مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ خبر كان وما قبله حال، أي كانوا عجباً دون باقي الآيات أو أعجبها ليس الأمر كذلك. [١٠] اذكر ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جمع فتى وهو الشاب الكامل. خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن

---

(١) كذا في الأصل وحاشية الجمل، ولعل الصواب: حرنن، نسبة إلى الحرنانية، وهم جماعة من الصابئة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/٥٨) بتحقيق: محمد بن فتح الله بدران.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

لَدُنكَ ﴾ من قِبَلِكَ ﴿ رَحْمَةً وَهَيِّئْ ﴾ أصلح ﴿ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ هداية . [١١] ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ أي أنمناهم ﴿ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ معدودة . [١٢] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أيقظناهم ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ علم مشاهدة ﴿ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿ أَحْصَىٰ ﴾ أفعل بمعنى أضبط ﴿ لِمَا لَبِثُوٓاْ ﴾ للبثهم متعلق بما بعده ﴿ أَمَدًا ﴾ غاية . [١٣] ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ ﴾ نقرأ ﴿ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ . [١٤] ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قويناها على قول الحق ﴿ إِذْ قَامُواْ ﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي غيره ﴿ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ أي قولاً ذا شطط أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً . [١٥] ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ مبتدأ ﴿ قَوْمُنَا ﴾ عطف بيان ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا ﴾ هلا ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِم ﴾ على عبادتهم ﴿ بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ ﴾ بحجة ظاهرة ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى، قال بعض الفتية لبعض: [١٦] ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس: ما ترتفقون به من غداء وعشاء. [١٧] ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ ﴾ بالتشديد والتخفيف: تميل ﴿ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ ناحيته ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة ﴿ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ﴾ متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ دلائل قدرته ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ . [١٨] ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ ﴾ لو رأيتهم ﴿ أَيْقَاظًا ﴾ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة، جمعُ «يَقِظ» بكسر القاف ﴿ وَهُمْ رُقُودٌ ۚ ﴾ نيام جمعُ رَاقِد ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ ﴾ لئلا تأكل الأرضُ لحومَهم ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ يديه ﴿ بِٱلْوَصِيدِ ۚ ﴾ بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ بسكون العين وضمها، منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم . [١٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أيقظناهم ﴿ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبُعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم ﴿ قَالُواْ ﴾ مُتَوَقِّفين في ذلك ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ ﴾ بسكون الراء وكسرها: بفضّتكم ﴿ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ يقال: إنها المسماة الآن طَرَسُوس ـ بفتح الراء ـ ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أي أيّ أطعمةِ المدينة أَحلّ ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ . [٢٠] ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا ﴾ أي إنْ عُدْتُمْ في مِلَّتِهم ﴿ أَبَدًا ﴾ . [٢١] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما بعثناهم ﴿ أَعْثَرْنَا ﴾ أَطْلَعْنا ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ ﴾ أي قومهم ﴿ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ حَقٌّ ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة أو إبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

رَيۡبَ ﴾ لا شك ﴿ فِيهَآ إِذۡ ﴾ معمول لأعثرنا ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ ﴾ أي المؤمنون والكفار ﴿ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿ فَقَالُواْ ﴾ أي الكفار ﴿ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم ﴾ أي حولهم ﴿ بُنۡيَٰنٗاۖ ﴾ يسترهم ﴿ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم ﴾ حولهم ﴿ مَّسۡجِدٗا ﴾ نصلي فيه، وفُعِل ذلك على باب الكهف. [٢٢] ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ، أي يقول بعضهم: هم ﴿ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ ﴾ أي بعضهم: ﴿ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ أي ظناً في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي المؤمنون: ﴿ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو، وقيل تأكيد، أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ﴾ قال ابن عباس: أنا مِنَ القليل، وذكرَهُم سبعة ﴿ فَلَا تُمَارِ ﴾ تجادل ﴿ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا ﴾ بما أنزل عليك ﴿ وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم ﴾ تطلب الفتيا ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿ أَحَدٗا ﴾ وسَأَله أهلُ مكة عن خبر أهل الكهف فقال: أُخبركم به غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فنزل: [٢٣] ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ ﴾ أي لأجل شيء ﴿ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ أي فيما يستقبل من الزمان. [٢٤] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي إلا ملتبساً بمشيئة الله تعالى بأن تقول: إن شاء الله ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ ﴾

نصف الحزب ٣٠

أي مشيئته معلقاً بها ﴿ إِذَا نَسِيتَۚ ﴾ التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان، كذكرها مع القول، قال الحَسَنُ وغيرُه: ما دام في المجلس ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا ﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿ رَشَدٗا ﴾ هداية وقد فعل الله ذلك. [٢٥] ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ ﴾ بالتنوين ﴿ سِنِينَ ﴾ عطف بيان لثلاثمئة وهذه السنون الثلاثمئة عند أهل الكهف شمسية، وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله ﴿ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ أي تسع سنين فالثلاثمئة: شمسية، وثلاثمئة وتسع: قمرية. [٢٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾ ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي علمه ﴿ أَبۡصِرۡ بِهِۦ ﴾ أي بالله هي صيغة تعجب ﴿ وَأَسۡمِعۡۚ ﴾ به كذلك بمعنى: ما أبصرهُ وما أسمعهُ! وهما على جهة المجاز، والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿ مَا لَهُم ﴾ لأهل السموات والأرض ﴿ مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ ﴾ ناصر ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ لأنه غني عن الشريك. [٢٧] ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ ملجأ. [٢٨] ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ احبسها ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ ﴾ بعبادتهم ﴿ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا وهم الفقراء ﴿ وَلَا تَعۡدُ ﴾ تنصرف ﴿ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ أي القرآن هو عيينة بن حصن وأصحابه ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في الشرك ﴿ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ إسرافاً. [٢٩] ﴿ وَقُلِ ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

رَبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ تهديد لهم ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي الكافرين ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ ما أحاط بها ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ كعكر الزيت ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ هو ﴿ وَسَآءَتْ ﴾ أي النار ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ تمييز منقول عن الفاعل، أي قبح مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ وإلا فأي ارتفاق في النار؟! [٣٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الجملة خبر ﴿إن الذين﴾ وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم، أي نثيبهم بما تضمنه. [٣١] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ قيل: (مِنْ) زائدة، وقيل: للتبعيض، وهي جَمْعُ أَسْوِرَةٍ كأَحْمِرَةٍ ـ جمع سِوَار ﴿ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾ ما رقَّ من الديباج ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن [الآية: ٥٤]: ﴿ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ جمع أريكة وهي السَّرِيرُ في الحَجَلَةِ، وهي بَيْتٌ يُزَيَّنُ بالثياب والسُّتور لِلعَرُوس ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ ﴾ الجزاء الجنة ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾. [٣٢] ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ ﴾ اجعل ﴿ لَهُم ﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿ مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ بدل وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا ﴾ الكافر ﴿ جَنَّتَيْنِ ﴾ بستانين ﴿ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ يقتات به. [٣٣] ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ ﴿ ءَاتَتْ ﴾ خبره ﴿ أُكُلَهَا ﴾ ثمرها ﴿ وَلَمْ تَظْلِم ﴾ تنقص ﴿ مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا ﴾ أي شققنا ﴿ خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ يجري بينهما. [٣٤] ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ﴾ مع الجنتين ﴿ ثَمَرٌ ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني، وهو جمع ثَمْرَةٍ، كَشَجرَةٍ وَشُجْر، وخَشبَةٍ وخُشْب، وبَدنَةٍ وبُدْن ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ المؤمن ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ يفاخره ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ عشيرة. [٣٥] ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ولم يقل: جنتيه إرادة للروضة، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ بالكفر ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ ﴾ تنعدم ﴿ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾. [٣٦] ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ في الآخرة على زعمك ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ مرجعاً. [٣٧] ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ يجاوبه ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ لأن آدم خُلق منه ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ مَنِيٍّ ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ ﴾ عدلك وصيرك ﴿ رَجُلًا ﴾. [٣٨] ﴿ لَّٰكِنَّا۠ ﴾ أَصْلُه: «لكن أنا» نقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿ هُوَ ﴾ ضمير الشأن تفسره الجملة بعده والمعنى أنا أقول: ﴿ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾. [٣٩] ﴿ وَلَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ وفي الحديث: «مَنْ أُعْطِيَ خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم ير فيه مكروهاً»[1] ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ ﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾. [٤٠] ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٢٥) وانظر: ضعيف الجامع (٥٠٢٦) وتفسير ابن كثير (٣/١٠٨).

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ جمع حُسْبَانَةٍ، أي صواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم. [٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ بمعنى غائراً عطف على ﴿يرسل﴾ دون ﴿يصبح﴾ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ حِيلةً تُدْركهُ بها. [٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندماً وتحسراً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ دعائمها لِلكَرْم بأنْ سَقَطَتْ ثم سقط الكَرْمُ ﴿وَيَقُولُ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾. [٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتاء والياء ﴿لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه. [٤٤] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو: النُّصْرَة، وبكسرها: المُلْك ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ بالرفع: صفة الولاية، وبالجر: صفة الجلالة ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين، ونصبهما على التمييز.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

[٤٥] ﴿وَٱضْرِبْ﴾ صيِّر ﴿لَهُم﴾ لقومك ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول أول ﴿كَمَآءٍ﴾ مفعول ثان ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فَرَوِيَ وَحَسُنَ ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾ تنثره وتفرقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتذهب به، المعنى: شبّه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح، وفي قراءة: ﴿الريح﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ قادراً. [٤٦] ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتَجَمَّل بهما فيها ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، زاد بعضُهم: ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي ما يأمله الإنسانُ ويرجوه عند الله تعالى. [٤٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تُسَيَّرُ ٱلْجِبَالُ﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثاً. وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. [٤٨] ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال أي مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي فُرادَى حُفاة عُراة غُرْلاً[1]، ويُقال لمُنْكِري البَعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أ﴾ن مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعث. [٤٩] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتابُ كلِّ امرىء في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويْلَتنا﴾ هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ عدّها وأثبتها، تعجّبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ مثبتاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ

(١) غرلاً: جمع أغرل، أي: غير مختونين.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جُرْم، ولا يَنْقُص من ثواب مؤمن. [٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ (اذكر) ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجودَ انحناء، لا وَضْعَ جَبْهَةٍ، تَحِيَّةً له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل: هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع. وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي أعداء حال ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله. [٥١] ﴿۞ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي إبليس وذريته ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي لم أُحْضِرْ بَعْضَهُم خَلْقَ بَعْضٍ ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟ [٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ (اذكر) ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بِزَعْمِكُم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يُجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَّوْبِقًا﴾ وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهُوَ مِنْ: وَبَقَ ـ بالفتح ـ هَلَكَ. [٥٣] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً. [٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف، أي مَثَلاً من جنس كل مثل، ليتعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ﴾ أي الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم (كان)، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه. [٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فاعل أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ مُقابَلة وعِياناً، وهو القتل يوم بدر. وفي قراءة بضمتين جَمْعُ قَبِيلٍ، أي أنواعاً. [٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مُخوّفين للكافرين ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بقولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء، الآية: ٩٥] ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ لِيُبْطِلوا بِجِدالِهِم ﴿الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ به من النار ﴿هُزُوًا﴾ سخرية. [٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي بالجَعْلِ المذكور ﴿أَبَدًا﴾. [٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ مَلْجَأً. [٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ أي أَهْلَها، كَعَادٍ وثمود وغَيْرِهِما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلَكِهِم﴾ لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم أي لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾. [٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَاهُ﴾ يُوشَع بن نون، كان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزالُ أسيرُ ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

الروم وبحر فارس[١] مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهْراً طويلاً في بُلوغِهِ إنْ بَعُدَ. [٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نَسِيَ يُوشعُ حَمْلَهُ عند الرحيل، ونَسِيَ موسى تَذْكِيرَه ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ أي جعله بجعل الله ﴿سَرَبًا﴾ أي مثل السَّرَب، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جَرْيَ الماءِ، فانْجابَ عنه، فَبَقِيَ كالكُوَّة لم يَلْتَئم وجَمَدَ ما تحته منه. [٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكـان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ هو ما يُؤكل أوّل النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ تَعَباً، وحُصولُه بعد المُجاوزَة. [٦٣] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يبدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال أي أنساني ذكره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ مفعول ثان، أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه. [٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي فَقْدُنا الحوت ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقُصَّـانِها ﴿قَصَصًا﴾ فـأتيـا الصخرة. [٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخَضِرُ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نُبُوّة في قَوْل، وَوِلايَة في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ مِنْ قِبَلِنا ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثان أي معلوماً مـن المغيبـات، روى البخاري حـديـث: «أن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العِلْمَ إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَلٍ، فحيثما فَقَدْتَ الحوتَ فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة، ووضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نَسِي صاحِبُه أن يُخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاة: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: وكان للحوت سَرَباً، ولموسى ولفتاه عَجَباً إلخ»[٢]. . . [٦٦] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أي صواباً أَرْشُدُ به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة. [٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٦٨] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ في الحديث السابق عقب هذه الآية: «يا موسى إني عَلَى عِلْمٍ مِنَ الله عَلَّمَنيهِ لا تَعْلَمُهُ، وأنت على علْمٍ منَ الله عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ» وقوله: (خُبْراً) مصدر

---

(١) بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس أبداً، والواقع والمصورات الجغرافية تُثبتُ ذلك.

(٢) رواه البخاري (٣٤٠١).

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

الجزء ١٦ الحزب ٣١

بمعنى لم تحطْ أي لم تُخْبَر حقيقته. [٦٩] ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى ﴾ أي وغير عاصٍ ﴿ لَكَ أَمْرًا ﴾ تأمرني به، وقيَّد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألا يثقوا إلى أنفسهم طَرْفَةَ عيْنٍ. [٧٠] ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى ﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ﴿ عَن شَىْءٍ ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي أذكره لك بعِلَّتِهِ، فَقَبِلَ موسى شَرْطَهُ رعاية لأدب المُتعَلِّم مع العَالِم. [٧١] ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ ﴾ التي جرت بهما ﴿ خَرَقَهَا ﴾ الخضر بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأسٍ لما بلغت اللُّجَّ ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ أي عظيماً منكراً، روي أن الماء لم يدخلها. [٧٢] ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾. [٧٣] ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾ أي غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِى ﴾ تكلّفني ﴿ مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ مشقة في صحبتي إياك أي عاملني فيها بالعفو واليسر. [٧٤] ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا ﴾ لم يبلغ الحِنْثَ يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً ﴿ فَقَتَلَهُۥ ﴾ الخَضِر بأن ذبحه بالسكين مضطجعاً، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقاء وجواب إذا: ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً ﴾ أي طاهـرة لم تبلُغ حَدّ التكليف وفي قراءة (زكيّةً) بتشديد الياء بلا ألف ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي لَمْ تَقْتُلْ نَفْساً ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ بسكون الكاف وضمّها، أي منكراً. [٧٥] ﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ زاد (لك) على ما قبله لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا ﴾ أي بعد هذه المرة ﴿ فَلَا تُصَٰحِبْنِى ﴾ لا تتركني أتبعك ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى ﴾ بالتشديد والتخفيف من قبلي ﴿ عُذْرًا ﴾ في مفارقتك لي. [٧٧] ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ هي أنطاكية ﴿ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿ فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا ﴾ ارتفاعه مئة ذراع[1] ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ الخضر بيده ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ ﴾ وفي قراءة ﴿ لَتَخِذْتَ ﴾ ﴿ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ جُعْلاً حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] ﴿ قَالَ ﴾ له الخضر ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ ﴾ أي وقت فراق ﴿ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو ﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ قبل فراقي لك ﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾. [٧٩] ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ عشرة ﴿ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ بها مؤاجرة لها طلباً للكسب ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم ﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿ مَّلِكٌ ﴾ كافر ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾

---

(١) هذه مبالغة، فليس الهدف تحديد ارتفاع الجدار، بل ترميمه ليحفظ ما تحته من كنز؛ حتى يشبَّ اليتيمان، ويستخرجا كنزهما.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

صالحة ﴿غَصْبًا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم[١]: «طُبِعَ كافراً، ولو عاشَ لأرْهَقَهُما ذلك لِمَحَبَّتِهِما له، يتبعانه في ذلك». [٨١] ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ أي صلاحاً وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾ بسكون الحاء وضمها: رَحْمةً وهي البرّ بوالديه، فأبدلهما تعالى جاريةً تزوَّجت نبيّاً، فولدت نبياً، فهدى الله تعالى به أمة. [٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ﴾ مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول له عامله (أراد) ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي ما ذُكِرَ مِنْ خَرْق السفينة، وقَتْل الغلام، وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي اختياري بل بأَمْرِ إلْهام مِنَ الله ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ يُقال: اسْطاعَ أو اسْتَطاع بمعنى أطاقَ، ففي هذا وما قبله جَمْعٌ بين اللغتين، ونوعت العبارة في: فأردت، فأردنا، فأراد ربك. [٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر[٢] ولم يكن نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾ سَأَقُصّ ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً. [٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقاً يوصله إلى مراده. [٨٥] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً نحو الغرب. [٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذاتِ حَمْأَةٍ، وهي الطينُ الأسْوَد، وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر. [٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها: شديداً في النار. [٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة، والإضافة للبيان. وفي قراءة بنصب جزاءً وتنوينه قال الفراء: ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي نأمره بما يَسْهُلُ عليه. [٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ نحو المشرق. [٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي الشمس ﴿سِتْرًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها. [٩١] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾ علماً. [٩٢] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾. [٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها هنا، وبعدهما، جبلان بمنقطع بلاد الترك[٣]، سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي أمامهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد بطء، وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف. [٩٤] ﴿قَالُوا

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).

(٢) ليس هناك دليل صحيح على أن اسم ذي القرنين: الإسكندر.

(٣) قَطْعُهُ بأنَّ السَّدَّ في بلاد الترك لا دليلَ عليه.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز وتركه: هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً من المال وفي قراءة: (خراجاً) ﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً فلا يصلون إلينا. [٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وفي قراءة بنونين من غير إدغام ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السَّدَّ تبرعاً ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزاً حصيناً. [٩٦] ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قِطَعَهُ، على قَدْر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين، وفتحهما، وضم الأول وسكون الثاني، أي جانِبَيْ الجبلين، بالبناء، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ أي كالنار ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو النُّحاس المُذاب، تنازع فيه الفعلان، وحذف من الأول لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زُبُرِهِ فصارا شيئاً واحداً. [٩٧] ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ خرْقاً لصلابته وسمكه. [٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَٰذَا﴾ أي السد، أي الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ نعمة لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مدكوكاً مبسوطاً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كائناً. قال تعالى: [٩٩] ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم



ربع الحزب ٣١

خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا﴾. [١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾. [١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من الكافرين ﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي القرآن فهم عميٌ لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بُغْضاً له، فلا يؤمنون به. [١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي ملائكتي وعيسى وعُزَيْراً ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أَرْباباً، مفعول ثان لـ ﴿يتخذوا﴾ والمفعول الثاني لـ (حسب) محذوف ـ المعنى: أَظَنُّوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ـ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي هي مُعَدَّةٌ لهم كالمنزل المعدِّ للضيف. [١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز، وبيَّنهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً يُجازَوْن عليه. [١٠٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطُلَت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي لا نجعل لهم قَدْراً. [١٠٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حُبوط أعمالهم وغيره مبتدأ خبره: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي مهزوءاً بهما. [١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها، والإضافة

سُورَةُ مَرْيَمَ

ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً. [١٠٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾ تحولاً إلى غيرها. [١٠٩] ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يُكْتَبُ به ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ بالتاء والياء: تفرغ ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد، ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز. [١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أنَّ المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى: يوحى إليَّ وحدانية الإله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾ يأمل ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي فيها بأن يرائي ﴿أَحَدًۢا﴾.

﴿سورة مريم﴾

[مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيتان وآياتها ٩٨ أو ٩٩ نزلت بعد فاطر].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ مفعول (رحمة) ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بيان له. [٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ (رحمة) ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ سراً جوف الليل لأنه أسرع للإجابة. [٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ﴾ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جميعه ﴿مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محوَّل عن الفاعل أي: انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب. وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائباً فيما مضى فلا تُخَيِّبْنِي فيما يأتي. [٥] ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ أي الذين يلونني في النسب كبني العم ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي بعد موتي على الدين أن يُضَيِّعُوه، كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً. [٦] ﴿يَرِثُنِى﴾ بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة ولياً ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدّي العلم والنبوة ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك. قال تعالى في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: [٧] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يرثُ كما سألت ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى بيحيى. [٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ من عتا: يبس، أي نهاية السن مئة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانية وتسعين سنة، وأصل عتي: عُتُوو، كُسِرَت التاء تخفيفاً، وقُلِبَت الواوُ الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانيةُ ياءً لتدغم فيها الياء. [٩] ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِنْ خَلْقِ غُلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن أَرُدَّ عليك قُوَّة الجماع، وأفتقَ رَحِمَ امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ قبلَ إظهار خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها، ولما تاقَتْ نَفْسُهُ إلى سُرعة المُبَشَّر به: [١٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي بأيامها كما في

يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

[آل عمران: ٤١] ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ﴿سَوِيّٗا﴾ حال من فاعل تكلم، أي بلا عِلَّة. [١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ أي المسجد، وكانوا ينتظرون فَتْحَهُ ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ أشار ﴿إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ﴾ صلّوا ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى، وبعد ولادته بسنتين قال الله تعالى له: [١٢] ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٖۖ﴾ بجِدٍّ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ النبوة ﴿صَبِيّٗا﴾ ابن ثلاث سنين. [١٣] ﴿وَحَنَانٗا﴾ رحمةً للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةٗۖ﴾ صدقةً عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يَهُمَّ بها. [١٤] ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي: مُحْسناً إليهما ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيّٗا﴾ عاصياً لربه. [١٥] ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمن فيها.

نصف الحزب ٣١

[١٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾ أي: خبرها ﴿إِذِ﴾ حين ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي: اعتزلت في مكانٍ نحو الشرق من الدار. [١٧] ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أرسلت ستراً تستتر به لتفلي رأسها، أو ثيابها، أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ تام الخلق. [١٨] ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ فتنتهي عني بتعوذي. [١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ بالنبوة. [٢٠] ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ بتزوج ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ زانية. [٢١] ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به، ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ به في علمي، فَنَفَخَ جبريلُ في جَيْبِ دِرْعِها، فأَحَسَّتْ بالحَمْلِ في بطْنِها مُصَوَّراً. [٢٢] ﴿۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ﴾ تنحّت ﴿بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ بعيداً من أهلها. [٢٣] ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاءَ بها ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ لتعتمد عليه فولدت، والحَمْلُ والتَّصويرُ والولادةُ في ساعةٍ[1] ﴿قَالَتۡ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا[2]﴾ ﴿مَّنسِيّٗا﴾ شيئاً متروكاً لا يُعْرَفُ ولا يُذْكَر. [٢٤] ﴿فَنَادَىٰهَا مِن[3] تَحۡتِهَآ﴾ أي: جبريل وكان أسفل منها ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ نهر ماء كان قد انقطع. [٢٥] ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٣/١٤٨): وهذا غريب.

(٢) بكسر النون وفتحها: قراءتان سبعيتان.

(٣) بفتح الميم وكسرها: قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى الفاعل هو الموصول، وتحتها صلته، وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر، والجار والمجرور متعلق بنادى.

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا
فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ
وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

كانت يابسة والباء زائدة ﴿تَسَاقَطْ﴾ أصله بتاءين قُلِبَت الثانية سيناً، وأدغمت في السين، وفي قراءة تَرْكُها ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ صفته. [٢٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، تمييز محوَّل من الفاعل، أي: لتقر عينك به أي: تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾ حُذفَت منه لام الفعل وعينه، وأُلقِيَت حَرَكتُها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك. [٢٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال، فرأوه ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيماً حيث أتيت بولد من غير أب. [٢٨] ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو رجل صالح أي: يا شَبيهَتَهُ في العِفَّة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: زانية فمن أين لك هذا الولد؟ [٢٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أنْ كلِّمُوهُ ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي وُجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾. [٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. [٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: نفَّاعاً للناس، إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. [٣٢] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ منصوب بجعلني مقدراً ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاظماً ﴿شَقِيًّا﴾ عاصياً لربه. [٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى، قال تعالى: [٣٤] ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدّر أي: قول ابن مريم، وبالنصب بتقدير: قلت، والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ من المِرْيَة أي: يَشُكُّونَ، وهُم النصارى، قالوا: إنَّ عيسى ابنُ الله، كَذَبُوا: [٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يُحْدِثَهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ بالرفع بتقدير هو، وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خَلْق عيسى من غير أب. [٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بفتح «أنَّ» بتقدير اذكر، وبكسرها بتقدير قل، بدليل ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة: ١١٧] ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ مُؤدٍّ إلى الجنة. [٣٧] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ أي النصارى في عيسى: أهو ابنُ الله، أو إلهٌ معه، أو ثالثُ ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ فَشِدَّةُ عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذكر وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله. [٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب بمعنى «ما أسمعهم» و «ما أبصرهم» ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي بيِّنٍ به، صمُّوا عن سَماع الحقِّ، وعَمُوا عن إبصاره أي: اعْجَبْ

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

منهم يا مخاطَبُ في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صُمّاً عُمْياً. [٣٩] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوِّف يا محمدُ كفار مكة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة يَتحَسَّرُ فيه المُسيءُ على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به. [٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه للجزاء. [٤١] ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغاً في الصدق ﴿نَّبِيًّا﴾ ويبدل من خبره. [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْـًٔا﴾ من نَفْع أو ضُرٍّ. [٤٣] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا﴾ طريقاً ﴿سَوِيًّا﴾ مستقيماً. [٤٤] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان. [٤٥] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ ناصراً وقريناً في النار. [٤٦] ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فتعيبُها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن التَّعَرُّضِ لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ دهراً طويلاً. [٤٧] ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ مني أي لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ من حفي أي باراً فيجيب دعائي وقد وفى بوعده المذكور في [الشعراء: ٨٦] : ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ وهذا قبل أن يَتَبَيَّن له أنه عَدُوٌّ لله كما ذكره في [التوبة: ١١٤] . [٤٨] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟﴾ أعبد ﴿رَبِّى عَسَىٰٓ أَ﴾ ن ﴿لَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام. [٤٩] ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ ابنَيْنِ يَأْنسُ بهما ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾[1] منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. [٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ رفيعاً هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان. [٥١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام وفتحها، مِنْ أَخْلَصَ في عبادته، وأَخْلَصَهُ الله مِنَ الدَّنَسِ ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

(٧٨ إلى ٨٠) قوله تعالي: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ .

عن خَبَّابٍ قال: كنت قَيْناً في الجاهلية ، وكان لي على العاص بن وائل دَيْنٌ فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا أعطيك حتى تكفُرَ بمحمد ، فقلت : لا أكفرُ حتى يُميتَكَ الله ثم

---

(١) يعقوب هو ابن إسحاق، وابن الابن ابنٌ.

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

[٥٢] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ بقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٩] ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ مناجياً بأن أسمعه الله تعالى كلامه. [٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نَبِيًّا﴾ حال هي المقصودة بالهبة، إجابةً لسؤاله أنْ يُرْسِلَ أخاه معه، وكان أسنَّ منه. [٥٤] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ لم يَعِدْ شيئاً إلاّ وفَّى به، وانتظرَ مَنْ وَعَدَهُ ثلاثة أيام أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جُرْهُم ﴿نَّبِيًّا﴾. [٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ أي قومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ أصله «مرضوو» قُلبت الواوان ياءَيْن، والضمةُ كَسْرةً.

ثلاثة أرباع الحزب ٣١ — سجدة

[٥٦] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ هو جدّ أبي نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾. [٥٧] ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حيٌّ في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة أُدْخِلَها بعد أن أُذيقَ المَوْتَ، وأُحْيِيَ ولم يخرج منها. [٥٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ صفة له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب أي موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ أي من جملتهم وخبر (أولئك): ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ جمع سَاجِدٍ وبَاكٍ، أي فكونوا مثلهم، وأصلُ «بُكِيّ»: بكُوي، قُلبَت الواوُ ياءً والضمةُ كسرةً. [٥٩] ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ هو واد في جهنم، أي يقعون فيه. [٦٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ يُنْقَصون ﴿شَيْـًٔا﴾ من ثوابهم. [٦١] ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة، بدل من الجنة ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ حال، أي غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ أي موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ بمعنى آتياً، وأصله: «مأتوي» أو موعوده هنا الجنة، يأتيه أهله. [٦٢] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَٰمًا﴾ من الملائكة عليهم أو مِنْ بَعْضِهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً. [٦٣] ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته. ونزل لما تأخر الوحي أياماً وقال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»[1]: [٦٤] ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى

(١) رواه البخاري (٤٧٣١) والترمذي (٣١٥٨).

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

ناسياً أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك. [٦٥] هو ﴿ رَّبُّ ﴾ مالك ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ أي: اصبر عليها ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مسمى بذلك؟ لا. [٦٦] ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ المُنْكر للبَعْثِ: أُبَيُّ بن خلف، أو الوليد بن المُغيرَة النازل فيه الآية: ﴿ أَءِذَا ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينهما بوجهيها وبين الأخرى ﴿ مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ من القبر كما يقول محمد، فالاستفهام بمعنى النفي أي: لا أحيا بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكذا «اللام»، وردَّ عليه بقوله تعالى: [٦٧] ﴿ أَوَلَا يَذَّكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أصله يتذكر، أُبدلت التاءُ ذالاً وأُدغِمَت في الذال، وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ فيُسْتَدَلُّ بالابتداء على الإعادة. [٦٨] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أي المنكرين للبعث ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ أي نَجْمَعُ كُلاً منهم وشَيْطانَهُ في سِلْسِلَةٍ ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ من خارجها ﴿ جِثِيًّا ﴾ على الرُّكَب جمع جَاثٍ، وأصله جَثُوُو أو جَثوِي مِنْ جَثا يَجْثُو، أو يَجْثِي، لُغتانِ. [٦٩] ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ فِرْقَة منهم ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ جراءَةً. [٧٠] ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا ﴾ أحَقُّ بجهنم، الأشدّ وغيره منهم ﴿ صِلِيًّا ﴾ دُخولاً واحتراقاً، فنبدأ بهم، وأصله «صَلوِيّ» من صَلِيَ بكسر اللام وفتحها. [٧١] ﴿ وَإِن ﴾ أي ما ﴿ مِّنكُمْ ﴾ أحد ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ أي داخل جهنم ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ حَتَّمَهُ وقضى به لا يَتْرُكُه. [٧٢] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ﴾ مُشدَّداً ومُخَفَّفاً ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ الشرك والكفر منها ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بالشرك والكفر ﴿ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ على الرُّكَب. [٧٣] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي المؤمنين والكافرين ﴿ ءَايَٰتُنَا ﴾ من القرآن ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات، حالٌ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ نحن وأنتم ﴿ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ منزلاً ومسكناً، بالفتح من قام، وبالضم من أقام ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ بمعنى النادي وهو مُجْتَمَعُ القوم يتحدثون فيه، يعنون نحن، فنكون خيراً منكم، قال تعالى: [٧٤] ﴿ وَكَمْ ﴾ أي كثيراً ﴿ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا ﴾ مالاً ومتاعاً ﴿ وَرِءْيًا ﴾ منظراً من الرؤية، فكما أهلكناهم لكُفْرِهِمْ نُهْلِكُ هؤلاء. [٧٥] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ ﴾ شرط جوابه ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ بمعنى الخبر أي يَمُدُّ ﴿ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ من العذاب ﴿ مَدًّا ﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ كالقتل والأسر ﴿ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ القيامة المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون، وجُنْدُهم: الشياطينُ، وجُنْدُ المؤمنين عليهم: الملائكةُ. [٧٦] ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ ﴾ بالإيمان ﴿ هُدًى ﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ هي الطاعة تبقى لصاحبها ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ أي ما يُرَدُّ إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾.

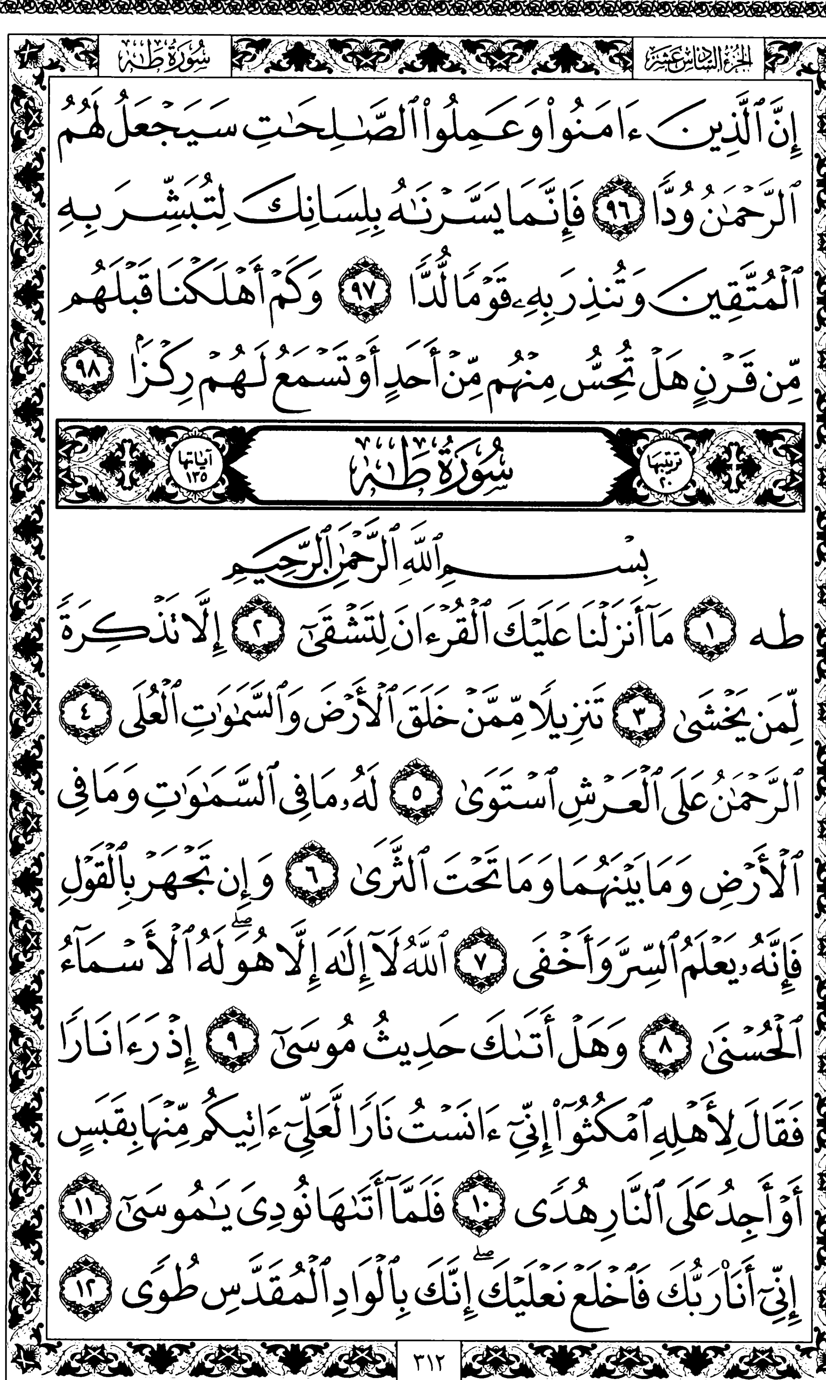
تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾.
[رواه البخاري ومسلم].

أفرءيت الذى كفر بـٔايتنا وقال لأوتين مالا وولدا ﴿٧٧﴾ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴿٧٨﴾ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ﴿٧٩﴾ ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴿٨٠﴾ واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا ﴿٨١﴾ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴿٨٢﴾ ألم تر أنا أرسلنا الشيطين على الكفرين تؤزهم أزا ﴿٨٣﴾ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا ﴿٨٤﴾ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴿٨٥﴾ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴿٨٦﴾ لا يملكون الشفعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴿٨٧﴾ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴿٨٨﴾ لقد جئتم شيـٔا إدا ﴿٨٩﴾ تكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴿٩٠﴾ أن دعوا للرحمن ولدا ﴿٩١﴾ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ﴿٩٢﴾ إن كل من فى السموت والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا ﴿٩٣﴾ لقد أحصىهم وعدهم عدا ﴿٩٤﴾ وكلهم ءاتيه يوم القيمة فردا ﴿٩٥﴾

[٧٧] ﴿ أفرءيت الذى كفر بـٔايتنا ﴾ العاصي بن وائل ﴿ وقال ﴾ لخباب بن الأرت، القائل له: تُبْعَثُ بعد الموت، والمطالب له بمال: ﴿ لأوتين ﴾ على تقدير البعث ﴿ مالا وولدا ﴾ فأقضيك. قال تعالى: [٧٨] ﴿ أطلع الغيب ﴾ أي أعلمه وأنْ يُؤْتى ما قاله؟ واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ بأن يؤتى ما قاله. [٧٩] ﴿ كلا ﴾ أي لا يؤتى ذلك ﴿ سنكتب ﴾ نأمر بكتب ﴿ ما يقول ونمد له من العذاب مدا ﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره. [٨٠] ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ من المال والولد ﴿ ويأتينا ﴾ يوم القيامة ﴿ فردا ﴾ لا مال له ولا ولد. [٨١] ﴿ واتخذوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ من دون الله ﴾ الأوثان ﴿ ءالهة ﴾ يعبدونهم ﴿ ليكونوا لهم عزا ﴾ شفعاء عند الله بألا يُعَذَّبوا. [٨٢] ﴿ كلا ﴾ أي لا مانعَ منْ عذابهم ﴿ سيكفرون ﴾ أي الآلهة ﴿ بعبادتهم ﴾ أي ينفونها كما في آية أخرى: ﴿ ما كانوا إيانا يعبدون ﴾ [القصص: ٦٣] ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ أعواناً وأعداء. [٨٣] ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشيطين ﴾ سلّطناهمْ ﴿ على الكفرين تؤزهم ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿ أزا ﴾. [٨٤] ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ بطلب العذاب ﴿ إنما نعد لهم ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿ عدا ﴾ إلى وقت عذابهم. [٨٥] اذكر ﴿ يوم نحشر المتقين ﴾ بإيمانهم ﴿ إلى الرحمن وفدا ﴾ جَمْعُ وافِد، بمعنى: راكِب. [٨٦] ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ بكفرهم ﴿ إلى جهنم وردا ﴾ جَمْعُ وَارد بمعنى مَاش عَطْشَان. [٨٧] ﴿ لا يملكون ﴾ أي الناس ﴿ الشفعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ أي شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. [٨٨] ﴿ وقالوا ﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ اتخذ الرحمن ولدا ﴾ قال تعالى لهم: [٨٩] ﴿ لقد جئتم شيـٔا إدا ﴾ أي مُنْكراً عظيماً. [٩٠] ﴿ تكاد ﴾ بالتاء والياء ﴿ السموت يتفطرن ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء، بالانشقاق، ﴿ منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴾ أي تنطبق عليهم من أجل: [٩١] ﴿ أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ قال تعالى: [٩٢] ﴿ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ أي ما يليق به ذلك. [٩٣] ﴿ إن ﴾ أي ما ﴿ كل من فى السموت والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا ﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة منهم عُزَيْر وعيسى. [٩٤] ﴿ لقد أحصىهم وعدهم عدا ﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، ولا واحد منهم. [٩٥] ﴿ وكلهم ءاتيه يوم القيمة فردا ﴾ بلا مال ولا نَصير يَمْنَعُهُ.

سورةُ الأنبياءِ

(١٠١ ـ ١٠٢) قوله تعالى: ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾.



إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه — ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

[٩٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى. [٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ ﴾ أي القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ العربي ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿ وَتُنذِرَ ﴾ تخوف ﴿ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾ جمعُ أَلَدَّ أي جَدل بالباطل، وهم كفار مكة.

[٩٨] ﴿ وَكَمۡ ﴾ أي كثيراً ﴿ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ ﴾ أي أُمَّة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿ هَلۡ تُحِسُّ ﴾ تجدُ ﴿ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾ صوتاً خفياً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

﴿سورة طه﴾

[مكية إلا آيتي ١٣٠ و ١٣١ فمدنيتان وآياتها ١٣٥ أو أربعون أو اثنتان نزلت بعد مريم].

الحزب ٣٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ طه ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ يا محمد ﴿ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ لِتتْعَبَ بما فعلتَ بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل، أي خَفِّفْ عن نفسك. [٣] ﴿ إِلَّا ﴾ لكن أنزلناه ﴿ تَذۡكِرَةٗ ﴾ به ﴿ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ يخاف الله. [٤] ﴿ تَنزِيلٗا ﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿ مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴾ جمع عُلْيَا، ككُبْرى وكُبَر. [٥] هو ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ استواءً يليق به. [٦] ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ﴾ من المخلوقات ﴿ وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ هو التراب الندي، والمراد الأرضون السبع لأنها تحته. [٧] ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ منه: أي ما حَدَّثَت به النَّفسُ، وما خطَرَ ولم تُحدِّثْ به، فلا تُجْهِدْ نفْسَك بالجَهْر. [٨] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، و (الحسنى) مُؤنّث الأحْسن. [٩] ﴿ وَهَلۡ ﴾ قد ﴿ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾. [١٠] ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ﴾ امرأته ﴿ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾ هنا، وذلك في مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ طالباً مِصر ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ ﴾ أبصرْتُ ﴿ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ ﴾ بشعلة في رأس فتيلة أو أعود ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ أي هادياً يدلني على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: (لَعَلّي) لعدم الجزم بوفاء الوعد. [١١] ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ وهي شجرة عوسج ﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾. [١٢] ﴿ إِنِّيٓ ﴾ بكسر الهمزة بتأويل: نودي بقيل، وبفتحها بتقدير الباء ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ ﴾ المُطهّر أو المُبارَكِ ﴿ طُوٗى ﴾ بدل أو عطف بيان، بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث، باعتبار البقعة مع العَلَمِيَّة.

عن ابن عباس قال: آيةٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوا ولا يسألوني عنها، فسئل: ما هي؟ قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ شقَّ ذلك على أهل مكة، وقالوا: شتم محمدٌ آلهتنا، فجاءهم ابن الزِّبَعْرى فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

[١٣] ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك مني. [١٤] ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فيها. [١٥] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ به من خير أو شر. [١٦] ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصْرِفنَّك ﴿عَنۡهَا﴾ أي عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي فتهلك إن صددت عنها. [١٧] ﴿وَمَا تِلۡكَ﴾ كائنة ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ الاستفهام للتقرير، ليرتب عليه المعجزة فيها. [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾ أعتمد ﴿عَلَيۡهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ جمع مأربة ـ مُثَلَّث الراء ـ أي: حوائج ﴿أُخۡرَىٰ﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام. زاد في الجواب بيان حاجاته بها. [١٩] ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾. [٢٠] ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسۡعَىٰ﴾ تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير، المسمى بالجانّ، المعبَّر بهِ فيها في آيةٍ أخرى [النمل: ١٠]. [٢١] ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض أي: إلى حالتها ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصا، فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها، وأُرِيَ ذلك الشَّيْءَ مُوسى لِئَلاَّ يَجْزَعَ إذا انقلبت حَيَّةً لدى فرعون. [٢٢] ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكفّ ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرِجْها ﴿تَخۡرُجۡ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدْمَةِ ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ أي برص تضيء كشعاع الشمس تعشي البصر ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ وهي و﴿بيضاء﴾ حالان من ضمير تخرج. [٢٣] ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ أي العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدّم وأخرجها. [٢٤] ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ رسُولاً ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادِّعاءِ الإلهية. [٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ وسِّعْهُ لِتحَمُّل الرسالة. [٢٦] ﴿وَيَسِّرۡ﴾ سَهِّلْ ﴿لِيٓ أَمۡرِي﴾ لأبلغها. [٢٧] ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ حَدَثَتْ مِنْ احْتِراقِهِ بِجَمْرَةٍ وَضَعَها بِفِيهِ وهُوَ صَغِيرٌ[1]. [٢٨] ﴿يَفۡقَهُواْ﴾ يفهموا ﴿قَوۡلِي﴾ عند تبليغ الرسالة. [٢٩] ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾ معيناً عليها ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾. [٣٠] ﴿هَٰرُونَ﴾ مفعول ثان ﴿أَخِي﴾ عطف بيان. [٣١] ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ ظهري. [٣٢] ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم، وهو جواب الطلب. [٣٣] ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحاً ﴿كَثِيرٗا﴾. [٣٤] ﴿وَنَذۡكُرَكَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾. [٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ عالماً فَأَنْعَمْتَ بالرسالة. [٣٦] ﴿قَالَ

(١) ذهب عبد الوهاب النجار إلى أنّ عدم فصاحة موسى يرجع إلى تأخر الرضاعة عنده، ونسيانه لغة المصريين، لمكثه في مدين زمناً طويلاً. وأشار إلى أن قصة الجمرة ووضع موسى لها في فمه غير صحيحة. قصص الأنبياء (٢٤٢ـ٢٤٤).

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ منا عليك. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾.

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ مناماً أو إلهاماً لمَّا ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ في أمرك، ويبدل منه. [٣٩] ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ مجرى النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ لِتُحَبَّ في الناس فأحبَّك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ تُرَبَّى على رعايتي وحفظي لك. [٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ مريم لتتعرف من خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فأُجيبَتْ، فجاءَت بأُمِّه فقبِلَ ثَدْيَها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر، فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلّصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشراً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب النبي وتزوُّجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾. [٤١] ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِى﴾ بالرسالة. [٤٢] ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التسع ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِى ذِكْرِى﴾ بتسبيح وغيره. [٤٣] ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ بادعائه الربوبية. [٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ يَتَّعِظُ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ الله فيرجع، والتَّرَجِّي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع. [٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ علينا أي يتكبر. [٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعوني ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل. [٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة، كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي السلامة له من العذاب. [٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه، فأتياه وقالا جميع ما ذكر. [٤٩] ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية. [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك. [٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

محمد آلهتنا. قال: وما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ قال: ادعوه لي، فدعا محمداً ﷺ فقال ابن الزِّبَعْرى: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل ما عبد من دون الله؟ قال: « بل لكل ما عبد من دون الله عزَّ وجلَّ ». قال: فقال: خَصَمناه ورب هذه البَنِيَّةِ يا محمد ألست تزعم أن عيسى عبد صالح وعُزَيراً عبد صالح، والملائكة عباد صالحون؟ قال: « بلى ». قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيراً، وهذه بنو

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

ربع الحزب ٣٢

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلْمُهَا﴾ أي علم حالهم مَحفُوظٌ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ يَغيبُ ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ربي شيئاً. [٥٣] هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فِراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾ سَهَّل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطاباً لأهل مكة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشَتَّى جَمْعُ شَتِيتٍ، كَمَرِيضٍ ومَرْضَى، مِنْ شَتَّ الأمرُ: تَفَرَّقَ. [٥٤] ﴿كُلُوا۟﴾ منها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ فيها جمع نَعَم، وهي الإبل والبقر والغنم، يقال: رَعَت الأنعامُ ورَعَيْتُها. والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير (أخرجنا)، أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ لعبراً ﴿لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لأصحاب العقول جمع نُهْيَة، كَغُرْفَةٍ وغُرَف، سُمِّيَ به العَقْلُ لأنه يَنْهَى صاحِبَهُ عن ارتكاب القبائح. [٥٥] ﴿۞ مِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم. [٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ﴾ أي أبصرنا فرعون ﴿ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يوحد الله تعالى. [٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾. [٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعارضه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿سُوًى﴾ بكسر أوله وضمه أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين. [٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يَتَزيَّنون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ يُجْمَعَ أَهْلُ مصر ﴿ضُحًى﴾ وقته للنظر فيما يقع. [٦٠] ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدْبَرَ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بهم الموعد. [٦١] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون مع كل واحدٍ حَبْلٌ وعَصَا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء، وبفتحهما، أي يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ كَذَبَ على الله. [٦٢] ﴿فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي الكلام بينهم فيهما. [٦٣] ﴿قَالُوٓا۟﴾ لأنفسهم ﴿إِنْ هَـٰذَيْنِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره: ﴿هذان﴾، وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث، ﴿لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ مؤنَّث أَمْثَل، بمعنى أشرف، أي بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما. [٦٤] ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ من السحر بهمزة وصل وفتح الميم، مِنْ

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

جَمَعَ أي لَمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم مِنْ أَجْمَعَ: أَحْكَمَ ﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾ حال أي مصطفين ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ﴾ فاز ﴿ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ غَلَبَ.

[٦٥] ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ اختر ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ عصاك أولاً ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ عصاه. [٦٦] ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾ فألقوا ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ﴾ أصله «عُصُوْو»، قُلِبَت الواوان يَاءَيْنِ وكُسِرَت العين والصاد ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا ﴾ حيات ﴿ تَسْعَىٰ ﴾ على بطونها. [٦٧] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ أَحَسَّ ﴿ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ أي خافَ مِنْ جِهَة أنّ سِحرهمْ مِنْ جِنْسِ معجزته، أن يَلتَبِسَ أمْرُهُ على الناس فلا يؤمنوا به. [٦٨] ﴿ قُلْنَا ﴾ له ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ عليهم بالغلبة. [٦٩] ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ ﴾ وهي عصاه ﴿ تَلْقَفْ ﴾ تبتلع ﴿ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ﴾ أي جنسه ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ بسحره، فألْقَى موسى عصاه فتلقَّفت كلَّ ما صنعوه. [٧٠] ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ خرّوا ساجدين لله تعالى ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾. [٧١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ ءَامَنتُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً[1] ﴿ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ ﴾ أنا ﴿ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ معلمكم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ حال بمعنى مختلفة، أي: الأيدي اليمنى، والأرجل اليسرى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أي عليها ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ ﴾ يَعْني نَفْسَهُ وَرَبَّ مُوسَى ﴿ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ أَدْوَمُ على مخالفته. [٧٢] ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾ نختارك ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ خَلَقَنا، قَسَمٌ أو عَطْفٌ على «ما» ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي اصنع ما قُلْتَه ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ النصب على الاتساع، أي فيها، وتُجْزَى عليه في الآخرة. [٧٣] ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ من الإشراك وغيره ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ تَعَلُّماً وعَمَلاً لِمُعارَضَة موسى ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ منك ثواباً إذا أُطِيعَ ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ منك عذاباً إذا عصي. [٧٤] قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ﴾ كافراً كفرعون ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة تنفعه. [٧٥] ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الفرائض والنوافل ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ جَمْعُ عُلْيَا، مُؤَنَّث أَعْلَى. [٧٦] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ أي إقامة، بيان له ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهَّر من الذنوب.

مليح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ قال: ونزلت: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ وهو الضجيج. [الطحاوي في مشكل الآثار وقد روى له طرقاً].

---

(١) قوله: «وإبدال الثانية ألفاً»: صوابه: الثالثة، والتي هي فاء الفعل. انظر: حاشية الجمل (٥/ ٨٦).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ بهمزة قطع مِنْ «أَسْرَى»، وبهمزة وصل وكسر النون مِنْ «سَرَى» لُغتان، أي سِرْ بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي يابساً، فامْتَثَلَ ما أُمِرَ به، وَأَيْبَسَ اللَّهُ الأرضَ فمرّوا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غرقاً. [٧٨] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم. [٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. [٨٠] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجبين والطير السُّمانى ـ بتخفيف الميم والقصر ـ والمنادى من وُجد من اليهود زمن النبي ﷺ وخُوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم: [٨١] ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي المُنْعَم به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ بكسر الحاء: أي يَجِب، وبِضمِّها أي يَنْزِل ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ بكسر اللام وضمها ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ سقط في النار. [٨٢] ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحّد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يصدق[1] بالفَرْضِ والنَّفْلِ ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ باستمراره على ما ذُكِرَ إلى موته. [٨٣] ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾. [٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ﴾ أي بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ عني: أي زيادة في رضاك، وقبل الجواب أتى بالاعتذار حَسَبَ ظَنِّه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ فعبدوا العجل. [٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي صدقاً أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ وتركتم المجيء بعدي. [٨٧] ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ـ مثلث الميم ـ أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي حلي قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بِعِلَّةِ عُرْسٍ، فَبَقِيَتْ عِنْدَهُم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ ما معه من حليهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي[2].

نصف الحزب ٣٢

---

(١) أي: العمل الصالح يشمل الفرض والنفل.

(٢) انظر تفسير الآية (٩٦) من هذه السورة.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت يُسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه، وَوَضَعَهُ بعد صَوْغِهِ في فَمِهِ ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي السامريُّ وأتْباعُهُ ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ موسى ربَّه هنا، وذهب يَطْلُبُهُ، قال تعالى: [٨٩] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف أي أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي يدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي جَلْبَه أي فكيف يُتخذ إلهاً؟! [٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أن يرجع موسى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته. ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ فيها. [٩١] ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾. [٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادته. [٩٣] ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «لا» زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى. [٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها أراد «أُمّي» وَذِكْرُها أعطَفُ لِقَلْبِهِ ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضباً ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتغضب عليّ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِى﴾ فيما رأيته في ذلك. [٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَٰسَٰمِرِىُّ﴾؟ [٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ بالياء والتاء أي علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صُورةِ العِجْل المُصَاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لِى نَفْسِى﴾ وألقي فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيتُ قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فَحَدَّثَتْني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم. [٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي لا تقربني، فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أحد حُمَّا جميعاً ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بكسر اللام: أي لن تغيب عنه، وبفتحها أي بل تبعث إليه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ أصله: «ظَلِلْتَ» بلامَيْن أُولاهُما مكسورة، حُذِفَت تخفيفاً، أي دُمْتَ ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي مقيماً تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ نَذْرِيَنَّهُ في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره. [٩٨] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محول عن الفاعل أي وسع عِلْمُه كلَّ شيء.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

[٩٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآناً. [١٠٠] ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ حِملاً ثقيلاً من الإثم. [١٠١] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ تمييز مفسر للضمير في: (ساء) والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم، واللام للبيان، ويُبْدَل من يوم القيامة. [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم. [١٠٣] ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارُّون ﴿إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها. [١٠٤] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك: أي ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يَسْتَقِلُّونَ لُبْثهم في الدنيا جداً لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

[١٠٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح. [١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطاً ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوياً. [١٠٧] ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ارتفاعاً. [١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي الناس بعد القيام من القبور ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول: هلُمُّوا إلى عَرْضِ الرحمٰن ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لاتباعهم: أي لا يقدرون ألا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها. [١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله. [١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ لا يعلمون ذلك. [١١١] ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ خضعت ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي شركاً. [١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته. [١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معطوف على (كذلك نقصُّ): أي مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كرَّرنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآنُ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون.

سورة الحج

(١٩) قوله تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

[١١٤] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ أي بالقرآن، فكلما أُنْزِلَ عليه شيء منه زاد به عِلْمُهُ. [١١٥] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وصَّيْنَاهُ ألا يأكلَ من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أكله منها ﴿فَنَسِىَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ حزماً وصبراً عما نهيناه عنه. [١١٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجنّ، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ﴾ عن السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾. [١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء بالمد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ تتعب بالحرث، والزرع، والحصد، والطحن، والخبز، وغير ذلك واقتصر على شقائه؛ لأن الرجل يسعى على زوجته. [١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَ﴾ ن ﴿لَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾. [١١٩] ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم «إن» وجملتها ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ تعطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا يحصل لك حَرُّ شمسِ الضُّحى لانتفاء الشمس في الجنة. [١٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي التي يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ لا يفنى، وهو لازم الخلد. [١٢١] ﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدمُ وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قُبُلُهُ وقُبُلَ الآخر، ودُبُرُهُ، وسُمِّيَ كلٌّ منهما سَوْأة؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بالأكل من الشجرة. [١٢٢] ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قرّبَهُ ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبلَ توْبتَهُ ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي هداه إلى المداومة على التوبة. [١٢٣] ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ أي آدم وحواء بما اشْتَمَلْتُما عليه مِنْ ذُرِّيتِكُما ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِنْ ظُلْم بعضهم بعضاً ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة. [١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ بالتنوين مصدر، بمعنى ضيِّقة، وفُسِّرت في حديث بعذاب الكافر في قبره[1] ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي المُعْرِض عن القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أعمى البصر. [١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعند البعث.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٣) وعزاه لابن أبي حاتم، وقال: رفعه منكر جداً.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[١٢٦] ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ تُترك في النار.

[١٢٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أدوم.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ يَتبيَّن ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي كثيراً إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير (لهم) ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا. وما ذُكرَ منْ أَخْذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ لَعبراً ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لازماً لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيد.

[١٣٠] ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حال: أي مُتلبِّساً به ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صل المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ عطف على محل (من آناء) المنصوب، أي: صَلِّ الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بما تعطى من الثواب. [١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بأن يطغوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أدوم. [١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾ اصبر ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ﴾ نكلفك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لأهلها. [١٣٣] ﴿وَقَالُوا۟﴾ المشركون ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ بالتاء والياء ﴿بَيِّنَةُ﴾ بيان ﴿مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ المشتمل عليها القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل. [١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل محمد الرسول ﴿لَقَالُوا۟﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلاّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المُرْسَل بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في جهنم. [١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر ما يَؤُولُ إليه الأَمْرُ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق ﴿ٱلسَّوِىِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم.

سورة الأنبياء

ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

﴿سورة الأنبياء﴾

[مكية وهي مئة واثنتا عشرة آية نزلت بعد سورة إبراهيم].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ١٧ الحزب ٣٣

[١] ﴿ ٱقْتَرَبَ ﴾ قرب ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿ حِسَابُهُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ عنه ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن التأهب له بالإيمان. [٢] ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ شيئاً فشيئاً أي لفظ قرآن ﴿ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ يستهزئون. [٣] ﴿ لَاهِيَةً ﴾ غافلة ﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾ عن معناه ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ﴾ الكلام ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ بدل من واو ﴿وأسروا النجوى﴾ ﴿ هَلْ هَٰذَآ ﴾ أي محمد ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فما يأتي به سحر ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ ﴾ تتبعونه ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ تعلمون أنه سحر. [٤] ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ كائناً ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما أسروه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ به. [٥] ﴿ بَلْ ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلقه ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ فما أتى به شعر ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ كالناقة والعصا واليد، قال تعالى: [٦] ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أي أهلها ﴿ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ لا. [٧] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ لا ملائكة ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد. [٨] ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ ﴾ أي الرسل ﴿ جَسَدًا ﴾ بمعنى أجساداً ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ بل يأكلونه ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ في الدنيا. [٩] ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ بإنجائهم ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ المُصدّقين لهم ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ المكذبين لهم. [١٠] ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا معشر قريش ﴿ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ لأنه بلغتكم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتؤمنون به.

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: نزلت ﴿ ۩ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ في ستة من قريش عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ وعُبَيدَةَ بن الحارث وشَيْبَة بن ربيعة وعُتْبَة بن ربيعة والوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ. [رواه البخاري ومسلم].

وعن يوسف بن يعقوب: كان ينزل في بني ضبيعة وهو مولى لبني سدوس حدثنا سليمان التيمي عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: قال علي رضي الله عنه: فينا نزلت هذه الآية: ﴿ ۩ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾. [رواه البخاري وغيره].

(٣٩) قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾.

وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ
دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقۡنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا
لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ
عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ
عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا﴾ أهلكنا ﴿مِن قَرۡيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾. [١٢] ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ شَعَرَ أهلُ القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ يهربون مُسرِعين، فقالت لهم الملائكة استهزاء: [٣١] ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ﴾ نُعِّمْتُم ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ شيئاً من دنياكم على العادة. [١٤] ﴿قَالُواْ يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالكفر. [١٥] ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ﴾ الكلمات ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ يدعون بها ويردّدونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود بالمناجل بأن قُتِلُوا بالسيف ﴿خَٰمِدِينَ﴾ ميّتين كخمود النار إذا طفئت. [١٦] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا. [١٧] ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ ما يُلْهَى به، مِنْ زَوْجَةٍ أو وَلَدٍ ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ مِنْ عِنْدِنا، مِنَ الحُور العِينِ أو الملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك، لكنا لم نفعله فلم نُرِدْهُ. [١٨] ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ﴾ نرمي ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ يذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ ذاهب، ودَمَغَهُ في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مَقْتَلٌ ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿ٱلۡوَيۡلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد. [١٩] ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ أي الملائكة، مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ لا يَعْيون. [٢٠] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ عنه، فَهُوَ مِنْهُم كالنَّفَسِ مِنَّا لا يشغلنا عنه شاغل. [٢١] ﴿أَمِ﴾ بمعنى بل للانتقال والهمزة للإنكار ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمۡ﴾ أي الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي يُحيون المَوْتَى؟ لا، ولا يكون إلهاً إلا مَنْ يُحْيي الموتى. [٢٢] ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي السموات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي خرجتا عن نظامهما المُشاهَد، لوجود التمانع بينهم، على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾ تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾ خالق ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ الكرسي[1] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الكفار الله به من الشريك له وغير ذلك. [٢٣] ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ عن أفعالهم. [٢٤] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ تعالى أي سواه ﴿ءَالِهَةٗ﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ أمتي وهو القرآن ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ مِنَ الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما مِنْ كُتُبِ الله، ليس في واحدٍ منها أَنَّ مع الله إلهاً مِمَّا قالوا، تعالى عن ذلك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ توحيد الله ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

---

(١) سبقت الإشارة ص ٢٠٧ إلى أن العرش غير الكرسي.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع الحزب ٣٣

[٢٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰٓ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي وحدوني. [٢٦] ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ عنده والعبودية تنافي الولدية. [٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ أي بعده. [٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما عَملوا وما هُمْ عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ تعالى أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. [٢٩] ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي الله، أي غيره، وهو إبليسُ دعَا إلى عبادة نفسه وأمَرَ بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين. [٣٠] ﴿أَوَلَمْ﴾ بواو وتركها ﴿يَرَ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ سَدّاً بمعنى مسدودة ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً، أو فَتْقُ السماءِ أنْ كانت لا تُمطِرُ فأمطرت، وفتْقُ الأرضِ أنْ كانت لا تُنبِتُ فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ من نبات وغيره، أي فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بتوحيدي. [٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدل، أي طُرقاً نافذةً واسعة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار. [٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ للأرض كالسَّقفِ للبيت ﴿مَّحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمسِ والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له. [٣٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تَنوينُه عِوَضٌ عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِى فَلَكٍ﴾ مستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جَمْع مَنْ يَعقِل. ونزل لما قال الكفار: إنَّ محمداً سيموت: [٣٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري. [٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فِتْنَةً﴾ مفعول له، أي لننظر: أتصبرون وتشكرون أو لا؟ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

عن ابن عباس قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليَهْلَكُنَّ، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ قال: فعرف أنه سيكون قتال.

قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال. [رواه أحمد والطبري وابن حبان].

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي مهزوءاً به يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي يعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾ به إذ قالوا ما نعرفه. ونزل في استعجالهم العذاب:

[٣٧] ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فيه، فأراهم القتْلَ ببَدْرٍ.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. [٣٩] قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ يدْفعُون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منها في القيامة وجواب (لو): ما قالوا ذلك.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تُحيِّرُهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمهَلُونَ لِتَوْبَةٍ أو مَعْذِرَة.

[٤١] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذابُ، فكذا يَحِيقُ بمن استهزأ بك.

[٤٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من عذابه إن نزل بكم، أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ أي القرآن ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيه. [٤٣] ﴿أَمْ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار: أي أ ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ مما يسوءُهم ﴿مِّن دُونِنَا﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ لا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي الآلهة ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُم﴾ أي الكفار ﴿مِّنَّا﴾ من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾ يُجارُونَ، يقال: صَحِبَكَ اللهُ: أي حفِظَكَ وأجَارَك. [٤٤] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بالفتح على النبيِّ ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾؟ لا، بل النبيُّ وأصحابه.

سورةُ المؤمنونَ

(٧٦) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ فقد أكلنا العِلْهِز (يعني الوبر والدم)، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾. [رواه الطبري والحاكم وابن حبان].

***

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

[٤٥] ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ مَا يُنذَرُونَ ﴾ هم لِتَرْكِهم العَمَلَ بما سمعوه من الإنذار كالصُّمِّ. [٤٦] ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ وقعة خفيفة ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا ﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد. [٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ ذوات العدل ﴿ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أي فيه ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ ﴾ العمل ﴿ مِثْقَالَ ﴾ زنة ﴿ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ بموزونها ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ مُحْصين كل شيء. [٤٨] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿ وَضِيَاءً ﴾ بها ﴿ وَذِكْرًا ﴾ عظة بها ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. [٤٩] ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ عن الناس أي في الخلاء عنهم ﴿ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ ﴾ أي أهوالها ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون. [٥٠] ﴿ وَهَٰذَا ﴾ أي القرآن ﴿ ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ. [٥١] ﴿ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي هُداهُ قبل بُلوغِهِ ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ بأنه أَهْلٌ لذلك. [٥٢] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ الأصنام ﴿ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ أي على عبادتها مُقيمون. [٥٣] ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ فاقتدينا بهم. [٥٤] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ بعبادتها ﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ بيّن. [٥٥] ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ ﴾ في قولك هذا ﴿ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ فيه. [٥٦] ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ ﴾ مالك ﴿ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم ﴾ الذي قُلْتُه ﴿ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ به. [٥٧] ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾.

سورة النور

(٣) قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾.

عن عبيد الله بن الأخنس قال: أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثَدُ بن أبي مرثَدَ وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة ويأتي بهم المدينة قال: وكانت امرأة بَغِيٌّ بمكة يقال لها عَنَاق وكانت صديقة له، وأنه كان وَعَدَ رجلاً من أسارى مكة يحمِلُهُ، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال: فجاءت عَنَاق فأبصرَت سواد ظلي بجنب الحائط، فلما انتهت إليَّ عرفت فقالت: مرثَدَ، فقلت: مرثَد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هَلُمَّ. فبتُّ عندها الليلة، فقلت: يا عَنَاق حَرَّمَ اللهُ الزنى. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمِلُ أسراكم، قال: فتبعني ثمانية، وسلكتُ الخندمة، فانتهيت إلى غار وكهف فدخلت، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي وعمَّاهم الله عنّي، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الآخر ففككْتُ عنه أكبله

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿ جُذَٰذًا ﴾ بضم الجيم وكسرها، فُتاتاً بِفَأْسٍ ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ عَلَّقَ الفأسَ في عُنُقِهِ ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ ﴾ أي إلى الكبير ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ فيَرَوْنَ ما فَعَلَ بغَيْرِهِ. [٥٩] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيه. [٦٠] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ أي بعضهم لبعض ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ أي يعيبهم ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾. [٦١] ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي ظاهراً ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ عليه أنه الفاعل. [٦٢] ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ له بعد إتيانه: ﴿ ءَأَنتَ ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾. [٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ ساكتاً عن فعله ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ ﴾ عن فاعله ﴿ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله تَعْريضٌ لهم بأن الصَّنَمَ المَعلومَ عَجْزُهُ عن الفِعْلِ لا يكونُ إلهاً. [٦٤] ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالتَّفكُّرِ ﴿ فَقَالُوٓا۟ ﴾ لأنفسهم ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ بعبادتكم من لا يَنْطِقُ. [٦٥] ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ ﴾ من الله ﴿ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي رُدُّوا إلى كُفْرِهم وقالوا: والله ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم. [٦٦] ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي بدله ﴿ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ من رزق وغيره ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه.

[٦٧] ﴿ أُفٍّ ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى. [٦٨] ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ ﴾ أي إبراهيم ﴿ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ أي بتحريقه ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار قال تعالى: [٦٩] ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فلم تَحْرِق منه غير وَثَاقِهِ، وذَهَبَتْ حرارَتُها وبَقِيَتْ إضاءَتُها، وبقوله ﴿ وسلاماً ﴾ سَلِمَ مِنَ المَوْتِ بِبَرْدِها. [٧٠] ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا ﴾ وهو التحريق ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ في مرادهم. [٧١] ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا ﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام، نزل إبراهيمُ بفلسطين، ولوطٌ بالمؤتفكة، وبَيْنَهما يَوْمٌ. [٧٢] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾ أي لإبراهيم وكان سأل ولداً كما ذُكِرَ في [الصافات: ١٠٠] ﴿ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ أي زيادةً على المَسْؤُولِ، أو هو وَلَدُ الوَلَدِ ﴿ وَكُلًّا ﴾ أي هو وولداه ﴿ جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ أنبياء.

فجعلت أحمله ويُعيِّني حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! أنكحُ عَنَاقاً، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يردَّ علي شيئاً، حتى نزلت: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ فلا تَنْكِحْهَا». [رواه

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياءً، يُقْتَدَى بهم في الخير ﴿ يَهْدُونَ ﴾ الناس ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ إلى ديننا ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ أي أنْ تُفْعَلَ وتُقامَ وتُؤْتى منهم ومن أتباعهم، وحَذْفُ هاء (إقامـ)ـة تخفيف ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾. [٧٤] ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾ فَصْلاً بين الخُصوم ﴿ وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ﴾ أي أهلها الأعمال ﴿ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، وغير ذلك ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ ﴾ مصدر ساءَهُ، نَقِيض سرَّهُ ﴿ فَٰسِقِينَ ﴾. [٧٥] ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. [٧٦] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ نُوحًا ﴾ وما بعده بدل منه ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ . . . ﴾ إلخ [نوح: ٢٦] ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي قَبْلَ إبراهيم ولوط ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ ﴾ الذين في سفينته ﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي الغرق وتكذيب قومه له. [٧٧] ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ ﴾ مَنَعْنَاهُ ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. [٧٨] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ أي قصتهما ويبدل منهما ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ هو زَرْع أو كَرْم ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي رَعَتْهُ ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثْنَيْن، قال داودُ: لصاحبِ الحَرْثِ رِقابُ الغَنَمِ، وقال سليمان: يَنْتَفِعُ بدَرِّهَا ونَسْلِها وصُوفِها إلى أن يعودَ الحَرْثُ كما كان بإصلاح صاحبها، فَيَرُدُّها إليه. [٧٩] ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا ﴾ أي الحكومة ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ وحُكْمُهُما باجْتِهادٍ، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحْيٍ، والثاني ناسخٌ للأوَّلِ ﴿ وَكُلًّا ﴾ منهما ﴿ ءَاتَيْنَا ﴾ ه ﴿ حُكْمًا ﴾ نبوة ﴿ وَعِلْمًا ﴾ بأمور الدين ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ كذلك سُخِّرا لِلتَّسْبيح معه، لأمْرِه به إذا وَجَدَ فَتْرَةً لِيَنْشَطَ لَهُ ﴿ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ تَسْخير تسبيحهما معه، وإن كان عجباً عندكم: أي مجاوبته للسيد داود. [٨٠] ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ وهي الدِّرْعُ لأنها تُلْبَسُ، وهو أولُ مَنْ صَنَعَهَا، وكان قَبْلَها صَفائح ﴿ لَّكُمْ ﴾ في جملة الناس ﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ بالنون: لله، وبالتحتانية: لِداودَ، وبالفوقانية: لِلَبُوس ﴿ مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ حرْبِكُم مع أعدائكم ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ شَٰكِرُونَ ﴾ نعمي بتصديق الرسول، أي اشكروني بذلك. [٨١] ﴿ وَ ﴾ سخرنا ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ وفي آية أخرى ﴿ رُخَآءً ﴾ [صٓ: ٣٦]، أي شديدةُ الهبوب وخفيفتُهُ حسَبَ إرادته ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ وهي الشام ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ من ذلك علم الله تعالى بأنّ ما يُعطيهِ سُليمانَ يَدْعُوهُ إلى الخُضوع لِرَبِّه، ففعله تعالى على مُقْتَضَى علمه.

الترمذي وصححه الحاكم وأقره الذهبي] .

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

[٨٢] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ يَدْخُلون في البحر فيُخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سِوَى الغَوْصِ، مِنَ البِنَاءِ وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره. [٨٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ لما ابْتُلِيَ بفَقْدِ جميعِ مَالِهِ وولده، وتمزيق جسده، وهَجْرِ جميعِ الناسِ له إلا زوجته، سنين ثلاثاً أو سبعاً أو ثماني عشرة، وضِيقِ عَيْشِه[١] ﴿أَنِّى﴾ بفتح الهمزة بتقدير الياء ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ أي الشدة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. [٨٤] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ أولاده الذكور والإناث بِأَنْ أُحْيُوا له، وكلٌّ مِنَ الصنفين ثلاث أو سبع ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ من زوجته، وزِيدَ في شبابها، وكان له أَنْدَر للقمح[٢] وأَنْدَر للشعير، فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أَنْدَر القمح الذهبَ، وأفرغت الأخرى على أَنْدَر، الشعير الوَرِق حتى فاضَ ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ صفة ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ليصبروا فيثابوا. [٨٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه. [٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ من النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لها، وسمي ذا الكِفْلِ لأنه تَكَفَّلَ بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوَفَّى بذلك[٣]. وقيل: لم يكن نبياً. [٨٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه، أي غضبان عليهم مِمَّا قَاسَى منهم، ولم يُؤْذَنْ له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي نقضي عليه بما قضيناه من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن. [٨٨] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من كَرْبِهم إذا استغاثوا بنا دَاعِين. [٨٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بقوله:

(١) مثلُ هذه الأخبار الإسرائيلية تفتقر إلى الصحة، وتتنافى مع عصمة الأنبياء.
(٢) الأندر: البيدر.
(٣) سيقول المصنف ص ٤٥٦: أن سبب تلقيبه بذي الكفل أنه كفل مئة نبي فرُّوا إليه من القتل.

وَالَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا ﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ الباقي بعد فناء خلقك. [٩٠] ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾ نداءه ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ ولداً ﴿ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿ إِنَّهُمۡ ﴾ أي مَنْ ذُكِرَ مِنَ الأنبياء ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ ﴾ يبادرون ﴿ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ الطاعات ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا ﴾ في رَحْمَتِنا ﴿ وَرَهَبٗاۖ ﴾ مِنْ عذابنا ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ متواضعين في عبادتهم. [٩١] ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ حفِظَتْهُ مِنْ أَنْ يُنالَ ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أي جبريل، حيث نَفَخَ في جَيْبِ دِرْعِهَا، فحملت بعيسى ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجن والملائكة حيث وَلَدَتْهُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ. [٩٢] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ ﴾ أي ملة الإسلام ﴿ أُمَّتُكُمۡ ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ حال لازمة ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ وحِّدونِ. [٩٣]﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ أي تفرّقوا أمر دينهم متخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾ أي فنجازيه بعمله. [٩٤] ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ ﴾ أي لا جحود ﴿ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه. [٩٥] ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ أريد أهلها ﴿ أَنَّهُمۡ لَا ﴾ زائدة ﴿ يَرۡجِعُونَ ﴾ أي مُمْتَنِعٌ رُجُوعُهم إلى الدنيا. [٩٦] ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿ إِذَا فُتِحَتۡ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ بالهمز وتركه، اسْمان أَعْجَمِيّان لقبيلتين، ويُقَدَّرُ قبله مضاف، أي سَدُّهُما، وذلك قُرْبَ القيامَةِ ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ يسرعون. [٩٧] ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ أي القصة ﴿ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَا﴾ هلاكنا ﴿ قَدۡ كُنَّا ﴾ في الدنيا ﴿ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ اليوم ﴿ بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل. [٩٨] ﴿ إِنَّكُمۡ ﴾ يا أهل مكة ﴿ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وقودها ﴿ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ داخلون فيها. [٩٩] ﴿ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الأوثان ﴿ ءَالِهَةٗ ﴾ كما زعمتم ﴿ مَّا وَرَدُوهَاۖ ﴾ دخلوها ﴿ وَكُلّٞ ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. [١٠٠] ﴿ لَهُمۡ ﴾ للعابدين ﴿ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ شيئاً لشدّة غليانها. ونزل لما قال ابن الزبعرى: عُبِدَ عُزَيرٌ والمَسِيحُ والملائكةُ، فهم في النار على مُقْتَضَى ما تقدَّم: [١٠١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ﴾ المَنْزِلَةُ ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ ومنهم مَنْ ذُكِرَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سورة الحج

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَالِدُونَ﴾. [١٠٣] ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ﴾ تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عند خروجهم من القبور يقولون لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا. [١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ «باذكر» مُقَدَّراً قبله ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ اسمُ مَلَكٍ ﴿للكتاب﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو السجل: الصحيفة، والكتاب بمعنى المكتوب، و «اللام» بمعنى «على» وفي قراءة: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عدم ﴿نُّعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ (نعيد) وضميره عائد إلى (أول) و «ما» مصدرية ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ منصوب بوعدنا مقدراً قبله، وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدناه. [١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب، أي كُتُب اللهِ المُنزلة ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ بمعنى أُمّ الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ عامٌ في كل صالح. [١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ كِفايةً في دخول الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به. [١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي للرحمة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن بك. [١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ما يوحى إليَّ في أمر الإله إلا وَحدانيَّتُهُ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ منقادون لما يوحى إليَّ من وحدانية الإله، والاستفهام بمعنى الأمر. [١٠٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول، أي مستوين في علمه، لا أَستَبِدُ به دونكم لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله. [١١٠] ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من السر. [١١١] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي ما أَعْلَمْتُكُمْ به ولم يُعْلَمْ وَقْتُه ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَّكُمْ﴾ لِيَرى كيف صُنْعكُم ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول المترجى بـ (لعل) وليس الثاني محلاً للترجي. [١١٢] ﴿قُلْ﴾ وفي قراءة: ﴿قَالَ﴾: ﴿رَبِّ احْكُم﴾ بيني وبين مُكذِّبيَّ ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم أو النصر عليهم، فعُذِّبوا ببَدْر وأُحُد وحُنَيْن والأحزاب والخندق ونُصِرَ عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: (اتخذ ولداً) وعليَّ في قولكم: (ساحر)، وعلى القرآن في قولكم: (شعر).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ
عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ
أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ
٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ
مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ
وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ
بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥

﴿سورة الحج﴾

[مكية إلا الآيات ٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور].

الحزب ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة وغيرهم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي الحركة الشديدة للأرض، التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، الذي هو قرب الساعة ﴿شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب. [٢] ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرۡضِعَةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ أي تنساه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ﴾ أي حبلى ﴿حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ فهم يخافونه. ونزل في النضر بن الحارث وجماعته: [٣] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ أي متمرد. [٤] ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ﴾ يدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي النار. [٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾ شك ﴿مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾ أي أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٖ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطۡفَةٖ﴾ منيّ ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ﴾ وهي لَحْمَةٌ قدر ما يُمْضغ ﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾ مُصوَّرة تامَّة الخلق ﴿وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ أي غير تامَّة الخَلْقِ ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنفٌ ﴿فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ مِنْ بُطون أمهاتكم ﴿طِفۡلٗا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نُعمِّرُكم ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ أي الكمال والقوَّة، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بُلوغ الأشُدِّ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أخسِّه من الهرم والخرف ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ قال عكرمة: مَنْ قرأ القرآن لم يَصِرْ بهذه الحالة ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾ يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتۡ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن﴾ زائدة ﴿كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٖ﴾ حسن.

(٦ إلى ٩) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

عن سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عَجْلان فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً يقتله فتقتلونه، أم كيف يصنعُ؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك. فأتى عاصم النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، فكَرِهَ رسول الله ﷺ المَسائل، فسأله عُويمرُ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ كره المَسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسألَ رسول الله ﷺ عن ذلك، فجاء عُوَيمِرُ فقال: يا رسول الله، رجلٌ وجد مع امرأته رجلاً أيقتلُهُ فتقتلونهُ أم كيف يصنعُ؟ فقال رسول الله ﷺ: « قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك » أمرَهُما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سَمَّى اللهُ في كتابه فلاعَنَها، ثم قال: يا رسول الله إنْ حبستها فقد ظلمتها.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور مِنْ بَدْءِ خَلْقِ الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿ بِأَنَّ ﴾ بسبب أن ﴿ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت الدائم ﴿ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . [٧] ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ ﴾ شك ﴿ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ ونزل في أبي جهل: [٨] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ﴾ معه ﴿ وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ له نور معه. [٩] ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ حال ، أي لاوِيَ عُنُقِه تكبُّراً عن الإيمان، والعِطْفُ: الجانبُ عن يمين أو شمال ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي دينه ﴿ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ عذاب، فقُتِلَ يومَ بَدْرٍ ﴿ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أي الإحراق بالنار ، ويقال له: [١٠] ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ أي قدّمتهُ، عَبَّر عنه بهما دونَ غيْرِهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ ﴾ أي بذي ظلم ﴿ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. [١١] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ أي شكٍّ في عِبادَتِه، شُبِّهَ بالحالِّ على حَرْفِ جَبَلٍ في عدمِ ثَباتِه ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ مِحْنَةٌ وسقم في نفسه وماله ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ أي رجع إلى الكفر ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا ﴾ بفوات ما أَمَّلَهُ منها ﴿ وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾ بالكفر ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ البيِّن. [١٢] ﴿ يَدْعُواْ ﴾ يعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الصنم ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ إن لم يعبده ﴿ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ إن عبده ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الدعاء ﴿ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ عن الحق. [١٣] ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ﴾ اللام زائدة ﴿ ضَرُّهُۥٓ ﴾ بعبادته ﴿ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ إنْ نفعَ بتخيُّلِه ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ هُوَ أي الناصرُ ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الصاحب هُوَ، وعقَّبَ ذكْرَ الشاكِّ بالخُسْرَان، بذكْرِ المؤمنين بالثواب في: [١٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من الفروض والنوافل ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ مِنْ إكرام مَنْ يُطيعهُ، وإهانَةِ مَنْ يَعصيه. [١٥] ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي محمداً نبيَّهُ ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ بحبل ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي سقف بيته يشدّه فيه وفي عنقه ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض، كما في الصِّحاح ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿ مَا يَغِيظُ ﴾ منها، المعنى: فليختنق غيظاً منها، فلا بُدَّ منها.

فطلَّقها ، فكانت سُنَّةً لمَن كان بعدهما في المتلاعنين . ثم قال رسول الله ﷺ : « انظروا فإن جاءت به أسْحَمَ أدْعَجَ العينين عظيمَ الأليتين ، خَدَلَّج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها ، وإن جاءت به أُحَيْمَر كأنه وَحَرَةٌ فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها » ، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشَرِيكِ بـن سَحْمَـاء فقال النبي ﷺ : « البيِّنةُ أو حَدٌّ في ظهرك » فقال : يا رسول الله إذا رأى أحدنا على

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

ربع الحزب ٣٤ — سجدة

[١٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي القرآن الباقي ﴿ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ ظاهرات، حال ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾ هداه معطوف على هاء أنزلناه. [١٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ هم اليهود ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ طائفة منهم ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ من عملهم ﴿ شَهِيدٌ ﴾ عالم به علم مشاهدة. [١٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعلم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ أي تخضعُ له بما يُرادُ منْهُ ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ وهم الكافرون لأنهم أبَوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ ﴾ يُشْقِهِ ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ مُسْعِدٍ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ من الإهانة والإكرام. [١٩] ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾ أي المؤمنون خصم، والكفار الخمسة خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ أي في دينه ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ يلبسونها، يعني أحيطَت بهم النار ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ الماءُ البالغُ نهايةَ الحرارة. [٢٠] ﴿ يُصْهَرُ ﴾ يذاب ﴿ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ ﴾ من شحوم وغيرها ﴿ وَ ﴾ تشوى به ﴿ ٱلْجُلُودُ ﴾. [٢١] ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ لضرب رُؤُوسِهم. [٢٢] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ﴾ أي النار ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾ يَلْحَقُهُمْ بها ﴿ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿ وَ ﴾ قيل لهم ﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أي البالغ نهاية الإحراق. وقال في المؤمنين: [٢٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ بالجرّ أي منهما بأن يُرَصَّعَ اللُّؤْلُؤُ بالذَّهَبِ، وبالنصب عطفاً على محل (من أساور) ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ هو المحرَّم لبسه على الرجال في الدنيا.

امرأته رجلاً ينطلق يلتَمِسُ البينة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « البيِّنَةُ وإلا حَدٌّ في ظَهْرِكَ » فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ، ولينزلَنَّ الله ما يُبَرِّئُ ظهري من الحد ، فَنَزَل جبريل ، وأنزل عليه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ فقرأ حتى بلغ : ﴿ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها ، فجاءها هلال فشهد والنبي ﷺ يقول : « إن الله يعلَمُ أن أحَدُكما كاذبٌ فهل منكما تائب ؟ » ثم قامت فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجبة قال ابن عباس : فتلكأتَ ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم ، فمضت فقال النبي ﷺ : « أبصروُها فإن جاءت به أكحلَ العينين سابغَ الأليَتين خَدَلّج الساقين فهو لشَرِيك بن سَحْماء » فجاءت به كذلك ، فقال النبي ﷺ : « لولا ما مَضَى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » . [رواه البخاري وغيره] .

والقاذف في هذا الحديث : هلال بن أمية .

وعن سعيد بن جبير قال : سئلت عن المتلاعنين في إمرة مصعب أيُفَرَّقُ بينهما ؟ قال : فما دَرَيْتُ ما أقول ؟ فمضيت إلى منزل ابن عمر بمكة ، فقلت للغلام : استأذن

وَهُدُوٓا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوٓا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُدُوٓا﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوٓا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي طريق الله المحمودة ودينه. [٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ﴾ منسكاً ومتعبداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾(١) ﴿الْعَاكِفُ﴾ المقيم ﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾ الطارىء ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ «الباء» زائدة ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بسببه بأن ارتكب مَنْهِيّاً، ولو شتمَ الخادم ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، أي بعضه، ومِنْ هذا يُؤخذ خبر (إنَّ): أي نذيقهم من عذاب أليم. [٢٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بيّنّا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ ليَبْنِيَهُ، وكان قد رُفِعَ زَمَنَ الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جَمْعُ راكع وساجد: المصلين. [٢٧] ﴿وَأَذِّن﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: يا أيها الناسُ! إنَّ ربّكم بَنَى بَيتاً وأوْجَب عليكم الحجَّ إليه، فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كُتِبَ له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركباناً ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي الضوامر حملاً على المعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد. [٢٨] ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ أي يحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة، أو فيهما؛ أقْوالٌ ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ أي عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق؛ أقْوالٌ ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تُنْحَرُ في يوم العيد، وما بعده من الهدايا والضحايا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ أي الشديد الفقر. [٢٩] ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي يُزيلوا أَوْساخَهُم وشَعَثَهُم كطُولِ الظُّفُرِ ﴿وَلْيُوفُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي القديم لأنه أول بيتٍ وُضع للناس. [٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مُقدَّر: أي الأمرُ أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ أكْلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة، الآية: ٣] فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لِمَا عَرَضَ

(١) قرأ حفص بنصب سواء، وقرأ غيره برفعها.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

مِنَ المَوْت ونَحْوِهِ ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ «مِن» للبيان أي الذي هو الأوثان ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ أي الشرك بالله في تلبيتكم، أو شهادة الزور. [٣١] ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ﴾ سقط ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ أي تأخذه بسرعة ﴿ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾ أي تسقطه ﴿ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ بعيد فهو لا يُرجى خلاصُه. [٣٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يقدر قبله الأمر، مبتدأ ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا ﴾ أي فإن تعظيمها، وهي البُدْنُ التي تُهْدَى لِلْحَرَم بأن تُسْتَحْسَنَ وتُسْتَسْمَنَ ﴿ مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ منهم ، وسُمِّيَت شَعائِرُ لإشعارها بما تعرف به أنها هَديٌ كَطعنٍ حديدة بِسَنامِها. [٣٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وقت نحرها ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ ﴾ أي مَكان حِلّ نَحْرِها ﴿ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ أي عنده ، والمُراد الحَرَمُ جميعُه. [٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان : أي ذبحاً قرباناً أو مكانه ﴿ لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ عند ذبحها ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ انقادوا ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ المطيعين المتواضعين.

نصف الحزب ٣٤

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ ﴾ خافت ﴿ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من البلايا ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ في أوقاتها ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدّقون. [٣٦] ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ جَمْعُ بَدَنَةٍ: وهي الإبل ﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أعلام دينه ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ نفع في الدنيا كما تقدم، وأجر في العقبى ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند نحرها ﴿ صَوَآفَّ ﴾ قائمةً على ثلاثٍ مَعْقُولَةَ اليَدِ اليُسْرَى ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر، وهو وقت الأكل منها ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ إن شئتم ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ ﴾ الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرّض ﴿ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ والسائل أو المتعرض ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ذلك التسخير ﴿ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ ﴾ بأن تُنْحر وتُرْكب، وإلا لم تُطَق ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ إنعامي عليكم. [٣٧] ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ أي لا يرفعان إليه ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي المُوَحِّدين. [٣٨] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ غوائل المشركين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ ﴾ في أمانته ﴿ كَفُورٍ ﴾ لنعمته، وهم المشركون، المعنى: أنه يعاقبهم.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي للمؤمنين أن يُقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا۟﴾ بظُلْمِ الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ . [٤٠] هم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟﴾ أي بقولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده، وهذا القَوْلُ حَقٌّ، فالإخراجُ به إخراجٌ بغَيْر حَقٍّ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل «بعض» من «الناس» ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد للتكثير وبالتخفيف ﴿صَوَٰمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي المواضع المذكورة ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ مَنيعٌ في سلطانه وقدرته. [٤١] ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدر قبله «هم» مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي إليه مرجعها في الآخرة. [٤٢] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تَسْلِيَةٌ للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح. [٤٣] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ . [٤٤] ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كَذَّبَهُ القِبْطُ لا قَوْمُهُ بنو إسرائيل: أي كَذب هؤلاء رُسُلَهُم فَلَكَ أُسْوَةٌ بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم؛ والاستفهام للتقرير: أي هو واقع موقعه. [٤٥] ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُها﴾ وفي قراءة: (أهلكناها) ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلُها بكفرهم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ سَاقِطَةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سُقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ مَتْرُوكَةٍ بمَوْتِ أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ رفيع خالٍ بمَوْتِ أهله. [٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ما نزل بالمكذِّبين قبلهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي القصة ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ تأكيد.

لي ؟ قال: إنه قائل، فسمع صوتي قال : ابن جبير ؟ قلت: نعم قال : ادخل فوالله ما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة ، فدخلت فإذا هو مفترش بَرْذَعَةً مُتَوَسِّدٌ وِسَادَةً حشوُها لِيفٌ قلت : أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيُفَرَّقُ بينهما ؟ قال : سبحان الله ! نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان قال : يا رسول الله أرأيت إن وجد أحدُنا امرأته على فاحشة ، كيف يصنع ؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت على مثل ذلك ، قال : فسكت النبي ﷺ فلم يجبه ، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل الله عزَّ وجلَّ هؤلاء الآيات في سورة النور : ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ فتلاهُنَّ عليه وَوَعَظَهُ وذكره وأخبره أن عذابَ الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال : لا والذي بعثك بالحق ما كذبت عليها ثم دعاها فوعظها وذكَّرها وأخبرَها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، قالت : لا والذي بعثك بالحق إنه لكاذب ، فبدأ بالرجل

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزال العذاب، فأنجزه يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا. [٤٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع. [٤٩] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن الإنذار وأنا بشير للمؤمنين. [٥٠] ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة. [٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ القرآن بإبطالها (مُعَجِّزين) من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز، ويُثَبِّطُونَهُمْ عن الإيمان، أو مُقَدِّرين عَجْزَنا عنهم، وفي قراءة ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مسابقين لنا، أي يَظُنُّون أَنْ يَفُوتُونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار. [٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة «النجم» بمجلس من قريش بعد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ بإلقاء الشيطان[1] على لسانه من غير علمه ﷺ به: (تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى) ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن، فَسُلّي بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِۦ﴾ يثبتها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء. [٥٣] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي المشركين عن قبول الحق ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك. [٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي دين الإسلام. [٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي ساعة موتهم، أو

---

(١) هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين. وقال الرازي: أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة. قال ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم. وقد ساقها البغوي، ثم سأل هاهنا سؤالاً: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلوات الله عليه وسلامه؟! ثم ذكر أجوبة عن الناس، من ألطفها: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، فتوهموا: أنه صدر عن رسول الله ﷺ (ابن كثير ٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤١).

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

القيامة فجأة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ هو يوم بَدْرٍ لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده. [٥٦] ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لِلَّهِ ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بيّن بعده ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ فضلاً من الله. [٥٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ شديد بسبب كفرهم. [٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ هو رزق الجنة ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أفضل المعطين. [٥٩] ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا ﴾ بضم الميم وفتحها، أي إدخالاً أو موضعاً ﴿ يَرْضَوْنَهُۥ ﴾ وهو الجنة ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ ﴾ بنياتهم ﴿ حَلِيمٌ ﴾ عن عقابهم. [٦٠] الأمر ﴿ ۞ ذَٰلِكَ ﴾ الذي قصصناه عليك ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ ﴾ جازى من المؤمنين ﴿ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾ ظلماً من المشركين: أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ ﴾ منهم أي ظلم بإخراجه من منزله ﴿ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ ﴾ عن المؤمنين ﴿ غَفُورٌ ﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام. [٦١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ النصر ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ أي يُدْخِلُ كلاً منهما في الآخر بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ دعاء المؤمنين ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم. [٦٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ النصر أيضاً ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾ وهو الأصنام ﴿ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الزائل ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾ أي العالي على كل شيء بقدرته ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الذي يَصْغُرُ كلُّ شيءٍ سواه. [٦٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعلم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ مطراً ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ بالنبات وهذا من أثر قدرته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر. [٦٤] ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ على جهة الملك ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن عباده ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ لأوليائه.

فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربَع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أنَّ غضبَ الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما . [رواه مسلم وغيره] .

وعن عبد الله قال : إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ جاء رجل من الأنصار فقال : لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه ، أو قتل قتلتموه ، وإن سكت سكت على غيظ ، والله لأسألن عنه رسول الله ﷺ ، فلما كان من الغد أتى رسول الله ﷺ فقال : لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه ، أو قَتَل قتلتموه ، أو سكت سكت على غيظ ، فقال : « اللهم افتح » وجعل يدعو فنزلت آية اللعان : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ هذه الآيات ، فابتلى به ذلك الرجل من بين الناس

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعلم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من البهائم ﴿ وَٱلْفُلْكَ ﴾ السفن ﴿ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ للركوب والحمل ﴿ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بإذنه ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ من ﴿ أَن ﴾ أو لئلا ﴿ تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ فتهلكوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ في التسخير والإمساك. [٦٦] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ﴾ بالإنشاء ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ عند البعث ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ أي: المشرك ﴿ لَكَفُورٌ ﴾ لنِعَم الله بتركه توحيده. [٦٧] ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ بفتح السين وكسرها: شريعةً ﴿ هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ عاملون به ﴿ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ ﴾ يراد به لا تنازعهم ﴿ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أي أمر الذبيحة، إذ قالوا: ما قَتَلَهُ اللَّهُ أَحَقُّ أن تأكلوه مما قَتَلْتُمْ ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ إلى دينه ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى ﴾ دين ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [٦٨] ﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ ﴾ في أمر الدين ﴿ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم عليه، وهذا قَبْلَ الأَمْرِ بالقتال. [٦٩] ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ بأن يقولَ كُلٌّ مِنَ الفريقين خلافَ قَوْلِ الآخر. [٧٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما ذكر ﴿ فِى كِتَـٰبٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي علم ما ذكر ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ سهل. [٧١] ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ أي المشركون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ ﴾ هو الأصنام ﴿ سُلْطَـٰنًا ﴾ حُجَّةً ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أنها آلهة ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ بالإشراك ﴿ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يمنع عنهم عذاب الله. [٧٢] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا ﴾ من القرآن ﴿ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ ظاهرات حال ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ أي الإنكار لها: أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ أي يَقعُون فيهم بالبَطْشِ ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ﴾ بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم هو ﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بأن مصيرهم إليها ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ هي.

فجاء هو وامرأته إلى رسول الله ﷺ فتلاعنا ، فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، فذهبت لِتَلْعَن فقال لها رسول الله ﷺ : « مَهْ » فأبت فلعنت فلما أدبرا قال : « لعلها أن تجيء به أسود جَعداً » فجاءت به أسود جَعْداً . [رواه مسلم وغيره] .

وعن محمد قال : سألت أنس بن مالك وأنا أرى أن عنده منه علماً فقال : إن هلال بن أمية قذف امرأته بشَرِيكِ بن سَحْمَاء وكان أخا البراء بن مالك وكان أول رجل لاعن في الإسلام قال : فلاعنها ، فقال رسول الله ﷺ : « أبصروها فإن جاءت به أبيض سَبْطاً مضيء العينين فهو لهلال بن أمية ، وإن جاءت به أكحل جَعْداً حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء » قال : فأنبئت أنها جاءت به أكحل جعداً حَمْشَ الساقين . [رواه مسلم وغيره] .

وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : « لو رأيت مع أم رُومَانَ رجلاً ما كنت فاعلاً به ؟ » قال : كنت والله فاعلاً به شراً ، قال : « فأنت يا عمر ؟ » قال : كنت والله قاتله كنت أقول : لعن الله الأعْجَزَ فإنه خبيث قال : فنزلت : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ . [رواه البزار في كشف الأستار] .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُون

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

[٧٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ وهو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واحدُه «ذُبابَة» يقع على المذكر والمؤنث ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ لخلقِهِ ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران المُلَطَّخِينَ به ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ لا يستَرِدُّوهُ ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء لله تعالى؟ هذا أمر مُسْتَغْرَبٌ عَبَّرَ عنه بضَرْب مَثَلٍ ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المعبود. [٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ عظمته؛ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب. [٧٥] ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلاً، نزل لما قال المشركون ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولاً كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم. [٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما قدَّموا وما خلّفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾. [٧٧] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ أي صلوا ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وَحِّدُوه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة. [٧٨] ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ باستفراغ الطاقة فيه ونَصَبَ (حَقَّ) على المصدر ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي ضيق، بأن سَهَّلَهُ عند الضرورات، كالقَصْر، والتَّيَمُّم، وأَكْلِ الميتة، والفِطْرِ للمَرَضِ والسَّفَرِ ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض الكاف ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل هذا الكتاب ﴿وَفِى هَـٰذَا﴾ أي القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلَّغكم ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أن رسلهم بلَّغوهم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الناصر لكم.

(١١ إلى ٢٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا: فبرَّأَهَا الله منه. قال الزهري: وكلهم حدّثني طائفة من حديثها وبعضهم أوعى من بعض، وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدّثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدِّق بعضاً زعموا أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أَقْرَعَ بين أزواجه فأيَّتُهُنَّ خرج سهمها أُخْرِجَ بها معه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿سورة المؤمنون﴾

[مكية وآياتها ١١٨ أو ١١٩ نزلت بعد الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

[١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾. [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون. [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾. [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدّون. [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام. [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي السَّراري ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهن. [٧] ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراري، كالاستمناء باليد، في إتيانهن ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يَحِلُّ لهم. [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله مِنْ صَلاةٍ وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون. [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها. [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ لا غيرهم. [١١] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جَنَّةٌ أَعلَى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المَعادِ، ويناسبه ذكر المَبْدَأ بعده. [١٢] ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ هي مِنْ سَلَلْتُ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيءِ أي استَخرَجْتُهُ منه، وهو خُلاصَتُهُ ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بسلالة. [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الإنسان نَسْلَ آدم ﴿نُطْفَةً﴾ مَنِيّاً ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرَّحِم. [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لَحْمَةً قَدْرَ ما يُمْضَغُ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عظماً﴾ في الموضعين، و ﴿خلقنا﴾ في المواضع الثلاث بمعنى صَيَّرْنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي المُقَدِّرِينَ، ومميز (أحسن) محذوف للعلم به: أي خلقاً. [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾. [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء. [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي سموات، جمع طَرِيقَةٍ؛ لأنها طُرُقُ الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَافِلِينَ﴾ أن تسقط عليهم فتهلكهم، بل نمسكها كآية: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج، الآية: ٦٥].

فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي، فخرجت معه بعدما أُنزل الحجاب فأنا أُحمَلُ في هودج وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلتُ إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه.

فأقبل الذين يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرَحَلوه على بعيري الذي أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يَغْشَهُنَّ اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه. وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

[١٨] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ من كفايتهم ﴿ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ فيموتون مع دوابِّهم عَطَشاً. [١٩] ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ صيفاً وشتاء. [٢٠] ﴿ وَ﴾ أنشأنا ﴿ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ جَبَل ـ بكسر السين وفتحها ـ ومُنِعَ الصَّرْفُ للعَلَمِيَّةِ والتأنيث، لِلْبُقْعَةِ ﴿ تَنۢبُتُ ﴾ من الرباعي والثلاثي ﴿ بِٱلدُّهْنِ ﴾ «الباء» زائدة على الأول، ومُعَدِّيَةٌ على الثاني، وهي شجرة الزيتون ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ عطف على (الدُّهْن) أي إدام يَصْبِغُ اللُّقْمَةَ بغَمْسِها فيه، وهو الزَّيْتُ. [٢١] ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ عِظَةً تعتبرون بها ﴿ نُّسْقِيكُم ﴾ بفتح النون وضمها ﴿ مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ﴾ اللبن ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾. [٢٢] ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ الإبل ﴿ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ السُّفُنِ ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾. [٢٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أطيعوا الله ووحِّدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ وهو اسم «ما»، وما قبله الخبر، و «مِن» زائدة ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ تخافونَ عقوبته بعبادتكم غيره. [٢٤] ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ لأتْبَاعِهِم: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ ﴾ يَتشرَّفَ ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن يكونَ مَتْبُوعاً وأنتم أتْباعُه ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ألا يُعْبَدَ غيرُه ﴿ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ بذلك لا بَشَراً ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأمم الماضية. [٢٥] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ ما نوح ﴿ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ حالة جنون ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ ﴾ انتظروه ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى زمن موته. [٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى ﴾ عليهم ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ بسبب تكذيبهم إيَّايَ بأن تُهْلِكَهُم، قال تعالى مجيباً دعاءه: [٢٧] ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ السفينة ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بِمَرْأَى مِنّا وحِفْظِنا ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ أمرنا ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ للخبّاز بالماءِ، وكان ذلك علامةً لِنُوح ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا ﴾ أي أدخِلْ في السفينة ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ﴾ ذكر وأنثى، أي من كل أنواعهما ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول و «مِنْ» متعلقة بـ (اسلك)، وفي القصة: أن الله تعالى حَشَرَ لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة، وفي قراءةِ (كلٍّ) بالتنوين فـ (زوجين) مفعول و (اثنين) تأكيد له ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ زوجته وأولاده ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة، وفي سورة [هود، الآية: ٤٠]: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساؤهم، وقيل: جميعُ مَنْ كان في السفينة ثمانيةٌ وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

[٢٨] ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ ﴾ اعتدلت ﴿ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين وإهلاكهم. [٢٩] ﴿ وَقُل ﴾ عند نزولك من الفلك ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا ﴾ بضم الميم وفتح الزاي مصدراً، واسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول ﴿ مُّبَارَكًا ﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ما ذكر. [٣٠] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿ وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ مختبرين قومَ نوح بإرساله إليهم ووعظه. [٣١] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ﴾ قوماً ﴿ ءَاخَرِينَ ﴾ هم عاد. [٣٢] ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ هوداً ﴿ أَنِ ﴾ بأن ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابه فتؤمنون. [٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ بالمصير إليها ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ ﴾ نعّمناهم ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾. [٣٤] ﴿ وَ ﴾ والله ﴿ لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ ﴾ فيه قسم وشرط والجواب لأولهما، وهو مُغْنٍ عن جواب الثاني ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ أي إذا أطعتموه ﴿ لَّخَٰسِرُونَ ﴾ أي مغبونون. [٣٥] ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ هو خبر (أنكم) الأولى و (أنكم) الثانية تأكيد لها لمّا طال الفصل. [٣٦] ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴾ اسمُ فِعْلٍ ماضٍ بمعنى مصدر: أي بُعْدَ بُعْدَ ﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الإخراج من القبور و «اللام» زائدة للبيان. [٣٧] ﴿ إِنْ هِىَ ﴾ أي ما الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ بحياة أبنائنا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾. [٣٨] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ ما الرسول ﴿ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ مصدّقين بالبعث بعد الموت. [٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾. [٤٠] ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ من الزمان و «ما» زائدة ﴿ لَّيُصْبِحُنَّ ﴾ ليَصيرُنَّ ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾ على كفرهم وتكذيبهم. [٤١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنةً ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ فماتوا ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ وهو نَبْتٌ يَبِسٌ، أي صيرناهم مثله في اليُبْسِ ﴿ فَبُعْدًا ﴾ من الرحمة ﴿ لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المكذبين. [٤٢] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ﴾ أقواماً ﴿ ءَاخَرِينَ ﴾.

منزلهم وليس فيه أحد فأممت منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن المُعَطّل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم ، وأتاني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطىء يدها فركبتُها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُعَرِّسين في نحر الظهيرة ، فهَلَكَ من هَلك ، وكان الذي تولى الإفكَ عبد الله بن أبي ابن سَلولَ . فقدمنا المدينة ، فاشتكيت بها شهراً والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول : « كيف تيكم » ؟ لا أشعر بشيء من ذلك ، حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قِبلَ المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ،

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه، ذكَّر الضميرَ بعد تأنيثه رِعايةً للمعنى. [٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ بالتنوين وعدمه: مُتَتابِعينَ بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. [٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بيِّنة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات. [٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم. [٤٧] ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ مطيعون خاضعون. [٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾. [٤٩] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة. [٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لم يقل: آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة: ولادته من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع وهو بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أقوالٌ ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستوية يَسْتقِرُّ عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماءٍ جَارٍ ظاهِرٍ تراهُ العُيون. [٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه. [٥٢] ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿أَنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي مِلَّةَ الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطَبون، أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال لازمة. وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أخرى بكسرها مشدّدة استئنافاً ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ فاحْذَرُونِ. [٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ أي الأتباع ﴿أَمْرَهُم﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حال من فاعل (تقطعوا) أي أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون. [٥٤] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اترك كفار مكة ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى حين موتهم. [٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في الدنيا. [٥٦] ﴿نُسَارِعُ﴾ نعجل ﴿لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك اسْتِدْراجٌ لهم. [٥٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ خوفهم منه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون من عذابه. [٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون. [٥٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه غيره.

وأمرنا أمرُ العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مرطها، فقالت: تَعِسَ مِسطَح. فقلت لها: بئس ما قلت، أتَسُبِّينَ رجلاً شهد بدراً. فقالت: يا هَنْتَاهُ ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي. فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلّم، فقال: «كيف تِيكُم»؟ فقلت: ائذن لي إلى أبوايَ. قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٠] ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ﴾ يعطون ﴿ مَآ ءَاتَواْ ﴾ أَعْطَوْا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة ألا تقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ يقدر قبله «لام» الجر ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾. [٦١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ في علم الله. [٦٢] ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ طاقتها، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليُصَلِّ جالساً، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿ وَلَدَيْنَا ﴾ عندنا ﴿ كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ بما عَمِلَتْهُ، وهو اللوحُ المحفوظ تُسَطَّرُ فيه الأعمال ﴿ وَهُمْ ﴾ أي النفوس العاملة ﴿ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ شيئاً منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يُزاد في السيئات. [٦٣] ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي الكفار ﴿ فِي غَمْرَةٍ ﴾ جهالة ﴿ مِّنْ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ فيعذبون عليها. [٦٤] ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ابتدائية ﴿ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿ بِالْعَذَابِ ﴾ أي السيف يَوْمَ بَدْرٍ ﴿ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ يضجّون يقال لهم: [٦٥] ﴿ لَا تَجْـَٔرُواْ الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ لا تُمْنَعُونَ. [٦٦] ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي ﴾ من القرآن ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ترجعون القهقرى. [٦٧] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ عن الإيمان ﴿ بِهِۦ ﴾ أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿ سَٰمِرًا ﴾ حال، أي جماعة يتحدّثون بالليل حوْل البَيْتِ ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ من الثلاثي: تتركون القرآن، ومن الرباعي[1]: أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن، قال تعالى: [٦٨] ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ﴾ أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال ﴿ الْقَوْلَ ﴾ أي القرآن الدال على صدق النبي ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾. [٦٩] ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾. [٧٠] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ الاستفهام للتقرير بالحق من صدق النبيّ، ومجيء الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأن لا جنون به ﴿ بَلْ ﴾ للانتقال ﴿ جَآءَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾. [٧١] ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ ﴾ أي القرآن ﴿ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ بأن جاء بما يَهْوَوْنَه من الشريك والولد لله ـ تعالى الله عن ذلك ـ ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾. [٧٢] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا ﴾ أجراً على ما جئتهم به من الإيمان ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿ خَيْرٌ ﴾ وفي قراءة: ﴿خرجاً﴾ في الموضعين، وفي قراءة أخرى: ﴿خراجاً﴾ فيهما ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴾ أَفْضَلُ مَنْ أَعْطَى وآجر. [٧٣] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ

(١) أي: أهجر، أي: أفحش في كلامه.

نصف الحزب ٣٥

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي دين الإسلام. [٧٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ أي الطريق ﴿ لَنَٰكِبُونَ ﴾ عادلون. [٧٥] ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ أي جوع أصابهم بمكة سَبْعَ سنين ﴿ لَّلَجُّواْ ﴾ تمادَوْا ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ ضلالتهم ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون. [٧٦] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ الجوع ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ تواضعوا ﴿ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء. [٧٧] ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ابتدائية ﴿ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا ﴾ صاحب ﴿ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ هو يوم بدر بالقتل ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون مِن كُلِّ خَيْر. [٧٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾ خلق ﴿ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ ﴾ بمعنى الأسماع ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ القلوب ﴿ قَلِيلًا مَّا ﴾ تأكيد للقلة ﴿ تَشْكُرُونَ ﴾. [٧٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ ﴾ خلقكم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تبعثون. [٨٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ ﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بالسواد والبياض، والزيادة والنقصان ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ صُنْعَهُ تعالى فتعتبرون. [٨١] ﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾. [٨٢] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي الأولون ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين. [٨٣] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا ﴾ أي البعث بعد الموت ﴿ مِن قَبْلُ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ﴾ أكاذيب ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أُسطورة بالضم. [٨٤] ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ من الخلق ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ خالقها ومالكها. [٨٥] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[1] ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أنَّ القادرَ على الخَلْق ابْتِداءً قادرٌ على الإحياء بعد الموت. [٨٦] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الكرسي[2]. [٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ ٱللَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ تحذرون عبادة غيره. [٨٨] ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ ﴾ ملك ﴿ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ والتاء للمبالغة ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ يَحمي ولا يُحمَى عليه ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. [٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ ٱللَّهِ ﴾ وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين، نظراً إلى أن المعنى: مَنْ لَهُ ما ذُكِر ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ تُخدَعون وتُصرَفون عن الحق عبادة الله وحده، أي كيف تخيل لكم أنه باطل؟!

---

(١) وفي قراءة سبعية بتخفيف الذال.

(٢) سبقت الإشارة ص ٢٠٧ إلى أن العرش غير الكرسي.

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في نفيه وهو: [٩١] ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا ﴾ أي لو كان معه إله ﴿ لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ انفرد به، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ مُغالَبَةً كفعْلِ مُلوكِ الدنيا ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ تنزيهاً له ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ـه به مما ذكر. [٩٢] ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ما غاب وما شوهد، بالجر صِفَةً، والرفع خبر «هو» مُقدَّراً ﴿ فَتَعَالَىٰ ﴾ تعاظَمَ ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ـه معه. [٩٣] ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ـه من العذاب هو صادق بالقتل يوم ببدر. [٩٤] ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فأهلك بإهلاكهم. [٩٥] ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾. [٩٦] ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ السَّيِّئَةَ ﴾ أذاهم إيَّاكَ، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ يُكَذِّبونَ ويقولون، فنجازيهم عليه. [٩٧] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ ﴾ أعتصم ﴿ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به. [٩٨] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ في أموري، لأنهم إنما يَحْضُرُونَ بِسُوءٍ. [٩٩] ﴿ حَتَّىٰ ﴾ ابتدائية ﴿ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمَنَ ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ الجمع للتعظيم. [١٠٠] ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون ﴿ فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ضيَّعْتُ مِنْ عُمْرِي، أي في مقابلته. قال تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ أي لا رجوع ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي ﴿رب ارجعون﴾ ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ ولا فائدة له فيها ﴿ وَمِن وَرَائِهِم ﴾ أمامهم ﴿ بَرْزَخٌ ﴾ حاجزٌ يَصُدُّهُمْ عن الرجوع ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ولا رجوع بعده. [١٠١] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ القرن، النفخة الأولى أو الثانية ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ يتفاخرون بها ﴿ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ عنها خلاف حالهم في الدنيا، لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يفيقون، وفي آية: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[الصافات: ٥٠]. [١٠٢] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بالحسنات ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون. [١٠٣] ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بالسيئات ﴿ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ فهم ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾. [١٠٤] ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ تحرقها ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم، ويقال لهم:

أبواي، فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس، فقالت: يا بُنَيَّةُ هوِّني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يُحبُّها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يَرْقَأُ لي دمع ولا أكتحِلُ بنوم، ثم أصبحتُ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلُكَ يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

[١٠٥] ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تُخوَّفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾. [١٠٦] ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة ﴿شقاوتنا﴾ بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنىً ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الهداية. [١٠٧] ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾. [١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بِلِسَانِ مالِكٍ بَعْدَ قَدْرِ الدُّنيا مرتين: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ ابعدوا في النار أذِلاءَ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم لِينقَطِعَ رَجَاؤُهُمْ. [١٠٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. [١١٠] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها، مصدر بمعنى الهزء، منهم: بِلَال، وصُهَيْب، وعَمَّار، وسَلْمَان ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سَبَبُ الإِنْسَاءِ فَنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾. [١١١] ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بمطلوبهم استئناف، وبفتحها: مفعول ثان لـ (جزيتهم). [١١٢] ﴿قَٰلَ﴾ تعالى لهم بلسَانِ مَالِكٍ. وفي قراءة ﴿قُلْ﴾: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ تمييز. [١١٣] ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شَكّوا في ذلك واسْتَقْصَرُوهُ لِعِظَمِ ما هُمْ فيه من العذاب ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي الملائكة المُحْصِينَ أعمالَ الخلْقِ. [١١٤] ﴿قَٰلَ﴾ تعالى بلسان مالك أيضاً وفي قراءة ﴿قُلْ﴾: ﴿إِن﴾ أي ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول، كان قليلاً بالنسبة إلى لُبْثِكُم في النار. [١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ لا، لِحكْمَةٍ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول؟ لا، بل لِنتعَبَّدَكُمْ بالأمر والنهي، فتَرْجعُوا إلينا ونجازي على ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. [١١٦] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عن العَبَثِ وغيره مما لا يليق به ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ الكُرْسِيّ، هو السَّرِيرُ الحَسَن[1]. [١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفةٌ كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لا يَسْعَدُونَ. [١١٨] ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المؤمنين. في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أفضل راحم.

وأما علي فقال: يا رسول الله لم يُضَيِّق اللهُ عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تَصدُقْكَ، فدعا رسول الله بَرِيرَةَ فقال: «يا بَرِيرة هل رأيت فيها شيئاً يَرِيبُكِ»؟ فقالت بريرة: لا والذي بَعَثَكَ بالحق، إن رأيت منها أمراً أغْمِصُهُ عليها قط أكثر من أنها جارية حديثةُ السِّنِّ تنام عن العَجِين، فتأتي الدَّاجِنُ، فتأكلُهُ. فقام رسول الله ﷺ

---

(١) انظر ص ٢٠٧ للوقوف على معنى العرش والكرسي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٥

﴿سورة النور﴾

[مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ مُخففاً ومشدَّداً لكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال[1]: تتَّعظونَ. [٢] ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ أي غير المُحْصَنَيْنِ لِرَجْمِهما بالسُّنَّة و «أل» فيما ذُكِر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو: ﴿فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة، يُقال: جَلَدَهُ: ضربَ جِلْدَهُ، ويُزادُ على ذلك بالسُّنَّة تغْريبُ عامٍ. والرَّقيقُ على النِّصفِ مما ذُكِرَ ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي حُكمِهِ بأن تتركوا شيئاً مِنْ حَدِّهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي يوم البعث. في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه، أو دالٌّ على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ الجلد ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: ثلاثةٌ، وقيل: أربعةٌ، عَدَدُ شُهود الزِّنى. [٣] ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ﴾ يتزوج ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي المناسب لكلٍّ منهما ما ذُكِرَ ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الزواني ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هَمَّ فُقَراءُ المُهاجرين أن يتزوَّجوا بَغايا المشركين، وهُنَّ مُوسِراتٌ، لِيُنْفِقْنَ عليهم، فقيل: التحريم خاصٌّ بهم، وقيل: عامٌّ. ونُسِخَ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور، الآية: ٣٢]. [٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفيفات بالزنى ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أي كل واحد منهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ لإتيانهم كبيرة. [٥] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم قَذْفَهُمْ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهامهم التَّوبَةَ، فيها يَنْتهي فِسْقُهُم، وتُقْبَل شهادَتُهم. وقيل: لا تُقْبَلُ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة. [٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ بالزنى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ عليه ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعُ[2] شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ نصب على المصدر ﴿بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنى. [٧] ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ذلك وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف. [٨] ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾ أي يدفع ﴿عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ حَدَّ الزنى الذي ثبت بشهاداته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنى. [٩] ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في ذلك. [١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾

(١) وفي قراءة سبعية بتخفيف الذال من غير إدغام.

(٢) وفي قراءة سبعية بالرفع.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره، ليبين الحق في ذلك، وعاجل بالعقوبة من يستحقها. [١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة ـ رضي الله عنها ـ أم المؤمنين بِقَذْفِها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين قالت: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ، ومسطح، وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم الله به، ويُظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه، وهو صفوان، فإنها قالت: «كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أُنزِلَ الحِجابُ، فَفَرَغَ منها، وَرَجَع ودنا من المدينة، وآذنَ بالرحيل ليلةً، فمشيتُ وقضيتُ شأني، وأقبلت إلى الرَّحْلِ فإذا عِقْدِي انقطع ـ هو بكسر المهملة: القِلادَةُ ـ فرجعتُ أَلْتَمِسُهُ، وحَمَلُوا هَوْدَجي ـ هو ما يُركَبُ فيه ـ على بعيري يَحْسَبونني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العُلْقة ـ هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام: أي القليل ـ ووجدتُ عِقْدِي، وجئتُ بعدما ساروا، فجلستُ في المَنْزِلِ الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنَّ القومَ سَيَفْقدونني فيرجعون إليَّ، فَغَلَبَتْني عَيْنايَ فَنِمْتُ، وكان صفوانُ قد عَرَّسَ من وراء الجيش فَادَّلَجَ ـ هما بتشديد الراء والدال أي نزل من آخر الليل للاستراحة ـ فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسانٍ نائم ـ أي شَخْصَهُ ـ فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرجاعِهِ حين عَرَفَني ـ أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ فَخَمَّرْتُ وَجْهي بِجِلْبابي، أي غطيته بالملاءة، واللَّهِ ما كَلَّمَني بكلمةٍ، ولا سمعتُ منه كلمةً غَيْرَ اسْتِرْجاعهِ حين أناخَ راحِلَتَهُ ووطىء على يدها، فَرَكِبْتُها فانطلق يَقُودُ بي الراحِلَةَ، حتى أتينا الجيشَ بعدما نزلوا موغرين في نَحْرِ الظَّهيرَة ـ أي مِنْ أَوْغَرَ واقفينَ في مكان وَغْرٍ من شِدَّة الحر ـ فهلك من هلك فِيَّ، وكان الذي تَوَلَّى كِبْرَهُ منهم: «عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول» انتهى قولُها؛ رواه الشيخان[١]. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم﴾ أي عليه ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي تَحَمَّلَ مُعْظَمَهُ فَبَدَأ بالخوض فيه وأشاعه، وهو عبدُ الله بن أُبَيّ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار في الآخرة. [١٢] ﴿لَّوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذبٌ بَيِّنٌ، فيه التفات عن الخطاب، أي ظننتم أيها العُصْبَةُ وقُلْتُم: [١٣] ﴿لَّوْلَا﴾ هلا ﴿جَآءُو﴾ أي العُصْبَةُ ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حُكمِهِ ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فيه. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة أي خُضْتُمْ ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. [١٥] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يَرْوِيه بعضُكم عن بعض، وحَذْفَ من الفعل إحدى التاءين و «إذ» منصوب بـ (مسكم) أو بـ (أفضتم) ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٦

ونزل في حمزة وأبي جهل: [١٩] ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ فآمن به ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أصحاب العقول. [٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض. [٢١] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي وعيده ﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ تقدم مثله. [٢٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ طلب ﴿ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ ﴾ في الطاعة ﴿ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ ﴾ يدفعون ﴿ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، هي: [٢٣] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ هم ﴿ وَمَن صَلَحَ ﴾ آمن ﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة. [٢٤] يقولون ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ هذا الثواب ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ عقباكم. [٢٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ البعد من رحمة الله ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم. [٢٦] ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿ وَفَرِحُوا۟ ﴾ أي أهل مكة فَرَحَ بَطَرٍ ﴿ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي بما نالوه فيها ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ﴾ جنب حياة ﴿ ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب. [٢٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من أهل مكة ﴿ لَوْلَآ ﴾ هلاّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ على محمد ﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿ وَيَهْدِىٓ ﴾ يرشد ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلى دينه ﴿ مَنْ أَنَابَ ﴾ رجع إليه. [٢٨] ويُبْدَل مِن «مَن»: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ ﴾ تسكن ﴿ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي وعده ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ أي قلوب المؤمنين.

اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون ، قد كان كافِيَك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى أردتِ أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لَقِيَ هذا معي أحد ، قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مَرَارَةُ بن الربيع العمري وهِلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً ، لي فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ـ أيها الثلاثة ـ من بين مَن تخلَّفَ عنه فاجْتَنَبَنا الناس وتغيروا لنا حتَّى تنكَّرَتْ في نفسي الأرضُ فمَا هي التي أعرفُ ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبايَ فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القومِ وأجلدَهُم فكنت أخرجُ فأشهَدُ الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه ، وهو في مجلسه بعد

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

[٢٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ خبره ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مئة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ مرجع. [٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾. ونزل لما قالوا له إن كنت نبياً فسيّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لِنَغْرِسَ ونَزْرَع، وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي: [٣١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأن يجيبوا لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وقد حلَّ بالحديبية حتى أتى فتح مكة. [٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استُهزِىء بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك. [٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار، أي لا شريك له، إذ لو كان لَعَلِمَهُ، تَعالَى عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. [٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿مِن وَاقٍ﴾ مانع.

الصلاة فأقول في نفسي: هل حَرَّكَ شفتيه بردِّ السلام عليَّ، أم لا ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبلَ إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوَّرتُ جدارَ حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحَبُّ الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلامَ، فقلت: يا أبا قتادة أنشُدُكَ بالله، هل تعلمني أحِبُّ اللهَ ورسولَه؟ فسكتَ فعدت لـه فنشدته، فسكت فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

ربع الحزب ٣٦

[٣٢] ﴿وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أَيِّم: وهي مَنْ ليس لها زَوْجٌ بكراً كانت أو ثيِّباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ و «عِباد» مِنْ جُمُوع عَبْدٍ ﴿إِن يَكُونُوا﴾ أي الأحرار ﴿فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم. [٣٣] ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ما ينكحون به من مَهْرٍ ونفقة عن الزنى ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي أمانةً وقُدْرَةً على الكسب لأداء مال الكتابة وصيغتها مثلاً: كَاتَبْتُكَ على ألفين في شهرين، كلَّ شهرٍ ألفٌ، فإذا أدَّيْتَهما فأنت حُرٌّ، فيقولُ: قَبِلْتُ ذلك ﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإيتاء حَطُّ شَيْءٍ مما الْتَزَمُوهُ ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الزنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أُبَيّ كان يُكْرِهُ جَوارِيَهُ على الكَسْبِ بالزِّنى ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهنَّ. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها في هذه السورة، بُيِّن فيها ما ذكر، أَوْ بَيِّنَةٌ ﴿وَمَثَلًا﴾ خبراً عجيباً وهو خبر عائشة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي من جنس أمثالهم أي أخبارهم العجيبة، كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلخ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾ إلخ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا﴾ إلخ وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المنتفعون بها. [٣٥] ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مُنَوِّرُهُما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي صِفَتُهُ في قَلْبِ المُؤمنِ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ هي القنديل والمصباح السراج، أي الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة، أي الأنبوبة في القنديل ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ أي مضيء ـ بكسر الدال وضمها ـ من الدَّرءِ بمعنى الدفع، لِدَفْعِها الظلامَ، وبضمها وتشديد الياء منسوبٌ إلى الدُّرِّ: اللؤلؤ ﴿تَوَقَّدَ﴾ المصباح بالماضي، وفي قراءة بمضارع «أُوْقِد» مبنياً للمفعول بالتحتانية وفي أخرى: ﴿تُوقَدُ﴾ بالفوقانية، أي الزجاجة ﴿مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما، فلا يَتَمكَّنُ منها حرٌّ ولا بَرْدٌ مُضرَّانِ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُّورٌ﴾ به ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ بالنار، ونور الله: أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي دين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ﴾ يُبيِّن ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم؛ ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه ضرب الأمثال. [٣٦] ﴿فِى

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

﴿بُيُوتٍ﴾ متعلق بـ ﴿يسبح﴾ الآتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ تُعظَّم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرها: أي يُصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾ مصدر بمعنى الغدواتِ: أي البُكر ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال. [٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل (يُسبِّح) بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل له، و (رجال) فاعلُ فِعْلٍ مُقدَّر جواب سؤال مُقدَّر، كأنه قيل: من يسبحه ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من الخوف، القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال، هو يوم القيامة. [٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي ثوابه. وأحسن بمعنى حُسْنَ ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقال فلان ينفق بغير حساب: أي يُوسِعُ كأنه لا يحسبُ ما يُنفقهُ. [٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ جَمْعُ قاع: أي في فَلاةٍ، وهو شُعاعٌ يُرَى فيها نِصفَ النَّهار في شِدَّة الحَرِّ يُشْبِهُ الماءَ الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقةٍ يَنفعُهُ، حتى إذا ماتَ وقَدِمَ على رَبِّه لم يجد عمله، أي لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي عند عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي جازاه عليه في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي المجازاة.

[٤٠] ﴿أَوْ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي غيم، هذه ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظُلْمَةُ البحر، وظُلْمَةُ المَوْج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد. [٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومِنَ التَّسبيح صَلاةٌ ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال باسطات أجنحتهنَّ ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيه تَغْليبُ العاقِل. [٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المَرْجع. [٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يَسُوقُهُ برِفْقٍ ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يضم بعضه إلى بعض فيجعل القِطَعَ المتفرقة قطعةً واحدةً ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن﴾ زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء بدل بإعادة الجار ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ أي بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ لمعانُه ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ الناظرة له، أي يخطفها.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

[٤٤] ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ التقليب ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ دلالة ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى. [٤٥] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ ﴾ أي حيوان ﴿ مِّن مَّآءٍ ﴾ نطفة ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾ كالحيات والهوام ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ﴾ كالإنسان والطير ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [٤٦] ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ أي بينات هي القرآن ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي دين الإسلام. [٤٧] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ المنافقون ﴿ ءَامَنَّا ﴾ صدَّقنا ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ بتوحيده ﴿ وَبِٱلرَّسُولِ ﴾ محمد ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ هما فيما حكما به ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ﴾ يُعْرِضُ ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ عنه ﴿ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ المعرضون ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المعْهودينَ الموافقُ قلوبُهم لألسنتهم. [٤٨] ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ المبلغ عنه ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن المجيء إليه. [٤٩] ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ مسرعين طائعين. [٥٠] ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ ﴾ أي شكّوا في نبوته ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ في الحكم أي فَيُظْلَمُوا فيه؟ لا ﴿ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ بالإعراض عنه. [٥١] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ فالقول اللائق بهم ﴿ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ بالإجابة ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ حينئذ ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الناجون. [٥٢] ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ يخافه ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ بالجنة. [٥٣] ﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ غايتها ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾ بالجهاد ﴿ لَيَخْرُجُنَّ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ للنبي خير من قَسَمِكُم الذي لا تَصْدُقُونَ فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

نصف الحزب ٣٦

من يومه فاستعْذرَ من عبد الله بن أبي ابن سلولَ فقال رسول الله ﷺ : « من يَعذِرُني من رجل بلغني أذاه في أهلي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي » . فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله أنا والله أعذرُك منه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك . فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً وكان احتملته الحَمِيَّةُ فقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ، ولا تقدرُ على ذلك . فقام أُسَيدُ بنُ الحُضير ، فقال : كذبت لعمر الله والله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فنَزَلَ وخفضهم حتى سكتوا ، وسكت . قالت : وبكيت يومي لا يَرْقأُ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبواي ، وقد بكيت ليلتي ويوماً حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيَّ ما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء قالت : فتشهد ثم قال : « يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسَيُبَرِّئُكِ الله ، وإن كنت ألممْتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه » . فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلَص دمعي حتى ما أحسُّ منه قطرة ، وقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال . قالت :

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

[٥٤] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾ من التبليغ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ من طاعته ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي التبليغ البيّن. [٥٥] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بدلاً عن الكفار ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ وهو الإسلام بأن يُظهِرَهُ على جميع الأديان، ويُوسعَ لهم في البلاد فيَملِكُوها ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ ﴾ من الكفار ﴿ أَمْنًا ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكره، وأثنى عليهم بقوله: ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الإنعام منهم به ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ وأولُ من كفر به قَتَلَةُ عُثمانَ رضي الله عنه، فصاروا يَقْتتِلونَ بعد أن كانوا إخواناً. [٥٦] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي رجاء الرحمة. [٥٧] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ﴾ بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ ﴾ لنا ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن يَفُوتونا ﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ﴾ مرجعهم ﴿ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المرجع هي. [٥٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ من العبيد والإماء ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ﴾ من الأحرار وعرفوا أَمْرَ النِّساء ﴿ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ أي وقت الظهر ﴿ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مُقدَّر بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه: أي هي أوقات، وبالنصب بتقدير أوقات منصوباً بدلاً من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه، وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿ جُنَاحٌۢ ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿ بَعْدَهُنَّ ﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة هم ﴿ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم ﴾ للخدمة ﴿ بَعْضُكُمْ ﴾ طائف ﴿ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما بين ما ذكر ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي الأحكام ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأمور خلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بما دَبَّرَهُ لهم. وآيةُ الاستئذان قِيلَ: منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان.

والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدَّثُ به الناسُ، وَوَقَرَ في أنفسكم وصدقتم به، ولئِن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقنّي، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ ثم تحولتُ على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً، ولأنا أحقرُ في نفسي من أن يُتَكلَّمَ بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ﴾ أيها الأحرار ﴿ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾ في جميع الأوقات ﴿ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي الأحرار الكبار ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾. [٦٠] ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ قعدن عن الحيض والولد لِكبرهنّ ﴿ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ لذلك ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ ﴾ مظهرات ﴿ بِزِينَةٍ ﴾ خفية كقلادة وسوار وخِلْخال ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ بأن لا يضعنها ﴿ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لقولكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما في قلوبكم. [٦١] ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ في مؤاكلة مقابليهم ﴿ وَلَا ﴾ حرج ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ بيوت أولادكم ﴿ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ خزنتُموه لغيركم ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ وهو من صَدَقكُمْ في مَوَدّتِهِ، المعنى يجوزُ الأكلُ مِنْ بيوتِ مَنْ ذُكِرَ، وإن لم يحضروا إذا عُلِمَ رِضاهُم به ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ متفرّقين جمع شَتٍّ، نزل فيمن تَحَرَّجَ أن يأكلَ وَحْدَهُ، وإذا لم يجد مَنْ يُؤاكِلُهُ يترك الأكل ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ لكم لا أهل بها ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة تَرُدُّ عليكم، وإن كان بها أهل؛ فسلموا عليهم ﴿ تَحِيَّةً ﴾ مصدر حَيّا ﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ يثاب عليها ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي يُفصّل لكم مَعالِمَ دينِكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لكي تفهموا ذلك.

عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمَانِ من العَرَق في يوم شاتٍ، فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: « يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله ». فقالت أمي: قومي إلى رسول الله فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ ـ الآيات ـ فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مِسطح بن أُثَاثَةَ لقرابته منه: والله لا أنفق على مِسطح شيئاً أبداً ما قاله لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه. وكان رسول الله ﷺ يسأل زينبَ بنت جحش عن أمري، فقال: « يا زينب ما علمت ما رأيت »؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً. قالت: وهي التي كانت تَسَامِيني فعصمها الله بالورع. [رواه البخاري ومسلم].

(٣٣) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾.

عن جابر قال: كان عبد الله بنُ أُبيٍّ ابنِ سلولَ يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَان

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

[٦٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ أي الرسول ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ كخطبة الجمعة ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ لِعُرُوضِ عُذْرٍ لهم ﴿ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ أمرهم ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ بالانصراف ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. [٦٣] ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ بأن تقولوا: يا محمد! بل قولوا: يا نبيَّ الله! يا رسول الله! في لين وتواضع وخفض صوت ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان، خفية مستترين بشيء، و «قد» للتحقيق ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي أمر الله أو رسوله ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ بلاء ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة. [٦٤] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ ﴾ أيها المكلَّفون ﴿ عَلَيْهِ ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿ وَ ﴾ يعلم ﴿ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ فيه التفات عن الخطاب، أي: متى يكونُ ﴿ فَيُنَبِّئُهُم ﴾ فيه ﴿ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ من الخير والشر ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿ عَلِيمٌۢ ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

﴿سورة الفرقان﴾

[مكية إلا الآيات ٦٨و٦٩و٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يٰس].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ تَبَارَكَ ﴾ تعالى ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ القرآن؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ محمد ﷺ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجن دون الملائكة ﴿ نَذِيرًا ﴾ مُخَوِّفاً مِنْ عذاب الله. [٢] ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ من شأنه أن يُخْلَق ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ سَوَّاهُ تَسْوِيَةً.

وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. [رواه مسلم وغيره].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حُرِّمَ الزنى قالت: لا والله لا أزني أبداً فنزلت الآية. [مجمع الزوائد والطبراني والبزار].

(٥٥) قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾.

عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

[٣] ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ ﴾ أي الكفار ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الله: أي غيره ﴿ ءَالِهَةً ﴾ هي الأصنام ﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا ﴾ أي دفعه ﴿ وَلَا نَفْعًا ﴾ أي جره ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً ﴾ أي إماتة لأحد ولا إحياء لأحد ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴾ أي بعثاً للأموات. [٤] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي ما القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذبٌ ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ محمد ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ كفراً وكذباً: أي بهما. [٥] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ أيضاً هو ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم: جَمْع أُسْطورَة بالضم ﴿ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ انتسخها من ذلك القوم بغيره ﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ ﴾ تُقرأُ ﴿ عَلَيْهِ ﴾ ليحفظها ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ غُدْوَةً وعَشياً، قال تعالى رداً عليهم: [٦] ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ الغيب ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا ﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بهم. [٧] ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ يصدقه. [٨] ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ بستان ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أي من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة ﴿ نأكل ﴾ بالنون، أي نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي الكافرون للمؤمنين ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ مَخْدُوعـاً مَغْلوباً على عَقْلِـهِ، قال تعالى: [٩] ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ بالمسحور، والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ بذلك عن الهدى ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ طريقاً إليه. [١٠] ﴿ تَبَارَكَ ﴾ تكاثر خير الله ﴿ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي في الدنيا لأنه شاء أَنْ يُعْطِيَهُ إياها في الآخرة ﴿ وَيَجْعَل ﴾ بالجزم ﴿ لَّكَ قُصُورًا ﴾ أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً. [١١] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾ القيامة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ ناراً مسعرة: أي مشتدة.

يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؟ فنزلت: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ إلى ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني بالنعمة ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾. [صححه الحاكم وأقره الذهبي].

(٦١) قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾. عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضَمْناهم ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما أحببتم فكانوا يقولون إنه لا يَحلُّ لنا أنهم أذنوا من غير طيب نفس فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ ﴾ إلى قوله:

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ غلياناً كالغضبان إذا غلى صَدْرُهُ من الغضب ﴿ وَزَفِيرًا ﴾ صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ: رؤيته وعلمه. [١٣] ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ بالتشديد والتخفيف، بأن يضيق عليهم، و «منها»: حال من «مكاناً» لأنه في الأصل صفة له ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ مصفدين قد قُرنتْ ـ أي جُمِعَتْ ـ أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديدُ للتكثير ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ هلاكاً فيقال لهم: [١٤] ﴿ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ كعذابكم. [١٥] ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ ﴾ ها ﴿ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ ﴾ في علمه تعالى ﴿ جَزَاءً ﴾ ثواباً ﴿ وَمَصِيرًا ﴾ مرجعاً. [١٦] ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴾ حال لازمة ﴿ كَانَ ﴾ وعدهم ما ذكر ﴿ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴾ يَسْأَلُهُ من وُعِدَ به: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾[آل عمران: ١٩٤] أو تسأله لهم الملائكة: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ ﴾ [غافر: ٨]. [١٧] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ بالنون والتحتانية ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿ فَيَقُولُ ﴾ تعالى ـ بالتحتانية، والنون ـ للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين: ﴿ أَأَنتُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسهَلة والأخرى، وتركه ﴿ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ طريق الحق بأنفسهم. [١٨] ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿ مَا كَانَ يَنبَغِي ﴾ يستقيم ﴿ لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ ﴾ أي غيرك ﴿ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ مفعول أوّل، و «من» زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا؟ ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ ﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ بإطالة العُمُر وسَعَة الرِّزْق ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ هلكى، قال تعالى: [١٩] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ أي كذب المعبودون العابدين ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ بالفوقانية أنهم آلهة ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾ بالتحتانية والفوقانية: أي لا هم ولا أنتم ﴿ صَرْفًا ﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ منعاً لكم منه ﴿ وَمَن يَظْلِم ﴾ يشرك ﴿ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ شديداً في الآخرة. [٢٠] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ بَلِيَّة، ابتُلِيَ الغَنيُّ بالفقير، والصحيحُ بالمريضِ، والشريفُ بالوضيع يقول الثاني في كلٍّ: ما لي لا أكون كالأول في كلٍّ: ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم استفهام بمعنى الأمر: أي اصبروا ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ بمن يصبر وبمن يجزع. [٢١] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ لا يخافون البعث ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ فنُخبَر بأن محمداً رسوله. قال

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا ﴿فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا، «وعُتُوّاً» بالواو على أصله، بخلاف «عِتِيّ» بالإبدال في [مريم: ٨]. [٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق هو يوم القيامة، ونصبه «باذكر» مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة، أي عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة، قال تعالى: [٢٣] ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كَصَدَقةٍ وصِلَةِ رَحِم، وقِرَى ضَيْفٍ، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ هو ما يُرَى في الكُوَى التي عليها الشمس، كالغبار المُفرَّق، أي مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا. [٢٤] ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم: أي موضع قائلة فيها، وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار، كما ورد في حديث[1]. [٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي كل سماء ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي معه وهو غيم أبيض ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه بـ «اذكُر» مُقدَّراً، وفي قراءة بتشديد شين «تشقق» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: «ننزل» بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب «الملائكة». [٢٦] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين. [٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاءً لأبيّ بن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسُّراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. [٢٨] ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة، أي ويلتي، ومعناه: هلكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي أُبيّاً ﴿خَلِيلًا﴾. [٢٩] ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ بأن ردَّني عن الإيمان به، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء. [٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشاً ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً. قال تعالى: [٣١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصراً لك على أعدائك. [٣٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٢).

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

كالتوراة والإنجيل والزَّبور، قال تعالى: نزلناه ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ متفرّقاً ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ نقوّي قلبك ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ أي أتينا به شيئاً بعد شيء بِتَمَهُّلٍ وتُؤَدَةٍ لِتَيْسير فهمه وحفظه. [٣٣] ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ في إبطال أمرك ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الدافع له ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ بياناً. [٣٤] هم ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ أي يساقون ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ هو جهنم ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم. [٣٥] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ معيناً. [٣٦] ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي القِبْط، فِرْعونَ وقومِهِ، فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿ فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ أهلكناهم إهلاكاً. [٣٧] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ ﴾ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم فكأنه رُسُلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾ جواب «لَمّا» ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ﴾ بعدهم ﴿ ءَايَةً ﴾ عبرة ﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾ في الآخرة ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا. [٣٨] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ عَادًا ﴾ قوم هود ﴿ وَثَمُودَاْ ﴾ قوم صالح ﴿ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾ اسمُ بِئْر، ونبيُّهم قيل: شعيب، وقيل غيره، كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿ وَقُرُونًا ﴾ أقواماً ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ أي بين عاد وأصحاب الرَّسِّ. [٣٩] ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم. [٤٠] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ ﴾ أي مَرَّ كُفّارُ مكة ﴿ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ مصدر سَاءَ، أي بالحجارة، وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون، والاستفهام للتقرير ﴿ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ ﴾ يخافون ﴿ نُشُورًا ﴾ بعثاً فلا يؤمنون. [٤١] ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن ﴾ ما ﴿ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ مهزوءاً به يقولون: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ في دعواه محتقرين له عن الرسالة. [٤٢] ﴿ إِن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه ﴿ كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾ يَصْرِفُنا ﴿ عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ لَصَرفَنا عنها، قال تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ عياناً في الآخرة ﴿ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أَخْطأُ طريقاً، أهم أم المؤمنون. [٤٣] ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ أخبرني ﴿ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ أي مَهْوِيَّهُ، قدَّم المفعول الثاني لأنه أهمّ، وجملة (من اتخذ) مفعول أول لـ (رأيت)، والثاني ﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾. [رواه البزار في كشف الأستار وذكره السيوطي في لباب النقول].

***

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

ربع الحزب ٣٧

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً منها؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وهم لا يُطيعون مَوْلاهم المُنْعِم عليهم. [٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيماً لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل. [٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ خفياً بطلوع الشمس. [٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره. [٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ وفي قراءة (الريح) ﴿نُشُراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون: أي مُبَشِّرَاتٍ، ومُفْرَدُ الأولى: «نَشُور» كرَسُول، والأخيرة: «بَشِير» ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مُطهِّراً. [٤٩] ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ جَمْع «إنسان»، وأصله أَناسِينَ فأُبدلت النونُ ياءً، وأدغمت فيها الياء، أو جَمْع «إنْسِيّ». [٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أصله يَتَذَكَّروا، أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة (ليذْكُروا) بسكون الذال وضم الكاف: أي نعمة الله به ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للنعمة حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا. [٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوِّف أهلها، ولكن بَعَثْناكَ إلى أهل القُرى كُلِّها نذيراً، لِيَعْظُمَ أَجْرُكَ. [٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾. [٥٣] ﴿۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما مُتجاورَيْن ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحةِ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ستْراً ممنوعاً به اختلاطهما. [٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ مِنَ المَنِيِّ إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نَسَبٍ ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صِهْرٍ بأن يتزوّج، ذكراً كان أو أنثى طلباً للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادراً على ما يشاء. [٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ مُعيناً للشيطان بطاعته.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

[٥٦] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا﴾ مُخَوِّفاً من النار. [٥٧] ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي على تبليغ ما أُرْسلْتُ به ﴿مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ طريقاً بإنفاق مالِهِ في مرضاته تعالى، فلا أمنعه من ذلك. [٥٨] ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ﴾ متلبساً ﴿بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ أي قل: سبحان الله والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ عالماً، تعلّق به (بذنوب). [٥٩] هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ من أيام الدنيا أي في قَدْرِها لأنه لم يكن ثَمَّ شمسٌ، ولو شاء لخلقهنّ في لَمْحَةٍ، والعدولُ عنه لتعليمِ خَلْقِهِ التَّثَبُّتَ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ هو في اللغة سرير الملك ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بدل من ضمير استوى، أي استواءً يليق به ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرٗا﴾ يُخبرك بصفاته. [٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية، والآمِرُ محمدٌ. ولا نعرفه؟ لا ﴿وَزَادَهُمۡ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورٗا۩﴾ عن الإيمان. قال تعالى: [٦١] ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ اثنيْ عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سِرَٰجٗا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ وفي قراءة (سُرُجاً) بالجمع: أي نيِّرات، وخصَّ القمَرَ منها بالذكر لنوع فضيلة. [٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم: ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ أيْ شُكراً لنعمة ربه عليه فيهما. [٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأ وما بعده صفات له إلى: ﴿أولئك يجزون﴾ غير المعترض فيه ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أي قولاً يَسْلَمُون فيه من الإثم. [٦٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمٗا﴾ بمعنى قائمين يُصلُّون بالليل. [٦٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي لازماً. [٦٦] ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ﴾ بئست ﴿مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ هي: أي موضع استقرار وإقامة. [٦٧] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾ على عيالهم ﴿لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ بفتح أوله وضمه: أي يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامٗا﴾ وسطاً.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

[٦٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ قتلها ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي واحداً من الثلاثة ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ أي عقوبة. [٦٩] ﴿ يُضَٰعَفْ ﴾ وفي قراءة: (يضعّف) بالتشديد ﴿ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ ﴾ بجزم الفعلين بدلاً، وبرفعهما استئنافاً ﴿ مُهَانًا ﴾ حال. [٧٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ منهم ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ المذكورة ﴿ حَسَنَٰتٍ ﴾ في الآخرة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك. [٧١] ﴿ وَمَن تَابَ ﴾ من ذنوبه غير مَن ذُكِرَ ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ أي يرجع إليه رجوعاً فيجازيه خيراً. [٧٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي الكذب والباطل ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ معرضين عنه. [٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ ﴾ وُعِظُوا ﴿ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي القرآن ﴿ لَمْ يَخِرُّوا۟ ﴾ يسقطوا ﴿ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ بل خرُّوا سَامعينَ ناظرينَ مُنْتَفعينَ مُطيعين. [٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا ﴾ بالجمع والإفراد ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ في الخير. [٧٥] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على طاعة الله ﴿ وَيُلَقَّوْنَ ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء ﴿ فِيهَا ﴾ في الغرفة ﴿ تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ من الملائكة. [٧٦] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ موضع إقامة لهم، و (أولئك) وما بعده خبر: ﴿عباد الرحمن﴾ المبتدأ. [٧٧] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ مَا ﴾ نافية ﴿ يَعْبَؤُا۟ ﴾ يَكْتَرِثُ ﴿ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ إياه في الشدائد فَيَكْشِفُها ﴿ فَقَدْ ﴾ أي فكيف يعبأ بكم وقد ﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾ الرسول والقرآن ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ ﴾ العذاب ﴿ لِزَامًا ﴾ مُلازماً لكم في الآخرة بعد ما يحلّ بكم في الدنيا، فَقُتِلَ منهم يومَ بَدْرٍ سَبْعُونَ، وجواب (لولا) دلَّ عليه ما قبلها.

سورَةُ الفُرْقَان

(٢٧ إلى ٢٩) قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه ، وكان رجلاً حليماً ، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه ، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام ، فقالت قريش : صبأ أبو معيط ، وقدِمَ خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته : ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت : أشد مما كان أمراً قال : ما فعل خليلي أبو معيط ؟ فقالت : صبأ . فبات بليلة سوء ! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال : ما لك لا ترد عليَّ تحيتي ؟ فقال : كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت ؟ فقال : أو قَدْ فعلَتْها قريش ؟ قال : نعم ؟ قال : فما يبرىء صدورهم إنْ أنا فعلت ؟ قال : تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم ، ففعل فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق ، ثم التفت إليه فقال : « إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً » فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

﴿سورة الشعراء﴾

[مكية إلا آية ١٩٧ ومن الآية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ آية نزلت بعد الواقعة].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ٣٧

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المُظْهِر الحقَّ مِنَ الباطِل. [٣] ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غماً من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ أي أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و«لعل» هنا للإشفاق، أي أشْفِقْ عليها بتخفيف هذا الغمّ. [٤] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع: أي تظل، أي تدوم ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فيؤمنون، ولما وُصِفَت الأعناقُ بالخُضُوع الذي هو لأربابها جُمِعَت الصِّفَةُ منه جَمْعَ العُقلاء. [٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ صفة كاشفة ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾. [٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. [٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي كثيراً ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوع حسن. [٨] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم الله، و«كان» قال سيبويه: زائدة. [٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين. [١٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ لَيْلَةَ رأى النارَ والشَّجَرَةَ ﴿أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ رسولاً. [١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ﴾ الله بطاعته فيُوَحِّدُونَه. [١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾. [١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ﴾ معي. [١٤] ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ بقتلي القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به. [١٥] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أي أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يُقال لكم، أُجْرِيا مَجْرَى الجَماعَةِ. [١٦] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ كلاً منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك. [١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فَأَتَيَاهُ، فقالا له ما ذُكِرَ. [١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في مَنازِلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيراً قريباً من الولادة بَعْدَ فِطَامِهِ ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة يَلْبَسُ مِنْ مَلابس فرعون ويَرْكَبُ مِنْ مَراكِبِه، وكان يُسَمّى ابْنُهُ. [١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ هي قَتْلُهُ القِبْطِيَّ ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الجاحدينَ لِنِعْمَتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي حينئذ ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عما آتاني اللهُ بعدها من العلم والرسالة. [٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. [٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ أصله: تمنُّ بها عليَّ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بيان لتلك: أي اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك لِظُلْمِكَ باستعبادهم، وقدَّرَ بَعْضُهُمْ أَوَّلَ الكلام هَمْزَةَ اسْتِفْهامٍ للإنكار. [٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي قلت: إنك رسوله؟ أي: أيّ شيء هو؟ ولمّا لم يكن سبيلٌ للخلْقِ إلى معرفة حقيقته تعالى، وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببعضها: [٢٤] ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنه تعالى خالقه؛ فآمنوا به وحده. [٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ مِنْ أشرافِ قَوْمِهِ ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال. [٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهذا وإن كان داخلاً فيما قبله يغيظ فرعونَ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾. [٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنه كذلك، فآمنوا به وحده. [٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ كان سِجْنُهُ شديداً، يَحْبِسُ الشخصَ في مكانٍ تحت الأرض وحده، لا يُبْصِرُ ولا يَسْمَعُ فيه أحداً. [٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أتفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بيِّن على رسالتي. [٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه. [٣٢] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة. [٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدْمَةِ. [٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر. [٣٥] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. [٣٦] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أَخِّر أَمْرَهُما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعين. [٣٧] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يَفضُل موسى في علم السحر. [٣٨] ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضُّحَى مِنْ يومِ الزِّينَةِ. [٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل إنْ وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدركه فلو كانت الهزيمة طرت إليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وَحَل به جمله في جُدَدٍ من الأرض فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: «نعم بما بزقت في وجهي»، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.
[رواه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل].

(٦٨) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

[٤٠] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي، على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتَّبعوا موسى. [٤١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾. [٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي حينئذٍ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. [٤٣] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾[الأعراف: ١١٥] ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم، توَسُّلاً به إلى إظهار الحق. [٤٤]﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. [٤٥] ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل: تَبْتلعُ ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبونه بتمويههم فَيُخَيِّلون حبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ أنها حيَّاتٌ تَسْعَى. [٤٦]﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾. [٤٧] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٤٨]﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لعلمهم بأنَّ ما شاهدوه مِنَ العَصا لا يَتَأتَّى بالسِّحْرِ. [٤٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً[1] ﴿لَهُۥ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلَّمكم شيئاً منه، وغَلَبَكُمْ بآخَرَ ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يَنالُكُمْ مِنّي ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي يدَ كُلِّ واحدٍ اليُمْنى ورجْلَهُ اليُسْرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. [٥٠] ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضررَ علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بَعْدَ مَوْتنا بأيِّ وَجْهٍ كانَ ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة. [٥١] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي بأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا. [٥٢] ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سِنينَ أقامها بينهم، يدعوهم بآيات الله إلى الحق، فلم يَزيدُوا إلا عُتُوّاً ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة (أسر) مِنْ: «سَرَى» لُغَةٌ في «أَسْرَى» أي: سِرْ بهم ليلاً إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأُنْجيكم وأُغْرِقُهُمْ. [٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَٰشِرِينَ﴾ جامعين الجيش قائلاً: [٥٤] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قيل: كانوا ستمئة ألف وسبعين ألفاً، ومقدمة جيشه سبعمئة ألف، فقلَّلَهُم بالنظر إلى كَثْرَةِ جَيْشِه. [٥٥] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا. [٥٦] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ متيقِّظُون، وفي قراءة ﴿حَٰذِرُونَ﴾ مستعدون. [٥٧] قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين كانت

---

(1) صوابه: الثالثة؛ لأنها هي المنقلبة ألفاً، فالذي في كلامه قراءة واحدة. انظر: حاشية الجمل (٥/ ٣٩١).

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ
كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب
بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣
وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ
نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ
٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣

على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار جارية في الدور من النيل. [٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسُمِّيَتْ كنوزاً؛ لأنه لم يُعْطَ حَقُّ اللَّهِ تعالى منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم. [٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه. [٦٠] ﴿فَأَتۡبَعُوهُم﴾ لحقوهم ﴿مُّشۡرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس. [٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ يُدركنا جَمْعُ فرعون، ولا طاقةَ لنا به. [٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّآۖ﴾ أي لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ طريق النجاة. [٦٣] قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فِرْقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مَسالك سَلكُوها لم يَبْتَلَّ منها سَرْجُ الراكب ولا لِبْدُهُ. [٦٤] ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ قرّبنا ﴿ثَمَّ﴾ هناك ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم. [٦٥] ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة. [٦٦] ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تَمَّ دخولُهم في البحر وخروجُ بني إسرائيل منه. [٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَأٓيَةٗۖ﴾ عِبْرَةً لمن بَعْدَهم ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير آسية امرأةُ فرعون، وحزقيل مؤمن آل فرعون، ومريم بنت ناموصى التي دلت على عظام يوسف عليه السلام[1]. [٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق. [٦٩] ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي كُفّار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ويبدل منه. [٧٠] ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾. [٧١] ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ نقيم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به. [٧٢] ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ﴾ حينَ ﴿تَدۡعُونَ﴾. [٧٣] ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ كم إنْ لَمْ تعبدوهم. [٧٤] ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أي مثل فعلنا. [٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾. [٧٦] ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾. [٧٧] ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فإني أعبده. [٧٨] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ إلى الدين. [٧٩] ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ﴾. [٨٠] ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾. [٨١] ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾. [٨٢] ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء. [٨٣] ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ علماً ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ النبيين.

(١) انظر قصتها في حاشية الجمل عند تفسير هذه الآية.

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

الحزب ٣٨

[٨٤] ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسناً ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة. [٨٥] ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ممن يُعْطاها. [٨٦] ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبلَ أن يتبيَّن له أنه عدو لله، كما ذُكِرَ في سورة «براءة» [الآية: ١١٤]. [٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الناس. قال تعالى فيه: [٨٨] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أحداً. [٨٩] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والنفاق، وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك. [٩٠] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرِّبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيرونها. [٩١] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أُظْهِرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين. [٩٢] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾. [٩٣] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا. [٩٤] ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ أُلقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾. [٩٥] ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه، ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ﴾. [٩٦] ﴿قَالُوا۟﴾ أي الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم. [٩٧] ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنه ﴿كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن: [٩٨] ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في العبادة. [٩٩] ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي الشياطين، أَوْ أَوَّلُونا الذين اقتدينا بهم. [١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين. [١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ يهمه أمرنا. [١٠٢] ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «لو» هنا للتمني «ونكون» جوابه. [١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾. [١٠٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيث «قوم» باعتبار معناه، وتذكيره باعتبار لفظه. [١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نَسَباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله. [١٠٧] ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على تبليغ ما أرسلت به. [١٠٨] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. [١٠٩] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ﴾ أي ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [١١٠] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كَرَّرَهُ تأكيداً. [١١١] ﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ﴾ نُصدِّقُ ﴿لَكَ﴾ لقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ وفي قراءة: «وأتباعك» جَمْعُ تَابِعٍ مبتدأ ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ السَّفِلَةُ، كالحَاكَةِ والأسَاكِفَةِ.

عن عبد الله رضي الله عنه: سألت أو سئل رسول الله ﷺ أيُّ الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تَقتُلَ ولدك خشية أن يَطعَمَ معك»، قلت ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارِكَ» قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي ﴾ أيْ علم لي ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . [١١٣] ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ﴾ فيجازيهم ﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ تعلمون ذلك ما عيَّرتموهم. [١١٤] ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [١١٥] ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ بيِّن الإنذار. [١١٦] ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ ﴾ عما تقول لنا ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ بالحجارة أو بالشتم. [١١٧] ﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ . [١١٨] ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾ أي احكم ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [١١٩] قال تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير. [١٢٠] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾ بعد إنجائهم ﴿ الْبَاقِينَ ﴾ من قومه. [١٢١] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . [١٢٢] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ . [١٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . [١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . [١٢٥] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ . [١٢٦] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ . [١٢٧] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [١٢٨] ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ مكان مرتفع ﴿ آيَةً ﴾ بناءً علماً للمارة ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير تبنون. [١٢٩] ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ للماء تحت الأرض ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ كأنكم ﴿ تَخْلُدُونَ ﴾ فيها لا تموتون. [١٣٠] ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم ﴾ بضرب أو قتل ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ من غير رأفة. [١٣١] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في ذلك ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما أمرتكم به. [١٣٢] ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم ﴾ أنعم عليكم ﴿ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [١٣٣] ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ [١٣٤] ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ بساتين ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ أنهار. [١٣٥] ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني. [١٣٦] ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا ﴾ مُسْتوٍ عندنا ﴿ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ أصلاً أي لا نرعوي لوعظك.

يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ . [رواه البخاري وغيره] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ، وزنوا وأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة فنزل : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ ونزل : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

(٧٠) قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

عن سعيد بن جبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبْزَى قال : سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ فسألت ابن عباس فقال : لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركو أهل مكة : فقد قتلنا النفس التي حرم الله ، ودعونا مع الله إلهاً آخر ، وقد أتينا الفواحش فأنزل الله : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ وأما التي في النساء : الرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، فذكرته لمجاهد فقال : إلا من ندم . [رواه البخاري ومسلم] .

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٣٧] ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ ﴾ الذي خوفتنا به ﴿ إِلَّا خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ اختلاقهم وكذبهم، وفي قراءة بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه من إنكار للبعث إلا خُلُقُ الأولين أي طبيعتهم وعادتهم . [١٣٨] ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ . [١٣٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ بالعذاب ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ ﴾ في الدنيا بالريح ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . [١٤٠] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . [١٤١] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ . [١٤٢] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . [١٤٣] ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ . [١٤٤] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ . [١٤٥] ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . [١٤٦] ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ﴾ من الخيرات ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ . [١٤٧] ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ . [١٤٨] ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ لطيف ليّن. [١٤٩] ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ بَطِرينَ، وفي قراءة ﴿فارهين﴾ حاذقين. [١٥٠] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما أمرتكم به. [١٥١] ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ . [١٥٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ بطاعة الله. [١٥٣] ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ الذين سُحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم. [١٥٤] ﴿ مَآ أَنتَ ﴾ أيضاً ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في رسالتك. [١٥٥] ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ . [١٥٦] ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ بعِظَم العذاب. [١٥٧] ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ عقَرها بعضهم برضاهم ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴾ على عقْرها. [١٥٨] ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . [١٥٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

سورةُ القَصص

(٥١) قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

عن يحيى بن جعدة قال : نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ . [رواه الطبري والطبراني] .

(٥٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمّه عند الموت : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله » ، فأبى ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية . ومن طريق أخرى : قال : لولا أن تعيِّرَني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله الآية . [رواه مسلم وغيره] .

* * *

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

[١٦٠] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . [١٦١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . [١٦٢] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ . [١٦٣] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ . [١٦٤] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [١٦٥] ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ أي من الناس . [١٦٦] ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ أي أَقْبالِهُنَّ ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام . [١٦٧] ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ ﴾ عن إنكارك علينا ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ من بلدتنا . [١٦٨] ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ المبغضين . [١٦٩] ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي من عذابه . [١٧٠] ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ . [١٧١] ﴿ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ امرأته ﴿ فِي الْغَابِرِينَ ﴾ الباقين أهلكناها . [١٧٢] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴾ أهلكناهم . [١٧٣] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾ حجارة من جملة الإهلاك ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ مطرهم . [١٧٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . [١٧٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ . [١٧٦] ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وفتح الهاء: هي غيضة شجر قرب مدين ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . [١٧٧] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ لم يقل: أخوهم؛ لأنه لم يكن منهم ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . [١٧٨] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .

ربع الحزب ٣٨

[١٧٩] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ . [١٨٠] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [١٨١] ﴿ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ أتموه ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ الناقصين . [١٨٢] ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ الميزان السوي . [١٨٣] ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل وغيره مِنْ: «عثي» بكسر المثلثة: أَفْسَدَ، و (مفسدين) حال مؤكدة لمعنى عاملها.

سورةُ العَنكبُوتِ

(٨) قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ .

عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب قالت: زَعَمْتَ أنَّ الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عُمارة، فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ﴾ وفيها: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ قال: وأصاب رسولُ الله ﷺ غنيمةً عظيمة، فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: أنفلْني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله فقال: « رده من حيث أخذته » فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطنيه، قال: فشد لي صوته: « رده من حيث أخذته » . قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي ﷺ

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[١٨٤] ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ﴾ الخليقة ﴿ الْأَوَّلِينَ ﴾. [١٨٥] ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾. [١٨٦] ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي إنه ﴿ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

[١٨٧] ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ بسكون السين وفتحها: قطعة[1] ﴿ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في رسالتك. [١٨٨] ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم به.

[١٨٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ هي سحابةٌ أظلّتْهم بعد حرٍّ شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. [١٩٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾. [١٩١] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾. [١٩٢] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي القرآن ﴿ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. [١٩٣] ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ جبريل. [١٩٤] ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾. [١٩٥] ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ بيّن، وفي قراءة بتشديد ﴿ نَزَّلَ ﴾ ونصب ﴿ الروح ﴾ والفاعل الله. [١٩٦] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿ لَفِي زُبُرِ ﴾ كتب ﴿ الْأَوَّلِينَ ﴾ كالتوراة والإنجيل.

[١٩٧] ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ﴾ لكفار مكة ﴿ آيَةً ﴾ على ذلك ﴿ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (كعبد الله) بن سلام وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك، و (يكن) بالتحتانية، ونصب (آية) وبالفوقانية ورفع (آية).

[١٩٨] ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ جمع أعجم. [١٩٩] ﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ﴾ كفار مكة ﴿ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ أنفةً من اتّباعه. [٢٠٠] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿ سَلَكْنَاهُ ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ كفّار مكة بقراءة النبي. [٢٠١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾. [٢٠٢] ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾. [٢٠٣] ﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ لنؤمن فيقال لهم: لا، قالوا: متى هذا العذاب، قال تعالى: [٢٠٤] ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾. [٢٠٥] ﴿ أَفَرَأَيْتَ ﴾ أخبرني ﴿ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾. [٢٠٦] ﴿ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب.

فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت قال: فأبى، قلت: فالنصف؟ قال: فأبى، قلت: فالثلث؟ قال: فسكت فكان بعد الثلث جائزاً، قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمْك ونسقيك خمراً وذلك قبل أن تُحرّم الخمر قال: فأتيتهم في حَشٍّ - والحَشُّ: البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزقّ من خمر قال: فأكلت وشربت معهم قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلتُ: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجل أحد لَحْيَيْ الرأس فضربني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فأنزل الله عزّ وجلّ فيَّ - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾. [رواه مسلم وغيره].

---

(١) هذا على قراءة السكون، وعلى قراءة الفتح: قطعاً، أي: قطع عذاب من السماء. انظر: حاشية الجمل (٥/ ٤١٥).

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

[٢٠٧] ﴿مَآ﴾ استفهامية بمعنى: أي شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه أي: لم يغن. [٢٠٨] ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها. [٢٠٩] ﴿ذِكْرَىٰ﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم. ونزل رداً لقول المشركين: [٢١٠] ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾. [٢١١] ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك. [٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ مَحْجُوبون بالشهب. [٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه. [٢١٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً؛ رواه البخاري ومسلم[1]. [٢١٥] ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الموحدين. [٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي عشيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله. [٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الله أي فوض إليه جميع أمورك. [٢١٨] ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة. [٢١٩] ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلين. [٢٢٠] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. [٢٢١] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل. [٢٢٢] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة. [٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ﴾ الشياطين ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حُجبت الشياطينُ عن السماء. [٢٢٤] ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون. [٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾ يَمْضُون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء. [٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي يكذبون. [٢٢٧] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَٱنتَصَرُوا۟﴾ بهجوهم الكفار ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين قال الله تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء، الآية: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة، الآية: ١٩٤] ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

﴿سورة النمل﴾

[مكية وآياتها ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥ آية
نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٣٨

[١] ﴿طسٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل. عطف بزيادة صفة. [٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدّقين به بالجنة. [٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمونها بالاستدلال وأعيد (هم) لمّا فُصل بينه وبين الخبر. [٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيّرون فيها لقبحها عندنا. [٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٦] ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ يُلقى عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك. [٧] اذكر: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته عند مسيره مِنْ مَدْيَنَ إلى مصر: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلّها ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بالإضافة للبيان وتركها، أي شعلةُ نار في رأس فتيلةٍ أو عود ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من «صلي» بالنار بكسر اللام وفتحها: تستدفئون من البرد. [٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ﴾ أي بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي بارك الله ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ أي موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي الملائكة. أو العكس وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف، ويُقدّر بعد في: مكان ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء. [٩] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي الشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. [١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾ عندي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ من حية وغيرها. [١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي تاب ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له. [١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ طَوْق قميصك ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها مِنَ الأُدْمَةِ ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ بَرَصٍ، لها شعاع يغشى البصر، آية ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ مُرسَلاً بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾. [١٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضيئة واضحة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن ظاهر.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا ﴾ لم يُقِرُّوا ﴿ وَ ﴾ قد ﴿ ٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ التي علمتها من إهلاكهم. [١٥] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ ابنه ﴿ عِلْمًا ﴾ بالقضاء بين الناس، ومنطق الطير، وغير ذلك ﴿ وَقَالَا ﴾ شكراً لله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا ﴾ بالنبوة وتسخير الجنّ والإنس والشياطين ﴿ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [١٦] ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ أي: فهمَ أصواته ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ﴾ المؤتى ﴿ لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ البيّن الظاهر. [١٧] ﴿ وَحُشِرَ ﴾ جمع ﴿ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ في مسير له ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُجمعون ثم يُساقون. [١٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ هو بالطائف أو بالشام، نَمْلُهُ صِغار أو كبار ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ مَلِكَةُ النَّمْلِ وقد رأتْ جُنْدَ سليمان ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ يكسرنكم ﴿ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ نزّلَ النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم. [١٩] ﴿ فَتَبَسَّمَ ﴾ سليمان ابتداء ﴿ ضَاحِكًا ﴾ انتهاء ﴿ مِّن قَوْلِهَا ﴾ وقد سَمِعَهُ من ثلاثة أميال، حَمَلَتْهُ إليه الريحُ، فَحَبَسَ جُنْدَهُ حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركباناً ومشاة في هذا السير ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ ﴾ ألهمني ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ ﴾ بها ﴿ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الأنبياء والأولياء. [٢٠] ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ أي: أَعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته؟ ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ فلم أره لغيبته، فلما تحققها. [٢١] قال ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا ﴾ تعذيباً ﴿ شَدِيدًا ﴾ بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام ﴿ أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ بقطع حلقومه ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى ﴾ بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ ببرهان بيِّنٍ ظاهر على عذره. [٢٢] ﴿ فَمَكَثَ ﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يسيراً من الزمن وحضر لسليمان متواضعاً برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ ﴾ بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جدّ لهم باعتباره صُرِف ﴿ بِنَبَإٍ ﴾ خبر ﴿ يَقِينٍ ﴾.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّاۤ يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨ — سجدة

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٞ﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق[1].

[٢٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾. [٢٥] ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له، فزيدت «لا» وأُدْغِمَ فيها نون «أن» كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] والجملة في محل مفعول (يهتدون) بإسقاط إلى ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ مصدر بمعنى المَخْبُوءِ مِنَ المطر والنبات ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا يُخۡفُونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ بألسنتهم. [٢٦] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩﴾ استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم. [٢٧] ﴿۞ قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي من هذا النوع، فهو أبلغ من: «أم كذبت فيه»، ثم دلّهم على الماء فاسْتُخرج، وارْتَوَوْا، وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: (من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فلا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين) ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد: [٢٨] ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ وقفْ قريباً منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ يردّون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها جندها، وألقاه في حجرها، فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه. [٢٩] ثم ﴿قَالَتۡ﴾ لأشراف قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ مختوم. [٣٠] ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي مضمونه ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. [٣١] ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾. [٣٢] ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بقلبها واواً، أي أشيروا عليَّ ﴿فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ تحضرون. [٣٣] ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أي: أصحاب شِدّة في الحرب ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ سنا نطعك. [٣٤] ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب. [٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ من قبول الهدية أو ردِّها، إن كان مَلِكاً؛ قبلها، أو نبياً؛ لم يقبلها، فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً، ألفاً بالسوية، وخمسمئة لبنة من

---

(١) هذا خبر إسرائيليّ لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة، فلا يلتفت إليه إلا إن صح، والصحة تعوزه.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَىٰنِۦَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَىٰكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُۥ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

الذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً وغير ذلك مع رسولٍ بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر. فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله(1). [٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسولُ بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَىٰنِۦَ اللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا. [٣٧] ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية، جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور وغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرساً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قيل مع كل قَيْلٍ ألوفٌ كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شَعَرَ بها(2). [٣٨] ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ﴾ في الهمزتين ما تقدم(3) ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده. [٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ هو القوي الشديد ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. [٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُۥ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المنزل وهو آصف بن برخيا كان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر إليها ثم ردّ بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به، فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكناً ﴿عِنْدَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي الإتيان لي به ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة الأخرى وتركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي لأجلها لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال على من يكفرها. [٤١] ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِيٓ﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغيّر عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل: إن فيه شيئاً، فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك. [٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ أي أمثل هذا عرشك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فعرفته وشَبَّهتْ عليهم كما شبَّهوا عليها إذ لم يقل: أهذا عرشك ولو قيل: هذا؛ قالت: نعم، قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً:

(1) و(2) هذان خبران إسرائيليان، الله أعلم بصحتهما. (3) أي: من تحقيق الهمزتين (همزة: الملأ، وهمزة: أيكم) وإبدال الثانية واواً، وهما قراءتان سبعيتان.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ .

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ . [٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جارٍ، فيه سمك، اصطنعه سليمان لما قيل له: إن ساقيها وقدميها كقدمي حمار[1] ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حساناً ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من زجاج ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة، فأزالته بها، فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان. روي أنه مُلِّكَ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه! [٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون. [٤٦] ﴿قَالَ﴾ للمكذبين: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم: إن كان ما أتيتنا به حقاً فائتنا بالعذاب ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تعذبون. [٤٧] ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله: «تطيّرنا» أدغمت التاء في الطاء واجْتُلِبَت همزة الوصل، أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تُختبرون بالخير والشر. [٤٨] ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي رجال ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، منها قرضهم الدنانير والدراهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالطاعة. [٤٩] ﴿قَالُوا۟﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ أي احلفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية[2] ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ أي مَنْ آمن به، أي نَقْتُلُهُمْ ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ لوليّ دمِه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ بضم الميم وفتحها، أي إهلاكهم، أو هلاكهم فلا ندري مَنْ قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ . [٥٠] ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . [٥١] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بصيحة جبريل، أو برَمْي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم. [٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ أي خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ بظلمهم أي كفرهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا فيتعظون.

---

(١) هذا خبر إسرائيلي لم يصح.

(٢) أشار بهذا إلى قراءتين، الأولى: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ والثانية: ﴿لَتُبَيِّتُنَّه﴾، وهما سبعيتان.

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك. [٥٤] ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدراً قبله ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي يبصر بعضكم بعضاً انهماكاً في المعصية. [٥٥] ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة فعلكم. [٥٦] ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال. [٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. [٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم. [٥٩] ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ هم ﴿ءَآللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى[1] وتركه ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالتاء والياء أي أهل مكة به أي الآلهة خير لعابديها. [٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما، على الوجهين في مواضعه السبعة[2] ﴿مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أعانه على ذلك؟ أي ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يُشْركون بالله غيره. [٦١] ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تَميدُ بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده. [٦٢] ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ الإضافة بمعنى في. أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَّكَّرُونَ﴾ تتعظون بالفوقانية والتحتانية، وفيه إدغام التاء في الذال[3] و«ما» زائدة لتقليل القليل. [٦٣] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾ قدام المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره.

---

(١) للقراء العشرة وجهان: إبدال همزة الوصل ألفاً مع المد المشبع، أو تسهيلها بين بين.

(٢) هي خمسة مواضع في هذه السورة. (٣) وفيه قراءة بحذف التاء.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَـٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٦٤] ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحام مِنْ نُطْفَةٍ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله، ولا إلـه معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ حُجَّتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر. وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل: [٦٥] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾. [٦٦] ﴿بَلِ﴾ بمعنى هل (أَدْرَكَ) وزْنُ أَكْرَمَ، وفي قراءة أخرى ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ بتشديد الدال وأصله «تدارك» أُبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واجْتُلِبَتْ همزة الوصل، أي بَلَغَ ولَحِقَ، أو تتابع وتلاحق ﴿عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ من عمى القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عَمِيُون» اسْتُثْقِلَت الضمة على الياء فَنُقِلَتْ إلى الميم بعد حذف كسرتها. [٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أيضاً في إنكار البعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور. [٦٨] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَـٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة بالضم أي ما سُطِرَ مِنَ الكَذِب. [٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم، وهي هلاكهم بالعذاب. [٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فإنا ناصروك عليهم. [٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ فيه. [٧٢] ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾ قَرُبَ ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت. [٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه. [٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم. [٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الهاء للمبالغة: أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّنٍ هُـوَ اللَّوْحُ المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار. [٧٦] ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي ببيان ما ذُكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا. [٧٧] ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب. [٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي عدله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه. [٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ الدين البيِّن فالعاقبة لك بالنصر على

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾

ربع الحزب ٣٩

الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال: [٨٠] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾. [٨١] ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن ﴾ ما ﴿ تُسۡمِعُ ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ مخلصون بتوحيد الله. [٨٢] ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار. ﴿ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ ﴾ أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية[1]، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة «أن» تقدر الباء بعد ﴿ تُكَلِّمُهُمۡ ﴾ ﴿ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴾[هود: ٣٦]. [٨٣] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا ﴾ جماعة ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ وهم رؤساؤهم المتبعون ﴿ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ أي يُجْمَعُونَ بردِّ آخرهم إلى أولهم ثم يُسَاقُونَ. [٨٤] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو ﴾ مكان الحساب ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لهم: ﴿ أَكَذَّبۡتُم ﴾ أنبيائي ﴿ بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا ﴾ فيه إدغام «ما» الاستفهامية[2] مع ﴿ كُنتُمۡ ﴾ موصول أي ما الذي ﴿ تَعۡمَلُونَ وَوَقَعَ ﴾ بما أمرتم به. [٨٥] ﴿ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم ﴾ حق العذاب ﴿ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ ﴾ أي أشركوا ﴿ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴾ إذ لا حجة لهم. [٨٦] ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ﴾ خلقنا ﴿ ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ كغيرهم ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ بمعنى يُبْصَرُ فيه لِيَتَصرَّفوا فيه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين. [٨٧] ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ خافوا الخوْفَ المُفْضِي إلى الموتِ، كما في آية أخرى ﴿ فَصَعِقَ ﴾[الزمر، الآية: ٦٨] والتعبير فيه بالماضي لِتَحقُّقِ وقوعه ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. وعن ابن عباس: هم الشهداء، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿ وَكُلٌّ ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وَكُلُّهُمْ بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿ أَتَوۡهُ ﴾ بصيغة الفِعْلِ واسْمِ الفاعِلِ ﴿ دَٰخِرِينَ ﴾ صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه. [٨٨] ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿ تَحۡسَبُهَا ﴾ تظنها ﴿ جَامِدَةٗ ﴾ واقِفَةً مكانها لِعظَمِها ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ المطر إذا ضربته

---

(١) هذا الخبر لا دلالة على صحته. (٢) أي: إدغام ميم «أمْ» في ميم ما الاستفهامية.

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

الريح، أي تسير سَيْرَهُ حتى تقع على الأرض، فتستوي بها مبسوطة ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثوراً ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله، أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ﴾ أحكَمَ ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ صُنْعَـهُ ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية، وأولياؤه من الطاعة. [٨٩] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله يوم القيامة ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ﴾ ثواب ﴿مِّنۡهَا﴾ أي بسببها وليس للتفضيل؛ إذ لا فعل خير منها، وفي آية أخرى ﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ﴿وَهُم﴾ الجاؤون بها ﴿مِّن فَزَعِ يَوۡمِئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر «الميم» وفتحها. و (فزع) مُنَوَّناً وفَتْح الميم ﴿ءَامِنُونَ﴾. [٩٠] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي الشرك ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بأن وَلِيَتْهَا، وذُكِرَت الوُجوهُ؛ لأنها مَوْضِعُ الشَّرَف مِنَ الحواس، فغيرها من باب أولى، ويُقال لهم تَبْكيتاً: ﴿هَلۡ﴾ أي ما ﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي، قل لهم: [٩١] ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ أي مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حَرَماً آمِناً لا يُسْفَكُ فيها دمُ إنسانٍ، ولا يُظْلَم فيها أحدٌ، ولا يُصادُ صَيْدُها، ولا يُخْتَلى خَلاها، وذلك من النِّعَم على قريش أهلها، في رفع الله عن بلدهم العذابَ والفِتَنَ الشائعةَ في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ لله بتوحيده. [٩٢] ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلۡ﴾ له ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ المُخَوِّفِينَ، فليس عليَّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال. [٩٣] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ فأراهم الله يومَ بَدْرٍ القَتْلَ والسَّبْيَ، وضَرْبَ الملائكةُ وُجوهَهُم وأَدْبارَهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

﴿سورة القصص﴾

[مكية إلا من آية ٥٢ إلى آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة نزلت أثناء الهجرة وآياتها ٨٨. نزلت بعد النمل]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] ﴿تِلۡكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى «مِنْ» ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل. [٣] ﴿نَتۡلُواْ﴾ نقص ﴿عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الصدق ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنتفعون به. [٤] ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المولودين ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

زوال ملكه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره. [٥] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، يُقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ملك فرعون. [٦] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة: ﴿وَيرى﴾ بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ يخافون مِنَ المَوْلُود الذي يَذْهَبُ مُلْكُهُمْ على يَدَيْهِ. [٧] ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وحي إلهام أو منام ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ البحر أي النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه فوضعته في تابوت مَطْلِيٍّ بالقار من داخل، ممهد له فيه، وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلاً. [٨] ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يديه، وفُتِحَ وأُخرِج موسى منه، وهو يمصّ من إبهامه لبناً ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم[١]، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من: حَزَنَهُ كأحْزَنَهُ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على

نصف الحزب ٣٩

يديه. [٩] ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هَمَّ مع أعْوانِهِ بقتله: هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه. [١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَٰرِغًا﴾ مما سواه ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ أي بأنه ابنُها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر أي سَكَّنّاه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله وجواب «لولا» دل عليه ما قبلها. [١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاساً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه. [١٢] ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل رده إلى أمه أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ وفسرت ضمير «له» بالملك جواباً لهم. فَأُجِيبَتْ، فَجَاءَتْ بِأُمِّهِ فقبل ثَدْيَها،

---

(١) ظاهر هذه العبارة أن موسى بعد غرق القبط كان يستعبد نساءهم، أي يعاملهن معاملة العبيد في التسخير في الأعمال، ولم نَرَ مَنْ ذكر هذا في هذه القصة في سائر مواضعها في القرآن. انظر حاشية الجمل (٦/ ٨).

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها فرجعت به كما قال تعالى: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأنَّ هٰذه أُخْتُه وهٰذه أُمُّهُ، فمكث عندها إلى أن فطمته، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها؛ لأنها مال حربي، فأتت به فرعون فتربّى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء [الآية:١٨] : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾. [١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو ثلاثون سنة، أو وثلاث ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي بلغ أربعين سنة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً في الدين قبل أن يُبْعَث نبياً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون وهي «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القيلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي إسرائيلي ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي قبطي يُسَخِّرُ إسرائيلياً ليحملَ حَطَباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقال له موسى: خلِّ سبيله، فقيل: إنه قال لموسى: لقد هَمَمْتُ أن أحمله عليك ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي ضَرَبَهُ بِجُمْعِ كَفِّهِ، وكان شديد القوة والبطش ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قتله ولم يكن قصد قتله ، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ قتله ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المهيج غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾ بيّن الإضلال . [١٦] ﴿قَالَ﴾ نادماً ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي المتصف بهما أزلاً وأبداً. [١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَىَّ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه إن عصمتني. [١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيث به على قبطيٍّ آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ الغواية لما فعلته بالأمس واليوم. [١٩] ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظاناً أنه يبطش به؛ لما قال له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطيُّ ذلك فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه. [٢٠] ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج. [٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب، أو غوث الله إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قوم فرعون.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ﴾ قصد بوجهه ﴿ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ جهتها، وهي قرية شُعَيْب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي قصد الطريق، أي الطريق الوسط إليها، فأرسل الله إليه ملكاً بيده عنزة فانطلق به إليها. [٢٣] ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ بئرٌ فيها، أي وصل إليها ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾ جماعة ﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ﴾ سواهم ﴿ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿ قَالَ ﴾ موسى لهما ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ جمع راع؛ أي يرجعون من سقيهم، خوف الزحام، فنسقي، وفي قراءة ﴿يُصْدِرَ﴾ من الرباعي أي يصرفوا مواشيهم عن الماء ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ لا يقدر أن يسقي. [٢٤] ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ من بئر أخرى بقربهما، رَفَعَ حَجَراً عنها لا يَرْفَعُهُ إلا عَشَرَةُ أَنْفُسٍ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ ﴾ انصرف ﴿ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ لِشَجَرَة مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشمسِ، وهو جائع ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ طعام ﴿ فَقِيرٌ ﴾ محتاج، فرجعتا إلى أبيهما في زمنٍ أقلَّ مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي، قال تعالى: [٢٥] ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ أي واضعة كُمَّ درعها على وجهها حياء منه ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة، إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه فجعلت الريحُ تَضْرِبُ ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها: امشي خلفي ودُلّيني على الطريق، ففعلت إلى أن جاء أباها، وهو شعيب[1] عليه السلام وعنده عشاء فقال: اجلسْ فَتعشّ قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيتُ لهما، وإنّا أهلُ بيت لا نَطْلُبُ على عَمَلِ خَيْرٍ عِوَضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي نَقْرِي الضَّيْفَ ونُطعِمُ الطعامَ، فأكل، وأخبره بحاله قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ مصدر بمعنى المقصوص من قَتْلِهِ القبطي، وقَصْدِهِمْ قَتْلَهُ، وخَوفِهِ مِنْ فرعون ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين. [٢٦] ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ وهي المرسَلة، الكبرى أو الصغرى ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا بدلنا ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ أي استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه فأخبرته بما تقدم مِنْ رَفْعِهِ حَجَرَ البئر، ومن قوله لها: امشي خلفي، وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه. [٢٧] ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ ﴾ وهي

(١) ما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكر شعيب في قصة موسى لم يصحَّ إسنادُه، ورواه ابن جرير ثم قال: الصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خَبَرَ تجبُ به الحُجَّة في ذلك. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٦).

ثلاثة أرباع الحزب ٣٩

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيراً لي في رَعْي غنمي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي رَعْيَ عَشْرِ سِنينَ ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الوافين بالعهد. [٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قُلْتَه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة، أي رَعْيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾ حفيظ أو شهيد، فتمَّ العقدُ بذلك، وأَمَرَ شُعَيْبُ ابنَتَهُ أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع، عن غنمه، وكانت عصيُّ الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة[1]، فأخذها موسى بعلم شعيب. [٢٩] ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي رَعْيَهُ وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بتثليث الجيم قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال مِنْ «صلي» بالنار بكسر اللام وفتحها. [٣٠] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾ جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من شاطىء بإعادة الجار لنباتها فيه وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج ﴿أَن﴾ مُفسِّرةٌ لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْۚ﴾ أي يرجع فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ﴾. [٣٢] ﴿ٱسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طَوْقُ القميص وأَخرِجْها ﴿تَخْرُجْ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدْمَةِ ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي بَرَصٍ، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تَغْشَى البَصَر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه، أي الخَوْف الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعَبَّرَ عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بالتشديد والتخفيف، أي العصا واليد، وهما مؤنَّثان، وإنما ذَكَّرَ المُشَارَ به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ مُرْسَلانِ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾

---

(١) هذا الخبر يفتقر إلى الصحة.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

إلى فرعون وملإيه إنهم كانوا قوماً فسقين ﴾ . [٣٣] ﴿ قال رب إني قتلت منهم نفساً ﴾ هو القبطي السابق ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ به . [٣٤] ﴿ وأخي هرون هو أفصح مني لساناً ﴾ أبين ﴿ فأرسله معي ردءاً ﴾ معيناً وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ﴿ يصدقني ﴾ بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة بالرفع وجملته صفة ردءاً ﴿ إني أخاف أن يكذبون ﴾ . [٣٥] ﴿ قال سنشد عضدك ﴾ نقويك ﴿ بأخيك ونجعل لكما سلطناً ﴾ غلبة ﴿ فلا يصلون إليكما ﴾ بسوء، اذهبا ﴿ بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغلبون ﴾ لهم. [٣٦] ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينت ﴾ واضحاتٍ، حالٌ ﴿ قالوا ما هذا إلا سحر مفترى ﴾ مُخْتَلَقٌ ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾ كائناً ﴿ في ﴾ أيام ﴿ ءابائنا الأولين ﴾ . [٣٧] ﴿ وقال ﴾ بواو وبدونها ﴿ موسى ربي أعلم ﴾ عالم ﴿ بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ الضمير للرب ﴿ ومن ﴾ عطف على «مَنْ» قبلها ﴿ تكون ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ له عقبة الدار ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أي هو أنا في الشقين، فأنا مُحِقٌّ فيما جئت به ﴿ إنه لا يفلح الظلمون ﴾ الكافرون. [٣٨] ﴿ وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يهمن على الطين ﴾ فاطبخ لي الآجرَّ ﴿ فاجعل لي صرحاً ﴾ قصراً عالياً ﴿ لعلي أطلع إلى إله موسى ﴾ أنظُرُ إليه وأَقِفُ عليه ﴿ وإني لأظنه من الكذبين ﴾ في ادعائه إلهاً آخر وأنه رسوله . [٣٩] ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول. [٤٠] ﴿ فأخذنه وجنوده فنبذنهم ﴾ طرحناهم ﴿ في اليم ﴾ البحر فغرقوا ﴿ فانظر كيف كان عقبة الظلمين ﴾ حين صاروا إلى الهلاك. [٤١] ﴿ وجعلنهم ﴾ في الدنيا ﴿ أئمة ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياءً: رؤساء في الشرك ﴿ يدعون إلى النار ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿ ويوم القيمة لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم . [٤٢] ﴿ وأتبعنهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ خزياً ﴿ ويوم القيمة هم من المقبوحين ﴾ المبعدين. [٤٣] ﴿ ولقد ءاتينا موسى الكتب ﴾ التوراة ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ بصائر للناس ﴾ حالٌ مِنَ الكتاب، جَمْعُ بَصِيرَةٍ، وهي نُورُ القَلْبِ، أي أنواراً للقلوب ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿ ورحمة ﴾ لمن آمن به ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

سورةُ لُقمانَ

(١٣) قوله تعالى: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ مِنْ مُوسَى حِينَ المُنَاجَاةِ ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك فتَعْلَمَهُ فتُخبِرَ به. [٤٥] ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أُمَماً مِنْ بَعْدِ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ طالت أعمارهم فنَسوا العهودَ، واندَرَسَت العُلوم، وانقطع الوَحْيُ، فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين. [٤٦] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتّعِظون.

[٤٧] ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب «لولا» محذوف، وما بعدها مبتدأ، والمعنى: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو: لولا قولهم المسبب عنها لعاجلناهم بالعقوبة، ولَمَا أرسلناك إليهم رسولاً. [٤٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُواْ﴾ فيه وفي محمد: ﴿ساحران﴾[1] وفي قراءة ﴿سِحْرَانِ﴾ أي القرآن والتوراة ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاونَا ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ مِنَ النَّبيَّيْن والكِتابَيْن ﴿كَٰفِرُونَ﴾. [٤٩] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ مِنَ الكتابَيْن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم. [٥٠] ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي لا أضل منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. [رواه البخاري وغيره].

***

---

(١) قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عمرو وابن عامر. أما: سِحْران، فهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف. ووافقهم المطوعي.

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

الحزب ٤٠

[٥١] ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا ﴾ بيّنّا ﴿ لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ القرآن ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتّعظون فيؤمنون. [٥٢] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي القرآن ﴿ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود، كعبد الله ابن سلام وغيره، ومن النصارى قدموا من الحبشة، ومن الشام. [٥٣] ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ القرآن ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ موحّدين. [٥٤] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ بإيمانهم بالكتابَيْن ﴿ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ بصَبْرِهِمْ على العمل بهما ﴿ وَيَدْرَءُونَ ﴾ يدفعون ﴿ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ منهم ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدّقون. [٥٥] ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ سلامَ مُتاركَةٍ: أي سَلِمْتُمْ مِنّا مِنَ الشَّتْمِ وغَيْرِهِ ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ لا نصْحَبُهُمْ. [٥٦] ونزل في حِرْصِهِ ﷺ على إيمان عمّه أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ هدايته ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ ﴾ عالم ﴿ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾. [٥٧] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ قومه ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ نُنْتزَعْ منها بسُرعة قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ يأْمَنُونَ فيه مِنَ الإغارة والقَتْلِ الواقِعَيْن مِنْ بعض العرب على بعض ﴿ يُجْبَىٰٓ ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ من كل أَوْبٍ ﴿ رِّزْقًا ﴾ لهم ﴿ مِّن لَّدُنَّا ﴾ عندنا ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ ما نقولُهُ حقٌّ. [٥٨] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ عَيْشَها وأُريدَ بالقرية أهلُها ﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ منهم. [٥٩] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ بظلم منها ﴿ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا ﴾ أي أعظمها ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ بتكذيب الرسل.

سورةُ السجْدَة

(١٦) قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ .

عن أنس بن مالك أنَّ هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ نزَلَتْ في انتظار الصلاة التي تدعى العَتَمَة . [رواه الترمذي والطبري وابن كثير] .

* * *

سورةُ الأحزاب

(٥) قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتَّعونَ وتتزيَّنونَ به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء والياء أن الباقي خير من الفاني. [٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ مُصيبُهُ وهو الجنَّة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ النار. الأول المؤمن، والثاني الكافر، أي لا تساوي بينهما. [٦٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ هم شركائي. [٦٣] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ الحَقُّ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ هم مبتدأ وصفة ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ خبره فغووا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نُكرِهْهُمْ على الغيِّ ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ «ما» نافية، وقدَّمَ المفعولَ للفاصلة. [٦٤] ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُا۟﴾ هم ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة. [٦٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم. [٦٦] ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنه فيسكتون. [٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ الناجين بوعد الله. [٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم. [٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تُسر قلوبهم من الكفر وغيره. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم من ذلك. [٧٠] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنَّ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أتت سهلة بنت سهيل بن عمرو (كانت تحت أبي حذيفة بن عتبة) رسول الله ﷺ فقالت : إن سالماً يدخل علينا وإنا فضل ، وإنا كنا نراه ولداً ، وكان أبو حذيفة تبناه كما تبنى رسول الله ﷺ زيداً فأنزل الله : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الحديث . فلعل الآية نزلت فيهما معاً ، والله أعلم . [رواه البخاري وأبو داود والنسائي وأحمد] .

(٢٣) قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿ قُلْ ﴾ لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أي أخبروني ﴿ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ دائماً ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ بزعمكم ﴿ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك. [٧٢] ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ بزعمكم ﴿ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ ﴾ تستريحون ﴿ فِيهِ ﴾ من التعب ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه. [٧٣] ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ في النهار للكسب ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النعمة فيهما. [٧٤] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ذكر ثانياً ليبنى عليه. [٧٥] ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ أخرجنا ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿ فَقُلْنَا ﴾ لهم ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ ﴾ في الإلهية ﴿ لِلَّهِ ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك. [٧٦] ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ابن عمه وابن خالته وآمن به ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ ﴾ تثقل ﴿ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ الجماعة ﴿ أُو۟لِى ﴾ أصحاب ﴿ ٱلْقُوَّةِ ﴾ أي تثقلهم فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشرة، وقيل غير ذلك، اذكر ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ بذلك. [٧٧] ﴿ وَٱبْتَغِ ﴾ اطلب ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ من المال ﴿ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ بأَنْ تُنفقَهُ في طاعة الله ﴿ وَلَا تَنسَ ﴾ تترك ﴿ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة ﴿ وَأَحْسِن ﴾ للناس بالصدقة ﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ﴾ تطلب ﴿ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بعمل المعاصي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

ربع الحزب ٤٠

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لَئِن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَينّ الله ما أصنع.

فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر لك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأَبرَأُ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة - ورب النضر - إني أجد ريحها من دون أُحُد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قُتِل وقد مَثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بِبَنَانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إلى آخر الآية. [رواه البخاري ومسلم].

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ أي في مقابلته، وكانَ أَعْلَمَ بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون، قال تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ للمال: أي هو عالم بذلك ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب. [٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾ بأتباعه الكثيرين رُكباناً، مُتحلِّينَ بملابس الذهب والحرير، على خيول وبغال مُتَحلِّيَةٍ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٖ﴾ وافٍ فيها. [٨٠] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعة وعن المعصية. [٨١] ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ﴾ بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ منه. [٨٢] ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ أي من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ﴾ يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾ يُضَيِّقُ على ما يشاء، و«وَيْ» اسم فعل بمعنى: أَعْجَبُ، أي أنا، و «الكاف» بمعنى «اللام» ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لِنعْمَةِ الله، كقارونَ. [٨٣] ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ بعمل المعاصي ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ عقاب الله، بعمل الطاعات. [٨٤] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ﴾ ثوابٌ بسببها، وهو عَشْرُ أَمْثالِها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: مثله.

---

(٢٥) قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾.

عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه: شَغَلَنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس، وذلك قبل أن ينزل في القتال ما أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأقام لصلاة الظهر فصلاها كما كان يصليها لوقتها، ثم أقام للعصر فصلاها كما كان يصليها في وقتها، ثم أذَّنَ المغرب فصلاها كما كان يصليها في وقتها. [رواه النسائي والطبري].

(٢٨ ـ ٢٩) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا...﴾.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ فحججتُ معه فَعَدَلَ وعدلتُ معه الإداوة فَتَبَرَّزَ ثم جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ، فقلت: يا أمير

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أنزله ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ إلى مكة، وكان قد اشتاقها ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال و ﴿ أعلم ﴾ بمعنى: عالم. [٨٦] ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ألقي إليك ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا ﴾ معيناً ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ على دينهم الذي دعوك إليه. [٨٧] ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ ﴾ أصله: يصدوننك، حُذِفَتْ نون الرفع للجازم، والواو للفاعل لالتقائها مع النون الساكنة ﴿ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ أي لا ترجع إليهم في ذلك ﴿ وَٱدْعُ ﴾ الناس ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ بإعانتهم، ولم يُؤَثِّر الجازمُ في الفعلِ لبنائه. [٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ تعبد ﴿ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إلا إياه[1] ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ القضاء النافذ ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالنُّشور من القبور.

نصف الحزب ٤٠

﴿سورة العنكبوت﴾

[مكية إلا من آية ١ لغاية ١١ فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ﴾ أي: بقولهم ﴿ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون. [٣] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ في إيمانهم علم مشاهدة ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فيه. [٤] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ أَن يَسْبِقُونَا ﴾ يفوتونا فلا نَنْتَقِمُ منهم ﴿ سَآءَ ﴾ بئس ﴿ مَا ﴾ الذي ﴿ يَحْكُمُونَ ﴾ ـه حكمهم هذا. [٥] ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ ﴾ يخاف ﴿ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ﴾ به ﴿ لَءَاتٍ ﴾ فَلْيَسْتَعِدّ له ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوال العباد ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأفعالهم. [٦] ﴿ وَمَن جَٰهَدَ ﴾ جهادَ حَرْبٍ أو نَفْسٍ ﴿ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ لأن منفعة جهاده له لا لله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم.

المؤمنين، مَنْ المرأتان مِنْ أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عزَّ وجلَّ لهما: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ فقال: واعجباً لك يا بن عباس، عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث يَسُوقُه فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله، وكنا معشرَ قريش نَغْلِبُ النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبُهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرتُ أنْ تراجعني، فقالت: وَلِمَ تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ لَيُراجعْنَه وإن إحداهن لتهجره اليومَ حتى الليل. فأفزعني فقلت: خابت من فعلتْ منهنَّ بعظيم، ثم جمعتُ عليَّ ثيابي، فدخلت على حفصة فقلت: أيْ حفصة، أتغاضِب إحداكن رسول الله اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خابت وخسرت، أفتأمَنُ أنْ يغضب اللهُ لغضب رسوله ﷺ فتهلكين، لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا

(١) هذا تحريف لمعنى صفة الوجه إلى معنى الذات، وهذا تعطيلٌ واضح. والوجه يستلزم الذات، فلا يجوز إرادة اللازم ونفي الملزوم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ﴾ بمعنى: حُسْنَ، ونصبُهُ بنزع الخافض الباء ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وهو الصالحات. [٨] ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ أي إيصاءً ذا حُسْنٍ بأَنْ يَبرَّهُما ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عِلۡمٞ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له[1] ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ في الإشراك ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء، بأن نحشرهم معهم. [١٠] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف منه فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جَآءَ نَصۡرٞ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذفت منه «نون» الرفع لتوالي النونات، و «الواو» ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة، قال تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ﴾ أي بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى. [١١] ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، و «اللام» في الفعلين: لام قسم. [١٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذلك. [١٣] ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ بقولهم للمؤمنين: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ وإضلالِهِمْ مُقَلِّديهِمْ ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، و«اللام» في الفعلين: لام قسم، وحذف فاعلهما: «الواو»، و«نون الرفع». [١٤] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله فكذّبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ مشركون.

تهْجُريه، واسأليني ما بدا لك ولا يغرنَّك أن كانت جارتُك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ - يريد عائشة - وكنا تحدّثنا أن غسَّانَ تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أنائم هو؟ ففزعت فخرجت إليه وقال: حدث أمر عظيم قلت: ما هو أجاءت غسَّان؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه، قال: قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل

---

(١) أي: أنَّه ليس ثمَّ إله لك به علمٌ، وإله لا علم لك به، بل الإله واحدٌ.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

رَبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ما أحاط بها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كعكر الزيت ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَآءَتْ﴾ أي النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ تمييز منقول عن الفاعل، أي قبح مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلا فأي ارتفاق في النار؟! [٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر ﴿إن الذين﴾ وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم، أي نثيبهم بما تضمنه. [٣١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ قيل: (مِنْ) زائدة، وقيل: للتبعيض، وهي جَمْعُ أَسْوِرَةٍ كأَحْمِرَةٍ - جمع سِوار ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ ما رقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن [الآية: ٥٤]: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي السَّرِيرُ في الحَجَلَةِ، وهي بَيْتٌ يُزَيَّنُ بالثياب والسُّتور لِلعَرُوس ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾. [٣٢] ﴿۞ وَٱضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ بدل وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يقتات به. [٣٣] ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ ﴿ءَاتَتْ﴾ خبره ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ تنقص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا﴾ أي شققنا ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ يجري بينهما. [٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني، وهو جمع ثَمَرَةٍ، كَشَجَرَةٍ وَشُجْر، وخَشَبَةٍ وخُشْب، وبَدَنَةٍ وبُدْن ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يفاخره ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة. [٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ولم يقل: جنتيه إرادة للروضة، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾. [٣٦] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ مرجعاً. [٣٧] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يجاوبه ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأن آدم خُلق منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾ عدلك وصيرك ﴿رَجُلًا﴾. [٣٨] ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أَصْلُه: «لكن أنا» نقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسره الجملة بعده والمعنى أنا أقول: ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾. [٣٩] ﴿وَلَوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وفي الحديث: «مَنْ أُعْطِيَ خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم ير فيه مكروهاً»[1] ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾. [٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٢٥) وانظر: ضعيف الجامع (٥٠٢٦) وتفسير ابن كثير (١٠٨/٣).

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

[٢٤] قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي إنجائه منها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنتفعون بها. [٢٥] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ تعبدونها، و «ما» مصدرية ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب مفعول له و «ما» كافة، المعنى: تَوادَدْتُمْ على عِبادتها ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ مصيركم جميعاً ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منها. [٢٦] ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌۘ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓۖ﴾ إلى حيث أمرني ربي. وهَجَرَ قومَهُ وهاجَرَ مِنْ سَوادِ العِراق إلى الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب: أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى. [٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٩] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارة، بفعلكم الفاحشة بمَنْ يَمُرُّ بكم، فتَرَكَ الناسُ المَمَرَّ بِكُمْ ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي: مُتَحَدَّثِكُمْ ﴿ٱلْمُنكَرَۖ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في استقباح ذلك، وأنَّ العذابَ نازلٌ بفاعليه. [٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ العاصين بإتيان الرجال، فاستجاب اللهُ دُعاءَهُ.

مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكىءٌ على وسادة من أدم حَشْوُهَا لِيفٌ، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: طلقتَ نساءَكَ يا رسول الله؟ فرفع بصره إليَّ فقال: «لا» ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله لو رأيتني وكنا مَعشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تَغْلِبُهُم نساؤهم فذكره - فتبسم النبي ﷺ - ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت: لا يغرنَّك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحبَّ إلى النبي ﷺ - يريد عائشة - فتبسم

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو
أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ أي قرية لوط ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ كافرين. [٣٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا ﴾ أي الرسل ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب. [٣٣] ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ﴾ حزنَ بسببهم ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ صدْراً، لأنهم حِسانُ الوُجوهِ في صُورةِ أضيافٍ، فخافَ عليهم قوْمَهُ، فأعْلَمُوهُ بأنَّهم رُسُلُ ربِّهِ ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ ونَصْبُ (أهلك) عَطْفٌ على محل الكاف. [٣٤] ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ ﴾ بالتخفيف، والتشديد ﴿ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾ عذاباً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا ﴾ بالفعل الذي ﴿ كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ به أي بسبب فِسْقِهِم. [٣٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ﴾ ظاهرة هي آثار خرابها ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبَّرون. [٣٦] ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ اخشوه، هو يوم القيامة ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ حالٌ مُؤَكِّدةٌ لعامِلِها، مِنْ: عَثِيَ بكسر المثلثة: أَفْسَدَ. [٣٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميّتين. [٣٨] ﴿ وَ ﴾ أهلكنا ﴿ عَادًا وَثَمُودَا ﴾ بالصرف، وتركه بمعنى: الحي والقبيلة ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم ﴾ إهلاكهم ﴿ مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ﴾ بالحِجْرِ واليَمن ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ سبيل الحق ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ ذوي بصائر.

أخرى فجلست حين رأيته تبسم ثم رفعت بصري في بيته ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردُّ البصر غير أُهْبَةٍ ثلاث فقلت : ادع الله فليوسع على أمتك ، فإن فارسَ والرُّومَ وُسِّعَ عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله . وكان متكئاً فقال : « أو في شك أنت يا بن الخطاب ! أولئك قوم عُجِّلَت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » . فقلت : يا رسول الله استغفر لي ، فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة وكان قد قال : « ما أنا بداخل عليهن شهراً » من شدة مَوْجِدَتِهِ عليهن حين عاتبه الله ، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فَبَدَأ بها ، فقالت له عائشة : إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهراً وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدُّها عداً . فقال النبي ﷺ : « الشهر تسع وعشرون » وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين قالت عائشة : فأنزلَتْ آية التخيير فبدأ بي أول مرة فقال : « إني ذاكر لك أمراً ولا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك » قالت: قدعلمت أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقك . ثم قال : « إن الله قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَظِيمًا ﴾ »قلت: أفي هذا أستأمر أبواي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساؤه فقلن مثل ما قالت عائشة . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأُذِن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[٣٩] ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ مِنْ قَبْلُ ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ فائتين عذابنا. [٤٠] ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفة فيها حَصْباءَ كقَوْم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب. [٤١] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أصناماً يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ لا يدفع عنها حَرّاً ولا بَرْداً، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها. [٤٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى «الذي» ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٤٣] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ المتدبرون. [٤٤] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي محقاً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بالذكرِ؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلافِ الكافرين. [٤٥] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ شرعاً: أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به.

فاستأذن فأُذِنَ له ، فوجدَ النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال : فقال : لأقولن شيئاً أُضحِكُ النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خَارجَة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله ﷺ وقال : « هُنَّ حولي كما ترى يسألنَني النَّفَقَةَ » فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأُ عنقها ، وقام عمر إلى حَفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألْنَ رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قال : فبدأ بعائشة فقال : « يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبواي بل أختار الله ورسوله والدَّار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأةً من نسائك بالذي قلت ، قال : « لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني مُعَنِّتاً ولا مُتَعَنِّتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً » . [رواه مسلم وغيره] .

(٣٥) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ .

عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يُذْكَرن بشيء ، فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

الجزء ٢١ — الحزب ٤١

[٤٦] ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي ﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يُقِرّوا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿ وَقُولُوٓاْ ﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ ﴾ القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة ﴿ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها ﴿ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ أي اليهود، وظَهَرَ لهم أن القرآن حَقٌّ. والجائي به مُحِقٌّ، وجَحَدُوا ذلك. [٤٨] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ أي القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا ﴾ أي: لَوْ كُنْتَ قارئاً كاتباً ﴿ لَّٱرۡتَابَ ﴾ شك ﴿ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أُمِّيٌّ لا يَقْرأُ ولا يَكْتُبُ. [٤٩] ﴿ بَلۡ هُوَ ﴾ أي القرآن الذي جئت به ﴿ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: اليهود، جحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَوۡلَآ ﴾ هلاّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾ أي محمد ﴿ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ وفي قراءة: (آيات) كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية. [٥١] ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ ﴾ فيما طلبوا ﴿ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذُكِرَ من الآيات ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الكتاب ﴿ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ ﴾ عِظَةً ﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾. [٥٢] ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ ﴾ بصدقي ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وهو ما يُعْبَدُ من دون الله ﴿ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ منكم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في صَفْقَتِهِمْ حيثُ اشتروا الكفر بالإيمان.

وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ . [رواه الترمذي وقال: حسن غريب] .
(٣٧) قوله تعالى: ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ .
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة . [رواه البخاري وغيره] .
وعن أنس بن مالك قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: « ما أجد أحداً آمن عندي وأوثق في نفسي منك ائت إلى زينب فاخطبها

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لـه ﴿لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه. [٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. [٥٥] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ فيه[1] بالنون أي: نأمر بالقول، وبالياء يقول: أي: الموكل بالعذاب ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تفوتوننا. [٥٦] ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ في أيّ أرض تيسَّرتْ فيها العبادةُ، بأنْ تُهاجروا إليها من أرْضٍ لم تَتَيَسَّرْ فيها، نزَلَ في ضُعفاءِ مسلمي مكة كانوا في ضَيْقٍ من إظهار الإسلام بها. [٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء والياء بعد البعث. [٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ نُنْزِلَنَّهُمْ، وفي قراءة بالمثلثة بعد النون، مِنَ الثَّواءِ: الإقامة، وتعديَتُهُ إلى (غُرَفاً) بحذف «في» ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر. [٥٩] هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم مِنْ حيثُ لا يَحْتسِبُونَ. [٦٠] ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لِضعْفِها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمائركم. [٦١] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي: الكفار ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يُصْرفُونَ عن توحيده بعد إقرارهم بذلك. [٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يُوَسِّعُهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضيِّقُ ﴿لَهُ﴾ بعد البَسْطِ، أي لمن يشاء ابتلاءه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه محل البسط والتضييق. [٦٣] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركون به؟! ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

علي » قال : فانطلق زيد فأتاها وهي تخمر عجينها ، فلما رأيتها عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت : يا زينب أبشري إن رسول الله ﷺ يَذْكُرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ . [رواه مسلم وغيره] .

(٥١) قوله تعالى : ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغار على اللاتي وَهَبْنَ أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أتَهَب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي

---

(١) أي: في ذلك اليوم.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[٦٤] ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ وأما القُرَبُ فَمِنْ أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ بمعنى الحياة ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها. [٦٥] ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي الدعاء، أي: لا يدعون معه غيره لأنهم في شِدّةٍ لا يَكْشِفُها إلا هو ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ به. [٦٦] ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ من النعمة ﴿ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة ذلك. [٦٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّا جَعَلْنَا ﴾ بلدهم مكة ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ قتلاً وسَبْياً دُونَهُم ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الصنم ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ بإشراكهم. [٦٨] ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بأن أشرك به ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ النبي أو الكتاب ﴿ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مأوى ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي فيها ذلك وهو منهم. [٦٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا ﴾ في حقنا ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ أي طريق السير إلينا ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

ربع الحزب ٤١

﴿سورة الروم﴾

[مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده في ذلك. [٢] ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ وهم أهل الكتاب، غَلَبَتْها فارسُ وليسوا أهل كتاب، بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم. [٣] ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبَادي بالغزْوِ الفُرْسُ ﴿ وَهُم ﴾ أي الروم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول: أي غَلَبَة فارس إيّاهم ﴿ سَيَغْلِبُونَ ﴾ فَارِسَ. [٤] ﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة مِنَ الالتقاء الأول وغَلَبَت الرومُ فارسَ ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ أي مِنْ قَبْل غَلْبِ الروم ومِنْ بَعْدِهِ، المعنى: أنّ غَلَبَة فارسَ أولاً وغَلَبَة الروم ثانياً بأمر الله، أي إرادته ﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم تَغْلِبُ الروم ﴿ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾. [٥] ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ إياهم على فَارِسَ، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يَوْمَ وُقوعِهِ، يَوْمَ بَدْرٍ، بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين.

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، والأصل وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وعده تعالى بنصرهم. [٧] ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغَرْس وغير ذلك ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ إعادة «هُمْ» تأكيد. [٨] ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ لذلك تَفْنَى عند انتهائه، وبَعْدَهُ البَعْثُ ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت. [٩] ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ حَرَثُوها وقَلَبُوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي كفار مكة ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلهم. [١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيثُ الأَسْوَأ: الأَقْبح، خبر (كان) على رفع (عاقبة) واسم (كان) على نصب (عاقبة)، والمراد بها جهنم، وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. [١١] ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: ينشىء خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالياء والتاء. [١٢] ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم. [١٣] ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾ أي لا يكون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم. [١٤] ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ المؤمنون والكافرون. [١٥] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾ جنة ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ يُسَرُّونَ.

إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ﴾ قلت: ما أرى ربَّك إلا يُسارع في هواك. [رواه البخاري ومسلم].

(٥٣) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾.

عن أنس رضي الله عنه قال: أَوْلَمَ رَسُول الله ﷺ حين بنى بزينب ابنة جحش فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حِجَر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن ويدعو لهن، ويُسَلِّمْنَ عليه ويدعون له، فلما رجع إلى بيته رأى رَجُلَين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته فلما رأى الرجلان رسول الله ﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أُخْبِرَ فرجع حتى دخل البيت وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آيةُ الحجاب. [رواه البخاري ومسلم].

عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجبْ نساءك. فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب. [رواه البخاري ومسلم].

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾. [١٧] ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبِّحوا الله، بمعنى صَلُّوا ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح. [١٨] ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ اعتِراضٌ، ومعناه: يحمده أهلهما ﴿وَعَشِيّٗا﴾ عطفٌ على (حين) وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر. [١٩] ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ أي يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ من القبور بالبناء للفاعل والمفعول. [٢٠] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأرض. [٢١] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ فخُلِقَتْ حواءُ مِنْ ضِلَعِ آدمَ، وسَائِرُ الناسِ مِنْ نُطَفِ الرجال والنساء ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ جميعاً ﴿مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالى. [٢٢] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ أي لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ بفتح «اللام» وكسرها، أي: ذوي العقول وأولي العلم. [٢٣] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإرادته راحةً لكم ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: تَصرُّفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدبُّرٍ واعتبار. [٢٤] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي إراءَتكُم ﴿ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعٗا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي: يبسطها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يتدبرون.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ حَيْساً في قعب، فمر عمر رضي الله عنه فدعاه فأكل فأصابت إصبعه إصبعي فقال: حس أوه أوه لو أُطاعُ فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحِجَاب. [رواه الطبراني].

***

سورةُ يس

(١٢) قوله تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

[٢٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته من غير عَمَدٍ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أحياء، فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى. [٢٦] ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون. [٢٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا، وهي أنه لا إلـه إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه. [٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي،

نصف الحزب ٤١

المعنى: ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيّنها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون. [٢٩] ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله. [٣٠] ﴿فَأَقِمْ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه: أي أخلص دينك لله أنت ومَنْ تبعَك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه أي: الزَمُوها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لدينه أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله. [٣١] ﴿۞ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل (أقم) وما أريد به؛ أي أقيموا ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. [٣٢] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بَدَلٌ بإعادة الجارّ ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فِرَقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون، وفي قراءة (فارقوا): أي تركوا دينهم الذي أمروا به.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله ﷺ بُعْدَ منازلهم من المسجد فنزلت: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فأقاموا في مكانهم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكاملها مكية. اهـ. [رواه ابن كثير وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدّة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾. [٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتُّعكم، فيه التفات عن الغيبة. [٣٥] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة وكتاباً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أي يأمرهم بالإشراك! لا. [٣٦] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ فرح بطر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ييأسون من الرحمة، ومِنْ شأنِ المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة. [٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضيّقُهُ لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها. [٣٨] ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر من الصدقة، وأمَّةُ النبي تبع له في ذلك ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه بما يعملون ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. [٣٩] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ بأنْ يُعْطَى شيءٌ هبةً أو هدية ليُطْلَبَ أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المعطين، أي يزيد ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾ يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ثوابهم بما أرادوه. فيه التفات عن الخطاب. [٤٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ ممَّنْ أشركتم بالله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ لا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به. [٤١] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي القِفار[1] بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياء والنون ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا﴾ أي عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

---

(٧٧) قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففتَّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي اللهُ هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم يُميتُكَ الله ثم يُحييك ثم يُدخِلُك جهَنَّم». قال: نزلت الآيات من آخر يس. [رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه].

***

---

(١) القفار: بكسر القاف جمع: قَفْر بفتحها، وهو المفازة التي لا ماء فيها ولا كلأ. (حاشية الجمل).

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[٤٢] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومَسَاكِنُهُم ومنازِلُهم خاويةٌ. [٤٣] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ دينِ الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ (١) يَصَّدَّعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد: يَتفرَّقون بعد الحساب إلى الجنة والنار. [٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ وَبَالُ كُفْرِهِ وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة. [٤٥] ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلق بـ (يصدعون) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ يثيبهم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي يعاقبهم. [٤٦] ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ تعالى ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بمعنى لِتُبَشِّرَكم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم يا أهل مكة فتوحّدوه. [٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين. [٤٨] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونها قِطَعاً متفرّقة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المَطَرَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ أي وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطر. [٤٩] ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين من إنزاله. [٥٠] ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ﴾ وفي قراءة ﴿أَثَرِ﴾ ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي نعمته بالمطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

سورةُ الزمر

(٢٣ إلى ٢٥) قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ تقدّم الكلام عنه (ص٧١).

(٥٣) قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) التنوين عوض عن الجملة المحذوفة؛ أي: يوم إذ يأتي هذا اليوم.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

[٥١] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُضرة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟﴾ صاروا جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر. [٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾. [٥٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مُخلِصون بتوحيد الله. [٥٤] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر، وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم والضَّعْفُ في الثلاثة بضم أوله وفتحه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء. [٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ يكذّبون بالبعث، يُصرفون عن الحق: البعث، كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللبث. [٥٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه. [٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى: أي الرجوع إلى ما يرضي الله. [٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ حذف منه «نون» الرفع لتوالي النونات[1]، و«الواو» ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل. [٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد، كما طبع على قلوب هؤلاء. [٦٠] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث: أي لا يحملنّك على الخفة والطيش بترك الصبر، أي لا تتركه.

عن عمر قال: كنا نقول ما لِمُفْتَتِنٍ توبة وما الله بقابل منه شيئاً، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ

(١) هذا سبق قلم من المؤلف رحمه الله، لأن الفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، فاللام مفتوحة باتفاق القرّاء، والفاعل هو الاسم الموصول الذي هو من قبيل الظاهر وهو «الذين كفروا» فجلَّ مَنْ لا يسهو.

سُورَةُ لُقْمَانَ

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿سورة لقمان﴾

[مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة والإضافة بمعنى من. [٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها ما في: «تلك» من معنى الإشارة. [٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هم الثاني تأكيد. [٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. [٦] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي ما يلهي منه عما يعني[1] ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب عطفاً على يضل، وبالرفع عطفاً على يشتري ﴿هُزُوًا﴾ مهزوءاً بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة. [٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ صمماً وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولّى أو الثانية بيان للأولى ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهَكُّمٌ به وهو النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يَتَّجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدّث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فَيَسْتَمْلِحُونَ حديثه، ويتركون استماع القرآن. [٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾. [٩] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقَّهُ حقاً ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يضع شيئاً إلا في محله. [١٠] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً مرتفعة لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف حسن. [١١] ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي مَخْلُوقُهُ ﴿فَأَرُونِى﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره: أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى، و «ما» استفهام إنكار مبتدأ و «ذا» بمعنى الذي بصلته خبره و (أروني) معلق عن العمل وما بَعْدَهُ سَدَّ مَسَدّ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن بإشراكهم وأنتم منهم.

---

(١) قوله: عمّا يعني: بفتح الياء؛ أي: ينفع في الآخرة، وهو استماع القرآن، والعمل به.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ منها العلم والديانة والإصابة في القول، وحِكَمُهُ كثيرةٌ مأثورةٌ، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته، وأخذ عنه العلم، وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفيتُ، وقيل له: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً ﴿ أَنِ ﴾ أي وقلنا له: أن ﴿ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ النعمة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ ﴾ عن خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ محمود في صنعه. [١٣] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ ﴾ تصغير إشفاق ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ ﴾ بالله ﴿ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ فارجع إليه وأسلم. [١٤] ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ أمرناه أن يبرهما ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ ﴾ فوهنت ﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أي ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ ﴾ أي فطامه ﴿ فِى عَامَيْنِ ﴾ وقلنا له ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي المرجع. [١٥] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ موافقة للواقع ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ أي بالمعروف: البر والصلة ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ ﴾ طريق ﴿ مَنْ أَنَابَ ﴾ رجع ﴿ إِلَىَّ ﴾ بالطاعة ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض. [١٦] ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ ﴾ أي الخصلة السيئة ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ فيحاسب عليها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ باستخراجها ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بمكانها. [١٧] ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها. [١٨] ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ وفي قراءة ﴿ تصاعر ﴾ ﴿ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ لا تُمِلْ وجهك عنهم تكبُّراً ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي خُيَلاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ مُتبخترٍ في مشيه ﴿ فَخُورٍ ﴾ على الناس. [١٩] ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ تَوَسَّطْ فيه بين الدَّبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار ﴿ وَٱغْضُضْ ﴾ اخفض ﴿ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ ﴾ أقبحها ﴿ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ أوله زفير، وآخره شهيق.

ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ والآيات التي بعدها قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقتُ برسول الله ﷺ وهو بالمدينة. [رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي].

(٦٧) قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾.

عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم أبَلَغَكَ أن الله عزَّ وجلَّ يحمل الخلائق على إصبَع والسموات على إصبَع، والأرضين

ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴿٢٠﴾ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴿٢١﴾ ۞ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴿٢٢﴾ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور ﴿٢٣﴾ نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴿٢٤﴾ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٢٥﴾ لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد ﴿٢٦﴾ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴿٢٧﴾ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿ألم تروا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ من الشمس والقمر والنجوم؛ لتنتفعوا بها ﴿وما في الأرض﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وأسبغ﴾ أوسع وأتمَّ ﴿عليكم نعمه ظاهرة﴾ وهي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ﴿وباطنة﴾ هي المعرفة وغيرها ﴿ومن الناس﴾ أي أهل مكة ﴿من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾ من رسول ﴿ولا كتاب منير﴾ أنزله الله، بل بالتقليد. [٢١] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ قال تعالى: ﴿أ﴾ يتبعونه ﴿ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي موجباته؟ لا. [٢٢] ﴿۞ ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ أي يُقبل على طاعته ﴿وهو محسن﴾ مُوحِّدٌ ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ مرجعها. [٢٣] ﴿ومن كفر فلا يحزنك﴾ يا محمد ﴿كفره﴾ لا تهتم بكفره ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي بما فيها كغيره فمُجازٍ عليه. [٢٤] ﴿نمتعهم﴾ في الدنيا ﴿قليلا﴾ أيام حياتهم ﴿ثم نضطرهم﴾ في الآخرة ﴿إلى عذاب غليظ﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً. [٢٥] ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ حذف منه «نون» الرفع لتوالي الأمثال، و«واو» الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قل الحمد لله﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وجوبه عليهم. [٢٦] ﴿لله ما في السموات والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه. [٢٧] ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر﴾ عطف على اسم «أنَّ» ﴿يمده من بعده سبعة أبحر﴾ مداداً ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ المعبر بها عن معلوماته(١) بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك؛ لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٢٨] ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ خلقاً وبعثاً؛ لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إن الله سميع﴾ يسمع كُلَّ مسموعٍ ﴿بصير﴾ يبصر كُلَّ مُبْصَرٍ لا يشغله شيء عن شيء.

الحزب ٤٢

على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية. [رواه أحمد والترمذي والبيهقي].

(١) تفسير كلمات الله بمعلوماته خلاف مافهمه السلف، بل كلماته سبحانه هي كلامه وقوله الذي لانفاد له.

***

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾ فيزيدُ كلٌّ منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِىٓ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. [٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم. [٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمته. [٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تُظلُّ مَنْ تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الدعاء بأن ينجيهم أي لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ﴾ لنعم الله تعالى. [٣٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾ يُغْني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه شيئاً ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان. [٣٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكرٌ أم أنثى[١]، ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌۢ﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مفاتيح الغيب خمسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة»[٢].

سورة فصلت

(٢٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾.

عن ابن مسعود ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ الآية.

(١) أي: إن الله يعلم كل ما يتعلق بما في الأرحام، من الصفات الخَلْقية والخُلُقية، والرزق، والشقاوة والسعادة، والأجل...

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿سورة السجدة﴾

[مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمنون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خبر ثان. [٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد، لا ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّآ﴾ نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك. [٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك؛ استواءً يليق به ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ اسم «ما» بزيادة «من»، أي: ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون. [٥] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير[١] ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل» ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا؛ كما جاء في الحديث[٢].

ربع الحزب ٤٢

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبّر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته. [٧] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بفتح «اللام» فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ﴾. [٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ علقة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف هو النطفة. [٩] ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي لذريته ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ما زائدة مؤكدة للقلّة. [١٠] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غِبْنا فيها، بأنْ صِرْنا تُراباً مختلطاً بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام إنكاري بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين، قال تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾. [١١] ۞ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياءً فيجازيكم بأعمالكم.

---

(١) يُستفاد من مجموع أقوال السلف في تفسيرهذه الآية أن العروج بمعنى الصعود، فالملائكة تنزل بأمر الله تعالى إلى الأرض، ثم ترجع صاعدة بأمر ربها، وهذا إثبات لعلوّ الله على خَلْقه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥).

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مُطأطِئوها حياءً يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن، فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب «لو»: لرأيت أمراً فظيعاً، قال تعالى: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها: [١٤] ﴿فَذُوقُوا۟﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب. [١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وُعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ عن الإيمان والطاعة. [١٦] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجُّداً ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون. [١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ﴾ خُبِّئ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ما تقرُّ به أعينهم، وفي قراءة بسكون الياء مضارع[1] ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. [١٨] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ أي المؤمنون والفاسقون. [١٩] ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ هو ما يُعَدُّ للضيف ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. [٢٠] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

كان رجلان من قريش وختَنٌ لهما من ثقيف ـ أو رجلان من ثقيف وختَنٌ لهما من قريش ـ في بيت فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم: يسمعُ بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يَسمعُ كله، فأنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ الآية. [رواه البخاري ومسلم].

وفي بعض طرقه في الصحيح وغيره فقال أحدهم: أترون أنَّ الله يسمع كلامنا؟ فقال الآخر: إنَّا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخرون: إن سمع منه شيئاً سمعه كله، قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عزَّ وجلَّ الآية.

---

(١) أي: ﴿أُخْفِيْ﴾ فالهمزة للتكلُّم وهو مبني للفاعل، وعلى القراءة الأولى: ﴿أُخْفِيَ﴾ على أنها فعل ماضٍ مبنيٌّ للمفعول.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

[٢١] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ ﴾ عذاب الدنيا بالقَتْل والأَسْر والجَدْب سنين والأمراض ﴿ دُونَ ﴾ قبلَ ﴿ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لَعَلَّهُمۡ ﴾ أي من بقي منهم ﴿ يَرۡجِعُونَ ﴾ إلى الإيمان. [٢٢] ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ القرآن ﴿ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ المشركين ﴿ مُنتَقِمُونَ ﴾. [٢٣] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ ﴾ شكٍّ ﴿ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ ﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿ هُدٗى ﴾ هادياً ﴿ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾. [٢٤] ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء: قَادَةً ﴿ يَهۡدُونَ ﴾ الناس ﴿ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم، وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿ يُوقِنُونَ ﴾. [٢٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين. [٢٦] ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم ﴾ أي يتبيَّن لكفار مكة إهلاكنا كثيراً ﴿ مِّنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾ الأمم بكفرهم ﴿ يَمۡشُونَ ﴾ حال من ضمير لهم ﴿ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴾ سماع تدبر واتعاظ. [٢٧] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم. [٢٨] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ للمؤمنين ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ ﴾ بيننا وبينكم ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾. [٢٩] ﴿ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة. [٣٠] ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك. وهذا قبل الأمر بقتالهم.

سورة الشورى

(٢٣) قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾.

سأل رجل ابن عباس عن معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى محمد ﷺ، قال ابن عباس: عَجِلْتَ إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله ﷺ فيهم قرابة، فنزلت: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ - إلا أن تَصِلُوا قرابة ما بيني وبينكم -. [رواه البخاري وغيره].

(٢٧) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

قال أبو هانيء: سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥) النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)

﴿سورة الأحزاب﴾

[مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤٢

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكونُ قَبْلَ كَوْنِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه. [٢] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وفي قراءة بالتحتانية. [٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً لك. وأمته تبع له في ذلك كله. [٤] ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ رداً على من قال من الكفار: إنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بكلٍّ منهما أفضل من عقل محمد ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء، وبها، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ يقولُ الواحدُ مَثَلاً لزَوْجَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي كالأمهات في تحريمها بذلك، المُعَدّ في الجاهلية طَلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذُكِرَ في سورة «المجادلة» [الآية: ٢-٣] ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جَمْعُ «دَعِيٍّ» وهو من يُدْعَى لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي اليهود والمنافقين، قالوا: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فأكذبهم اللهُ تعالى في ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق. [٥] لكن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ بنو عمكم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه أي بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك. [٦] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه، ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في حُرْمَةِ نكاحِهِنَّ عليهم ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذَوُو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي من الإرث بالإيمان والهجرة، الذي كان أول الإسلام، فنُسِخَ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وأُريدَ بالكتاب في الموضِعَيْن اللوحُ المحفوظ.

ذلك بأنهم قالوا: لو أن لنا فتمنّوا.

***

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

[٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ حين أُخْرِجُوا مِنْ صُلْبِ آدم كَالذَّرِّ، جَمْعُ ذَرَّةٍ وهي أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله، ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ شديداً بالوفاء بما حملوه، وهو اليمين بالله تعالى، ثم أخذ الميثاق [٨] ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ تعالى ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو عطف على أخذنا. [٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار مُتَحَزِّبُونَ أيامَ حَفْرِ الخَنْدَقِ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء، مِنْ حَفْرِ الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾. [١٠] ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عَدُوِّها مِنْ كُلِّ جانبٍ ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جَمْعُ حَنْجَرَة، وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ المختلفة بالنصر واليأس. [١١] ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اخْتُبِرُوا لِيَتَبَيَّنَ المُخْلِص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ حرّكوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع. [١٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً. [١٣] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي المنافقون ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة، ولم تُصْرَفْ لِلْعَلَمِيَّةِ وَوَزْنِ الفِعْلِ ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها: أي لا إقامة ولا مكانة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سَلْعٍ ـ جَبَلٍ خارجَ المدينة ـ للقتال ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يخشى عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال. [١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾ أي سألهم الداخلون ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَءَاتَوْهَا﴾ بالمد والقصر أي أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾. [١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ عن الوفاء به.

سورةُ الزخرُفِ

(٥٧) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾.

عن أبي يحيى مولى ابن عقيل قال: قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أَعَلِمَها الناس فلم يسألوا عنها، أم لم يفطُنُوا لها فيسألوا عنها، ثم طَفِقَ يحدثنا، فلما قام تَلاوَمْنا ألا نكونَ سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غداً. فلما راح الغد قلت: يا بن عباس ذكرتَ أمسِ أنَّ آية من القرآن لم

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

[١٦] ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا ﴾ إن فررتم ﴿ لَّا تُمَتَّعُونَ ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ بقية آجالكم. [١٧] ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم ﴾ يُجيرُكم ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا ﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿ أَوْ ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿ أَرَادَ ﴾ الله ﴿ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ خيراً ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيًّا ﴾ ينفعهم ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ يدفع الضُّرَّ عنهم. [١٨] ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾ المثبطين ﴿ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ ﴾ تعالوا ﴿ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ﴾ القتال ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياء وسمعة. [١٩] ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ بالمعاونة، جَمْعُ «شَحِيح» وهو حالٌ من ضمير (يأتون) ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى ﴾ كنظرِ أَوْ كَدَوَرانِ الذي ﴿ يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي سَكَرَاتِهِ ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ ﴾ وحِيزَت الغَنَائِمُ ﴿ سَلَقُوكُم ﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ أي الغنيمة يطلبونها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ حقيقة ﴿ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾ الإحباط ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ بإرادته. [٢٠] ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴾ من الكفار ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ كرة أخرى ﴿ يَوَدُّوا۟ ﴾ يتمنوا ﴿ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ أي كائنون في البادية ﴿ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم ﴾ هذه الكرة ﴿ مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياءً وخوفاً من التعيير. [٢١] ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ ﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿ لِّمَن ﴾ بَدَلٌ مِنْ (لكم) ﴿ كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يخافه ﴿ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ بخلاف مَنْ لَيْس كذلك. [٢٢] ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴾ من الكفار ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ في الوعد ﴿ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ ذلك ﴿ إِلَّآ إِيمَٰنًا ﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾ لأمره.

يسألُكَ عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها، أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال: نعم، إن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش إنه ليس أحد يُعبَدُ من دون الله فيه خير» وقد عَلِمَتْ قريش أن النصارى تعبُدُ عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد فقالوا: يا محمد ألست تزعُمُ أنَّ عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فلئن كنت صادقاً فإنَّ آلهتهم كما تقول: قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة. [رواه أحمد والطبراني].

***

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ مات أو قُتل في سبيل الله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ ذلك ﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ في العهد، وهُمْ بِخلافِ حال المنافقين. [٢٤] ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ ﴾ بأنْ يُميتَهم على نِفاقِهم ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴾ لمن تاب ﴿ رَّحِيمًا ﴾ به. [٢٥] ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي الأحزاب ﴿ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ مُرادَهُم مِنَ الظَّفَرِ بالمؤمنين ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ بالريح والملائكة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا ﴾ على إيجادِ ما يُريدُه ﴿ عَزِيزًا ﴾ غالباً على أمره. [٢٦] ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ أي قريظة ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ حُصُونِهم، جَمْعُ «صِيصِيَة» وهو ما يُتَحَصَّنُ به ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ الخوف ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ منهم وهم المُقاتِلَةُ ﴿ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ منهم أي الذَّرارِي. [٢٧] ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ بَعْدُ وهي خَيْبَر، أُخِذَتْ بَعْدَ قُرَيْظَة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾. [٢٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ وهُنَّ تِسْعٌ وطَلَبْنَ منه مِنْ زينةِ الدنيا ما ليس عنده ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ أي مُتْعَةَ الطلاق ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أُطَلِّقْكُنَّ مِنْ غير ضِرار. [٢٩] ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ أي الجنة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ ﴾ بإرادة الآخرة ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي الجنة، فاخْتَرْنَ الآخرةَ على الدنيا. [٣٠] ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ بفتح الياء وكسرها، أي بُيِّنَتْ أو هي بَيِّنَةٌ ﴿ يُضَـٰعَفْ ﴾ وفي قراءة (يضعَّف) بالتشديد وفي أخرى (نضعف) بالنون معه، ونَصْب (العذاب) ﴿ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ ضِعْفَيْ عذابِ غيْرِهِنَّ، أي مِثْلَيْهِ ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾.

سورةُ الدُّخَان

(١٠ إلى ١٥) قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ الآيات .

عن مسروق قال : قال عبد الله : إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال : فأتى رسول الله ﷺ ، فقيل : يا رسول الله ، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت ، قال : « لمضر ؟ إنك لجريء » . فاستسقى فسقوا فنزلت : ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ قال : يعني يوم بدر . [رواه البخاري ومسلم] .

وجاء إلى عبد الله رجل فقال : تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه يفسر هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قال : يأتي الناسَ يوم القيامة دخانٌ فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزُّكام ، فقال عبد الله : من علم علماً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ؛ فإن مِن فقهِ الرجل أن يقول لما لا علمَ له به : الله أعلم

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ ﴾ يُطِعْ ﴿ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ أي مِثْلَيْ ثَواب غَيْرِهِنَّ مِنَ النساء، وفي قراءة بالتحتانية في: (تعمل) و(نؤتها) ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ في الجنة زيادةً. [٣٢] ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ ﴾ كجماعة ﴿ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ الله فإنَّكُنَّ أَعْظَمُ ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ للرجال ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ نفاق ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ من غير خضوع. [٣٣] ﴿ وَقَرْنَ ﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ مِنَ القرار، وأَصْلُه: «اقْرِرْنَ» بكسر الراء وفتحها، مِنْ «قَرِرْتُ» بفتح الراء وكسرها، نُقِلَتْ حركةُ الراءِ إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي ما قبل الإسلام، مِنْ إظهار النساء مَحاسِنَهُن للرِّجالِ، والإظْهارُ بعدَ الإسلام مَذْكورٌ في آية: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور، الآية: ٣١] ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ الإثم يا ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي نساء النبي ﷺ ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ منه ﴿ تَطْهِيرًا ﴾. [٣٤] ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ السنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ بأوليائه ﴿ خَبِيرًا ﴾ بجميع خلقه. [٣٥] ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ المطيعات ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ في الإيمان ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ على الطاعات ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ المتواضعين ﴿ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ عن الحرام ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً ﴾ للمعاصي ﴿ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ على الطاعات.

إنما كان هذا . . . فذكره وهو في البخاري أيضاً . [رواه مسلم وغيره] .

* * *

سورة الجاثية

(٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يُهلِكُنا الليل والنهار ، وهو الذي يُهلِكُنا ويُمِيتُنا ويُحيينا ، فقال الله في كتابه : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ قال : فيسبون الدهر فقال الله تبارك وتعالى : يؤذيني ابنُ آدمَ بسبِّ الدهر ، وأنا الدهرُ بيدي الأمرُ أُقلبُ الليل والنهار » . [رواه الطبري] .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ ﴾ بالتاء والياء ﴿ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ أي الاختيار ﴿ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، خَطَبَها النبي ﷺ وعَنَى لزيد بن حارثة فكَرِهَا ذلك حين عَلِما؛ لظنهما قبْلُ أنَّ النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رَضيا للآية ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ بيِّناً فزَوَّجها النبي ﷺ لِزَيْدٍ، ثم وَقَعَ بَصَرُهُ عليها بعد حين، فوقع في نَفْسِهِ حُبُّها[1]، وفي نَفْسِ زَيْدٍ كَرَاهَتُها، ثم قال للنبي ﷺ: أُريدُ فِراقها، فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال تعالى: [٣٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ منصوب بـ (اذكر) ﴿ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة، كان مِنْ سَبْيِ الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في أَمْرِ طلاقها ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ مُظْهِرُه مِنْ مَحَبَّتِها، وأن لو فارقَها زيدٌ تزوَّجْتَها[2] ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أن يقولوا: تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ ﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ في كل شيء، وتزوَّجْها ولا عليكَ مِنْ قَوْلِ الناس. ثم طلَّقها زيدٌ وانقضتْ عِدَّتُها، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ حاجةً ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأَشْبَعَ المسلمين خبزاً ولحماً ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ مقضيه ﴿ مَفْعُولًا ﴾.

[٣٨] ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ﴾ أَحلَّ ﴿ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ أي كَسُنَّةِ الله، فنُصِبَ بنَزْعِ الخافض ﴿ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ من الأنبياء ألا حرج عليهم في ذلك توسعةً لهم في النكاح ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ فعله ﴿ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ مقضياً. [٣٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نعت لـ (الذين) قبله ﴿ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أَحلَّ الله لهم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم. [٤٠] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ فليس أبا زيد، أي والده، فلا يحرم عليه التَزَوُّجُ بزوجته زينب ﴿ وَلَٰكِن ﴾ كان ﴿ رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبياً، وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم، أي به خُتِمُوا ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ منه بأن لا نبيّ بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته. [٤١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا

---

(١) ذكر ابن كثير أنه ضرب صفحاً عن هذه الروايات لعدم صحتها فلم يوردها. وذكر أن الحسن سئل عن هذه الآية فقال: إن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: : اتق الله وأمسك عليك زوجك، فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه. (ابن كثير: ٣/٤٩٩).

(٢) هذا كلام غير ثابت روايةً، وغير صحيح درايةً، لأنه مخالف لمنصب النبوة.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ وَالْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ الَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ الَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

كثيرا ﴾. [٤٢] ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أول النهار وآخره. [٤٣] ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ أي يرحمكم ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ يستغفرون لكم ﴿ لِيُخْرِجَكُم ﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿ مِّنَ الظُّلُمَٰتِ ﴾ أي الكفر ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾ أي الإيمان ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.

[٤٤] ﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ منه تعالى ﴿ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ بلسان الملائكة ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ هو الجنة. [٤٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ على من أُرسِلتَ إليهم ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ مَنْ صدَّقك بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ منذراً مَنْ كذَّبك بالنار. [٤٦] ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ﴾ إلى طاعته ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بأمره ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ أي مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ هو الجنة. [٤٨] ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ وَالْمُنَٰفِقِينَ ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ وَدَعْ ﴾ اترك ﴿ أَذَىٰهُمْ ﴾ لا تجازهم عليه إلى أنْ تُؤْمَرَ فيهم بأمرٍ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فهو كافيك ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مُفوَّضاً إليه.

[٤٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ وفي قراءة (تماسوهنَّ)، أي تجامعوهنَّ ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ أعطوهن ما يَسْتَمْتِعْنَ به، أي إن لم يُسَمَّ لهن أصدقة، وإلا فلهُنَّ نِصْفُ المُسَمَّى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ خلّوا سبيلهن من غير إضرار. [٥٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ الَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهنَّ ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ الَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي المؤمنين ﴿ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ من الأحكام بألا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بوليٍّ وشهود ومهر ﴿ وَ ﴾ في ﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تُستبرأ قبل الوطء ﴿ لِكَيْلَا ﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ ضيق في النكاح ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ فيما يَعسر التَّحرُّزُ عنه ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بالتوسعة في ذلك.

سورةُ الأحقاف

(١٠) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾.

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

ربع الحزب ٤٣

[٥١] ﴿ ۞ تُرْجِي ﴾ بالهمزة والياء بدله: تُؤَخِّرُ ﴿ مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ أي أزواجك، عن نَوْبَتِها ﴿ وَتُـْٔوِيٓ ﴾ تضم ﴿ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ منهن فتأتيها ﴿ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ ﴾ طلبت ﴿ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ من القسمة ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ في طلبها وضمها إليك. خُيِّرَ في ذلك بعد أنْ كانَ القَسْمُ واجِباً عليه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التخيير ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب إلى ﴿ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ ﴾ ما ذكر المخيّر فيه ﴿ كُلُّهُنَّ ﴾ تأكيد للفاعل في (يرْضين) ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيَّرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَلِيمًا ﴾ عن عقابهم. [٥٢] ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ بالتاء والياء ﴿ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ بعد التسع التي اخترنك ﴿ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتَنْكِحَ بَدَلَ مَنْ طَلَّقْتَ ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ من الإماء فتحل لك، وقد ملك ﷺ بَعْدَهُنَّ مارِيَة، وولدت له إبراهيم، ومات في حياته ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ حفيظاً. [٥٣] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ فتدخلوا ﴿ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ ﴾ منتظرين ﴿ إِنَىٰهُ ﴾ نُضْجَهُ، مصدر «أَنى» يَأْني ﴿ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا ﴾ تمكثوا ﴿ مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ من بعضكم لبعض ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ ﴾ المكث ﴿ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ﴾ أن يخرجكم ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ أن يخرجكم، أي لا يترك بيانه، وقُرِىء (يستحي) بياء واحدة ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ﴾ أي أزواج النبي ﷺ ﴿ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ ستر ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ من الخواطر المريبة ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ بشيء ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ذنباً ﴿ عَظِيمًا ﴾. [٥٤] ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ من نكاحهنَّ بعده ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ فيجازيكم عليه.

عن عوف بن مالك قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: « يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، يَحُطّ الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه » قال: فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد ثم ثَلَّثَ فَلَمْ يجبه أحد، فقال: « أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتم أو كذبتم ». ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد قال: فأقبل فقال ذلك الرجل أي رجل تعلموني يا معشر اليهود، قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال: فإني أشهد بأنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة قالوا: كذبت وردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً. قال رسول الله ﷺ: « كذبتم لن يقبل قولكم أمَّا آنفاً فتُثنون عليه من الخير ما أثنيتم ولمَّا آمن أكْذَبتموه، وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل فيه قولكم ». قال:

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

[٥٥] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يَرَوْهُنَّ ويُكَلِّموهن من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أُمِرْتُنَّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء. [٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ أي قولوا: اللهم صل على سيدنا محمد وسلم. [٥٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار، يَصِفُونَ اللهَ بما هو مُنَزَّهٌ عنه من الولد والشريك، ويكذّبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة وهو النار. [٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ تحمَّلوا كذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيّناً.

نصف الحزب ٤٣

[٥٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ جَمْعُ جِلْبَاب، وهي المُلاءة التي تشتمل بها المرأة، أي يُرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتَّعَرُّضِ لهن، بخلاف الإماء فلا يغطين وُجوهَهُنَّ، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا﴾ بهن؛ إذ سَتَرَهُنَّ. [٦٠] ﴿۞ لَّئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنى ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو، وسَرَايَاكم قُتِلُوا، أو هُزِموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنوك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون. [٦١] ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مُبْعَدِينَ عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وُجِدوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي الحُكْمُ فيهم هذا، على جهة الأمر به. [٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي سنَّ الله ذلك ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

فخرجنا ونحن ثلاثة، رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [رواه أحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

(٢٩ إلى ٣٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

عن عبد الله قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه أنصتوا قالوا: صه، وكانوا تسعة أحدهم زَوْبَعة فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ الآية إلى ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي].

يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

[٦٣] ﴿يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يُعْلِمُكَ بها؛ أي أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾. [٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة يدخلونها. [٦٥] ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مُقدّراً خُلودُهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم. [٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾. [٦٧] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الأتباع منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة: (ساداتنا)، جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ طريق الهدى. [٦٨] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي مِثْلَيْ عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾ عذِّبهم ﴿لَعْنًا كَثِيرًا﴾ عدده، وفي قراءة بالموحدة[1]، أي عظيماً. [٦٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ بأن وضع ثوبه على حَجَرٍ لِيَغْتَسِلَ، فَفَرَّ الحَجَرُ به حتى وقف بين ملأ من بني إسرائيل، فأدركه موسى، فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه ولا أُدْرَةَ به، وهي نَفْخَةٌ في الخُصْيَةِ ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا جاه: ومما أوذي به نبينا ﷺ أنه قَسَّمَ قَسْماً، فقال رجلٌ: هذه قِسْمَةٌ ما أُريد بها وَجْهُ الله تعالى، فَغَضِبَ النبيُّ ﷺ من ذلك وقال: «يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» رواه البخاري[2]. [٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صواباً. [٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يتقبّلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه. [٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها، مما في فعلها من الثواب، وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهماً ونُطقاً ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خِفْنَ ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ به. [٧٣] ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللام متعلقة بـ(عرضنا) المترتب عليه حمل آدم ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

---

(١) أي: ﴿كبيراً﴾ وهي قراءة عاصم وغيره.

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٥) ومسلم (١٠٦٢).

سورة سبإ — ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

﴿سورة سبأ﴾

[مكية إلا الآية ٦ فمدنية
وآياتها ٥٤ أو ٥٥ آية نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بخلقه. [٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لهم. [٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بالجرِّ صفةً، والرَّفع خبَر مبتدأ و (علاّم) بالجر[1] ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ. [٤] ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة. [٥] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن (مُعجِّزين) وفي قراءة هنا وفيما يأتي[2] ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾، أي مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتونا، لظنِّهِمْ أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيّء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم بالجر والرفع صفة لـ (رجز) أو (عذاب). [٦] ﴿وَيَرَى﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل[3] ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي الله ذي العزة المحمود. [٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطِّعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

---

(١) وهذه قراءة سبعيةٌ، وهي قراءة حمزة والكسائي، وافقهما المطوعي.

(٢) في الآية ٣٨ من هذه السورة.

(٣) أي: «هو» ضمير فصل.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٣

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستُغْنِيَ بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ جُنُونٌ تَخَيَّلَ بِهِ ذٰلكَ؟ قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا. [٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي قراءةٍ في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء. [١٠] ۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً وقلنا: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ رجِّعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال، أي ودَعَوْناها تُسَبِّحُ معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. [١١] وقلنا: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ دُرُوعاً كوامِلَ يَجُرُّها لابِسُها على الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي نسج الدروع، قيل لصانعها: سَرَّاد، أي اجعله بحيث تتناسب حِلَقُهُ ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي آل داود معه ﴿صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم به. [١٢] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وقراءة الرفع بتقدير تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾ مَسيرُها من الغدوة، بمعنى الصباح، إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي النحاس، فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ﴾ يَعْدِل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن يضربه مَلَكٌ بِسَوْط منها ضربة تحرقه. [١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾ جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء، أي صُوَر من نُحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حَراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جَمْعُ جَفْنَة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ في جمع جابية وهو حوض كبير، يجتمع على الجَفْنَة ألفُ رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تُتَّخَذُ مِنَ الجبالِ باليمن، يُصْعَدُ إليها بالسَّلالِم وقلنا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شُكْراً لنعمتي. [١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي مات ومكث قائماً على عصاه حَوْلاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها، لا تشعر بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه فخرّ ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر أُرِضَت الخَشَبَةُ، بالبناء للمفعول، أَكَلَتْها الأَرَضَةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بالهمز وتركه بألف، عصاه لأنها يُنْسَأُ: يُطْرَدُ ويُزْجَرُ بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة: أي أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ﴾

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿ الْمُهِينِ ﴾ العمل الشاق لهم، لظنهم حياته، خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سَنَةً بحساب ما أكلتْهُ الأرَضَةُ مِنَ العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً. [١٥] ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ ﴾ بالصرف وعدمِه: قبيلةٌ سُمِّيَتْ باسم جَدٍّ لهم من العرب ﴿ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾ باليمن ﴿ آيَةٌ ﴾ دالةٌ على قدرة الله تعالى ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ بدل ﴿ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿ وَ ﴾ الله ﴿ رَبٌّ غَفُورٌ ﴾. [١٦] ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عن شكره وكفروا ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ جمعُ عَرِمَةٍ، وهو ما يُمسكُ الماءَ مِنْ بناءٍ وغيره إلى وقت حاجته، أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ مُرٍّ بَشِعٍ، بإضافة (أكل) بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾. [١٧] ﴿ ذَلِكَ ﴾ التبديل ﴿ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ بكفرهم ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ بالياء والنون، مع كسر الزاي، ونصب (الكفور)، أي ما يناقش إلا هو. [١٨] ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿ قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ بحيث يَقيلُونَ في واحدة، ويَبيتُونَ في أخرى إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حَمْلِ زادٍ وماء، أي وقلنا: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ لا تخافون في ليلٍ ولا في نهار. [١٩] ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ ﴾ وفي قراءة ﴿ باعد ﴾ ﴿ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرَّوَاحِلِ، وحمل الزاد والماء، فبطروا النعمة ﴿ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالكفر ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ فرّقناهم في البلاد كل التفريق ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ عبراً ﴿ لِكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ عن المعاصي ﴿ شَكُورٍ ﴾ على النعم. [٢٠] ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ أي الكفار منهم سبأ ﴿ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ أنهم بإغوائه يتّبعونه ﴿ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ ﴿ فصدَقَ ﴾ بالتخفيف في ظنه، أو ﴿ صَدَّقَ ﴾ بالتشديد (ظَنَّهُ) أي وجده صادقاً ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى لكن ﴿ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ للبيان، أي هم المؤمنون لم يتبعوه. [٢١] ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ تسليط ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ علم ظهور ﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ فنجازي كلاً منهما ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ رقيب. [٢٢] ﴿ قُلِ ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره لينفعوكم بزعمكم. قال تعالى فيهم: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ﴾ وزن ﴿ ذَرَّةٍ ﴾ من خير أو شر ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ ﴾ شركة ﴿ وَمَا لَهُ ﴾ تعالى ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من الآلهة ﴿ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ معين. [٢٣] ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴾ تعالى رداً لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ ﴾

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ٤٤

بفتح الهمزة وضمها ﴿لَهُۥ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا۟﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي قد أذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم. [٢٤] ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن. في الإبهام تلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له. [٢٥] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنا بريئون منكم. [٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المُحقِّين الجنةَ، والمُبْطِلينَ النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به. [٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾ أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك في مُلْكِه. [٢٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حالٌ من الناس، قُدِّمَ للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مُبشِّراً للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. [٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. [٣٠] ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه وهو يوم القيامة. [٣١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تقدَّمَهُ، كالتوراة والإنجيل الدَّالَّيْن على البعث، لإنكارهم له، قال تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ الرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ صَدَدْتُمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

سورةُ الفَتْح

عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصِفِّين فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله تعالى؟ فقال علي: نعم. فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحُدَيبيَةِ ـ يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ـ ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر فقال: ألَسْنَا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: ففيم نعطي الدنيَّةَ في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: «يا بن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً». فرجع متغيِّظاً، فلم يصبر حتى جاء أبو بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا بن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح. [رواه البخاري ومسلم].

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

[٣٢] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ﴾ لا ﴿ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ في أنفسكم. [٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي مَكْرٌ فيهما منكم بنا ﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ شركاء ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ﴾ أي الفريقان ﴿ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ على ترك الإيمان به ﴿ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ أي أخفاها كُلٌّ عن رفيقه مخافة التَّعْيير ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في النار ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ يُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا. [٣٤] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ رؤساؤها المُتنعِّمون: ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾. [٣٥] ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ ممّن آمن ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾. [٣٦] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضَيِّقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك. [٣٧] ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ قُرْبَى، أي تقريباً ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي جزاء العمل: الحسنة مثلاً بعشرٍ فأكثر ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ﴾ من الجنة ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءةٍ ﴿ الغرفة ﴾ بمعنى الجمع. [٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآن بالإبطال ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ لنا مقدّرين عجزنا وأنهم يفوتوننا ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾. [٣٩] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسِّعُهُ ﴿ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضيِّقه ﴿ لَهُۥ ﴾ بعد البَسْطِ أو لمن يشاء ابتلاءً ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ في الخير ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ يقال: كلُّ إنسانٍ يَرْزُقُ عائِلَتَهُ، أي مِنْ رِزْقِ الله.

وعن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذ الناس يَهُزُّون الأبَاعِرَ فقال بعض الناس لبعض: ما للناس قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ فقال رجل: أو فَتْحٌ هو يا رسول الله؟ قال: « نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح » قال: فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية، وكان الجيش ألفاً وخمسمئة فيهم ثلاثمئة فارس، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً. [رواه الطبري وصححه الحاكم].

(٥) قوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾.

عن أنس: أنها نزلت على النبي ﷺ مرجعه من الحديبية وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة، وقد حيل بينهم وبين مساكنهم، ونحروا الهدي بالحديبية ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ إلى قوله: ﴿ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾. قال: « لقد أنزلت علي آيتان هما أحب إلي من الدنيا جميعاً ». قال: فلما تلاهما قال رجل: هنيئاً مريئاً يا رسول الله قد بين لك ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ الآية التي بعدها: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الآية. [رواه البخاري وغيره].

(٢٤) قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي المشركين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها[1] ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾. [٤١] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ الشياطين، أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ مُصدِّقون فيما يقولون لهم. [٤٢] قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيباً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾. [٤٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنٌ. [٤٤] قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمن أين كذبوك؟ [٤٥] ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم العقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه. [٤٦] ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ هي ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي لأجله ﴿مَثْنَىٰ﴾ أي اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ﴾ أي قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه. [٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع يعلم صدقي. [٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يُلْقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن خلقه في السموات والأرض.

ربع الحزب ٤٤

عن المِسْور بن مَخرَمة ومروان يُصدِّقُ كل واحد منهم حديثَ صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : « إنَّ خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين » فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل فألحّت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي ﷺ : « ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخُلُق ولكن

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٦/ ٢٤٠): هذا سَبْقُ قلم من الشارح؛ إذ لم يقرأ بهذه القراءة أحد، فالذي في كلامه قراءتان فقط: تحقيقهما، وإسقاط الأولى.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِر

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

[٤٩] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي لم يبق له أثر. [٥٠] ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي إثمُ ضَلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾. [٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند البعث لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منا، أي لا يفوتوننا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي القبور. [٥٢] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بواو وبالهمزة بدلها، أي تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن محله إذ هم في الآخرة، ومحله الدنيا. [٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة. [٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان، أي قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدّوا بدلائله في الدنيا.

﴿سورة فاطر﴾

[مكية وآياتها ٤٥ أو ٤٦ نزلت بعد الفرقان]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك كما بُيِّنَ في أول سورة «سبأ» ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٢] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ كرزقٍ ومَطرٍ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله. [٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسْكانِكُم الحَرَم، ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ (مِنْ) زائدة و (خالق) مبتدأ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر نعت لـ (خالق) لفظاً ومحلاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات، والاستفهام للتقرير، أي لا خالق رازق غيره[1] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟

حبسها حابس الفيل »، ثم قال: « الذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يَتَبَرَّضُهُ الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نَزَحُوه، وشكا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة

---

(١) وفي نسخة: لاخالق، ولا رازق غيره.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

[٤] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث، والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ في الآخرة فيجازي المكذبين وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان. [٦] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ النار الشديدة. [٧] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه. ونزل في أبي جهل وغيره: [٨] ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بالتَّمْويه ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ (مَنْ) مبتدأٌ خبره: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المزيَّن لهم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ باغتمامك ألا يؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه. [٩] ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وفي قراءة: (الريح) ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، أي تزعجه ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف، لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يُبْسها، أي أنْبَتْنا به الزَّرْعَ والكَلأَ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي البعث والإحياء. [١٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي في الدنيا والآخرة، فلا تُنالُ منه إلا بطاعتِهِ، فَلْيُطِعْهُ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعلمه وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ يقبله[1] ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة، من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في «الأنفال» [الآية: ٣٠] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يهلك. [١١] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي مَنِيٍّ بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ حال، أي معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي ما يُزادُ في عُمُرِ طَوِيلِ العُمُرِ ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أي ذلك المعمَّر أو معمَّر آخر ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هيِّن.

فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرَّتْ بهم، فإن شاؤوا أمددتهم مدة، ويُخلُّوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمعوا؛ إن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولَيُنْفِذَنَّ الله أمره» فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم نَعرضُه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة بنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ، فقال عروة بن مسعود: فقال: أي قوم ألستم بالولد. قالوا: بلى. قال:

(١) هذا صرفٌ للنص عن ظاهر معناه إلى معنى غير ظاهر، وتعطيل لصفة علوِّ الله. والمعنى المراد: أن الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل يُرفع إلى الله ويُعرَض عليه، ويُثني اللهُ على صاحبه بين الملأ الأعلى، والعمل الصالح من أعمال القلوب وأعمال الجوارح يرفعه الله تعالى إليه كالكلم الطيب.

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العُذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ شُرْبُه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تُبصِرُ ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ السُفُن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء، أي تَشُقُّهُ بجَرْيها فيه مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً بريحٍ واحدة ﴿لِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يُدخِلُ اللهُ ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يُدْخِلُه ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ لُفافةُ النَّواة.

نصف الحزب ٤٤

[١٤] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي يتبرّؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارَيْن ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ عالِمٍ هو الله تعالى.

[١٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم. [١٧] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد. [١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة، أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحداً لِيَحْمِلَ بَعْضَه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قرابة كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين[1] حُكْمٌ من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المُنْتَفِعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهَّر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة.

أو لَسْتُ بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني. قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، اقبلوها ودعوني آتِهِ. قالوا: ائته. فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال

---

(١) قوله: في الشِّقَّيْن؛ أي: الحمل القهري المذكور بقوله: ﴿فلا تزر...﴾ إلخ، والاختياري المذكور بقوله: ﴿وإن تدع...﴾ إلخ، فالأول نفي للحمل إجباراً والثاني نفي للحمل اختياراً.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن. [٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان. [٢١] ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ الجنة والنار. [٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي الكفار، شبَّهَهُمْ بالموتى فيجيبون. [٢٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم. [٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أجابَ إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلَفَ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنْذِرُها. [٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا. [٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه. [٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جَمْعُ «جُدَّةٍ»: طَرِيقٌ في الجَبَلِ وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصفر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطف على (جُدَد)، أي صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسود غربيب، وقليلاً: غربيب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين. [٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ تهلك. [٣٠] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشْواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : امصُصْ بَظَرَ اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجَبْتُكَ . قال : وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال له : أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ فقالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ألست أسعى في غدرتك . وكان المغيرة صَحِبَ قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم ، فقال النبي ﷺ : « أمَّا الإسلام فأقبَلُ ، وأما المالُ فلست منه في شيء » . ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهَه وجِلدَه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضُوئِهِ ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يَحُدُّون إليه النظر تعظيماً له .

وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدّمه من الكُتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ عالم بالبواطن والظواهر. [٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم، والإرشاد إلى العمل ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾. [٣٣] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة[1]. بالبناء للفاعل وللمفعول خبر (جنات) المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثان ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مُرَصَّع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾. [٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعة. [٣٥] ﴿الَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تَعَبٌ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعْياءٌ مِنَ التعب لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه. [٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ كافر بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب (كل). [٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾ وقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرسول، فما أجبتم ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم. [٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فَعِلْمُهُ بِغَيْرِهِ أَوْلَى بالنَّظَرِ إلى حال الناس.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظِّمُ أصحاب محمد ﷺ محمداً. والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلَّك بها وجهه وجلده، فإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يَحُدُّون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له» فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يَصُدُّوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن وقد قلدت وأُشعِرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن

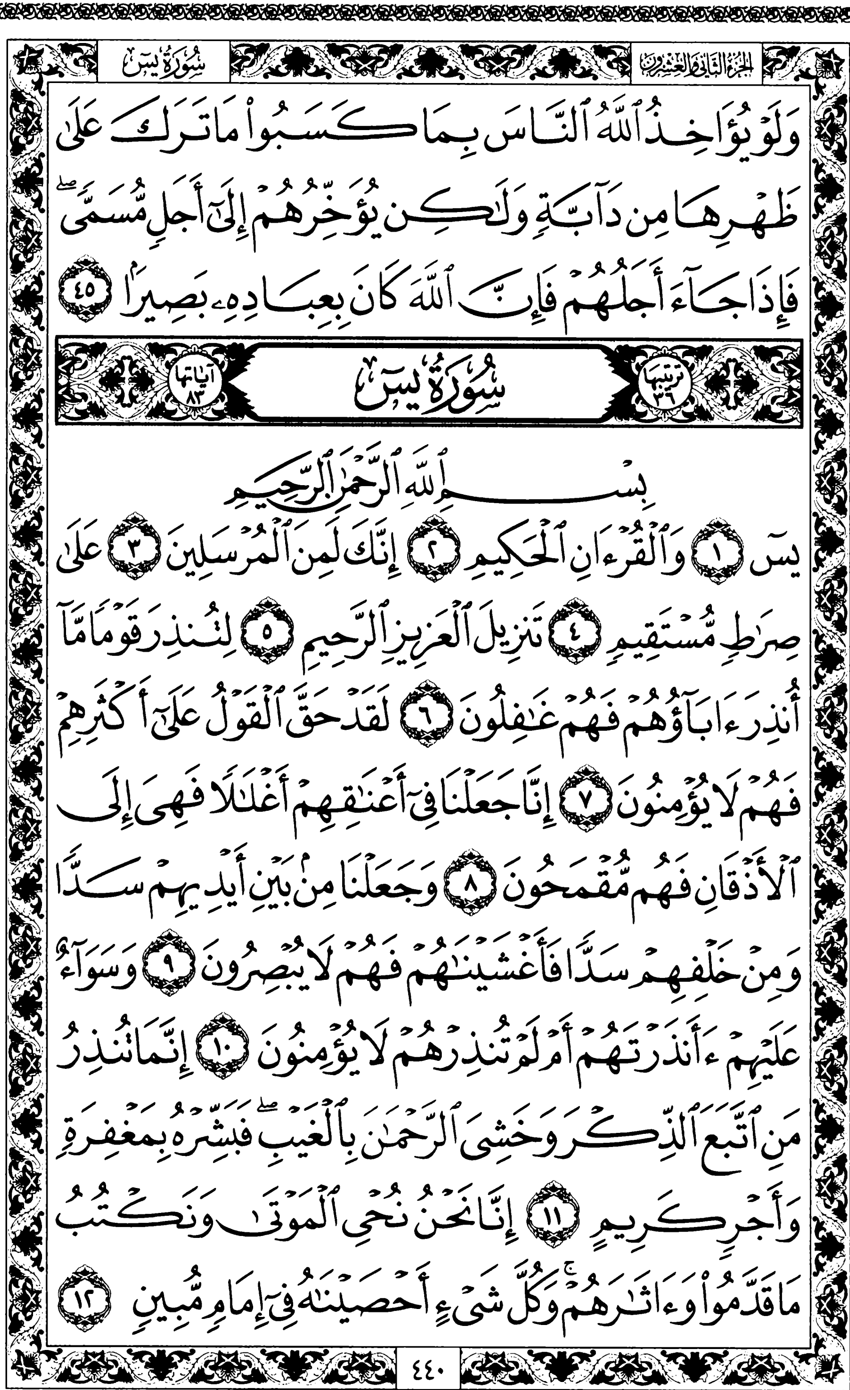
---

(١) أي: الثلاث الفرق يدخلون الجنة. والفرق الثلاث هم: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٣٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ جمع خَلِيفَة، أي يخلف بعضكم بعضاً ﴿ فَمَن كَفَرَ ﴾ منكم ﴿ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ أي وَبَالُ كُفْرِهِ ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ﴾ غضباً ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ للآخرة. [٤٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره، وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى ﴿ أَرُونِى ﴾ أخبروني ﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ ﴾ شركة مع الله ﴿ فِى ﴾ خلق ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ ﴾ حجة ﴿ مِّنْهُ ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿ بَلْ إِن ﴾ ما ﴿ يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الكافرون ﴿ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم. [٤١] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ أي يمنعهما من الزوال ﴿ وَلَئِن ﴾ لام قسم ﴿ زَالَتَآ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَمْسَكَهُمَا ﴾ يمسكهما ﴿ مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ أي سواه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ في تأخير عقاب الكفار. [٤٢] ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ ﴾ أي كفار مكة ﴿ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ رسول ﴿ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم، أي أيَّ واحدة منها، لِمَا رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ ﴿ قَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [سورة البقرة: ١١٣] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ محمد ﷺ ﴿ مَّا زَادَهُمْ ﴾ مجيئه ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ تباعداً عن الهدى. [٤٣] ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ عن الإيمان مفعول له ﴿ وَمَكْرَ ﴾ العمل ﴿ ٱلسَّيِّئِ ﴾ من الشرك وغيره ﴿ وَلَا يَحِيقُ ﴾ يحيط ﴿ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ وهو الماكر، وَوَصْفُ المكر بالسيّىء أَصْلٌ، وإضافته إليه قيل: استعمال آخر قُدِّر فيه مُضافٌ، حَذَراً من الإضافة إلى الصفة ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ينتظرون ﴿ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ أي لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحوّل إلى غير مستحقه. [٤٤] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ ﴾ يسبقه ويفوته ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا ﴾ أي بالأشياء كلها ﴿ قَدِيرًا ﴾ عليها.

حفص وقال: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز وهو رجل فاجر». فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، وقال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم» قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب: (باسمك اللهم) كما كُنَّا نكتب. فقال المسلمون: والله لا تكتبها إلا (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله». فقال سهيل: والله لو كنا نعلمُ أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال



وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يس

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ من المعاصي ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ أي الأرض ﴿ مِن دَابَّةٍ ﴾ نسمة تدبّ عليها ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ فيجازيهم على أعمالهم، بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

﴿سورة يس﴾

[مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣
نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ المحكم بعجيب النظم، وبديع المعاني. [٣] ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾. [٤] ﴿ عَلَىٰ ﴾ متعلق بما قبله[1] ﴿ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: (لَسْتَ مُرْسَلًا). [٥] ﴿ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ بخلقه خبر مبتدأ مقدر، أي القرآن. [٦] ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ به ﴿ قَوْمًا ﴾ متعلق بـ ﴿تنزيل﴾ ﴿ مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿ فَهُمْ ﴾ أي القوم ﴿ غَافِلُونَ ﴾ عن الإيمان والرشد. [٧] ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ ﴾ وجب ﴿ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾ بالعذاب ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي الأكثر. [٨] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ بأن تُضمّ إليها الأيدي، لأن الغِلّ بجمع اليد إلى العنق ﴿ فَهِيَ ﴾ أي الأيدي مجموعة ﴿ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾ جمع ذقن، وهي مجتمع اللحيين ﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان، ولا يخفضون رؤوسهم له. [٩] ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ تمثيل أيضاً لسدّ طرق الإيمان عليهم. [١٠] ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. [١١] ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ ينفع إنذارك ﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ خافه ولم يره ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ هو الجنة. [١٢] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ للبعث ﴿ وَنَكْتُبُ ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ مَا قَدَّمُوا ﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾ ما اسْتُنَّ به بعدهم ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ نصبه بفعل يفسره: ﴿ أَحْصَيْنَاهُ ﴾: ضبطناه ﴿ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ كتاب بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

---

(١) أي: بالمرسلين، أي: المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة. ويمكن أن يكون: ﴿على صراط...﴾ خبر ثانٍ لـ: «إنّ» والمعنى: إنك لمن المرسلين، إنّك على صراطٍ مستقيم، وهو الأحق في العربية. (حاشية الجمل).

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ
الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن
لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن
يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[١٣] ﴿وَاضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَابَ﴾ مفعول ثان ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أي رسل عيسى. [١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره: بدل من (إذ) الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد: قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾. [١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾. [١٦] ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جارٍ مَجْرى القَسَم، وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾. [١٧] ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ المبين الظاهر بالأدلة الواضحة وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت. [١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. [١٩] ﴿قَالُوا طَائِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطية، وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وُعِظْتُم وخُوِّفْتُم، وجواب الشرط محذوف، أي تطيرتم وكفرتم، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحدَّ بشرككم. [٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عدواً لمَّا سمع بتكذيب القوم الرسلَ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾. [٢١] ﴿اتَّبِعُوا﴾ تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فقيل له: أنت على دينهم؟. [٢٢] فقال ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني، أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم. [٢٣] ﴿أَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في (أأنذرتهم) وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ صفة (آلهة). [٢٤] ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي إن عبدت غير الله ﴿لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. [٢٥] ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ أي اسمعوا قولي، فرجموه فمات. [٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عند موته ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: دخلها حياً(١) ﴿قَالَ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾. [٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾. [٢٨] ﴿۞ وَمَا﴾ نافية ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي حبيب ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ بعد موته ﴿مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

---

(١) أي: وقيل: لم يتمكنوا منه، بل لمَّا همُّوا بقتله رفعه الله من بينهم، وأدخله الجنة حيّاً إكراماً له، كما وقع لعيسى: أنَّه رفعه الله وأسكنه السَّماء.

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

الجزء ٢٣ الحزب ٤٥

[٢٩] ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ كَانَتۡ ﴾ عقوبتهم ﴿ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ صاح بهم جبريل ﴿ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾ ساكنون ميتون. [٣٠] ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، ونداؤها مجاز، أي هذا أوانُكِ فاحضري ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ مسوق لبيان سببها؛ لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة. [٣١] ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ أي أهل مكة القائلون للنبي (لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ) والاستفهام للتقرير: أي علموا ﴿ كَمۡ ﴾ خبرية بمعنى كثيراً معمولة لما بعدها مُعَلِّقَةٌ لما قبلها عن العمل، والمعنى: إنا ﴿ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم ﴾ كثيراً ﴿ مِّنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾ الأمم ﴿ أَنَّهُمۡ ﴾ أي المهلكين ﴿ إِلَيۡهِمۡ ﴾ أي المكذبين ﴿ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ أفلا يعتبرون بهم، و (أنه... إلخ): بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور. [٣٢] ﴿ وَإِن ﴾ نافية أو مخففة ﴿ كُلّٞ ﴾ أي كل الخلائق مبتدأ ﴿ لَّمَّا ﴾ بالتشديد بمعنى إلا، أو بالتخفيف، فاللام فارقة و «ما» مزيدة ﴿ جَمِيعٞ ﴾ خبر المبتدأ، أي مجموعون ﴿ لَّدَيۡنَا ﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿ مُحۡضَرُونَ ﴾ للحساب خبر ثان. [٣٣] ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ﴾ على البعث خبر مقدم ﴿ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ أَحۡيَيۡنَٰهَا ﴾ بالماء مبتدأ ﴿ وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا ﴾ كالحنطة ﴿ فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴾. [٣٤] ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ ﴾ بساتين ﴿ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴾ أي بعضها. [٣٥] ﴿ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾ بفتحتين، وضمتين، أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ أي لم تعمل الثمر ﴿ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ أنعمه تعالى عليهم. [٣٦] ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ ﴾ الأصناف ﴿ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ من الذكور والإناث ﴿ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة. [٣٧] ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ ﴾ نفصل ﴿ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ داخلون في الظلام. [٣٨] ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي ﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿ لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ أي إليه لا تتجاوزه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي جريها ﴿ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ بخلقه. [٣٩] ﴿ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿ قَدَّرۡنَٰهُ ﴾ من حيث سيره ﴿ مَنَازِلَ ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿ حَتَّىٰ عَادَ ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ أي كعود الشماريخ إذا عَتقَ فإنه يَدقُّ ويَتقوَّسُ ويَصْفرُّ. [٤٠] ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي ﴾ يسهل ويصح ﴿ لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿ وَكُلّٞ ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿ فِي فَلَكٖ ﴾ مستدير ﴿ يَسۡبَحُونَ ﴾ يسيرون، نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ العُقَلاءِ.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: (ذرياتهم)، أي آباءهم الأصول ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء. [٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه. [٤٣] ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ يُنْجَوْنَ. [٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم، وتمتيعنا إياهم بلذّاتهم إلى انقضاء آجالهم. [٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعرضوا. [٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. [٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ استهزاءً بهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن وللتصريح بكفرهم موقع عظيم. [٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. [٤٩] قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد أصله «يَخْتَصِمُونَ» نقلتْ حركةُ التاء إلى الخاء، وأُدغمَت في الصاد[1]، أي وهم في غفلة عنها بتخاصُم وتَبايُع وأكْلٍ وشُرْبٍ وغير ذلك، وفي قراءة (يَخْصِمُونَ) كَيَضْرِبُونَ، أي يَخْصِمُ بَعْضُهُمْ بعضاً. [٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي أنْ يُوصُوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها. [٥١] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ ـ هو قرن ـ النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة[2] ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة. [٥٢] ﴿قَالُوا۟﴾ أي الكفار منهم ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا وهو مَصْدَرٌ لا فِعْلَ له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك. [٥٣] ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾. [٥٤] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) أي: بعد نقل حركة التاء إلى الخاء وقلبها (أي التاء) صاداً. (حاشية الجمل).

(٢) بيَّن ابنُ حجر أن رواية الأربعين شاذة. انظر: فتح الباري (٨/ ٢٥٥).

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ربع الحزب ٤٥

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ ـ بِسُكُونِ الغَيْنِ وَضَمِّها ـ عما فيه أهل النار، مِمّا يَتَلَذَّذُونَ به، كافْتِضاضِ الأَبْكارِ، لا شُغل يَتْعَبُونَ فيه، لأنَّ الجنةَ لا نَصَبَ فيها ﴿فَٰكِهُونَ﴾ ناعِمُونَ، خبر ثان لـ (إن)، والأول: (في شغل). [٥٦] ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جَمْعُ «ظُلَّةٍ» أو «ظِلٍّ»، خَبَرٌ، أي لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جَمْعُ أَرِيكَةٍ، وهو السَّريرُ في الحَجَلَةِ[1]، أو الفُرُشُ فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ خبر ثان مُتَعَلِّقٌ (على): [٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ يتمنون. [٥٨] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي بالقول، خَبَرُهُ: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بهم، أي يقول لهم: سلام عليكم. [٥٩] ﴿وَ﴾ يقول ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي انفَرِدُوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم. [٦٠] ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ على لِسانِ رُسُلِي: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ العَداوَةِ. [٦١] ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وحِّدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقاً، جَمْعُ «جَبِيلٍ» كَقَدِيمٍ، وفي قراءة بضم الباء[2] ﴿كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ عداوته وإضلاله أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون، ويقال لهم في الآخرة: [٦٣] ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها. [٦٤] ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. [٦٥] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي الكفار لقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام، الآية: ٢٣] ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فَكُلُّ عُضْوٍ ينطق بما صدر منه. [٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعمَيْناها طَمْساً ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾ ابْتَدَروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذ؟ أي لا يُبْصِرُونَ. [٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مكاناتهم﴾ جَمْعُ «مَكانَةٍ» بمعنى مكان، أي في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء. [٦٨] ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بِإطالَةِ أَجَلِهِ ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة بالتشديد، مِنَ التَّنْكِيسِ ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي خَلْقِهِ، فيكونُ بَعْدَ قُوَّتِهِ وشبابِهِ ضَعيفاً وهَرِماً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ القادرَ على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث فيؤمنون، وفي قراءة بالتاء. [٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ رَدٌّ لقولهم: إنَّ ما أتى به مِنَ القرآن شِعْرٌ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ يسهل ﴿لَهُۥٓ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عِظَةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ مُظْهِرٌ للأحكام وغيرها. [٧٠] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء

(١) الحَجَلة: بفتحتين واحدة حجال العروس وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.
(٢) وبقيت قراءة ثالثة لم يشر إليها المصنف وهي: ﴿جِبِلًّا﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وهي قراءة نافع وعاصم.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

والتاء، به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به، وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به. [٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ عَمِلْناهُ بلا شَريكٍ ولا مُعِينٍ ﴿أَنْعَامًا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطُونَ.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سَخَّرْناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مَرْكُوبُهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ مِنْ لَبَنِها، جَمْعُ «مَشْرَب» بمعنى شِرْب، أو مَوْضِعُه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المُنْعِمَ عليهم بها فيؤمنون، أي ما فعلوا ذلك. [٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصناماً يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعونَ مِنْ عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم. [٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي آلهتهم، نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ العُقَلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي آلهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بزَعْمِهِمْ نَصْرَهُم ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النار معهم. [٧٦] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: لستَ مُرْسَلاً، وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره فنجازيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعلم، وهو العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ إلى أن صيّرناه شديداً قوياً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّنها في نفي البعث. [٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ مِنَ المَنِيّ، وهو أَغْرَبُ مِنْ مَثَلِه ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي بالية ولم يقل: رميمة بالتاء؛ لأنه اسمٌ لا صِفَةٌ، وروي أنه أخذ عظماً رميماً ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما بلي ورَمَّ؟ فقال ﷺ: «نَعَم ويُدْخِلُكَ النَّارَ». [٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه. [٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخ والعَفَار، أو كُلِّ شَجَرٍ إلا العِنَّاب ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ تَقْدَحُونَ، وهذا دالٌّ على القدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب. [٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿بَلَىٰ﴾ أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء. [٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب عطفاً على (يقول).

[٨٣] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ مُلك، زِيدَتْ «الواو» و«التاء» للمبالغة، أي القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُرَدُّون في الآخرة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

نصف الحزب ٤٥

﴿سورة الصافات﴾

[مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الملائكة تصف نفوسَها في العبادة، أو أجنحتَها في الهواء تنتظر ما تؤمر به. [٢] ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه. [٣] ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ أي قُرَّاءِ القرآنِ يَتْلُونَهُ ﴿ذِكْرًا﴾ مَصْدَرٌ مِنْ معنى (التاليات). [٤] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَوَٰحِدٌ﴾. [٥] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أي والمغارب للشمس، لها كلَّ يوم مَشْرِقٌ ومَغْرِبٌ. [٦] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ أي بضوئها أو بها، والإضافة للبيان، كقراءة تنوين (زينةٍ) المبينة بالكواكب. [٧] ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعل مقدر: أي حَفِظْنَاهَا بالشُّهُب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمُقدَّر ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ عاتٍ خارجٍ عن الطاعة. [٨] ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي الشياطين مستأنف، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الملائكة في السماء، وعُدِّيَ السماع بإلى لِتَضَمُّنِهِ معنى الإصْغاء، وفي قراءة بتشديد الميم والسين، أصله: «يَتَسَمَّعُون» أُدغمت التاء في السين ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من آفاق السماء. [٩] ﴿دُحُورًا﴾ مَصْدَرُ «دَحَرَهُ»: أي طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم. [١٠] ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ مصدر: أي المَرَّةَ، والاستثناء من ضمير (يسمعون): أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٌ﴾ يَثْقُبُهُ أو يَحْرِقُهُ أو يَخْبِلُهُ. [١١] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بـ(من) تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ لازم يلصق باليد، المعنى: أنَّ خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ، أي من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ مِنْ تَعَجُّبِكَ. [١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وُعِظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ لا يتَّعظون. [١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يستهزؤون بها. [١٥] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ فيها: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنٌ وقالوا مُنْكِرين للبعث: [١٦] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين. [١٧] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بسكون الواو عطفاً بـ(أو)، وبفتحها، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو، والمعطوف عليه محل إن واسمها، أو الضمير في (لمبعوثون) والفاصل همزة الاستفهام. [١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي صاغرون. [١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ ضمير مبهم يفسره ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفْعَلُ بهم.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

[٢٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يوم الحساب والجزاء. [٢١] ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ويقال للملائكة: [٢٢] ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾. [٢٣] ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ دُلُّوهم وسُوقُوهم ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ طريق النار.

[٢٤] ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبِسُوهم عند الصِّراط ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ويقال لهم توبيخاً: [٢٥] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً، كَحَالِكُم في الدنيا، ويقال عنهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ منقادون أذلاء. [٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون. [٢٨] ﴿قَالُوا﴾ أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عَنِ الجِهَةِ التي كُنَّا نَأْمَنُكُم منها، لحلفِكُم أنَّكُم على الحَقّ، فصدّقناكم واتّبعناكم، المعنى: أنكم أضللتمونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا﴾ أي المتبوعون لهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يَصْدُقُ الإضلالُ منا أَنْ لَوْ كنتم مؤمنين، فرجعتم عن الإيمان إلينا. [٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قُوّة وقُدْرة نقهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ ضالين مثلنا. [٣١] ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب: أي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: ١٣] ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَذَائِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم. [٣٢] ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المُعَلَّلُ بقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾. [٣٣] قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي لاشتراكهم في الغواية. [٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء: أي نعذبهم التابع منهم والمتبوع. [٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾. [٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أي لأجل قول محمد. قال تعالى: [٣٧] ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به، وهو أن لا إله إلا الله. [٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾. [٣٩] ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين، استثناء منقطع، أي ذُكِرَ جزاؤهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشياً. [٤٢] ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدل أو بيان للرزق، وهو ما يُؤْكَلُ تَلَذُّذاً لا لِحِفْظِ صِحَّةٍ، لأن أهل الجنة مُسْتَغْنُونَ عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى. [٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. [٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بَعْض. [٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كلٍّ منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء. [٤٦] ﴿بَيْضَاءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب. [٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يَغْتالُ عُقُولَهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرها،

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

منْ نَزَفَ الشاربُ وأَنْزَفَ، أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا. [٤٨] ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حَابِسَاتُ الأعيُنِ على أَزْواجهنَّ لا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم لِحُسْنهم عِنْدَهُنَّ ﴿عِينٌ﴾ ضِخامُ الأَعْيُن حِسانُها. [٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه وهو البياض في صفرة، أحسن ألوان النساء. [٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا. [٥١] ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ صاحب يُنكر البعث. [٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتاً ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث. [٥٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدّم ﴿لَمَدِينُونَ﴾ مَجْزيُّون ومُحاسَبون؟ أنكر ذلك أيضاً. [٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا. [٥٥] ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي رأى قرينه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في وسط النار. [٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تشميتاً: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مُخففة مِنَ الثَّقيلة ﴿كِدتَّ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينِ﴾ لتهلكني بإغوائك. [٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ إنْعامُهُ عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار. ويَقولُ أهل الجنة: [٥٨] ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ هو استفهامُ تَلَذُّذٍ، وتحدُّثٍ بنِعْمةِ الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب. [٦٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهلِ الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [٦١] ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك، وقيل: هم يقولونه. [٦٢] ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل مِنْ ضَيْفٍ وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المُعَدَّة لأهلِ النار، وهي من أخبث الشجر المُرِّ بتهامة، يُنْبِتُها الله في الجحيم كما سيأتي. [٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته. [٦٤] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي قعْرِ جهنّم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها. [٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المُشَبَّه بطَلْع النَّخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ الحيات القبيحة المنظر. [٦٦] ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدة جوعهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾. [٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوباً له. [٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها. [٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾. [٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يزعجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه. [٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية. [٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ من الرسل مخوِّفين. [٧٣] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الكافرين؛ أي عاقبتهم العذاب. [٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام. [٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: رب ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

له نحن، أي دعَانا على قومه فأهلكناهم بالغرَقِ. [٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي الغرَقِ. [٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم مِنْ نَسْله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سَام وهو أبو العرب والفرس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك. [٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسناً ﴿فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة. [٧٩] ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٨٠] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [٨١] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. [٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ كفار قومه. [٨٣] ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن تابعه في أصل الدين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وإن طال الزمان بينهما وهو ألفان وستمئة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح. [٨٤] ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ أي تابعه وقت مجيئه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشك وغيره. [٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ موبخاً ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾. [٨٦] ﴿أَئِفْكًا﴾ في همزيته ما تقدم ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ و (إفكاً) مفعول له، و (آلهة) مفعول به لـ (تريدون) والإفك: أسوأ الكذب، أي أتعبدون غير الله؟. [٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نَجّامِينَ، فخرجوا إلى عيدٍ لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم، زعموا التَّبَرُّكَ عليه، فإذا رجعوا؛ أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا. [٨٨] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه. [٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ عليل أي سأسقم. [٩٠] ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾. [٩١] ﴿فَرَاغَ﴾ مَالَ في خُفْيَةٍ ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلم ينطقوا. [٩٢] فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ فلم يجب. [٩٣] ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ بالقوة فكسرها، فَبَلَغَ قَوْمَهُ مِمَّنْ رَآهُ. [٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي يسرعون المشي فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها. [٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم موبخاً ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً. [٩٦] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وَحْدَه، و «ما» مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة. [٩٧] ﴿قَالُوا۟﴾ بينهم ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة. [٩٨] ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين فخرج من النار سالماً. [٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه، وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولداً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. [١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي ذي حلم كثير. [١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيتُ ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حقٌّ، وأفعالهم

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

بأمر الله تعالى ﴿ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ من الرأي، شَاوَرَهُ لِيأْنَسَ بالذَّبْحِ، وينقاد للأمر به ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾ به ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على ذلك. [١٠٣] ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ صَرَعَهُ عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى، وأَمَرَّ السكين على حَلْقِهِ فلم تعمل شيئاً، بمانِعٍ من القُدرة الإلهية. [١٠٤]﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾. [١٠٥] ﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾ بما أتيتَ به مما أمكنك من أمر الذبح، أي يكفيك ذلك، فجملة (ناديناه) جواب «لمَّا» بزيادة الواو ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناك ﴿ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الذبح المأمور به ﴿ لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ أي الاختبار الظاهر. [١٠٧] ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ ﴾ أي المأمور بذبحه، وهو إسماعيل أو إسحاق قولان[1] ﴿ بِذِبۡحٍ ﴾ بكبش ﴿ عَظِيمٖ ﴾ من الجنة وهو الذي قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مُكبِّراً. [١٠٨] ﴿ وَتَرَكۡنَا ﴾ أبقينا ﴿ عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ ثناءً حسناً. [١٠٩] ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ منا ﴿ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾. [١١٠] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناه ﴿ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. [١١٢] ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ ﴾ اسْتُدِلَّ بذلك على أن الذبيح غيره ﴿ نَبِيّٗا ﴾ حال مقدرة: أي يوجد مقدراً نبوته ﴿ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. [١١٣] ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ بتكثير ذريته ﴿ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ ﴾ وَلَدِهِ بجَعْلنا أكثَرَ الأنبياء من نسله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ ﴾ مؤمن ﴿ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾ كافر ﴿ مُبِينٞ ﴾ بيِّن الكفر. [١١٤] ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ بالنبوة. [١١٥] ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا ﴾ بني إسرائيل ﴿ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ أي استعباد فرعون إياهم. [١١٦] ﴿ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ ﴾ على القبط ﴿ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾. [١١٧] ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴾ البليغ البيان فيما أوتي به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة. [١١٨] ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ الطريق ﴿ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾. [١١٩] ﴿ وَتَرَكۡنَا ﴾ أبقينا ﴿ عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ ثناءً حسناً. [١٢٠] ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ منا ﴿ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾. [١٢١] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناهما ﴿ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾. [١٢٢] ﴿ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. [١٢٣] ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ ﴾ بالهمزة أوله، وتركه ﴿ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ قيل: هو ابن أخي هارون أخي موسى، وقيل: غيره، أُرْسِلَ إلى قوم ببعلبك ونواحيها. [١٢٤] ﴿ إِذۡ ﴾ منصوب باذكر مقدراً ﴿ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الله. [١٢٥] ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا ﴾ اسم صنم لهم مِنْ ذَهَب، وبه سُمي البلد أيضاً مضافاً إلى بك: أي أتعبدونه ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ تتركون ﴿ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ فلا تعبدونه. [١٢٦] ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ برفع الثلاثة على إضمار هو، وبنصبها على البدل من (أحسن).

---

(١) الذبيح هو إسماعيل، ومن جعله إسحاق فإنما هو إسرائيليات. قصص الأنبياء؛ لابن كثير (١٧٦)، طبعة دار ابن كثير، تحقيق: يوسف بديوي.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها. [١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناءً حسناً. [١٣٠] ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ قيل: هو إلياس المتقدم ذكره، وقيل: هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة (آل ياسين) بالمد، أي أهله المراد به إلياس أيضاً. [١٣١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٣٢] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٣٣] ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [١٣٤] اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾. [١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي الباقين في العذاب. [١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه. [١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي وقت الصباح يعني بالنهار.

الحزب ٤٦

[١٣٨] ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم؛ فتعتبرون به. [١٣٩] ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [١٤٠] ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ السفينة المملوءة حين غاضب قومه، لمّا لم ينزل بهم العذابُ الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لُجَّةِ البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة. [١٤١] ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارعَ أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر. [١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي آت بما يلام عليه، من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه. [١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [١٤٤] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة. [١٤٥] ﴿۞ فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بوجه الأرض: أي بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يوماً ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل كالفرخ الممعط. [١٤٦] ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ وهي القرع تظله بساقٍ على خلاف العادة في القرع، مُعْجِزةً له، وكانت تأتيه وَعْلةٌ صباحاً ومساء يشرب من لبنها حتى قوي. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً. [١٤٨] ﴿فَآمَنُوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أبقيناهم ممتعين بمالهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي آجالهم فيه. [١٤٩] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخاً لهم: ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أنّ الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فَيَخْتَصُّونَ بالأسنى[2]. [١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ خلقنا فيقولون ذلك. [١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُم

---

(١) انظر تفسير الآية: ٧٤ من هذه السورة ص ٤٤٨.

(٢) أي: بالقسم الأسنى؛ أي: الأرفع، وهو الذَّكَرُ. وفي نسخةٍ: بالأبناء.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

مِنْ إِفْكِهِمْ ﴾ كذبهم ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ . [١٥٢] ﴿ وَلَدَ اللَّهُ ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيه. [١٥٣] ﴿ أَصْطَفَى ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت، أي: أختار ﴿ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾؟ [١٥٤] ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الفاسد. [١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] -بإدغام التاء في الذال- أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد. [١٥٦] ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ حجة واضحة أن لله ولداً؟ [١٥٧] ﴿ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ ﴾ التوراة فأروني ذلك فيه ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ أي المشركون ﴿ بَيْنَهُ ﴾ تعالى ﴿ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ ﴾ أي الملائكة لاجتنانِهِمْ عن الأبصار ﴿ نَسَبًا ﴾ بقولهم: إنها بناتُ الله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾ أي قائلي ذلك ﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾ للنار يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿ سُبْحَٰنَ اللَّهِ ﴾ تنزيهاً له ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ بأن لله ولداً. [١٦٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾[2] أي المؤمنين استثناء منقطع أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي على معبودكم و (عليه) متعلق بقوله ﴿ بِفَٰتِنِينَ ﴾ أي أحداً. [١٦٣] ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ في علم الله تعالى. [١٦٤] قال جبريل للنبي ﷺ: ﴿ وَمَا مِنَّا ﴾ معشر الملائكة أحد ﴿ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ في السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه. [١٦٥] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ أقدامنا في الصلاة. [١٦٦] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. [١٦٧] ﴿ وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿ كَانُوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾: [١٦٨] ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا ﴾ كتاباً ﴿ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي من كتب الأمم الماضية. [١٦٩] ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ العبادة له. [١٧٠] قال تعالى: ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ﴾ بالكتاب الذي جاءهم، وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة كفرهم. [١٧١] ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ بالنصر ﴿ لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ وهي: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١]. [١٧٢] أو هي قوله: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾. [١٧٣] ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا ﴾ أي المؤمنين ﴿ لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴾ الكفار بالحجة والنُّصْرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة. [١٧٤] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي أَعْرِضْ عن كفار مكة ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ تؤمر فيه بقتالهم. [١٧٥] ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ عاقبة كفرهم. [١٧٦] فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾. [١٧٧] ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ بفنائهم قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿ فَسَاءَ ﴾ بئس صباحاً ﴿ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر. [١٧٨] ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾. [١٧٩] ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له ﷺ. [١٨٠] ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ

---

(١) وفي قراءة بالتخفيف.

(٢) انظر تفسير ذلك في الآية ٧٤ من هذه السُّورة ص ٤٤٨.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

الغلبة ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ بأن له ولداً. [١٨١] ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع. [١٨٢] ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

﴿سورة صٓ﴾

[مكية وآياتها ٨٦ أو ٨٨ آية نزلت بعد القمر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ صٓ ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ أي البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف: أي: ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة. [٢] ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من أهل مكة ﴿ فِى عِزَّةٍ ﴾ حمية وتكبُّر عن الإيمان ﴿ وَشِقَاقٍ ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ. [٣] ﴿ كَمْ ﴾ أي كثيراً ﴿ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿ فَنَادَوا۟ ﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أي ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل (نادوا)، أي استغاثوا، والحال ألا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة. [٤] ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث، وهو النبي ﷺ ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾. [٥] ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ أي عجيب. [٦] ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب، وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله ﴿ أَنِ ٱمْشُوا۟ ﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ منا. [٧] ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي ملة عيسى ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ كذب. [٨] ﴿ أَءُنزِلَ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على محمد ﴿ ٱلذِّكْرُ ﴾ أي القرآن ﴿ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، أي لم ينزل عليه، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ﴾ وحيي أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿ بَل لَّمَّا ﴾ لم ﴿ يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الغالب ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ من النبوّة وغيرها فيعطونها من شاؤوا. [١٠] ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إن زعموا ذلك ﴿ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴾ الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا، و «أَمْ» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿ جُندٌ مَّا ﴾ أي هم جند حقير ﴿ هُنَالِكَ ﴾ في تكذيبهم لك ﴿ مَهْزُومٌ ﴾ صفة جند ﴿ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ صفة جند أيضاً، أي كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قُهروا وأُهلكوا فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾ كانَ يَتِدُ لِكُل مَنْ يَغْضَبُ عليه أربعةَ أوتادٍ يَشُدُّ إليها يَدَيْهِ ورجْلَيْه ويعذبه. [١٣] ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ أي الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾. [١٤] ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ كُلٌّ ﴾ من الأحزاب ﴿ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم؛ فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿ فَحَقَّ ﴾ وجب ﴿ عِقَابِ ﴾. [١٥] ﴿ وَمَا يَنظُرُ ﴾ ينتظر ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾

اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

أي كفار مكة ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ هي نفخة القيامة تحل بهم العذاب ﴿ مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ بفتح الفاء وضمها: رجوع. [١٦] ﴿ وَقَالُوا ﴾ لما نزل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ إلخ [الحاقة: ١٩]: ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ أي كتاب أعمالنا ﴿ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

ربع الحزب ٤٦

[١٧] قال تعالى: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ أي القوة في العبادة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقومُ نصفَ الليل وينامُ ثُلُثَه، ويقوم سُدُسَهُ ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ رجاع إلى مرضاة الله. [١٨] ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ ﴾ بتسبيحه ﴿ بِالْعَشِيِّ ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءُها. [١٩] ﴿ وَ ﴾ سخرنا ﴿ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿ كُلٌّ ﴾ من الجبال والطير ﴿ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ رجّاع إلى طاعته بالتسبيح. [٢٠] ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ قوّيناه بالحرس والجنود، وكان يَحْرُس محرابَه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ البيان الشافي في كل قصد. [٢١] ﴿ ۞ وَهَلْ ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿ أَتَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ محراب داود، أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب، لشغله بالعبادة، أي خبَرُهم وقصَّتُهم. [٢٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ نحن ﴿ خَصْمَانِ ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان

سجدة

جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر، على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوّجها ودخل بها[1] ﴿ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ تجُرْ ﴿ وَاهْدِنَا ﴾ أرشدنا ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ وسط الطريق الصواب. [٢٣] ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي ﴾ أي على ديني ﴿ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ أي اجعلني كافلها ﴿ وَعَزَّنِي ﴾ غلبني ﴿ فِي الْخِطَابِ ﴾ أي الجدال، وأقره الآخر على ذلك. [٢٤] ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ ﴾ ليضمها ﴿ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴾ الشركاء ﴿ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود. قال تعالى: ﴿ وَظَنَّ ﴾ أي أيقن ﴿ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ أي ساجداً ﴿ وَأَنَابَ ﴾. [٢٥] ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ أي زيادة خير في الدنيا ﴿ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ مرجع في الآخرة. [٢٦] ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ

---

(١) أنكر الخازن ذلك بحق آحاد الناس فكيف بمن اختصه الله بنبوته؟!. واستشهد بأقوال القاضي عياض والرازي. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصّاص جلدته مئتين وستين، وهو حدّ الفرية على الأنبياء.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تُدَبِّرُ أمر الناس ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب؛ لآمنوا في الدنيا. [٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ عبثاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ وادٍ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. [٢٨] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نُعطى في الآخرة مثل ما تعطون، و «أم» بمعنى همزة الإنكار. [٢٩] ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ أصله: يَتَدَبَّرُوا، أُدْغِمَت التاءُ في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يَتَّعِظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول. [٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجَّاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل، جَمْعُ «صَافِنَة» وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صَفَنَ يَصْفِنُ صُفُوناً ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع جواد وهو السابق، المعنى أنها إذا استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس عُرِضَتْ عليه بعد أن صلى الظهر، لإرادته الجهاد عليها لعدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمئة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم. [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي أردت ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ أي استترت بما يحجبها عن الأبصار[1]. [٣٣] ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ أي الخيل المعروضة فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بالسيف ﴿بِٱلسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوَّضه الله خيراً منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها[2]، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾[3] هو ذلك الجني

---

(١) يرجح الإمام الفخر الرازي بعد مناقشة وافية أنه لم يكن هناك فوات صلاة العصر، وأن التي توارت بالحجاب هي الخيل، وأن مسح السوق والأعناق من قبيل التكريم، وهذا مطابق للفظ القرآن، (عصمة الأنبياء للرازي: ١٠٦ وما بعدها) وذكره الخازن في تفسيره.

(٢) القياس: هَوِيها. وفي نسخة: يهواها.

(٣) ما ذكر من تشبه الشيطان بسليمان لا يصح والأنبياء معصومون عن مثل هذا. ذكره القاضي عياض وغيره من المحققين. وذهب بعضهم أن سبب الفتنة ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في=

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

وهو صخر أو غيره جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه.[1] [٣٥] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى ﴾ لا يكون ﴿ لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ أي سواي نحو ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي سوى الله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾. [٣٦] ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ﴾ لينة ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أراد. [٣٧] ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ. [٣٨] ﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ منهم ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ مشدودين ﴿ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. [٣٩] وقلنا له: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ ﴾ أعط منه من شئت ﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ عن الإعطاء ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي لا حساب عليك في ذلك.

نصف الحزب ٤٦

[٤٠] ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ تقدم مثله. [٤١] ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾ أي بأني ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾ ضر ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالى. [٤٢] وقيل له: ﴿ ٱرْكُضْ ﴾ اضرب ﴿ بِرِجْلِكَ ﴾ الأرض فضرَبَ، فنبعَتْ عَيْنُ ماء فقيل: ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾ ماء تغتسل به ﴿ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره. [٤٣] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ أي أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿ رَحْمَةً ﴾ نعمة ﴿ مِّنَّا وَذِكْرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ لأصحاب العقول. [٤٤] ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ ﴾ زوجتك وكان قد حلف ليضربنَّها مئة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ بترك ضربها، فأخذ مئة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ أيوب ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ رجّاع إلى الله تعالى. [٤٥] ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى ﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة ﴿عبدنا﴾ و ﴿إبراهيم﴾ بيان له وما بعده عطف على ﴿عبدنا﴾. [٤٦] ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ﴾ هي ﴿ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ الآخرة، أي ذكرها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان. [٤٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين ﴿ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ جمع خيّر بالتشديد. [٤٨] ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ ﴾ وهو نبيّ، واللام زائدة ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ اختلف في نبوّته، قيل: كفَلَ مئة نبي فرّوا إليه من القتل ﴿ وَكُلٌّ ﴾ أي كلهم ﴿ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ جمع خيِّر، بالتثقيل. [٤٩] ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الشاملين لهم ﴿ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ مرجع في الآخرة.

= سبيل الله. فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحدُ شقَّيه». فقال النبي ﷺ: «لو قالها؛ لجاهدوا في سبيل الله». (البخاري: ٣٤٢٤).

وقال العلماء: والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه، وفتنته نسيان المشيئة، فامتحن بهذا فتاب ورجع. (حاشية الصاوي).

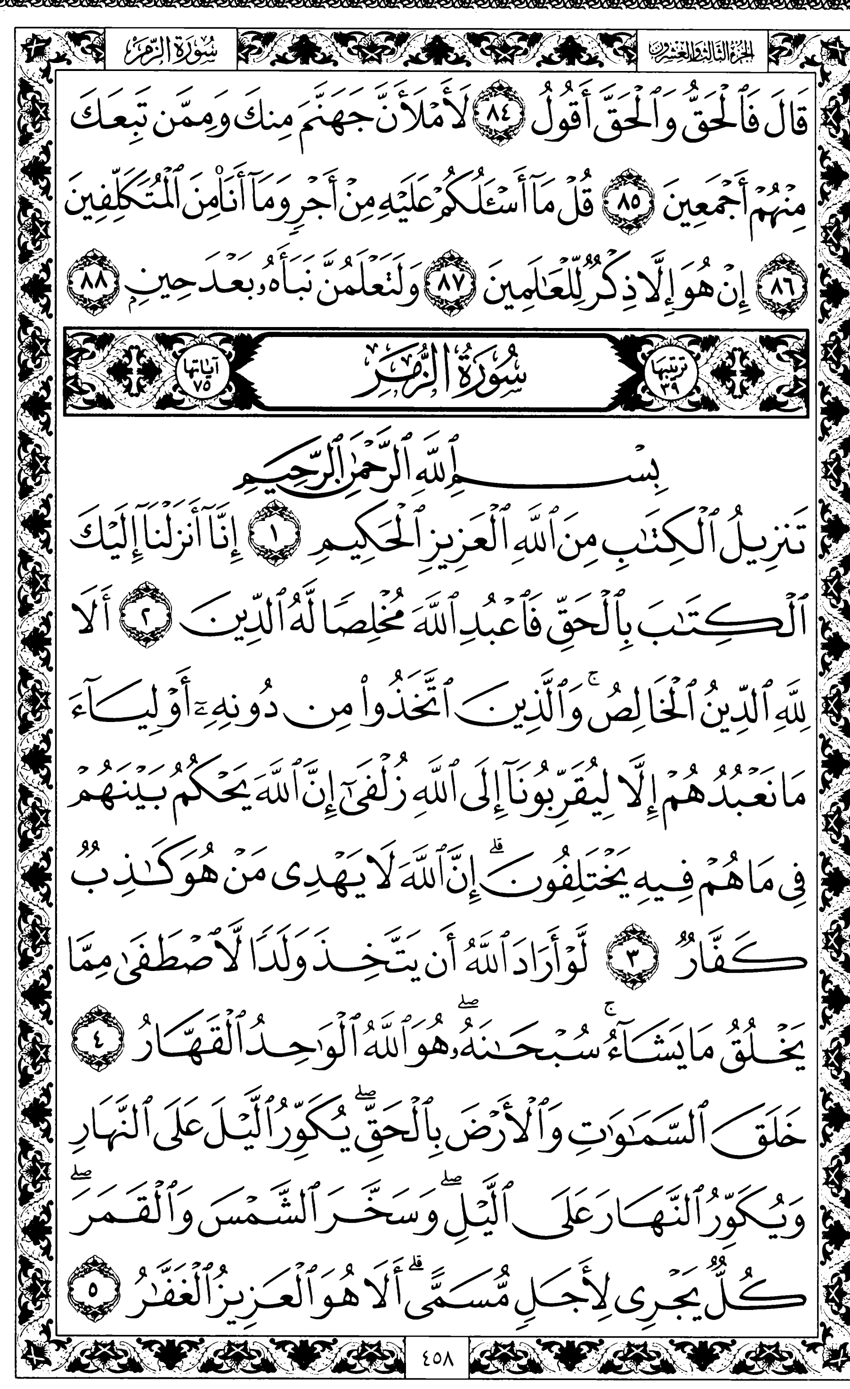
---

(١) فيه نظر؛ لأنَّ هذا تنقيص لهذا النبي واستيلاء على أزواجه المطهرات، وهذا مما يُعْلَم بُطْلانه؛ إذ أنَّ أعراضَ الأنبياء محفوظة من الله تعالى.

وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

[٥٠] ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ منها. [٥١] ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾. [٥٢] ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ أسنانهن واحدة، وهُنَّ بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع ترب. [٥٣] ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالغيبة وبالخطاب التفاتاً ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي لأجله. [٥٤] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي انقطاع والجملة حال من (رزقنا) أو خبر ثان لـ (إن)، أي دائماً أو دائم. [٥٥] ﴿هَٰذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾. [٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش. [٥٧] ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار. [٥٨] ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالجمع والإفراد ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أصناف، أي عذابهم من أنواع مختلفة. [٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتبعون: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي لا سَعَةً عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾. [٦٠] ﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي الكفر ﴿لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ لنا ولكم النار. [٦١] ﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾. [٦٢] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي كفار مكة وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾. [٦٣] ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها، كنا نَسْخَرُ بهم في الدنيا، والياء للنسب: أي أمفقودون هم ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فلم نرهم، وهم فقراء المسلمين كعَمّار وبلال وصُهَيْب وسَلْمان. [٦٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ واجب وقوعه وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ كما تقدم. [٦٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مخوّف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لخلقه. [٦٦] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لأوليائه. [٦٧] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾. [٦٨] ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يُعْلَم إلا بوحي وهو قوله: [٦٩] ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ أي الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إلخ [البقرة: ٣٠]. [٧٠] ﴿إِن﴾ ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي أني ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار. [٧١] اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ هو آدم. [٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء. [٧٣] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان. [٧٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في علم الله تعالى: [٧٥] ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أي توليت خلقه، وهذا تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه[1] ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾

(١) ليس تولّي خَلْق آدم هو معنى اليدين، بل هو تعطيل لصفة اليدين، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، ومن هنا يبطل تأويل مَنْ فسَّر اليدين بالقدرة، أو بتولي الخَلق؛ لأن المقصود أنَّ الله خَلق آدم باليدين حقيقةً.


الجزء الثالث والعشرون ۝ سورة الزمر

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ — ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

٤٥٨

الآن عن السجود، استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ المتكبرين فتكبّرتَ عن السجود لكونك منهم. [٧٦] ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾. [٧٧] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود. [٧٨] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء. [٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس. [٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾. [٨١] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى. [٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. [٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ﴾(١) أي المؤمنين. [٨٤] ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني، فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول، قيل بالفعل المذكور، وقيل على المصدر: أي أُحِقُّ الحَقَّ، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر: أي: فالحَقُّ مني، وقيل: فالحقُّ قَسَمِي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾. [٨٦] ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جُعْلٍ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المُتَقَوِّلينَ القرآن مِنْ تِلْقاء نفسي. [٨٧] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة. [٨٨] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ أي يوم القيامة. وعلم بمعنى: عرف، واللام قبلها لام قسم مقدَّر: أي والله.

﴿سورة الزمر﴾

[مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه. [٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك: أي موحداً له. [٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قُرْبَى، مصدر بمعنى تقريباً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين فيُدْخِلُ المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله. [٤] ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ واتخذه ولداً غير مَنْ قالوا: مِنَ (الملائكة بنات الله) و (عزير ابن الله)، و (المسيح ابن الله) ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لخلقه. [٥] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ﴾

---

(١) انظر الآية ٤٧ من سورة الصافات ص ٤٤٨.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

﴿ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لأوليائه. [٦] ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ من كل زوجان ذكر وأنثى، كما بيّن في [سورة الأنعام الآيتان: ١٤٣-١٤٤] ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي نُطفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ هي ظُلْمَةُ البَطْن، وظُلْمَةُ الرَّحِم، وظلمة المَشِيمَة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره.

[٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وإن أراده من بعضهم ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ﴾ بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه: أي الشُّكْرَ ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نَفْسٌ ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ تضرّع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعاً ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾ أعطاه إنعاماً ﴿مِّنْهُ نَسِىَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟﴾ يتضرّع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله، فـ (ما) في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقيّة أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾ بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ﴾ جنة ﴿رَبِّهِۦ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾ فأم بمعنى بل والهمزة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يستويان كما لا يستوي العَالِمُ والجَاهِلُ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتّعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول. [١٠] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فهاجروا إليها مِنْ بَيْنِ الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعة وما يُبْتَلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير مِكْيال ولا ميزان.

النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله» قال الزهري: وذلك لقوله لا يسألوني خُطَّةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟! فبينما هم كذلك إذ دخل

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ من الشرك. [١٢] ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ ﴾ أي بأن ﴿ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمة. [١٣] ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. [١٤] ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ من الشرك. [١٥] ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ غيره. فيه تَهْديدٌ لهم وإيذانٌ بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بتَخْليد الأنفُس في النار، وبعَدَم وُصُولِهم إلى الحُور المُعَدَّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ البيِّن. [١٦] ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ طِباقٌ ﴿ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ من النار ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ أي المؤمنين ليَتَّقُوه، يَدُلُّ عليه: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾. [١٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الأوثان ﴿ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ ﴾ أقبلوا ﴿ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ بالجنة ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾. [١٨] ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أصحاب العقول. [١٩] ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾[السجدة: ١١] ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ ﴾ تخرج ﴿ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار. [٢٠] ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ ﴾ بأن أطاعوه ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب بفعله المقدَّر ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ وعده. [٢١] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعلم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ ﴾ أدْخلَهُ أمْكنَةَ نبْع ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ ييبس ﴿ فَتَرَىٰهُ ﴾ بعد الخُضْرَة مثلاً ﴿ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ﴾ فُتاتاً ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ تذكيراً ﴿ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته.

أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن تَرُدَّهُ إليَّ. فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: «فأجزه لي» قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نعطي الدنيَّةَ في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسكْ بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدّثنا أنا نأتي البيت ونطوف به، قال: بلى فأخبرك أنك آتيه العام. قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تُكَلِّمْ أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك. نحر بُدْنَهُ ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ فطلَّقَ عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك. فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة. فجاءه

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[٢٢] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كَمَنْ طَبَعَ على قَلْبِه، دلَّ على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عن قبول القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. [٢٣] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ بدل من ﴿أحسن﴾، أي قرآناً ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه بَعْضُهُ بَعْضاً في النَّظْم وغيره ﴿مَّثَانِىَ﴾ ثُنّي فيه الوَعْدُ والوَعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ تَرْتَعدُ عند ذكْر وَعيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. [٢٤] ﴿أَفَمَن يَتَّقِى﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي أشدَّه، بأن يُلْقَى في النار مَغْلولةً يَداهُ إلى عُنُقه، كمَنْ أَمِنَ منه بدخول الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كفار مكة: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. [٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذُّلَّ والهوان من المَسْخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا. [٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتّعظون. [٢٨] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي لُبْس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر. [٢٩] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحِّد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بَدَلٌ من مثلاً ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون سَيِّئَةٌ أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَالِماً﴾[1] خالصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز: أي لا يَستوي العَبْدُ لجماعة والعَبْدُ لواحد، فإنَّ الأولَ إذا طَلَبَ منه كُلٌّ من مَالكَيْه خدْمَتَهُ في وقت واحد، تحَيَّرَ فيمن يَخْدُمُهُ منهم، وهذا مَثَلٌ للمُشْرك، والثاني مَثَلٌ للمُوحِّد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون. [٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ. [٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغ ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت ، فقال أبو بصير : أرني

(١) ﴿سالماً﴾ قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون ﴿سَلَمًا﴾.

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿۞ فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوىً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بلى. [٣٣] ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فـ (الذي) بمعنى الذين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشرك. [٣٤] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم. [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (أسوأ) و (أحسن) بمعنى السيىء والحسن. [٣٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي النبي، بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي الأصنام، أن تقتُلَهُ أو تخبلَهُ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. [٣٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى. [٣٨] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ لا، وفي قراءة بالإضافة فيهما[1] ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون. [٣٩] ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [٤٠] ﴿مَن﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله بِبَدْرٍ.

أنظر إليه فأمكنه به فضربه حتى برد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يَعدُو ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد رأى هذا الرجل ذُعْراً » فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال : قُتِلَ صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . قال النبي ﷺ : « ويل أمه مِسْعَرُ حرب لو كان له أحد » ، فلما سمع ذلك عرف أنه سَيَرُدُّهُ إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله مايسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم ، لما أرسل فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم . وحالوا بينهم وبين البيت . [رواه البخاري وغيره] .

---

(١) أي : تُقرأ الأولى : ﴿كاشفاتُ ضُرِّه﴾ ، والثانية : ﴿ممسكاتُ رحمتِه﴾ .

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ متعلق بـ (أنزل) ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ اهتداؤه ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴾ فتجبرهم على الهدى. [٤٢] ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَ ﴾ يتوفى ﴿ ٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ ﴾ أي يتوفاها وقت النوم ﴿ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ أي وقت موتها، والمُرْسَلَةُ نَفْسُ التَّمْييز، تَبْقَى بدُونها نَفْسُ الحياة، بخلاف العكس[1] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَأٓيَٰتٖ ﴾ دلالات ﴿ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك، قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك. [٤٣] ﴿ أَمِ ﴾ بل ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿ شُفَعَآءَۚ ﴾ عند الله بزعمهم ﴿ قُلۡ ﴾ لهم ﴿ أَ ﴾ يشفعون ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿ وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا. [٤٤] ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ أي هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾. [٤٥] ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ﴾ أي دون آلهتهم ﴿ ٱشۡمَأَزَّتۡ ﴾ نفرت وانقبضت ﴿ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الأصنام ﴿ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾. [٤٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾ بمعنى يا الله ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مبدعهما ﴿ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق. [٤٧] ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا ﴾ ظهر ﴿ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴾ يظنون.

وعن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غِرَّةَ النبي ﷺ وأصحابه فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾. [رواه مسلم وغيره].

وعن إياس بن سلمة حدّثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مئة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال: فقعد رسول الله ﷺ على جَبَا الركبة فإما دعا وإما بصق فيها قال: فجاشت فسقينا واستقينا قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة قال: فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس قال: «وأيضاً» قال: ورآني رسول الله ﷺ عَزِلاً "يعني ليس معه سلاح" قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حَجَفَةً أو دَرَقَة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس قال: «وأيضاً» قال: فبايعته الثالثة ثم قال لي: «يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟» قال: قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلاً

---

(١) أي: لا تبقى نفس التمييز من دون نفس الحياة. (حاشية الجمل).

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي العذاب. [٤٩] ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الجنس ﴿ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ ﴾ أعطيناه ﴿ نِعْمَةً ﴾ إنعاماً ﴿ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ﴾ من الله بأني له أهل ﴿ بَلْ هِىَ ﴾ أي القولة ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ بَلِيَّةٌ يُبْتَلَى بها العبدُ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن التخويل استدراج وامتحان. [٥٠] ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم كقارون وقومه الراضين بها ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾. [٥١] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي جزاؤها ﴿ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي قريش ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين عذابنا، فقُحِطوا سَبْعَ سنين ثم وُسِّعَ عليهم. [٥٢] ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يُوَسِّعُهُ ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضَيِّقُهُ لمن يشاء ابتلاءً ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ به. [٥٣] ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ ﴾ بكسر النون وفتحها، وقرىء بضمها[1]: تيأسوا ﴿ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. [٥٤] ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ ﴾ ارجعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ ﴾ أخلصوا العمل ﴿ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ بمنعه إن لم تتوبوا. [٥٥] ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ هو القرآن ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ قبل إتيانه بوقته. [٥٦] فبادروا قبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ أَصْلُهُ: يا حَسْرَتِي، أي نَدَامَتِي ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ أي طاعته ﴿ وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة، أي: وإني ﴿ كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ بدينه وكتابه.

ربع الحزب ٤٧

فأعطيته إياها قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: «إنك كالذي قال الأول اللهم أبغني حبيباً، هو أحب إلي من نفسي» ثم إن المشركين راسلونا الصلح، حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا قال: وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه، وأحُسُّه، وأخدمه، وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله ﷺ قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فكسحت شوكها، فاضطجعت في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم فتحولتُ إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا للمهاجرين قتل ابن زُنَيم قال: فاخترَطتُ سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضِغْثاً في يدي قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منك رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مِكْرَز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه» فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ

---

(١) وهي قراءة شاذة.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عذابه. [٥٨] ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين، فيُقالُ له مِنْ قبلِ اللهِ: [٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [٦٠] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى. [٦١] ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بمكانِ فَوْزِهِمْ مِنَ الجَنَّةِ بِأَنْ يُجْعَلُوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. [٦٢] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاء. [٦٣] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾... إلخ وما بينهما اعتراض. [٦٤] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ (غير) منصوب بـ (أعبد) المعمول لـ (تأمروني) بتقدير «أن» بنون واحدة، وبنونين بإدْغام وفكٍّ. [٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. [٦٦] ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إنعامه عليك. [٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عرَفُوهُ حقّ معْرفتِهِ، أو ما عظَّمُوهُ حقّ عظَمتِهِ حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال: أي السبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي مقبوضة له: أي في ملكه وتصرُّفه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته(1) ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية كلها قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلاً بيننا وبين بني لحيان جبل وهم المشركون فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقى هذا الجبل الليلة، كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه، قال سلمة: فرقيت تلك الليل مرتين أو ثلاثاً، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رَباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أُنَدِّيه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قال: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلِغْه طلحة بن عبيد الله وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكَمَةٍ فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثاً: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنــــا ابــــنُ الأكـــوع ... واليـــوم يـــومُ الـــرُّضَّـــع

فألحق رجلاً منهم فأصك سهماً في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه قلت خذها و:

أنــــا ابــــن الأكـــوع ... واليـــوم يـــوم الـــرُّضَّـــع

(١) ليست القدرة هي معنى اليمين، بل تطوى السموات يوم القيامة وتكون في يمين الله عز وجل.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النفخةُ الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ما يفعل بهم. [٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلّى اللّهُ لِفصْلِ القضاءِ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. [٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعنْفٍ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب إذا ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[السجدة: ١١]. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [٧٢] ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ مقدّرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم. [٧٣] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير «قد» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حال ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود فيها، وجواب (إذا) مُقدَّر، أي دُخولُها، وسَوْقُهُم، وفتْحُ الأَبواب قبْلَ مجيئهم تَكْرِمَةٌ لهم، وسَوْقُ الكفار، وفَتْحُ أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرُّها إليهم إهانةٌ لهم. [٧٤] ﴿وَقَالُواْ﴾ عطف على «دخولها» المقدر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الجنة.

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجع إليَّ فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ، ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة ، قال : فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، وخلوا بيني وبينه ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بُرْدَةً وثلاثين رمحاً يستخفون ، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتوا متضايقاً من ثَنِيَّة ، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون « يعني يتغدون » وجلست على رأس قرن قال الفزاري : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا قال : فَلْيقم إليه نفر منكم أربعة قال : فصعد إلي منهم أربعة في الجبل قال : فلما أمكنوني من الكلام قال قُلت : هل تعرفوني ؟ قالوا : لا ومن أنت ؟ قال : قلت : أنا سَلَمَةُ بن الأكوع ، والذي كرم وجه محمد ﷺ ، لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ولا يطلبني رجل منكم فيدركني قال أحدهم : أنا أظنُّ قال : فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال : فإذا أولهم الأخرَمُ الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي قال : فأخذت بعنان الأخرم قال : فولوا مدبرين قلت : يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال : فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن قال : فعقر بعبد الرحمن فرسه ، وطعنه عبد الرحمن فقتله ،

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[٧٥] ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ مِنْ كُلِّ جانبٍ منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير (حافِّينَ) ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خُتِمَ اسْتِقرارُ الفَريقينِ بالحَمْدِ مِنَ الملائكة.

نصف الحزب ٤٧

﴿سورة غافر﴾

[مكية إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه. [٣] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم، مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للكافرين أي مشدده ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع. [٤] ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار. [٥] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لهم، أي هو واقعٌ موقعه. [٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآية [هود: ١١٩] ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ بدل مِنْ (كلمة). [٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي وَسِعَتْ رحْمَتُكَ كلَّ شيء، وعِلْمُكَ كل شيء ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار.

وتحول على فرسه ، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله ، فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قَرَد ليشربوا منه ، وهم عطاش قال : فنظروا إلي أعدو وراءهم فحَلَّيتُهم عنه « يعني أجليتهم عنه » فما ذاقوا منه قطرة قال : ويخرجون فيشتدون في ثنية قال : فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه قال : قلت : خذها و :

أنـــا ابـــن الأكـــوع　　　والـيــوم يـــوم الـــرضـــع

قال : يا ثكلته أمه أكْوَعُه بكرة ؟ قال : قلت : نعم يا عدو نفسه أكوَعُك بكرة قال : وأردوا فرسين على ثنية قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال :

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ ﴾ عطف على «هم» في: وأدخلهم أو في: وعدتهم ﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في صنعه. [٩] ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي عذابها ﴿ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾. [١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ ﴾ مِنْ قِبَلِ الملائكة، وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿ لَمَقْتُ ٱللَّهِ ﴾ إيّاكم ﴿ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾. [١١] ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ إماتتَيْن ﴿ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ إحياءتين لأنهم نُطَفٌ أمواتٌ، فأُحْيُوا، ثُمَّ أُمِيتُوا، ثم أُحْيُوا للبَعْثِ ﴿ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ بكفرنا بالبعث ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لِنُطيعَ ربَّنا ﴿ مِّن سَبِيلٍ ﴾ طريق. وجوابهم: لا. [١٢] ﴿ ذَٰلِكُم ﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿ بِأَنَّهُۥٓ ﴾ أي بسبب أنه في الدنيا ﴿ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ﴾ بتوحيده ﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ ﴾ يجعل له شريك ﴿ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿ فَٱلْحُكْمُ ﴾ في تعذيبكم ﴿ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ﴾ على خلقه ﴿ ٱلْكَبِيرِ ﴾ العظيم. [١٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ دلائل توحيده ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ بالمطر ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ يتّعظ ﴿ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ يرجع عن الشرك. [١٤] ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ اعبدوه ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ من الشرك ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إخلاصكم منه. [١٥] ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ أي الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ خالقهُ ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ ﴾ الوَحْيَ ﴿ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ أي قوْلِهِ ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ ﴾ يخوِّف المُلقى عليه النَّاسَ[1] ﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ بحذف الياء وإثباتها: يَوْمَ القِيامَةِ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه. [١٦] ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ خارجون من قبورهم ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ يقوله تعالى، ويجيب نفسه ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أي لِخَلْقِهِ.

ولحقني عامر بسطيحة فيها مَذْقَةٌ من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت، وشربت ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حليتهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته مِن المشركين وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله خَلِّني فأنتخب من القوم مئة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار فقال: «يا سلمة أتراك كنت فاعلاً» قلت: نعم والذي أكرمك فقال: «إنهم الآن ليَقرُون في أرض غَطَفَان» قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم جزوراً فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً فقال: أتاكم القوم فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة» ثم قال: ثم أعطاني

---

(١) هذا هو المفعول الأول للفعل «يُنْذِرَ»، والمفعول الثاني هو: «يوم التلاق». (حاشية الجمل).

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

[١٧] ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديثٍ بذلك. [١٨] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ يوم القيامة، مِنْ أَزِفَ الرَّحِيلُ: قَرُبَ ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ ﴾ تَرْتَفِعُ خَوْفاً ﴿ لَدَى ﴾ عند ﴿ ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ ممتلئين غمّاً، حال من القلوب، عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ محبّ ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾[الشعراء: ١٠٠] أوّلُه مفهوم بناءً على زعمهم أن لهم شفعاء، أي لو شفعُوا فَرْضاً لم يُقْبَلُوا. [١٩] ﴿ يَعْلَمُ ﴾ أي الله ﴿ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرَّم ﴿ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ القلوب. [٢٠] ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ يعبدون، أي كفار مكة، بالياء والتاء ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾ وهم الأصنام ﴿ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ﴾ فكيف يكونون شركاء لله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بأفعالهم. [٢١] ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ ﴾ وفي قراءة: منكم ﴿ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من مصانع[1] وقصور ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أهلكهم ﴿ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ عذابه. [٢٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾. [٢٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان بيِّن ظاهر. [٢٤] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ ﴾ هو ﴿ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾. [٢٥] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ ﴾ استبْقُوا ﴿ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ هلاك.

رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعاً ، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العَضْباء راجعين إلى المدينة قال : فبينما نحن نسير قال : وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً قال : فجعل يقول : ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ فجعل يعيد ذلك قال : فلما سمعت كلامه قلت : أما تُكرِمُ كريماً ولا تَهابُ شريفاً ؟ قال : لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ قال : قلت : يا رسول الله بأبي وأمي ذرني فلأسابق الرجل قال : « إن شئت » قال : قلت : أذهب إليك وثنيت رجلي فطفرت فعدوت قال : فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي ثم عدوت في أثره فربطت عليه شرفاً أو شرفين ثم إني رفعت حتى ألحقه ، قال : فأصُكُّهُ بين كتفيه قال : قلت : قد سبقت والله قال : أنا أظن قال : فسبقته إلى المدينة قال : فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ قال : فجعل عمي عامر يرتجزُ بالقوم :

تـــالله لـــولا اللهُ مـــا اهتَـــدينــا ولا تصـــدَّقنـــا ولا صلينـــا

---

(١) «مصانع»: جمع مصنع، وهو مكان في الأرض تُخزن فيه المياه.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ
لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا
فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ
لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ
وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يَكُفُّونَهُ عن قَتْلِهِ ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ لِيَمْنَعْهُ مني ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ من عبادتكم إياي فتتبعوه ﴿وَأَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: (أو)، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال. [٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه وقد سمع ذلك ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾. [٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قيل: هو ابن عَمِّهِ ﴿يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ أي ضَرَرُ كَذِبِهِ ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٞ﴾ مُفْتَرٍ. [٢٩] ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين حال ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مِصْرَ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ أي لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ طريق الصواب. [٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ أي يوم حزب بعد حزب. [٣١] ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ (مِثْل) بَدَلٌ من (مِثْل) قَبْلَهُ، أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾. [٣٢] ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ بحذف الياء وإثباتها، أي يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك. [٣٣] ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

ونحـن عـن فضلـك مـا استغنينـا   فثبِّـتِ الأقـدامَ إن لاقَينـا
وأنـزلـن سكينة علينـا

فقال رسول الله ﷺ: « من هذا؟ » قال: أنا عامر قال: « غفر لك ربُّك » قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له، يا نبي الله لولا ما متعتنا بعامر قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج مَلِكُهُم مرحَبُ يخطر بسيفه ويقول:

قَـد علمَـت خيبـرُ أنِّـي مـرحَـبُ   شـاكـي السِّـلاح بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قَـد علمـت خيبـرُ أنِّـي عـامِـرُ   شـاكـي السِّـلاحِ بطَـلٌ مُغَـامِـرُ

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبلَ موسى، وهو يوسف بن يعقوب في قولٍ، عُمِّرَ إلى زمن موسى[1]، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قولٍ ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ ﴾ من غير برهان ﴿ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ ﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل إضلالكم ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ مشرك ﴿ مُّرْتَابٌ ﴾ شاك فيما شهدَتْ به البيّنات. [٣٥] ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ معجزاته، مبتدأ ﴿ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ ﴾ برهان ﴿ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ ﴾ جِدالُهم، خبر المبتدأ ﴿ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ ﴾ مِثْلَ إضْلالِهِمْ ﴿ يَطْبَعُ ﴾ يختم ﴿ ٱللَّهُ ﴾ بالضلال ﴿ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ بتنوين قلب ودونه، ومتى تكبَّر القَلْبُ تكبَّر صاحبه، وبالعكس، و (كل) على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب، لا لعموم القلوب. [٣٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾ بناءً عالياً ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾. [٣٧] ﴿ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿ فَأَطَّلِعَ ﴾ بالرفع عطفاً على أبلغ وبالنصب جواباً لـ (ابْنِ) ﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ ﴾ أي موسى ﴿ كَٰذِبًا ﴾ في أنّ لَهُ إلهاً غيري، قال فرعونُ ذلك تَمْويهاً ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ طريق الهدى. بفتح الصاد وضمها ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ خسارٍ. [٣٨] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ ﴾ بإثبات الياء وحذفها ﴿ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ تقدم. [٣٩] ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾ تمتُّعٌ يزولُ ﴿ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾. [٤٠] ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ بضم الياء وفتح الخاء، وبالعكس ﴿ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ رزقاً واسعاً بلا تَبِعَة.

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مَرحبَ في تُرس عامر وذهب عامر يَسْفُل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفْسُهُ. قال سلمة: فخرجت، فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بَطَل عمل عامر قتل نفسَه. قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله بَطَل عمل عامر قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟» قال: قلت: ناس من أصحابك قال: «كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين» ثم أرسلني النبي ﷺ إلى علي وهو أرمد فقال: «لأعطِيَنَّ الراية رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسوله، ويُحِبُّهُ الله ورسولُه» قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده، وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبسق في عينيه فَبَرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قـد علمـت خيبـرُ أنِّـي مَـرحَـبُ شَـاكِـي السِّـلاحِ بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ
إذا الحروبُ أقبلَت تَلَهَّبُ

---

(١) هذا القول لم يقله غيره من المفسِّرين. انظر: حاشية الجمل (٦/٤٨٦).

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

الحزب ٤٨

[٤١] ﴿ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾. [٤٢] ﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ﴾ الغالب على أمره ﴿ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴾ لمن تاب. [٤٣] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ لأعبده ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ ﴾ أي استجابة دعوة ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ ﴾ مرجعنا ﴿ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الكافرين ﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾. [٤٤] ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ ﴾ إذا عاينتُم العذاب ﴿ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ قال ذلك لما توَعَّدُوه بمُخالَفَةِ[1] دينهم. [٤٥] ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾ به من القتل ﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ قَوۡمِهِ معه ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ الغرقُ. [٤٦] ثم ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا ﴾ يحرقون بها ﴿ غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ صباحاً ومساءً ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ يقال: ﴿ أَدۡخِلُوٓاْ ﴾ يا ﴿ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ وفي قراءة: بفتح الهمزة وكسر الخاء، أَمْرٌ للملائكة ﴿ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ عذاب جهنم. [٤٧] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذۡ يَتَحَآجُّونَ ﴾ يتخاصم الكفار ﴿ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا ﴾ جمع تابع ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ ﴾ دافعون ﴿ عَنَّا نَصِيبٗا ﴾ جزاءً ﴿ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾. [٤٨] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار. [٤٩] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا ﴾ أي قدر يوم ﴿ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾.

فقال علي :

أنا الذي سمتني أمِّي حَيْدَره   كَليث غابات كَريهِ المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال : فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه . [رواه مسلم] .

وعن عبد الله بن مغفل المزني قال : كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن ، وكان يَقعُ من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ سهيل بن عمرو بيده فقال : ما نعرف بسم الله الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف قال : اكتب باسمك اللهم ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة ، فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال : لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله . فكتب فبينا نحن كذلك ، إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله عزَّ وجلَّ بأبصارهم فقدمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) الباء في (بمخالفة) سببية؛ أي: توعَّدوه بالقتل بسبب أنه خالف دينهم. (حاشية الجمل).

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

[٥٠] ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الخزنة تهكماً: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ أي فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم فإنا لا نشفع للكافرين، قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ انعدام. [٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب. [٥٢] ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾ عُذْرُهُمْ لو اعتذَرُوا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآخرة، أي شدة عذابها. [٥٣] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة. [٥٤] ﴿هُدٗى﴾ هادياً ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ تذكرة لأصحاب العقول. [٥٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقّٞ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ لِيُسْتَنَّ بك ﴿وَسَبِّحۡ﴾ صَلِّ مُتَلَبِّساً ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ الصلوات الخمس. [٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمۡ إِن﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ تَكَبُّرٌ وطَمَعٌ أن يعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ من شرّهم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأحوالهم، ونزل في مُنْكِري البَعْث: [٥٧] ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ابتداءً ﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير. [٥٨] ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ فيه زيادة لا ﴿قَلِيلٗا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يَتَّعظون بالياء والتاء، أي: تَذَكُّرُهُمْ قليلٌ جداً.

« هل جئتم في عهد أحدٍ أو هل جعل لكم أحدٌ أماناً ؟ » فقالوا : لا فخلى سبيلهم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ . [رواه أحمد والبيهقي والحاكم] .

* * *

سورةُ الحُجُراتِ

(١) قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ .

عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ ، فقال أبو بكر : أَمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة ، فقال عمر : بل أَمِّر الأقرع بن

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ ﴾ شك ﴿ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ بها. [٦٠] ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ أي اعبُدُوني أُثِبْكُمْ، بقرينةِ ما بَعْدَهُ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ ﴾ بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس ﴿ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ إسناد الإبصار إليه مجازيّ؛ لأنه يُبْصَرُ فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ الله فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ فكيف تُصْرَفُونَ عن الإيمان مع قيام البرهان؟ [٦٣] ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ﴾ أي مِثْلُ إفْكِ هؤلاء إفْكُ ﴿ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ معجزاته ﴿ يَجۡحَدُونَ ﴾. [٦٤] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ سقفاً ﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. [٦٥] ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ ﴾ اعبدوه ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾ من الشرك ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. [٦٦] ﴿ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ دلائل التوحيد ﴿ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

ربع الحزب ٤٨

حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ حتى انقضت. [رواه البخاري].

(٢) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾.

عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الخَيِّرَان أن يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع. وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ ﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يَسْمَعُ رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر. [رواه البخاري وغيره].

(٩) قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾.

عن معتمر قال: سمعت أبي أنَّ أنساً رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبَيّ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سَبْخَة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني فوالله لقد آذاني نَتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فاشتتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والنعال والأيدي، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾. [رواه البخاري ومسلم].

(١١) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامُلَ قُوّتِكُم: مِنَ الثلاثينَ سَنَةً إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل الأشُدِّ والشيخوخة، فعل ذلك بكم؛ لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون. [٦٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ بضم النون وفتحها بتقدير «أن»، أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور. [٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان. [٧٠] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم. [٧١] ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على الأغلال فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف، أي في أرجلهم؛ أو خبره: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ أي يُجَرُّونَ بها. [٧٢] ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ﴾ أي جهنم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يُوقَدُونَ. [٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتاً: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾. [٧٤] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معه وهي الأصنام ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت. قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[الأنبياء: ٩٨] أي وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [٧٥] ويقال لهم أيضاً ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح. [٧٦] ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾. [٧٧] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه «إن» الشرطية مُدْغَمَةٌ، و «ما» زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط[1].

---

(١) الجواب المذكور هو: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ والمعطوف هو: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي[1]، أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ منهم ﴿ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿ قُضِيَ ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ أي ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك. [٧٩] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ ﴾ قيل: الإبل خاصةً هنا، والظاهر: والبقر والغنم ﴿ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾. [٨٠] ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ من الدَّرِّ والنسل والوبر والصوف ﴿ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿ وَعَلَيۡهَا ﴾ في البر ﴿ وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ السفن في البحر ﴿ تُحۡمَلُونَ ﴾. [٨١] ﴿ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي الدالة على وحدانيته ﴿ تُنكِرُونَ ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أيّ» أشهر من تأنيثه. [٨٢] ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من مصانع وقصور ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾. [٨٣] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿ فَرِحُواْ ﴾ أي الكفار ﴿ بِمَا عِندَهُم ﴾ أي الرسل ﴿ مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ فرح استهزاءٍ وضحكٍ منكرين له ﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ أي العذاب. [٨٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾ أي شدة عذابنا ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴾. [٨٥] ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدّر من لفظه ﴿ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ ﴾ في الأمم ألا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ تبيَّن خُسرانُهم لكلِّ أحد، وهم خاسرون في كل وقتٍ قبل ذلك.

عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾. [رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه، وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

***

---

(١) عن أبي ذر قال: قلتُ يا رسولَ الله، كم عدَّة الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر جمّاً غفيراً». رواه أحمد (٥/ ٢٦٦).

سُورَةُ فُصِّلَتْ

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

﴿سورة فصلت﴾

[مكية وآياتها ٥٣ أو ٥٤ نزلت بعد غافر].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١]﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢]﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مبتدأ. [٣] ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُيِّنَتْ بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من كتاب بصفته ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بفصلت ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب. [٤]﴿بَشِيرًا﴾ صفة قرآناً ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول. [٥]﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على ديننا. [٦]﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

نصف الحزب ٤٨

[٧]﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾. [٨]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع. [٩]﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والإثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ أي مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمعُ عالَم، وهو ما سِوَى الله، وجُمعَ لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء. [١٠]﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسّم ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِىٓ﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءً﴾ منصوب على المصدر، أي استوت الأربعة استواءً لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها. [١١]﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال، أي طائعتَيْن أو مُكْرَهتَيْن ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ فيه تغليب المُذكّر العاقلِ، أو نُزِّلتا لِخطابِهما مَنْزِلتَهُ.

سورةُ القمر

عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب. [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُسِفَ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سُحِرَ القمر، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢]﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه، أي صيّرها ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ الذي أمَرَ بِهِ مَنْ فيها من الطاعة والعبادة ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ بنجوم ﴿ وَحِفْظًا ﴾ منصوب بفعله المقدَّر، أي حفظناها مِن اسْتِراقِ الشَّياطينِ السَّمْعَ بالشُّهُبِ ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْعَلِيمِ ﴾ بخلقه. [١٣]﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ ﴾ خوَّفتكم ﴿ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ عذاباً يهلككم مثل الذي أهلكهم. [١٤]﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَ﴾ ن أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ على زعمكم ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾. [١٥]﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ ﴾ لما خوِّفوا بالعذاب ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ أي لا أحد، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ المعجزات ﴿ يَجْحَدُونَ ﴾. [١٦]﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿ فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ ـ بكسر الحاء وسكونها ـ مشؤومات عليهم ﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾ الذل ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ أشد ﴿ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ بمنعه عنهم. [١٧]﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ بيّنا لهم طريق الهدى ﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ ﴾ اختاروا الكفر ﴿ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ ﴾ المهين ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾. [١٨]﴿ وَنَجَّيْنَا ﴾ منها ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ الله. [١٩]﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يُحْشَرُ ﴾ بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة ﴿ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يساقون. [٢٠]﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا ﴾ زائدة ﴿ جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: سنده جيد، وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه، ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض، ويقال: إنه أرِّخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرِّخ بليلة انشقاق القمر. [رواه الطبراني وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

(٤٨ ـ ٤٩) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ الآيتان.

عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾. [رواه البخاري ومسلم].

***

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

[٢١]﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم. [٢٢]﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [٢٣]﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت والخبر ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. [٢٤] ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا العُتْبى، أي الرِّضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ المرضيين. [٢٥]﴿۞ وَقَيَّضْنَا﴾ سبّبنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[السجدة، الآية: ١١] ﴿فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ﴾. [٢٦]﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ﴾ ائتوا باللغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكت عن القراءة. [٢٧]قال الله تعالى فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أقبح جزاء عملهم. [٢٨]﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واواً ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَآءًۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾. [٢٩]﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي إبليس وقابيل، سَنّا الكُفْرَ والقَتْلَ ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي أشد عذاباً منا.

سورةُ الواقعَة

(٨٢) قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

عن ابن عباس، قال: مُطِرَ الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر»، قالوا: هذه رحمة. وقال بعضهم: لقد صدق نَوْءُ كذا وكذا فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. [رواه مسلم].

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ عند الموت ﴿أَ﴾ ن: بأن ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من الموت وما بعده ﴿ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾. [٣١] ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ تطلبون. [٣٢] ﴿ نُزُلًا ﴾ رزقاً مُهيَّأً، منصوب «بجعل» مُقدَّراً ﴿ مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ أي الله. [٣٣] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ أي لا أحد أحسن قولاً ﴿ مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ بالتوحيد ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾. [٣٤] ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿ ٱدْفَعْ ﴾ السيئة ﴿ بِٱلَّتِى ﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالغَضَب بالصَّبْر، والجَهْل بالحِلْم، والإساءَة بالعفو ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك فـ (الذي) مبتدأ و (كأنه) الخبر و (إذا) ظرف لمعنى التشبيه. [٣٥] ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ ﴾ ثواب ﴿ عَظِيمٍ ﴾. [٣٦] ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ للقول ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بالفعل. [٣٧] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ أي الآيات الأربع ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾. [٣٨] ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ عن السجود لله وحده ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي فالملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ يُصلّون ﴿ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾ لا يملّون.

قال الشيخ ابن الصلاح: ليس مراده أن جميع هذا نزل في قوله في الأنواء فإن الأمر في ذلك وتفسيره يأبى ذلك، وإنما النازل في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ والباقي نزل في غير ذلك، ولكن اجتمعا في وقت النزول فذكر الجميع من أجل ذلك، ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب.

***

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٤٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من أَلحَدَ ولَحَدَ ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد لهم. [٤١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ منيع. [٤٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ أي ليس قبْلَهُ كِتابٌ يُكَذِّبُهُ ولا بَعْدَهُ ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي الله المحمود في أمره. [٤٣] ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين. [٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا﴾ هلاَّ ﴿فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِىٌّ وَ﴾ نبي ﴿عَرَبِىٌّ﴾ استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً بإشباع ودونه[1] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ ۖ﴾ من الجهل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ فلا يفهمونه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة. [٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ أي فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي بذي ظلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠].

سورةُ المُجادلَةِ

عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلَةُ إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية. [رواه أحمد والبخاري تعليقاً والنسائي وابن ماجه].

---

(١) قوله: ودونه؛ إن قصد به القلب قلباً دون إشباع فغير صحيح، وإن قُصد به دون تحقيق الثانية أي تسهيلها بين بين؛ فمقروء به مع إدخال ألف الفصل وعدمه.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

[٤٧]﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون لا يعلمه غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ﴾(١) وفي قراءة ﴿ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها، جَمْعُ كِمٍّ ـ بكسر الكاف ـ إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي شاهد بأن لك شريكاً. [٤٨]﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب من العذاب. والنفي في الموضعين معلق عن العمل، وجملة النفي سَدَّتْ مَسَدَّ المفعولين. [٤٩]﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين. [٥٠]﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ غنىً وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم. [٥١]﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه متبختراً، وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ كثير. [٥٢]﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم. [٥٣]﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ أقطار السموات والأرض، من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيُعاقَبون على كفرهم به، وبالجائي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعِل يَكْفِ: ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه، أي أوَ لم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما. [٥٤]﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شكٍّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

(٨) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يُعذِّبُنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا

(١) بالإفراد، ورسم المصحف بالتاء المفتوحة لتحتمل القراءتين.

ترتيبها ٤٢ | سُورَةُ الشُّورَىٰ | آياتها ٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

﴿سورة الشورى﴾

[مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ فمدنية، وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١]﴿حمٓ﴾. [٢]﴿عٓسٓقٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٣]﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَ﴾ أَوْحى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٤]﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الكبير. [٥]﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ملابسين للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم. [٦]﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ مُحْصٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تُحَصِّلُ المطلوبَ منهم، ما عليك إلا البلاغ. [٧]﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾ تخوِّف ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة تُجْمَعُ فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ النار. [٨]﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على دين واحد، وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب. [٩]﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ «أم» منقطعة بمعنى: «بل» التي للانتقال، و «الهمزة» للإنكار، أي ليس المُتخذُونَ أولياءَ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ أي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. [١٠]﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. [رواه أحمد والبزار والطبراني].

وعن عائشة قالت: أتى النبيَّ ﷺ أناسٌ من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلتُ: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لا تكوني فاحشة»، قالت: ما سمعتَ ما قالوا؟ فقال: «أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا؟، قلت: وعليكم». [رواه مسلم وغيره].

وفي رواية له: ففطنت بهم عائشة فسبتهم فقال رسول الله ﷺ: «مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش» وزاد: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الآية.

(١٤) قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٤٩

[١١] ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمعجمة يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجعل المذكور، أي يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لما يفعل. [١٢] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. [١٣] ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ هذا هو المشروع المُوصَى به، والمُوحَى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظُمَ ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يُقْبِلُ إلى طاعته. [١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ أي أهل الأديان في الدين، بأن وَحَّدَ بَعْضٌ وكَفَرَ بَعْضٌ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة. [١٥] ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحُكْم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فكلٌّ يُجازَى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان»، قال: فدخل رجل أزرق فقال: يا محمد علام سببتني أو شتمتني أو نحو هذا؟ قال: وجعل يَحلفُ، قال: ونزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والآية الأخرى. [رواه أحمد والبزار والحاكم].

***

سورةُ الحَشر

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم، ومِنهم، حتى ظنوا أنها لم تُبْقِ أحداً منهم إلا ذُكِرَ فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير. [رواه البخاري ومسلم].

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

[١٦]﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ﴾ دين ﴿ ٱللَّهِ ﴾ نبيَّهُ ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ بالإيمان لظهور معجزته، وهم اليهود ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ باطلة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾. [١٧]﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأنزل ﴿ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ العدل ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ يعلمك ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ أي إتيانها ﴿ قَرِيبٌ ﴾ و (لعل) مُعَلِّقٌ للفعل عن العمل، وما بَعْدَهُ سَدَّ مَسَدَّ المفعولين. [١٨]﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظنّاً منهم أنها غير آتية ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون ﴿ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ ﴾ يجادلون ﴿ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾. [١٩]﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ برِّهِمْ وفاجِرِهِمْ، حيثُ لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ﴾ على مراده ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره. [٢٠]﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ﴾ بعمله ﴿ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي كسبها وهو الثواب ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ بلا تضعيف ما قسم له ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾. [٢١]﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ لَهُمْ ﴾ لكفار مكة ﴿ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ هم شياطينهم ﴿ شَرَعُوا۟ ﴾ أي الشركاء ﴿ لَهُم ﴾ للكفار ﴿ مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ الفاسد ﴿ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم. [٢٢]﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يوم القيامة ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ في الدنيا من السيئات أن يُجازَوْا عليها ﴿ وَهُوَ ﴾ أي الجزاء عليها ﴿ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ أنزَهِهَا بالنسبة إلى من دونهم ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت غزوة بني النضير ـ وهم طائفة من اليهود ـ على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلّت الإبلُ من الأمتعةِ والأموالِ إلا الحَلقة يعني السلاح ، فأنزل الله فيهم : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ﴾ فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا ، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي ، وأما قوله : ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام .
[رواه الحاكم والبيهقي] .

(٥) قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : حَرَّقَ رسول الله ﷺ نَخْلَ بني النضير ، وقطع ، وهي البُوَيْرَة ، فنزلت : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾

نصف الحزب ٤٩

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ﴾ مِنَ البشارة، مخففاً ومثقلاً، به ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ استثناء منقطع، أي لكن أسألكم أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإنه له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةٗ﴾ طاعة ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه. [٢٤] ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب. [٢٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ منهم ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المُتاب عنها ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ بالياء والتاء. [٢٦] ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾. [٢٧] ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوۡاْ﴾ جميعهم أي طغوا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف وضده، من الأرزاق ﴿بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ فَيَبْسُطها لبعض عباده دون بعض، وَيَنْشأُ عن البَسْطِ البَغْيُ ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾. [٢٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ يَبْسُطُ مَطَرَهُ ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ المُحْسِن للمؤمنين ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المحمود عندهم. [٢٩] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرَّق ونشرَ ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ هي ما يَدِبُّ على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره. [٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ بَلِيَّةٍ وشدَّةٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي كسبتم من الذنوب، وعَبَّرَ بالأيْدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزاوَلُ بها ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ منها فلا يجازي عليه، وهو تعالى أَكْرَمُ مِن أَنْ يُثَنِّيَ الجزاءَ في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة. [٣١] ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مشركون ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ الله هَرَباً ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فتفوتوهُ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفع عذابه عنكم.

ٱللَّهِ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

وعن ابن عباس في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾ قال : اللِّينَةُ : النخلة ﴿ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ قال : استنزلوهم من حصونهم قال : وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم فقال المسلمون : قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسأل رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله : ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾ الآية . [رواه الترمذي والنسائي] .

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا
وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾

[٣٢]﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ السُّفُنُ ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ كالجبالِ، في العِظَم. [٣٣]﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ﴾ يَصِرْنَ ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابتَ لا تَجْرِي ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء. [٣٤] ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ عطف على (يُسْكِن) أي يُغْرِقْهُنَّ بِعَصْفِ الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي أَهْلُهُنَّ مِنَ الذنوب ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾ منها فلا يُغرِقُ أَهْلَهُ. [٣٥]﴿وَيَعۡلَمُ﴾ بالرفع مُسْتأنَفٌ، وبالنصب معطوف على تَعْليلٍ مُقَدَّر، أي يغرقهم؛ لينتقم منهم، ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ مهرب من العذاب، وجملةُ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعولَيْ يعلم، والنفي مُعَلَّقٌ عن العمل. [٣٦]﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يُتَمَتَّع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ويعطف عليه: [٣٧]﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود، مِنْ عَطْفِ البَعْضِ على الكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ يتجاوزون. [٣٨]﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَمۡرُهُمۡ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله، ومَنْ ذُكِرَ صِنْفٌ: [٣٩]﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ﴾ الظُّلْمُ ﴿هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ صِنْفٌ، أي ينتقمون مِمَّنْ ظَلَمَهُم بِمِثْلِ ظُلْمِهِ، كما قال تعالى: [٤٠]﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ سميت الثانية سَيِّئَةً لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يُقْتَصُّ فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنۡ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ الوُدَّ بينه وبين المَعْفُو عنه ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي البادئين بالظلم فيَتَرَتَّبُ عليهم عِقابُهُ. [٤١]﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ أي ظُلْمِ الظَّالِمِ إيَّاه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ مؤاخذة. [٤٢]﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ﴾ يعملون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ بالمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم. [٤٣]﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي معزوماتها، بمعنى المطلوبات شرعاً. [٤٤]﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ أي أَحَدٍ يَلِي هِدايَتَهُ بَعْدَ إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ﴾ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ طريق.

---

(٩) قوله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «من يَضُمُّ أو يضيف هذا»؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيِّئي طعامك، وأَصْبِحِي سراجك، ونوِّمي

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي النار ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ خائفين متواضعين ﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ضعيفِ النَّظرِ مُسارَقَةً، و «مِنْ» ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بتَخْليدهم في النار، وعدَم وُصولهم إلى الحُور المُعَدّة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول خبر «إنّ» ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ دائمٍ، هو مِنْ مَقُولِ الله تعالى. [٤٦] ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة. [٤٧] ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي أنه إذا أتى به لا يرده ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ ﴾ تلجؤون إليه ﴿ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ إنكار لذنوبكم. [٤٨] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ عن الإجابة ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿ فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجِنْس ﴿ سَيِّئَةٌۢ ﴾ بلاء ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي قدَّمُوه، وعبَّرَ بالأيْدي؛ لأنَّ أكثر الأفعال تزاول بها ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ للنعمة. [٤٩] ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من الأولاد ﴿ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾. [٥٠] ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ أي يجعلهم ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ فلا يَلِدُ ولا يُولَدُ له ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ ﴾ بما يخلق ﴿ قَدِيرٌ ﴾ على ما يشاء. [٥١] ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا ﴾ أن يوحي إليه ﴿ وَحْيًا ﴾ في المنام أو بإلهام ﴿ أَوْ ﴾ إلا ﴿ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿ أَوْ ﴾ إلا أن ﴿ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ ملكاً كجبريل ﴿ فَيُوحِىَ ﴾ الرسولُ إلى المُرْسَلِ إليه، أي يُكلِّمُهُ ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي الله ﴿ مَا يَشَآءُ ﴾ الله ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ ﴾ عن صِفاتِ المُحْدَثِينَ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

صبيانك إذا أرادوا عَشَاء ، فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونوَّمت صبيانها ، ثم قامت كأنها تُصلحُ سِراجَها فأطفأته ، فجعلا يُريانِهِ كأنهما يأكلان ، فباتا طاوِيَيْن ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ضحك اللهُ الليلةَ أو عَجِبَ من فعالكما » ، فأنزل الله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

***

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخرُفِ

ترتيبها ٤٣ آياتها ٨٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾

[٥٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحٗا﴾ هو القرآن به تحيا القلوب ﴿مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ أي شرائعه ومعالمه، والنَّفْيُ[1] مُعَلِّقٌ للفعْلِ عَن العَمَلِ، وما بعده سَدَّ مَسَدَّ المَفْعُولَيْن ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ﴾ أي الروح أو الكتاب ﴿نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ تدعو بالمُوحَى إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ دين الإسلام. [٥٣] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ ترجع.

﴿سورة الزخرف﴾

[مكية وقيل: إلا الآية ٤٥ فمدنية، وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ المُظهر طريقَ الهدى وما يُحتاج إليه من الشريعة. [٣] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾ أوجدنا[2] الكتاب ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه. [٤] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مُثبتٌ ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أصل الكُتُبِ أي اللَّوْحِ المَحْفُوظ ﴿لَدَيۡنَا﴾ بدل: عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على الكُتُبِ قَبْلَهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة. [٥] ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿صَفۡحًا﴾ إمْسَاكاً فلا تُؤْمَرُونَ ولا تُنْهَوْنَ لأجل ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ مشركين؟ لا. [٦] ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾. [٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأۡتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ. [٨] ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم﴾ من قومك ﴿بَطۡشٗا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في آيات ﴿مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ صِفتهُمْ في الإهلاك، فَعَاقِبَةُ قَوْمِكَ كذلك. [٩] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حُذِفَ منه «نون» الرفع لتوالي النونات و «واو» الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم، أي اللَّهُ ذو العِزَّةِ والعِلْمِ، زاد تعالى: [١٠] ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ فِراشاً كالمَهْدِ للصَّبِيِّ ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

---

(١) صوابه: والاستفهام؛ أي: في قوله: ﴿ما الكتاب﴾ فإنَّه الذي بعد الفعل، والنفي سابق عليه. (حاشية الجمل).

(٢) هذا كلام باطل، والصواب ماقاله ابن جرير وابن كثير: أي: أنزلناه.

وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾

[١١] ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفاناً ﴿فَأَنشَرۡنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ من قبوركم أحيـاء. [١٢] ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾ حذف العائد اختصاراً، وهو مجرور في الأول؛ أي فيه، منصوب في الثاني[1]. [١٣] ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ﴾ لِتَسْتَقِرُّوا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكَّر الضميرَ، وجَمَعَ الظَّهْرَ نظراً للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ مُطِيقينَ. [١٤] ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ لَمُنْصَرِفُونَ. [١٥] ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا﴾ حَيْثُ قالوا: الملائكةُ بناتُ اللّهِ، لأنَّ الوَلَدَ جُزْءٌ من الوَالِدِ، والملائكةُ مِنْ عِبادِه تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ القائل ما تقدَّمَ ﴿لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾ بيِّن ظاهر الكفر. [١٦] ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر، أي: أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ لنفسه ﴿وَأَصۡفَىٰكُم﴾ أخلصكم ﴿بِٱلۡبَنِينَ﴾ اللازم مِنْ قَوْلِكُم السابق، فهو مِنْ جُملة المُنْكر. [١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ جَعَلَ له شَبهاً بِنِسْبَةِ البَنَاتِ إليه، لأن الولد يشبه الوالد، المعنى إذا أُخْبِرَ أَحَدُهُمْ بِالبِنْتِ تُولَدُ له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ مُتَغيِّراً تَغيُّرَ مُغْتَمّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلىء غمّاً فكيف يَنْسُبُ البَنَاتِ إليه؟ تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوَ﴾ «همزة» الإنكار و«واو» العطف بجملة، أي يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ مُظْهِرُ الحُجَّةِ لِضَعْفِهِ عنها بالأُنُوثَة. [١٩] ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ﴾ حضرُوا ﴿خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليهم العقاب. [٢٠] ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُم﴾ أي الملائكة، فَعِبادَتُنا إياهم بِمَشيئَتِهِ، فهو راضٍ بها، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المَقُولِ مِنَ الرِّضَا بعبادتها ﴿مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ﴾ ما ﴿هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به. [٢١] ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ﴾ أي لم يقع ذلك. [٢٢] ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ مِلَّةٍ ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

---

(١) الموصول هو «مَا» في قوله: ﴿ما تركبون﴾ والعائد في الأول؛ أي: تركبون فيه؛ أي: في الفلك، والعائد في الثاني؛ أي: تركبونه؛ أي: تركبون الأنعام. (حاشية الجمل بتصرف).

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٥٠

[٢٣]﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ مُنعَّمُوها مِثْلَ قَوْلِ قَوْمِك ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ مِلَّةٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ مُتَّبِعُونَ. [٢٤]﴿قَٰلَ﴾ لهم: ﴿أَ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ﴾ قال تعالى تخويفاً لهم: [٢٥]﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾. [٢٦]﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ أي بريء ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾. [٢٧]﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ يُرْشِدُني لِدينِهِ. [٢٨]﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يوحِّد الله ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي أهل مكة ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم. [٢٩]﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ مُظهِرٌ لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ. [٣٠]﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾. [٣١]﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ﴾ أهل ﴿ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ من أيّةٍ منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ أي الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف. [٣٢]﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ النبوة ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ بالغنى ﴿فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم﴾ الغني ﴿بَعۡضٗا﴾ الفقير ﴿سُخۡرِيّٗاۗ﴾ مُسَخَّراً في العمل له بالأجرة، و «الياء» لِلنَّسَبِ، وقُرِئَ بكسر السين[1] ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ في الدنيا. [٣٣]﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على الكفر ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ﴾ بدل من لمن ﴿سُقُفٗا﴾ بفتح السين وسكون القاف[2] وبضمهما جمعاً ﴿مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ يَعْلُونَ إلى السطح.

سورةُ المُمتحَنَة

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ نزل في مُكاتبة

---

(١) وهي قراءة شاذة.

(٢) أي: سَقفاً.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

[٣٤] ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا ﴾ من فضة ﴿ وَ ﴾ جعلنا لهم ﴿ سُرُرًا ﴾ مِنْ فِضَّة، جَمْعُ سَرِير ﴿ عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾. [٣٥] ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ ذَهبـاً. المعنى: لولا خَوْفُ الكُفْر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذُكِرَ لأعطيناه ذلك، لِقِلَّةِ خَطَرِ الدنيا عِنْدَنا، وعدم حَظِّهِ في الآخرة في النعيم ﴿ وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا ﴾ بـالتخفيف، فـ (مـا) زائـدة، وبالتشديد بمعنى «إلا»، فـ (إن) نافية ﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يُتَمَتَّعُ بـه فيهـا ثـم يـزول ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ ﴾ الجنة ﴿ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. [٣٦] ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ يُعْرِضْ ﴿ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي القرآن ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ نُسَبِّبْ ﴿ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ لا يفـارقـه. [٣٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ ﴾ أي العَاشِينَ ﴿ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي طريق الهدى ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ في الجمع رعاية معنى «مَنْ». [٣٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ العَاشِي بِقَرِينِهِ يَوْمَ القيامة ﴿ قَالَ ﴾ له: ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ أي مِثْل بُعْدِ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ أنت لي، قال تعالى: [٣٩] ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ﴾ أي العاشين تَمَنِّيكُمْ ونَدَمُكُم ﴿ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ أي تَبَيَّنَ لكم ظُلْمُكُم بالإشراك في الدنيا ﴿ أَنَّكُمْ ﴾ مع قُرَنائِكم ﴿ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ عِلّة بتقدير اللام، لِعَدَمِ النَّفْعِ و(إذ) بَدَلٌ من (اليوم). [٤٠] ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ بيّن، أي فهم لا يؤمنون. [٤١] ﴿ فَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ بأنْ نُميتَكَ قَبْلَ تعذيبهم ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ في الآخرة. [٤٢] ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾ في حياتك ﴿ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ به من العذاب ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾ على عذابهم ﴿ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ قادرون. [٤٣] ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [٤٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ ﴾ لَشَرَفٌ ﴿ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ عن القيام بحَقّه. [٤٥] ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي غيره ﴿ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جَمَعَ له الرُّسُلَ لَيلَةَ الإسراء. وقيل: المراد أُمَمٌ مِنْ أَيِّ أَهْلِ الكتابَيْنِ، ولَمْ يَسْأَلْ على واحِدٍ مِنَ القَوْلَيْنِ، لأنَّ المُرادَ مِنَ الأَمْرِ بالسؤالِ التَّقريرُ لِمُشْركي قريشٍ: أنه لم يأت رسولٌ مِنَ الله ولا كتابٌ بعبادةِ غَيْرِ الله. [٤٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ ﴾ أي القبط ﴿ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. [٤٧] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الدالة على رسالته ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾.

حاطب بن أبي بَلْتَعة ومَن معه إلى كفار قريش يُحَذِّرونهم . وقوله : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ نهوا أن يتأسّوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين . وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك ، فيقولون : لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم . [رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي] .

وعن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمِسْوَر بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : لما كاتب

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

[٤٨] ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ من آيات العذاب كالطوفان، وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، والجراد ﴿ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ قرينتها التي قبلها ﴿ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن الكفر. [٤٩] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ لموسى لما رأوا العذاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ أي العالمُ الكاملُ، لأن السِّحْرَ عِنْدَهُم عِلْمٌ عظيم ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ مِنْ كَشْفِ العَذاب عنّا إنْ آمَنّا ﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أي مؤمنون. [٥٠] ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا ﴾ بدعاء موسى ﴿ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ يَنْقُضونَ عَهْدَهُم، ويُصرُّونَ على كُفْرِهِمْ. [٥١] ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ افتخاراً ﴿ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ من النيل ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ أي تحت قصوري ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ عظمتي. [٥٢] ﴿ أَمْ ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي موسى ﴿ ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يُظْهِرُ كَلامَهُ، لِلثُّغَتِهِ بالجَمْرَةِ التي تناولها في صغره.

ربع الحزب ٥٠

[٥٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ هلاّ ﴿ أُلْقِىَ عَلَيْهِ ﴾ إن كان صادقاً ﴿ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ جَمْعُ أَسْوِرَة كأَغْرِبَة، جَمْعُ سِوار، كعادتهم فيمَنْ يُسَوِّدُونَهُ أَنْ يُلْبِسُوهُ أَسْوِرَةَ ذَهَبٍ ويُطَوِّقُونَهُ طَوْقَ ذَهَبٍ ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه. [٥٤] ﴿ فَٱسْتَخَفَّ ﴾ اسْتَفَزَّ فرعونُ ﴿ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.
[٥٥] ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أغضبونا ﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. [٥٦] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾ جَمْعُ سَالِفٍ، كَخادِمٍ وخَدَم، أي سابقينَ، عِبْرَةً ﴿ وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ بَعْدَهُم يَتَمَثَّلُونَ بحالهم، فلا يُقْدِمُونَ على مثل أفعالهم. [٥٧] ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ﴾ جعل ﴿ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ حين نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[الأنبياء: ٩٨] فقال المشركون: رَضينا أن تكون آلِهتُنا مع عيسى؛ لأنه عُبِدَ من دون الله ﴿ إِذَا قَوْمُكَ ﴾ أي المشركون ﴿ مِنْهُ ﴾ من المثل ﴿ يَصِدُّونَ ﴾ يَضِجُّونَ فرحاً بما سمعوا. [٥٨] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ أي عيسى، فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿ مَا ضَرَبُوهُ ﴾ أي المثل ﴿ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ﴾ خُصومةً بالباطل، لعلمهم أن «ما» لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ شديدو الخصومة. [٥٩] ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هُوَ ﴾ عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ بالنبوة ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ ﴾ بوجوده من غير أب ﴿ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي كالمَثَلِ لغرابَتِهِ يُسْتَدَلُّ به على قُدرةِ الله تعالى على ما يشاء. [٦٠] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم ﴾ بدلكم ﴿ مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[1] بأن نهلككم.

---

(١) أي: يخلفونكم في الأرض.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

[٦١] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي عيسى ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ تُعْلَمُ بنزولهِ ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ حُذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين أي: تشُكُّنَّ فيها، ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿ هَٰذَا ﴾ الذي آمركم به ﴿ صِرَٰطٌ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [٦٢] ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ بيِّن العداوة. [٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره، فبيَّن لهم أمر الدين ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾. [٦٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٌ ﴾. [٦٥] ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ في عيسى: أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ كلمة عذاب ﴿ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ مؤلم. [٦٦] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي كفار مكة، أي ما ينتظرون ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم ﴾ بدل من الساعة ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بوقت مجيئها قبله. [٦٧] ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿ يَوْمَئِذٍۭ ﴾ يوم القيامة متعلق بقوله: ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم: [٦٨] ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾. [٦٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ نعت لعبادي ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾. [٧٠] ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ ﴾ مبتدأ ﴿ وَأَزْوَٰجُكُمْ ﴾ زوجاتكم ﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ تُسرُّونَ وتُكرَمونَ، خبر المبتدأ. [٧١] ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ ﴾ بقصاع ﴿ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمعُ كُوب، وهو إناءٌ لا عُرْوَةَ له ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ تلذُّذاً ﴿ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ نظراً ﴿ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. [٧٢] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. [٧٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا ﴾ أي بعضها ﴿ تَأْكُلُونَ ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

سهيلُ بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ، أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، فكرهَ المؤمنون ذلك وامتعضُوا منه، وأبى سهيلٌ إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرَدَّ يومئذٍ أبا جَندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال إلا رَدَّه في تلك المدة وإن كان مسلماً. وجاء المؤمنات مهاجراتٍ، وكانت أمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾.

قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ إلى ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ: « قد بايعتك » كلاماً يكلمها به، والله ما مَسَّتْ يدُه يدَ امرأة قط في المُبايَعَةِ وما بايَعَهُنَّ إلا بقولِهِ. [رواه البخاري وغيره].

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ . [٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ساكتون سكوت يأس. [٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . [٧٧] ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليميتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ مقيمون في العذاب دائماً. قال تعالى: [٧٨] ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ . [٧٩] ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أي كفار مكة: أحكموا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ مُحكِمونَ كَيْدَنا في إهلاكهم. [٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يُسِرُّونَ إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحَفَظَةُ ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك. [٨١] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فَرَضاً ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ للولد، لكنْ ثَبَتَ أنْ لا وَلَدَ له تعالى، فانْتَفَتْ عِبادَتُه. [٨٢] ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي[1] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه. [٨٣] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب وهو يوم القيامة. [٨٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء[2]، أي: معبود ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكلٌّ من الظرفين متعلِّقٌ بما بعده[3] ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم. [٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظَّم ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالياء والتاء. [٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون، أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي من دون الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى، وعُزَيْر، والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين. [٨٧] ﴿وَلَئِن﴾ «لام» قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حُذفَ منه «نون» الرفع و«واو» الضمير ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبادَةِ اللَّهِ. [٨٨] ﴿وَقِيلَهُ﴾[4] أي قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المُقدَّر، أي: وقال ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ . [٨٩] قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ﴾

---

(١) انظر التعليق ص ٢٠٧.

(٢) وتسهيل الثانية، وإبدالها ياء ساكنة.

(٣) المقصود بـ «كل من الظرفين»: قوله: ﴿في السماء﴾ وقوله: ﴿في الأرض﴾ والمقصود بـ «بما بعده» أي: قوله: ﴿إله﴾ التي هي بمعنى «معبود» والتقدير: هو معبود في السماء، ومعبود في الأرض. (حاشية الجمل بتصرف).

(٤) قراءة عاصم وحمزة ووافقهما الأعمش: ﴿وَقِيلِهِ﴾ والمثبت قراءة الباقين.

سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ منكم، وهذا قَبْلَ أن يُؤْمَرَ بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ تهديد لهم.

﴿سورة الدخان﴾

[مكية إلا الآية ١٥ وآياتها ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المُظْهِر الحلالَ مِنَ الحرام. [٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي لَيلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان[1]، نزل فيها مِنْ أُمِّ الكتاب، من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوِّفين به. [٤] ﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ مُحْكَم مِنَ الأَرْزَاق والآجال وغيرهما التي تكون في سَنَةٍ إلى مِثْلِ تلك الليلة. [٥] ﴿أَمْرًا﴾ فرقاً ﴿مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل محمداً ومن قبله. [٦] ﴿رَحْمَةً﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم. [٧] ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ برفع (رب) خبر ثالث، وبجرِّه بَدَلٌ من (ربك) ﴿إِن كُنتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ﴾ بأنه تعالى رب السموات والأرض؛ فأيْقِنوا بأن محمداً رسوله. [٨] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. [٩] ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ منَ البَعْثِ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد،

نصف الحزب ٥٠

فقال: «اللهمَّ أَعِنِّي عليهم بسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ». قال تعالى: [١٠] ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فَأَجْدَبَت الأرضُ، واشتدَّ بهم الجوعُ إلى أن رأوا من شِدّتِهِ كهيئة الدخان بين السماء والأرض. [١١] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [١٢] ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبيك. [١٣] قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي لا ينفعهم الإيمانُ عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الرسالة. [١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي يُعَلِّمُهُ القرآنَ بشرٌ ﴿مَّجْنُونٌ﴾. [١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى كُفْركُمْ، فعادُوا إليه. [١٦] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هو يَوْمُ بَدْرٍ ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم. والبَطْشُ: الأَخْذُ بِقُوَّة. [١٧] ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بَلَوْنا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو مُوسَى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله تعالى. [١٨] ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ما أَدْعُوكُمْ إليه من الإيمان، أي أَظْهِرُوا إيمانكم لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾

---

(١) كان من الأفضل عدم ذِكْر هذا القول؛ لتهافته، ولمخالفته قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ما أُرسلتُ به. [١٩] ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟﴾ تتجبَّروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ﴾ بيِّنٍ على رسالتي، فتوعَّدوه بالرجم. [٢٠] فقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ بالحجارة. [٢١] ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾ تُصدِّقوني ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ فاتركوا أذايَ فلم يتركوه. [٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ مشركون. [٢٣] فقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووَصْلها ﴿بِعِبَادِى﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعُكم فِرعونُ وقومُه. [٢٤] ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾ إذا قطعْتَهُ أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكناً مُنْفرجاً حتى يَدْخُلَهُ القِبْطُ ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ فاطْمأنَّ بذلك، فأُغْرِقوا. [٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري. [٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن. [٢٧] ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ مُتْعَةٍ ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ ناعِمين. [٢٨] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ، أي الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ أي أموالهم ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ أي بني إسرائيل. [٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين، يبكي عليهم بِمَوْتِهِمْ مُصَلَّاهُمْ مِنَ الأرضِ، ومصعد عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة. [٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء. [٣١] ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل: بَدَلٌ من (العذاب) بتقدير مضاف، أي عَذاب، وقيل: حَالٌ مِنَ (العذاب) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. [٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي عالمي زمانهم العقلاء. [٣٣] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ نِعْمَةٌ ظاهِرةٌ مِنْ فَلق البَحْر، والمَنّ والسَّلْوى وغيرها. [٣٤] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [٣٥] ﴿إِنْ هِىَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي وهم نُطَفٌ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمَبْعُوثِين أحياءً بعد الثانية. [٣٦] ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياءً ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّا نُبعَثُ بَعْدَ مَوْتِنا، أي نَحْيا. [٣٧] قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نَبِيٌّ، أوْ رَجلٌ صالِحٌ ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأُهْلِكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾. [٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ بِخَلْق ذلك، حال. [٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي مُحِقِّين في ذلك لِيُسْتَدَلَّ به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

سورة الصف

عن عبد الله بن سلام قال: قَعَدْنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيَّ الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناها. فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ حتى ختمها ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾، قال عبد الله: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها،

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ للعذاب الدائم. [٤١] ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى ﴾ بقرابة أو صداقة، أي لا يدفع عنه ﴿ شَيْـًٔا ﴾ من العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون منه، و (يوم) بَدَلٌ مِن (يوم الفصل). [٤٢] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين. [٤٣] ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ هي من أخبث الشَّجرِ المُرِّ بتِهامَة، يُنْبِتُها الله تعالى في الجَحِيم. [٤٤] ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ أبي جهل وأصحابه، ذَوِي الإثم الكبير. [٤٥] ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ أي كدُرْدِيّ الزَّيتِ الأَسْوَد، خبر ثان ﴿ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ بالفوقانية: خَبرٌ ثالث، وبالتحتانية: حالٌ مِن (المهل). [٤٦] ﴿ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ الماء الشديد الحرارة. [٤٧] ﴿ خُذُوهُ ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ ـ بكسر التاء وضمها ـ جُرُّوهُ بغِلْظَةٍ وشِدَّةٍ ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وسط النار. [٤٨] ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ أي مِن الحَميم الذي لا يُفارِقُهُ العَذابُ، فهو أبلغُ ممَّا في آية: ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾[الحج، الآية: ١٩]. [٤٩] ويقال له: ﴿ ذُقْ ﴾ أي العذابَ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ بزَعْمِكَ وقوْلِكَ: ما بَيْنَ جَبَلَيْها أعزُّ وأكْرمُ مِنّي. [٥٠] ويقال لهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الذي ترون من العذاب ﴿ مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ فيه تشكُّونَ. [٥١] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ ﴾ مجلس ﴿ أَمِينٍ ﴾ يُؤْمَنُ فيه الخوفُ. [٥٢] ﴿ فِى جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ وَعُيُونٍ ﴾. [٥٣] ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ أي ما رَقَّ مِنَ الديباج وما غلظ منه ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ حال، أي لا ينظر بعضهم إلى قَفا بعض، لِدَوَرانِ الأَسِرَّةِ بِهِمْ. [٥٤] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم ﴾ من التزويج أو قرناهم ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ بنساء بيض واسعاتِ الأَعْيُنِ حِسَانِها. [٥٥] ﴿ يَدْعُونَ ﴾ يطلبون الخدم ﴿ فِيهَا ﴾ أي الجنة أن يأتوا ﴿ بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾ منها ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ مِن انقِطاعِها ومَضَرَّتِها، ومِنْ كُلِّ مخوفٍ، حالٌ. [٥٦] ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾. [٥٧] ﴿ فَضْلًا ﴾ مصدر بمعنى تفضّلاً، منصوب بـ «تفضّل» مُقدّراً ﴿ مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾. [٥٨] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ ﴾ سَهَّلْنا القرآنَ ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلُغَتِكَ لتفْهمَهُ العَرَبُ منك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يَتَّعِظُونَ فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون. [٥٩] ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ انتُظِرْ هَلاكَهم ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ هلاكَكَ، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

﴿سورة الجاثية﴾

[مكية إلا الآية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٦أو ٣٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِهِ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه. [٣] ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي في خلقهما ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالَّةٍ على قُدْرَةِ الله ووحدانيته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. [٤] ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أي في خَلْقِ كلٍّ منكم مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ علَقةٍ، ثم مُضْغَةٍ، إلى أن صار إنساناً ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يَدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث. [٥] ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ مطر لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقْليبها مَرّةً جَنوباً ومرةً شمالاً، وبارِدَةً وَحارَّةً ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل، فيؤمنون. [٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حُجَجُهُ الدالَّةُ على وَحْدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾ نقُصُّها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ (نتلو) ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي حديثه وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ حُجَجِهِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي كفار مكة، أي لا يؤمنون، وفي قراءة بالتاء. [٧] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم. [٨] ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم. [٩] ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي مَهْزُوءاً بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي الأفّاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة. [١٠] ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ أي أمامَهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ لأنهم في الدُّنيا ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾ من المال والفعال ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. [١١] ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظٌّ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي عذابٍ ﴿أَلِيمٌ﴾ مُوجِع. [١٢] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السُّفُنُ ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ دابّة وشَجرٍ ونَباتٍ وأنهارٍ وغيرها، أي خَلقَ ذلكَ لِمَنافِعِكُم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِّنْهُ﴾ حال، أي سَخَّرَها كائنةً منه تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فيؤمنون.

قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: قرأها علينا أبو سلمة، وقرأها علينا يحيى، وقرأها علينا الأوزاعي، وقرأها علينا محمد. [رواه الدارمي وأحمد والترمذي وابن حبان وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

* * *

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ وقائعَهُ، أي اغفروا للكُفَّار ما وَقَعَ منهم مِنَ الأَذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِىَ﴾ أي الله وفي قراءة بالنون ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ الغفر للكُفّار أذاهُم. [١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عَمِلَ ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون، فيجازي المُصْلِحَ والمُسيءَ. [١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات كالمَنِّ والسَّلْوَى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمي زمانِهِم العُقلاءَ. [١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين، مِنَ الحلالِ والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ في بعثته ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي لِبَغْيٍ حَدَثَ بيْنَهُمْ حسَداً له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. [١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ طريقة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله. [١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. [٢٠] ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ مَعالِمُ يَتَبَصَّرُونَ بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث. [٢١] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟﴾ اكْتَسَبوا ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً﴾(١) خبر ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ، ومعطوفٌ، والجملةُ بَدَلٌ من «الكاف»، والضميران للكفار، المعنى: أَحَسِبُوا أن نجعلهم في الآخرة في خيرٍ كالمؤمنين، في رَغَدٍ مِنَ العيش مُساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيث قالوا للمؤمنين: لَئِنْ بُعِثْنا لَنُعْطَى مِنَ الخير مثل ما تعطون. قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و «ما» مصدرية، أي بئس حُكْماً حُكْمُهُم هذا. [٢٢] ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خلق ﴿وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلّق بـ (خلق) ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافرُ المؤمنَ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) وفي قراءة سبعية بالنصب: ﴿سواء﴾.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] ﴿ أَفَرَءَيْتَ ﴾ أخبِرْني ﴿ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ ما يَهْواه من حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يراه أحسن ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ منه تعالى، أي عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلم يَسْمَع الهُدَى ولم يَعْقِلْهُ ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ ظُلْمَةً فلم يُبْصِر الهُدَى، ويُقَدَّرُ هنا المفعول الثاني لـ (رأيت): أيهتدي ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ أي بعد إضلاله إياه، أي لا يهتدي ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتَّعظون ، فيه إدغام إحدى التاءين في الذال[1].

[٢٤] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي منكرو البعث ﴿ مَا هِىَ ﴾ أي الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ﴾ التي في ﴿ ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي يموت بَعْضٌ ويحيا بعضٌ، بأن يُولَدُوا ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ أي مرور الزمان، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ ﴾ المقول ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . [٢٥] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات. حال ﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾ أحياء ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنّا نُبعَثُ. [٢٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾ حين كنتم نُطَفاً ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ﴾ أحياء ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ ﴾ شك ﴿ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهم القائلون ما ذُكِرَ ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . [٢٧] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ يبدل منه ﴿ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ الكافرون، أي يَظْهَرُ خُسْرانُهُم بأن يصيروا إلى النار. [٢٨] ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ ﴾ أي أهل دين ﴿ جَاثِيَةً ﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ كتاب أعمالها ويقال لهم: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي جزاءه. [٢٩] ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا ﴾ ديوان الحفظة ﴿ يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ﴾ نُثْبِتُ ونحْفظُ ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . [٣٠] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ﴾ جنته ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ البيِّن الظاهر.
[٣١] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ فيقال لهم: ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى ﴾ القرآن ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ تكبّرتم ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ كافرين.
[٣٢] ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لكم أيها الكفار: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ ﴾ بالرفع والنصب ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ شك ﴿ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن ﴾ ما ﴿ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ قال المُبَرِّد: أصله إن نحن إلا نظن ظناً ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ أنها آتية.

سورةُ الجُمُعَةِ

عن سالم بن أبي الجعد قال: حدّثنا جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

---

(١) وشفي قراءة سبعية بالتسهيل: ﴿تَذكَرُونَ﴾ .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا، أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي العذاب. [٣٤] ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترُكُكُمْ في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي تركتُم العَمَلَ للقائه ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منه. [٣٥] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يُطلَبُ منهم أن يُرْضُوا ربَّهُم بالتوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ. [٣٦] ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالق ما ذُكِرَ، والعالَمُ: ما سوى اللّهِ، وجُمِعَ لاختلاف أنواعه، و (رب) بدل. [٣٧] ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حال، أي كائنة فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدم.

الجزء ٢٦ الحزب ٥١

﴿سورة الأحقاف﴾

[مكية إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية وآياتها ٣٤ أو ٣٥].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُهُ: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا﴾ خوفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ﴾. [٤] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام مفعول أول ﴿أَرُونِى﴾ أخبروني، ما تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثان ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة[1] ﴿فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مع الله و «أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾ منزل ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ﴾ بقية ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم. [٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

(١) قال في حاشية الجمل (٧/١٥٧): لو فَسّر الشرك بالشركة لكان أوضح.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ
وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾ جاحدين. [٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن ظاهر. [٨] ﴿أَمْ﴾ بمعنى «بل» وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي مِنْ عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي لا تقدرون على دَفْعِهِ عَنّي إن عَذَّبَني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به فلم يعاجلكم بالعقوبة. [٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا﴾ بديعاً[1] ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي أوّلَ مُرْسَلٍ، قد سَبَقَ قَبْلي كثيرون منهم، فكيف تُكذبوني ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا أَأُخْرَجُ مِنْ بَلَدي، أَمْ أُقْتَلُ كما فُعِلَ بالأنبياء قبلي، أو تَرْمُوني بالحِجارة، أَمْ يُخْسَفُ بكُمْ كَالمُكَذِّبينَ قَبْلَكُمْ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّن الإنذار. [١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي عليه أنه من عند الله ﴿فَآمَنَ﴾ الشاهد ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه: أَلَسْتُم ظالمين؟ دلّ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. [١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي في حقّهم: ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي القائلون ﴿بِهِ﴾ أي القرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾. [١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به. حالان ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في مصدق ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين. [١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. [١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر، أي: يُجْزَوْنَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وعن جابر بن عبد الله قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرون بالكَبَر والمزامير، ويتركون النبي ﷺ قائماً على المِنبر وينفضُّون، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾. [رواه الطبري وأبو عوانة].

---

(١) البدع والبديع: ما لم يُرَ مثله، وهو من الابتداع، وهو الاختراع. (حاشية الجمل).

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾، أي أمرناه أن يحسن إليهما، فنُصِبَ (إحساناً) على المصدر بفعله المُقدَّر، ومثله (حسناً) ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي على مشقة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أَقَلّ مُدّة الحَمْل، والباقي أكثر مدة الرضاع. وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لجملة مقدرة، أي: وعاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أَقَلُّه ثلاثٌ وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي تمامها وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ إلخ، نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين يُعذَّبونَ في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. [١٦] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حُسْنَ ﴿مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال، أي كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾[التوبة: ٧٢]. [١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ ـ وفي قراءة بالإدغام، أُريدَ به الجنسُ ـ: ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر، أي نَتناً وقُبحاً ﴿لَّكُمَا﴾ أتضجَّرُ منكما ﴿أَتَعِدَانِنِي﴾ وفي قراءة بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه الغوث برجوعه ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَيْلَكَ﴾ أي هلاكك بمعنى هلكت ﴿آمِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا﴾ أي القول بالبعث ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم. [١٨] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾. [١٩] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَاتٌ﴾ فدَرَجاتُ المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي الله، وفي قراءة بالنون ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار. [٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بِهَمْزَةٍ وبهمزتين، وبهمزة ومَدَّةٍ، وبهما وتسهيل الثانية[١] ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهَا﴾

(١) بهمزة وبهمزتين محققتين أو بتسهيل الثانية مع إدخال ألف الفصل وعدمه في الحالتين.

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٥١

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

[٢١] ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هُوَ هُودٌ عليه السلام ﴿إِذْ ...﴾ إلخ بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُ﴾ خَوَّفهُم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ وادٍ باليَمَن به مَنازِلُهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ مَضت الرُّسُلُ ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي مِنْ قَبْلِ هُود ومِنْ بَعْده إلى أقوامهم ﴿أَن﴾، أي بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة: (وقد خلت) معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. [٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتينا. [٢٣] ﴿قَالَ﴾ هود ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب. [٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي مُمْطِرٌ إيّانا، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. [٢٥] ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته، أي كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم. [٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا﴾ في الذي ﴿إِن﴾ نافية أو زائدة ﴿مَّكَّنَّاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعاً ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوباً ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي شيئاً من الإغناء، ومن زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة لـ (أغنى) وأُشْرِبَت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحُجَجِه البيِّنَة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي العذاب. [٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ أي من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ كرّرْنا الحُجَجَ البيِّناتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. [٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلاّ ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متقرباً بهم إلى الله ﴿آلِهَةً﴾ معه وهم الأصنام، ومفعول (اتخذ) الأول ضمير محذوف يعود على الموصول، أي: هم، و (قرباناً) الثاني و (آلهة) بَدلٌ منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون، و «ما» مصدرية أو موصولة، والعائد محذوف، أي: فيه. [٢٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾ أَمَلْنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

﴿ٱلْجِنِّ﴾ جِنّ نَصيبين باليَمَن[١]، أو جِنّ نِينَوى وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببَطْنِ نَخْلٍ[٢] يُصَلّي بأصحابه الفجر؛ رواه الشيخان[٣] ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾ أي قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا۟﴾ أَصْغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا۟﴾ رَجَعُوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ مخوِّفين قَوْمَهُم العذابَ إنْ لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً وقد أسلموا. [٣٠] ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تَقَدَّمَهُ كالتوراة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي طريقه. [٣١] ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تُغْفَرُ إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم. [٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾ لمن لا يجب ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن ظاهر. [٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا، أي مُنْكِرُو البَعْث ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يعجز عنه ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ خبر «أنّ» وزيدت الباء فيه، لأن الكلام في قوة: أليس الله بقادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأنْ يُعذَّبوا بها يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. [٣٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ ذَوُو الثَّبات والصَّبر على الشدائد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم، و «مِن» للبيان، فكُلُّهم ذَوُو عَزْم، وقيل: للتبعيض، فليس منهم آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] ولا يونس لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم فأَحَبَّ نُزولَ العذاب بهم، فأُمِرَ بالصبر وترك الاستعجال للعذاب، فإنه نازل لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ هذا القرآن ﴿بَلَٰغٌ﴾ تَبليغٌ مِنَ الله إليكم ﴿فَهَلْ﴾ أي لا ﴿يُهْلَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي الكافرون.

---

(١) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر: معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

(٢) هو: نخلة.

(٣) رواه البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ
أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم
بِبَعۡضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ
وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾

﴿سورة محمد﴾

[مدنية إلا الآية ١٣ أو مكية وآياتها ٣٨ أو ٣٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّواْ﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ أحبط ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ كـإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى. [٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي القرآن ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن﴾ عند ﴿رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ﴾ غفر لهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ حالهم فلا يعصونه. [٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك البيان ﴿يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ يبيِّن أحوالهم، أي فالكافر يُحبطُ عَمَلَهُ، والمؤمن يَغْفِرُ له. [٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي فاضربوا رقابهم، أي اقتلوهم، وعبَّر بضَرْبِ الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّواْ﴾ فَأَمْسِكُوا عنهم وَأَسِرُوهُمْ وشُدُّوا ﴿ٱلۡوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي تمنُّون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ تُفادُونَهُمْ بمالٍ، أو أَسْرَى مُسْلِمِينَ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ﴾ أي أهلها ﴿أَوۡزَارَهَاۚ﴾ أثقالها من السلاح وغيره، بأن يُسْلِمَ الكُفَّارُ، أو يَدْخُلُوا في العَهْدِ، وهذه غاية للقتلِ والأسر ﴿ذَٰلِكَۖ﴾ خبر مبتدأ مُقدَّر، أي الأَمْرُ فيهم ما ذُكِرَ ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍۗ﴾ منهم في القتال، فَيَصِير مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ إلى الجنة، ومِنْهُم إلى النار ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ وفي قراءة: (قاتلوا)، الآية نزلت يومَ أُحُدٍ، وقد فشَا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يحبط ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾. [٥] ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا في: (قتلوا) تغليباً. [٦] ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾ بيّنها ﴿لَهُمۡ﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدَمِهم مِنْ غير استدلال. [٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي دينه ورسوله ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ يثبتكم في المعترك. [٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة مبتدأ خبره: تَعِسُوا، يدل عليه ﴿فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ أي هَلاكاً وخَيْبَةً مِنَ الله ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عَطْفٌ على تَعِسُوا. [٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّعْسُ والإضلال ﴿بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾. [١٠] ﴿۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ أي أمثال عاقبة ما قبلهم. [١١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ نَصْرُ المؤمنين وقَهْرُ الكافرين

نصف الحزب ٥١

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ﴾ ولي وناصر ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾. [١٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ أي ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ منزل ومقام ومصير. [١٣] ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ وكم ﴿ مِّن قَرۡيَةٍ ﴾ أريد بها أهلها ﴿ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ﴾ مكة أي أهلها ﴿ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ ﴾ روعي لفظ (قرية) ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ ﴾ روعي معنى (قرية) الأولى ﴿ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾ من إهلاكنا. [١٤] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾ حجة وبرهان ﴿ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ فرآه حسناً وهم كفار مكة ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ في عبادة الأوثان، أي لا مماثلة بينهما. [١٥] ﴿ مَّثَلُ ﴾ أي صفة ﴿ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ المشتركة بين داخليها، مُبْتدأٌ خَبَرُهُ: ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴾ بالمد والقصر، كَضَارِبٍ وَحَذِرٍ، أي غَيْرَ مُتَغَيِّرٍ بخلاف ماء الدنيا فيتغيَّر بِعارِضٍ ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ ﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ ﴾ لذيذة ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى ﴾ بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالط الشمع وغيره ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَا ﴾ أصناف ﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم بما ذُكِرَ، بخلاف سَيِّدِ العَبيدِ في الدنيا، فإنه قد يكونُ مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم ﴿ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي: أمن هو في هذا النعيم ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا ﴾ أي شديد الحرارة ﴿ فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم، وهو جَمْعُ «مِعىً» بالقصر، وأَلِفُهُ عَنْ يَاءٍ، لقولهم: مِعيَان. [١٦] ﴿ وَمِنۡهُم ﴾ أي الكفار ﴿ مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ ﴾ في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية: ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ بالمد والقصر، أي الساعة، أي لا نرجع إليه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ بالكفر ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ في النفاق. [١٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ زَادَهُمۡ ﴾ الله ﴿ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ ألهمهم ما يتَّقونَ به النار. [١٨] ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظرون، أي كفار مكة ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم ﴾ بدل اشتمال من (الساعة)، أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿ بَغۡتَةٗ ﴾ فجأة ﴿ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ﴾ علاماتها: منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ﴾ الساعة ﴿ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴾ تذكُّرُهم، أي لا ينفعهم. [١٩] ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي دُمْ يا محمّدُ على عِلْمِكَ بذلك النافع في القيامة ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته؛ لِتَسْتَنَّ به أُمَّتُهُ، وقد فعله قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مئة

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

مرة»[1] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ مُتصرَّفَكُم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ مأواكم إلى مَضاجِعِكُم بالليل، أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحْذَرُوهُ، والخطابُ للمؤمنين وغيرهم. [٢٠] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ طلباً للجهاد. ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي لم يُنْسخ منها شيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي طلبه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شكٌّ، وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكراهة له، أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي حَسَنٌ لك[2] ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي فُرِضَ القتالُ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا». [٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب، أي لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال. [٢٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن طريق الهدى. [٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ فلا يفهمونه. [٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟﴾ بالنفاق ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي زيَّن ﴿لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ بضم أوله، وبفتحه، واللام، والمُمْلِي الشَّيْطانُ بإرادته تعالى، فهو المُضِلُّ لهم. [٢٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي المعاونة على عَداوةِ النبي ﷺ وتثبيطِ الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سِرّاً فأظهره الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة: جَمْعُ سِرٍّ، وبكسرها: مصدر. [٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال من (الملائكة) ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظُهورَهم بمقامعَ مِنْ حديد. [٢٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ يُظْهِر

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) قوله: «أي حَسَنٌ» تفسير لـ «معروف». وقوله: «لك» متعلق بكلٍّ من «طاعة» و«قول» أي: طاعةٌ لك، وقولٌ معروفٌ لك؛ أي: الأولى أن يطيعوك، ويخاطبوك بالقول الحسن الخالي عن الأذية. (حاشية الجمل).

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

أَحْقادَهُم على النبي ﷺ والمؤمنين. [٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ عرَّفْناكَهُمْ، وكُرِّرَت اللامُ في: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ علامتهم ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يُعَرِّضُوا بما فيه تَهْجين أمر المسلمين ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾. [٣١] ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ نختبرنكم بالجهاد وغيره ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ علم ظهور(١) ﴿ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ في الجهاد وغيره ﴿ وَنَبْلُوَا۟ ﴾ نُظْهِر ﴿ أَخْبَارَكُمْ ﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة. [٣٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريق الحق ﴿ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ خالفوه ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ يُبْطِلُها مِنْ صَدَقةٍ ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، نزلت في المُطْعِمينَ مِنْ أصحاب بَدر، أو في قريْظَةَ والنَّضير. [٣٣] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ بالمعاصي مثلاً. [٣٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريقه وهو الهدى ﴿ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ نزلت في أصحاب القَليب. [٣٥] ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ بفتح السين وكسرها: أي الصلح مع الكفار إذا لَقِيتُموهُم ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ حذف منه «واو» لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ بالعَوْنِ والنَّصْر ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ ﴾ ينقصكم ﴿ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ أي ثوابها. [٣٦] ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي الاشتغال فيها ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ جميعها بل الزكاة المفروضة فيها. [٣٧] ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ يُبالغ في طَلَبها ﴿ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ ﴾ البُخْلُ ﴿ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ لدين الإسلام. [٣٨] ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ يا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ما فرض عليكم ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ يقالُ: بَخِلَ عليه وعنه ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن نفقتكم ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ إليه ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ ﴾ عن طاعته ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أي يجعلهم بدلكم ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ في التَّوَلِّي عن طاعته، بل مُطيعين له عز وجل.

(١) قوله: «علم ظهور» أي: علماً شهودياً يشهده غيرنا مطابقاً لما كنَّا نعلمه علماً غيبياً، فنستخرج من سائركم ما جبلناكم عليه ممَّا لا يعلمه أحدٌ منكم، بل ولا يعلمونه حقَّ علمه. (حاشية الجمل).

سورة الفتح
ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

﴿سورة الفتح﴾

[مدنية، نزلت في الطريق عند الانصراف من الحُدَيْبِيَةِ وآياتها ٢٩].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عَنْوَةً بجهادك ﴿فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ بيِّناً ظاهراً. [٢] ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه لترغب أمتك في الجهاد[1]، وهو مُؤَوَّلٌ[2] لِعِصْمَةِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطِع مِنَ الذُّنُوبِ، و «اللام» للعلة الغائية، فمدخولها مُسبَّبٌ لا سَببٌ ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعۡمَتَهُۥ﴾ إنعامه ﴿عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَٰطٗا﴾ طريقاً ﴿مُّسۡتَقِيمٗا﴾ يثبتك عليه وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ به ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ ذا عِزٍّ لا ذُلَّ له. [٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ بشرائع الدين، كلَّما نزَّل واحدةً منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلو أراد نَصْرَ دِينِهِ بِغَيرِكُمْ لَفَعَلَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه، أي لم يزل مُتَّصِفاً بذلك. [٥] ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ متعلق بمحذوف ، أي أمر بالجهاد. ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾. [٦] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة، ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ مرجعاً . [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنْعِهِ، أي: لم يَزَلْ مُتَّصِفاً بذلك. [٨] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على أُمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ لهم في الدنيا ﴿وَنَذِيرٗا﴾ مُنْذِراً مخوّفاً فيها مَنْ عَمِلَ سُوءاً بالنار. [٩] ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ تنصروه وقرىء بزايَيْنِ معَ الفَوْقانية[3] ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تُعَظِّمُوهُ وضميرها لله أو لرسوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي الله ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشيّ.

---

(١) قوله: «لترغب أمتك في الجهاد» علّةٌ لترتب الغفران على الفتح؛ أي: إنما رتَّبنا عليه غفران الذنوب؛ لترغب أمتك فيه. (حاشية الجمل).

(٢) قوله: «هو مؤوّل» أي: بأنّه من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين. (حاشية الجمل).

(٣) وهي قراءة شاذة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ بَيْعَةَ الرِّضْوان بالحُدَيْبِيَةِ. ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ هو نحو: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ التي بايعوا بها النبي، أي هو تعالى مُطَّلِعٌ على مبايعتهم فيجازيهم عليها ﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ نقض البيعة ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ ﴾ بالياء والنون ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. [١١] ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ حول المدينة، أي الذين خَلَّفَهُم اللَّهُ عن صُحْبَتِك لمّا طَلَبْتَهُم لِيَخْرُجُوا معك إلى مَكَّةٍ خوفاً من تَعَرُّضِ قريش لك عام الحُدَيْبِيَةِ إذا رجعت منها: ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ عن الخروج معك ﴿ فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ اللَّهَ مِنْ تَرْك الخروج معك، قال تعالى مُكَذِّباً لهم: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ أي من طلب الاستغفار وما قبله ﴿ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿ قُلْ فَمَن ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿ يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ بفتح الضاد وضمها ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ أي لم يَزَلْ مُتَّصِفاً بذلك. [١٢] ﴿ بَلْ ﴾ في الموضعين للانتقال مِنْ غَرَضٍ إلى آخر ﴿ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ أي أنهم يُسْتَأْصَلُونَ بالقَتْلِ فلا يَرْجِعُونَ ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ هذا وغيره ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ جَمْعُ بَائِرٍ، أي هالكين عند الله بهذا الظن. [١٣] ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ ناراً شديدة. [١٤] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي لم يَزَلْ مُتَّصِفاً بما ذكر. [١٥] ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ المذكورون ﴿ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ ﴾ هي مغانم خَيْبَر. ﴿ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا ﴾ اتْرُكُونا ﴿ نَتَّبِعْكُمْ ﴾ لنأخذ منها ﴿ يُرِيدُونَ ﴾ بذلك ﴿ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وفي قراءة: كلِم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهلَ الحديبية خاصة ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي قَبْلَ عَوْدِنا ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ من الدِّين ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم.

سورةُ المنافِقون

عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدّثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط. فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كَذَّبَكَ رسول الله ﷺ وَمَقَتَكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾ فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ فقال: « إن الله قد صدَّقَكَ يا زيد ». [رواه البخاري ومسلم].

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المذكورين اختباراً: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ حالٌ مُقَدَّرَةٌ هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً. [١٧] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ بالياء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الحزب ٥٢

[١٨] ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سَمُرَة، وهم ألف وثلاثمئة، أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشاً، وألا يَفِرُّوا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية. [١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي لم يزَلْ مُتَّصِفاً بذلك. [٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم، وهَمَّتْ بهم اليهودُ، فقذفَ اللّهُ في قلوبهم الرُّعْبَ ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي المعجلة، عطف على مقدر؛ أي لتشكروه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى. [٢١] ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ صفة (مغانم) مقدراً، مبتدأ[١] ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك. [٢٢] ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾. [٢٣] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مَصْدَر مؤكّد لمضمون الجملة قبله، مِنْ هَزِيمَة الكافرين ونَصْر المؤمنين، أي سَنَّ الله ذلك سُنَّةً ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه[٢].

---

(٧) قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾.

---

(١) أي: التقدير: ومغانم أخرى.... قد أحاط الله بها، فـ «مغانم» المقدرة: مبتدأ، والخبر جملة قد أحاط الله بها، وما بينهما صفة. (حاشية الجمل بتصرف).

(٢) أي: من الله تعالى؛ أي أنَّ الله لا يبدِّلُ سنته، وطريقته. (حاشية الجمل).

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإنَّ ثمانينَ منهم طافوا بِعَسْكَرِكُم لِيُصيبوا منكم، فأُخِذوا، وأُتِيَ بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالياء والتاء، أي لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي عن الوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ معطوف على كم ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً حال ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي مكانه الذي يُنْحرُ فيه عادةً، وهو الحَرَمُ، بَدَلُ اشتِمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من «هم» ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي إثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منكم به. وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف، أي: لأَذِنَ لكم في الفَتْحِ، لكن لم يُؤْذَنْ فيه حينئذ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ تميَّزُوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ بأن نأذَنَ لكم في فَتْحِها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً. [٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ مُتعلِّق بـ (عذّبنا) ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فاعل ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل من الحَمِيَّةِ، وهي صَدُّهُم النبيَّ وأصحابَهُ عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أنْ يَعُودوا مِنْ قابِلٍ، ولم يَلْحَقْهُمْ مِنَ الحَمِيَّةِ ما لَحِقَ الكفارَ حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي لم يزل متّصفاً بذلك، ومن معلومه تعالى: أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ رأى رسولُ الله ﷺ في النوم عامَ الحديبية، قبلَ خروجه: أنه يدخُلُ مكةَ هو وأصحابُه آمِنينَ ويَحْلِقُونَ ويُقَصِّرُونَ، فأَخْبَرَ بذلك أصحابَهُ، ففرحوا، فلما خرجوا معه وصَدَّهُم الكفارُ بالحديبية، ورجعوا، وشَقَّ عليهم ذلك، ورابَ بعضُ المنافقين؛ نزلَتْ. وقولُه: (بالحق) متعلق بـ (صَدَقَ) أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسيرٌ لها ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتَّبرُّكِ ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي جميعَ شُعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعضَ شُعورها، وهما حالانِ مُقدَّرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ مِنَ الصَّلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي الدخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل. [٢٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي دين الحق ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسَلٌ بما ذُكِرَ، كما قال الله تعالى:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

[٢٩] ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ، خَبَرُهُ: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ غِلاظٌ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان، أي مُتعاطِفُونَ مُتوادُّونَ كالوالد مع الولد ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ـ مستأنف ـ يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم مبتدأ ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ خبره، وهو نورٌ وبَياض يُعرَفون به في الآخرة: أنهم سَجَدوا في الدنيا ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، أي كائنة، وأعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صِفتُهُم، مبتدأ ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء وفتحها: فِراخَهُ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ ـ بالمد والقصر ـ قَوَّاهُ وأعانه ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصوله جَمْعُ سَاقٍ ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي زُرَّاعَهُ لِحُسْنِهِ، مَثَّلَ الصحابةَ ـ رضي الله عنهم ـ بذلك؛ لأنهم بَدَؤوا في قِلّةٍ وضَعْفٍ فكَثُروا وقَوُوا على أحْسَنِ الوُجُوهِ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ متعلق بمحذوف دَلّ عليه ما قبله، أي شُبِّهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ الجنة. وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات[1].

ربع الحزب

﴿سورة الحجرات﴾

[مدنية وآياتها ١٨].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ مِنْ قَدَّمَ بمعنى تقَدَّم، أي: لا تقدَّموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المُبَلِّغ عنه، أي بغير إذنهما ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد[2]. [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إذا نطقتم ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ إذا نطَقَ ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ إذا ناجيتموه بل دون ذلك إجلالاً له ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكُورَيْن، ونزَلَ فيمن كان يَخْفِض صوتَهُ عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم. [٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ﴾ اختبر ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي لِتَظْهَرَ منهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤُوا وَقْتَ الظَّهيرةِ والنبيُّ ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ حُجُراتِ نِسائِهِ ﷺ جَمْعُ حُجْرَةٍ، وهي ما يُحْجَرُ عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حُجْرَةٍ؛

---

(١) أي: المغفرة والأجر العظيم ثبتا في آيات من القرآن لمن بعد الصحابة من التابعين وَمَن بعدهم، كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

(٢) رواه البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧).

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟
أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

لأنهم لم يعلموه في أي حجرة، مناداةَ الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيما فعلوه مَحَلَّكَ الرَّفِيعَ، وما يُناسبُه مِنَ التَّعْظِيم. [٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعلٍ مقدر، أي ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم. ونزل في الوليد بن عقبة[1] وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً، فخافهم لِتِرَةٍ كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فَرَجَعَ وقال: إنهم منعوا الصدقة وهَمُّوا بقتله، فهمَّ النبي ﷺ بغزوهم فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم: [٦] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ صِدْقَهُ من كَذِبِهِ، وفي قراءة: (فتثبتوا) من الثبات ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا﴾ مفعول له، أي خشية ذلك ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ حال من الفاعل، أي جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نَـٰدِمِينَ﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم يَرَ فيهم إلا الطاعةَ والخيْرَ فأخبر النبيَّ بذلك. [٧] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطلَ، فإن اللَّهَ يُخْبِرُهُ بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تُخْبِرُونَ به على خِلافِ الواقع فَيُرَتِّبُ على ذلك مُقْتَضاهُ ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأَثِمْتُمْ دُونه إثم التَّسَبُّبِ إلى المُرَتَّب ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾ حَسَّنَهُ ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن مَنْ حُبِّبَ إليه الإيمان... إلخ غايَرَتْ صِفَتُهُ صِفَةَ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُه ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم. [٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر، أي أفضل ﴿وَنِعْمَةً﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه عليهم. [٩] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي: أن النبي ﷺ ركب حماراً، ومَرَّ على ابنِ أُبَيٍّ فَبالَ الحِمارُ فَسَدَّ ابنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ، فقال ابنُ رَواحَةَ: واللَّهِ لَبَوْلُ حِمارِه أَطْيَبُ ريحاً مِنْ مِسْكِكَ، فكانَ بين قَوْمَيْهِما ضَرْبٌ بالأيدي والنِّعال والسَّعَفِ ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ جُمِعَ نَظَراً إلى المعنى؛ لأن كلَّ طائفةٍ جماعةٌ، وقرىء[2]: (اقتتلتا) ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ ثُنِّيَ نَظَراً إلى اللفظ ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾ تعدت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الحق ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾. [١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا. وقرىء: ﴿إخوتكم﴾ بالفوقانية ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإصلاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

---

(١) إطلاقُ لفظ الفاسق على الوليد فيما سيأتي بعد قليل بعيدٌ؛ لأنه توهَّمَ وظَنَّ فأخطأ، والمخطىء لا يُسمَّى فاسقاً. وقال الخازن في تفسيره: هو عام، نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق. انظر: حاشية الجمل (٧/٢٤٦).

(٢) قراءة شاذة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ﴾ الآية نزلت في وفد تميم حين سَخِروا مِنْ فُقراءِ المسلمين كعَمَّارٍ وصُهَيْب. والسخرية: الازدراء والاحتقار ﴿قَوۡمٞ﴾ أي رجال منكم ﴿مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٞ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا تَعيبوا فتُعابُوا، أي لا يَعِبْ بَعْضُكم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ لا يَدْعُو بعضُكم بعضاً بلَقَبٍ يَكْرَهُهُ، ومنه: يا فاسِقُ، يا كافِرُ ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ﴾ أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ بدل من (الاسم) لإفادة: أنه فسق لتكرره عادة(1) ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ من ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. [١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ أي مُؤْثِم وهو كثيرٌ، كظَنِّ السُّوءِ بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافِهِ بالفُسَّاقِ منهم، فلا إثْمَ فيه في نحو ما يَظْهَرُ منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ ـ حذف منه إحدى التاءين ـ: لا تَتَّبِعوا عَوْراتِ المسلمينَ ومعايِبَهُم بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ بالتخفيف والتشديد، أي لا يَحْسُنُ به ﴿فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ أي فاغْتِيابُه في حياته كأَكْلِ لَحْمِهِ بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكَرِهْتُموهُ فاكْرَهوا الأول ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أي عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم. [١٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا﴾ جمع شَعْب ـ بفتح الشين ـ هو أعلى طبقات النَّسَبِ ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ هي دُونَ الشعوب، وبَعْدَها العَمائِرُ، ثم البُطونُ، ثم الأَفْخاذُ، ثم الفَصائِلُ آخرها، مثاله: خُزَيْمَةُ: شَعْبٌ، كِنانَةُ: قبيلةٌ، قُرَيْشٌ: عِمارَةٌ ـ بكسر العين ـ قُصَيّ: بَطْنٌ، هَاشِمٌ: فَخِذٌ، العَبّاس: فَصِيلَةٌ ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ حذف منه إحدى التاءين، ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً، لا لِتَفاخَرُوا بِعُلُوِّ النَّسَب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٞ﴾ ببواطنكم. [١٤] ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ نفرٌ من بني أسد: ﴿ءَامَنَّاۖ﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ انْقَدْنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ إلى الآن لكنه يُتَوَقَّع منكم ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾ ـ بالهمز وتركه، وبإبداله ألفاً ـ: لا يُنْقِصْكُم ﴿مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ﴾ أي من ثوابها ﴿شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [١٥] ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا مَنْ قالوا: آمنّا ولم يوجد منهم غير الإسلام. [١٦] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ مُضَعَّفُ «عَلِمَ»، بمعنى شَعَرَ، أي أَتُشْعِرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾. [١٧] ﴿يَمُنُّونَ﴾

نصف الحزب ٥٢

---

(١) يعني: أنَّه وإن كان المذكور صغيرة لا يفسق، لكنه في العادة يتكرر، فيصير كبيرة مفسقةً. (حاشية الجمل).

سُورَةُ قٓ

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ مِنْ غَيْرِ قِتالٍ، بخلاف غيرهم مِمَّنْ أَسْلَمَ بعد قتاله منهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُم﴾ منصوب بنزع الخافض «الباء» ويُقدَّر قبل «أن» في الموضعين(1) ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم آمنا. [١٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ لا يخفى عليه شيء منه.

﴿سورة ق﴾

[مكية إلا الآية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ الكريم ما آمَنَ كفارُ مكةَ بمحمد ﷺ. [٢] ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ رسول من أنفسهم يخوّفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذار ﴿شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾. [٣] ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا﴾ نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ في غاية البعد. [٤] ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ تأكل ﴿مِنۡهُمۡ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة. [٥] ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب قالوا مرةً: ساحِرٌ وسِحْرٌ، ومرةً: شاعِرٌ وشِعْرٌ، ومرة: كاهِنٌ وكِهانةٌ. [٦] ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ بعيونهم، معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كائنة ﴿فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ شقوق تعيبُها. [٧] ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوف على موضع ﴿إلى السماء﴾، كيف ﴿مَدَدۡنَٰهَا﴾ دحوناها على وجه الماء ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٖ﴾ يبهج به لحسنه. [٨] ﴿تَبۡصِرَةٗ﴾ مفعول له، أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ تذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ رجاع إلى طاعتنا. [٩] ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾ المحصود. [١٠] ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ طوالاً، حالٌ مُقَدَّرةٌ ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ مُتَراكِب بَعْضُه فوق بعض. [١١] ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ من القبور فكيف تنكرونه؟! والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظَرُوا وعَلِمُوا ما ذُكِرَ. [١٢] ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ تأنيث الفعل بمعنى قوم ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم: قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح. [١٣] ﴿وَعَادٞ﴾ قوم هود ﴿وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾. [١٤] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ الغيضة قومُ شُعَيْب ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖ﴾ هو مَلِكٌ كان باليَمَنِ أَسْلَمَ ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ﴿كُلّٞ﴾ من المَذْكورِين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يَضِيقُ صَدْرُكَ مِنْ كُفْرِ قريش بك. [١٥] ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾ أي لم نعي به فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ شك ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ وهو البعث.

---

(١) أي: ويقدر الخافض الذي هو «الباء» في موضعين وهما: ﴿أن أسلموا﴾ و: ﴿أن هداكم﴾. (حاشية الجمل).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ حالٌ بتقدير «نحن» ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُوَسْوِسُ﴾ تُحَدِّثُ ﴿بِهِۦ﴾ «الباء» زائدة، أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ الإضافة للبيان، والوَريدانِ: عِرْقانِ بصَفْحَتي العُنُقِ. [١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة «باذكر» مُقَدَّراً ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ويثبت ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ أي قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله. [١٨] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، وكلٌّ منهما بمعنى المُثَنّى. [١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ غَمْرَتُهُ وشِدَّتُه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتّى يراه المُنْكِر لها عياناً، وهو نفس الشدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تهرب وتفزع. [٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ للكفار بالعذاب. [٢١] ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: [٢٢] ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازِلِ بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أَزَلْنا غَفْلَتَك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ حادٌّ تُدرِكُ به ما أنكرْتَهُ في الدنيا. [٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ المَلَكُ المُوَكَّلُ به ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي الذي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ حاضر. فيقال لمالك: [٢٤] ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أي: أَلْقِ أَلْقِ، أو أَلْقِيَنْ، وبه قرأ الحسن[1] فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ مُعانِدٍ للحق. [٢٥] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في دينه. [٢٦] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأ ضُمِّن معنى الشرط، خَبَرُهُ: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ تفسيره مثل ما تقدم. [٢٧] ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال: هو أطغاني بدعائه لي. [٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بُدَّ منه. [٢٩] ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يغير ﴿ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأُعَذِّبُهُم بغير جُرْمٍ، و «ظَلّامٌ» بمعنى: ذي ظُلْمٍ؛ لقوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]. [٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصِبُهُ: ظَلّامٌ ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي لا أسعُ غير ما امْتَلأْتُ به، أي قد امْتَلأْتُ. [٣١] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرِّبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، فيَرَوْنَها ويقال لهم: [٣٢] ﴿هَٰذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا، ويُبْدَلُ مِنْ «للمتقين» قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رَجّاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافَهُ ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ مُقْبِلٍ على طاعته، ويقال للمتقين أيضاً: [٣٤] ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ سالمين مِنْ كُلِّ مخوفٍ، أوْ مَعَ سَلامٍ، أي:

---

(١) أي: الحسن البصري، وقراءته هذه من الشواذ، ولم يقرأ بها أحدٌ من السبعة. (حاشية الجمل).

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

سلِّموا وادْخُلوا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا. [٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أهلكنا قبل كفار قريش قروناً كثيرة من الكفار ﴿ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ قوة ﴿ فَنَقَّبُوا ﴾ فتّشوا ﴿ فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا. [٣٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَذِكْرَىٰ ﴾ لعِظَةً ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ عقل ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾ استمع الوعظ ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ حاضر بالقلب. [٣٨] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أوّلها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ تعَب، نزَل رَدّاً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت واستلقى على العرش، وانتفاء التعب عنه لِتَنَزُّهِه تعالى عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسة بينه وبين غيره ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]. [٣٩] ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ صل حامداً ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ أي صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ أي صلاتَيْ الظهر والعصر. [٤٠] ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ أي صَلِّ العِشاءَيْنِ ﴿ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ ـ بفتح الهمزة ـ جَمْعُ دُبُرٍ، وكَسْرِها: مَصْدَرُ أَدْبَرَ، أي صَلِّ النوافلَ المَسْنُونَةَ عَقِبَ الفرائِضِ. وقيل: المُرادُ حقيقةُ التسبيح في هذه الأوقات مُلابِساً للحمد. [٤١] ﴿ وَاسْتَمِعْ ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ هو إسرافيل ﴿ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من السماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. [٤٢] ﴿ يَوْمَ ﴾ بدل من يوم قبله ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ أي الخلق كلهم ﴿ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ﴾ بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويُحتَمَل أن تكونَ قبل ندائه وبعده ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي يوم النداء والسماع ﴿ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ من القبور وناصب (يوم ينادي) مُقدَّراً، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. [٤٣] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾. [٤٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ بدل من (يوم) قبله، وما بينهما اعتراض ﴿ تَشَقَّقُ ﴾ بتخفيف الشين وتشديدها، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ جمع سريع حال من مقدر، أي: فيخرجون مسرعين ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ فيه فَصْلٌ بين الموصوف والصفة بمُتَعَلَّقِها للاختصاص، وهو لا يضر، وذلك إشارة إلى معنى الحَشْر المُخْبَر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب. [٤٥] ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي كفار قريش ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ تُجْبِرُهُمْ على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ وهم المؤمنون.

عن الحكم قال: سمعت محمد بن كعب القُرَظِي، قال: سمعت زيد بن أرقم رضي الله عنه لما قال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله، وقال أيضاً: لئن رجعنا إلى المدينة، أخبرت به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: «إنَّ الله قد صدقك» ونزل: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا ﴾ الآية. [رواه البخاري وغيره].

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

﴿سورة الذاريات﴾

[مكية وآياتها ٦٠].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾: الرِّيَاحُ تَذْرُو التُّرابَ وغيره ﴿ذَرْوًا﴾ مصدر، ويُقال: تَذْرِيهِ ذَرْياً: تَهُبُّ به. [٢] ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾: السُّحُبُ، تحملُ الماء ﴿وِقْرًا﴾: ثقلاً، مفعول الحاملات. [٣] ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾: السُّفُنُ، تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾ بسهولة، مَصْدَرٌ في موضع الحال، أي مُيَسَّرَةً. [٤] ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ «ما» مصدرية، أي: إنّ وَعْدَهُمْ بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لَوَعْدٌ صادِقٌ. [٦] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة. [٧] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ جَمْعُ حَبِيكَةٍ، كَطَرِيقَةٍ وطَرِيقٍ، أي: صاحبة الطُّرُقِ في الخِلْقَةِ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر، كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يُصْرَفُ ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن، أي عن الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ صُرِفَ عن الهداية في علم الله تعالى. [١٠] ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لُعِنَ الكذّابون أصحابُ القول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ جَهْلٍ يَغْمُرُهُمْ ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. [١٢] ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي متى مجيئه؟ وجوابهم: يجيء. [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يُعَذَّبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب: [١٤] ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾ التعذيب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿آخِذِينَ﴾ حَالٌ من الضمير في خبر (إن) ﴿مَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و «ما»: زائدة و (يهجعون): خبر «كان»، و (قليلاً) ظرف، أي ينامون، في زمن يسير من الليل ويُصَلُّونَ أكْثَرَهُ. [١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يَسْأَلُ لتَعَفُّفِهِ. [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آياتٌ أيضاً من مبدأ خَلْقِكُم إلى مُنْتَهاه، وما في تَرْكِيبِ خَلْقِكم مِنَ العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صانِعِهِ وقُدْرَتِه. [٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي المَطَر المُسَبَّب عنه النباتُ الذي هو رزقٌ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب، أي مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ برفع (مثل) صفة، و «ما» مزيدة، وبفتح «اللام» مركبة مع «ما»، المعنى: مِثْلَ نُطْقِكُمْ في حقيقته، أي معلوميّتِهِ عِنْدَكُم ضَرُورةَ صُدورِهِ عنكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿حديث ضيف﴾ ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لا نَعْرِفُهُم. قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مُقَدَّر، أي: هؤلاء. [٢٦] ﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ سراً ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي سورة هود [الآية: ٦٩]

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

الجزء ٢٧ الحزب ٥٣

﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ أي مشوي. [٢٧] ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ عَرَضَ عليهم الأكْلَ فلم يُجيبُوا. [٢٨] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ أضمر في نفسه ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ ﴾ إنا رُسُلُ رَبِّكَ ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذُكِرَ في «هود» . [٢٩] ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ سارة ﴿ فِى صَرَّةٍ ﴾ صَيْحَةٍ، حَالٌ، أي جاءت صَائِحَةً ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ لَطَمَتْهُ ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ لم تَلِدْ قَطُّ، وعُمُرُها: تِسْعٌ وتِسْعُونَ سَنَةً، وعُمُرُ إبراهيمَ: مئة سَنَةٍ، أو عُمُرُهُ: مئةٌ وعشرون سنة، وعُمُرُها: تِسْعون سنة. [٣٠] ﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ ﴾ أي مثل قولنا في البشارة ﴿ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في صنعه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بخلقه. [٣١] ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ شأنكم ﴿ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ . [٣٢] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ كافرين، هم قوم لوط. [٣٣] ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ مطبوخ بالنار . [٣٤] ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ مُعَلَّمَةً، عَلَيْها اسْمُ مَنْ يُرمَى بها ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ ظرف لها ﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم. [٣٥] ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا ﴾ أي قرى قوم لوط ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لإهلاك الكافرين. [٣٦] ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وهم لوط وابنتاه. وُصِفُوا بالإيمان والإسلام، أي هم مُصَدِّقونَ بقلوبهم عامِلون بجَوارِحِهم الطاعات. [٣٧] ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿ ءَايَةً ﴾ علامة على إهلاكهم ﴿ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم. [٣٨] ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ ﴾ معطوف على فيها، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ متلبساً ﴿ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة واضحة. [٣٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ بِرُكْنِهِۦ ﴾ مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿ وَقَالَ ﴾ لموسى هو ﴿ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ . [٤٠] ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ ﴾ طرحناهم ﴿ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ البحر فغرقوا ﴿ وَهُوَ ﴾ أي فرعون ﴿ مُلِيمٌ ﴾ آتٍ بما يُلامُ عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية . [٤١] ﴿ وَفِى ﴾ إهلاك ﴿ عَادٍ ﴾ آية ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ هي التي لا خير فيها، لأنها لا تَحْمِل المَطَرَ، ولا تُلَقِّحُ الشَّجَرَ، وهي الدَّبُورُ. [٤٢] ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ ﴾ نفس أو مال ﴿ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ كالبالي المتفتت . [٤٣] ﴿ وَفِى ﴾ إهلاك ﴿ ثَمُودَ ﴾ آية ﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى انقضاء آجالكم كما في آية: ﴿ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ [هود: ٦٥]. [٤٤] ﴿ فَعَتَوْاْ ﴾ تكبّروا ﴿ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ أي عن امتثاله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ بعد مُضيِّ الثلاثة أيام، أي الصَّيْحَةُ المُهْلِكَةُ ﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ أي بالنهار. [٤٥] ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ ﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ على من أهلكهم. [٤٦] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ بالجر، عطفٌ على (ثمود)، أي: وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية، وبالنصب أي: وأَهْلَكْنا قومَ نوح ﴿ مِّن قَبْلُ ﴾ أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ . [٤٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾ بقُوَّةٍ ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ قادرون يقال: آدَ الرَّجُلُ يَئِيدُ: قَوِيَ، وأَوْسَعَ الرجلُ: صارَ ذا سَعَةٍ وقُوَّةٍ. [٤٨] ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ﴾ مهدناها ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ نحن.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

[٤٩] ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ صنفين، كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1] بحَذْفِ إحدى التاءين من الأصل، فتعلمون: أنّ خالِقَ الأزواج فَرْدٌ فتَعْبُدُوهُ. [٥٠] ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى ثوابه من عقابه، بأن تُطيعوه ولا تَعصُوه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ بيِّن الإنذار. [٥١] ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ يُقدَّرُ قبلَ ﴿ففروا﴾: قُلْ لَهُمْ. [٥٢] ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ أي مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر، أو مجنون، تَكذيبُ الأُمَمِ قبْلَهُم رُسُلَهُمْ بقولهم ذلك. [٥٣] ﴿أَتَوَاصَوۡاْ﴾ كُلُّهم ﴿بِهِۦ﴾؟! استفهام بمعنى النفي ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ جمَعَهُم على هذا القول طُغْيانُهُم. [٥٤] ﴿فَتَوَلَّ﴾ أَعْرِضْ ﴿عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ لأنك بَلَّغتَهُمْ الرسالة. [٥٥] ﴿وَذَكِّرۡ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مَنْ عَلِمَ اللّهُ تعالى: أنه يؤمنُ. [٥٦] ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ولا ينافي ذلك عَدَمَ عبادةِ الكافرين؛ لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك: بَرَيْتُ هذا القَلَمَ لأَكْتُبَ به، فإنك قد لا تَكْتُبُ به. [٥٧] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ لي، ولأنفسهم، وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم. [٥٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ الشديد. [٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبٗا﴾ نصيباً من العذاب ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة. [٦٠] ﴿فَوَيۡلٞ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾ في ﴿يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي﴾ كانوا ﴿يُوعَدُونَ﴾ أي يوم القيامة.

﴿سورة الطور﴾

[مكية وآياتها تسعٌ وأربعون]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلطُّورِ﴾ أي الجبل الذي كَلَّمَ اللّهُ عليه موسى. [٢] ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾. [٣] ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ أي التوراة أو القرآن. [٤] ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ هو في السماء الثالثة، أو السادسة، أو السابعة، بحيال الكعبة، يَزُورُه كُلَّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبداً. [٥] ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ أي السماء. [٦] ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ أي المملوء. [٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾

(١) وفي قراءة سبعية بتشديد الذال.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع الحزب ٥٣

لنازلٌ بمُسْتَحِقِّهِ. [٨] ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ عنه. [٩] ﴿يَوْمَ﴾ معمول لـ(واقع) ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ تتحرَّك وتَدُور. [١٠] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ تصير هباء منثوراً. وذلك يوم القيامة. [١١] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسُلَ. [١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ باطلٍ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي يتشاغلون بكفرهم. [١٣] ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يُدْفعونَ بعُنْفٍ، بَدَلٌ من (يوم تمور)، ويقال لهم تبكيتاً: [١٤] ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾. [١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾. [١٦] ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ صَبْرُكُمْ وجَزَعُكُمْ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صَبْرَكم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءه. [١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾. [١٨] ﴿فَاكِهِينَ﴾ مُتَلَذِّذينَ ﴿بِمَا﴾ مصدرية ﴿آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ عطفاً على آتاهم، أي بإتيانهم ووقايتهم، ويُقالُ لهم: [١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال أي: مُتهنِّئِينَ ﴿بِمَا﴾ الباء سببية ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حالٌ من الضمير المستكن في قوله: (في جنات) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ عطف على جنات، أي قرنَّاهُم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ عظام الأعْيُنِ حِسَانُها. [٢١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ معطوف على آمنوا ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ الصغار والكبار ﴿بِإِيمَانٍ﴾ من الكبار ومن أولادهم الصغار. والخبر ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجتهم، وإن لم يعملوا بعملهم تكرمةً للآباء باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ - بفتح اللام وكسرها - نقَصْناهُم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ يُزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ مِنْ عَمَلِ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ﴿رَهِينٌ﴾ مرهون يُؤاخذ بالشر، ويُجازى بالخير. [٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يُصرِّحوا بطَلَبِهِ. [٢٣] ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يَتعاطَوْنَ بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمراً ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا. [٢٤] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقَّاءُ ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حُسْناً ونظافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مَصُونٌ في الصدَفِ؛ لأنه فيها أحسن منه في غيرها. [٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تَلَذُّذاً واعترافاً بالنعمة. [٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله. [٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ النار لدخولها في المَسَامِّ، وقالوا إيماءً أيضاً: [٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافاً، وإن كان تعليلاً معنىً، وبالفتح تعليلاً لفظاً ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

المُحْسِنُ الصادقُ في وَعْدِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة. [٢٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ دُمْ على تذكير المشركين، ولا تَرْجِع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ خبر «ما» ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ معطوف عليه. [٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر، فَيَهلِكُ كَغَيْرِه من الشعراء. [٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هلاككم، فَعُذِّبُوا بالسيف يوم بَدْر، والتَّرَبُّصُ: الانتظار. [٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ قولهم له: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون، أي لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعنادهم. [٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلَقَ القرآنَ، لَمْ يَخْتَلِقْهُ ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً، فإن قالوا: اخْتَلَقَهُ [٣٤] ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مُخْتَلَق ﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في قولهم. [٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أنفسهم ولا يُعْقَلُ مَخْلوقٌ بغير خالقٍ، ولا مَعدومٌ يَخْلُقُ، فلا بُدَّ لهم من خالقٍ هو الله الواحد، فلِمَ لا يوحِّدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟ [٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلِمَ لا يَعْبُدونَه؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ به وإلا لآمنوا بنبيِّه. [٣٧] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من النُّبوَّةِ والرِّزْقِ وغيرهما، فَيَخُصُّوا مَنْ شاؤُوا بما شاؤُوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ المُتَسلِّطُون الجبّارون، وفعله: سَيْطَرَ، ومثله بَيْطَر وبَيْقَر. [٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مَرْقىً إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه، كلامَ الملائكةِ حتى يُمْكِنَهُمْ مُنازَعَةُ النَّبيِّ بزعمهم، إن ادَّعوا ذلك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ مُدَّعِي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ واضِحةٍ، ولشبه هذا الزعم بزعمهم: أن الملائكة بنات الله قال تعالى: [٣٩] ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ بزَعْمِكُم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ تعالى الله عما زَعَمْتُمُوهُ. [٤٠] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ جُعْلاً على ما جِئْتَهُم به مِنَ الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ غُرْم ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُسْلِمُونَ. [٤١] ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي عِلْمُهُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك حتى يمكنَهُم مُنازَعَةُ النبيِّ ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم. [٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك لِيُهْلِكُوكَ في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ المَغْلُوبون المُهلَكون، فَحَفِظَهُ الله منهم، ثم أهلكهم ببَدْر. [٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الآلهة، والاستفهام «بأم» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ. [٤٤] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ بعضاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ عليهم كما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] أي تعذيباً لهم ﴿يَقُولُوا۟﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ مُتَراكِبٌ نُرْوَى به. ولا يؤمنون. [٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون. [٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ بَدَلٌ مِنْ يَوْمِهِم ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعونَ من العذاب في الآخرة. [٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا قبل موتهم، فَعُذِّبُوا بالجوع والقحط سَبْعَ سنين، وبالقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب يَنْزِلُ بهم. [٤٨] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم ولا يَضِقْ صَدْرُكَ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بِمَرْأىً مِنّا، نَراكَ ونَحْفَظُكَ ﴿وَسَبِّحْ﴾ مُتَلَبِّساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك أو من مجلسك. [٤٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ مصدر، أي عَقِبَ غروبها سَبِّحْهُ أيضاً، أو صَلِّ في الأول العِشاءَيْنِ، وفي الثاني رَكْعَتَي الفجر، وقيل: الصبح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

﴿سورة النجم﴾

[مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ الثُّرَيَّا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابَسَ الغَيّ، وهو جَهْلٌ مِنْ اعْتقادٍ فَاسِدٍ. [٣] ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ إيّاهُ مَلَكٌ ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قُوّةٍ وشِدَّةٍ أو مَنْظَرٍ حَسَنٍ، أي جبريل عليه السلام ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ استقرّ. [٧] ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس، أي عند مطلعها على صورته التي خُلِقَ عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بحِرَاءِ قد سَدَّ الأُفُقَ إلى المغرب، فخرَّ مَغْشِياً عليه، وكان قد سَأَلَهُ أن يُرِيَهُ نَفْسَهُ على صُورَتِهِ التي خُلِقَ عليها، فواعَدَهُ بِحِرَاءٍ، فنزل جبريلُ له في صورة الآدميين. [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قَرُبَ منه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ زادَ في القُرْب. [٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾ قَدْرَ ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ مِن ذلك حتى أفاقَ، وسَكَنَ رُوْعُهُ. [١٠] ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبريلُ إلى النبي ﷺ، ولم يَذْكُر المُوحَى تفخيماً لشأنه.

نصف الحزب ٥٣

[١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ أَنْكَرَ ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤادُ النبيِّ ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ بِبَصَرِهِ مِنْ صُورَةِ جبريلَ. [١٢] ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ تُجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ على صورته ﴿نَزْلَةً﴾ مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ﴾. [١٤] ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ لـمَّا أُسْرِيَ به في السموات، وهي شَجَرَةُ نبق عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحدٌ من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ تأوي إليها الملائكةُ، وأرواحُ الشُّهَداءِ والمُتَّقِينَ. [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ من طير وغيره، و (إذ) معمولة لـ (رآه). [١٧] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما مال بصره عن مَرْئِيِّهِ المَقْصُودِ له، ولا جاوزه تلك الليلة. [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ العظام، أي بعضها، فرأى من عجائب الملكوت رَفْرَفاً أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمئة جناح. [١٩] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ لِلَّتَيْنِ قبلها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفة ذم للثالثة وهي أصنامٌ مِنْ حِجارة كان المشركون يعبدونها، ويَزْعُمُونَ أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول (أفرأيتم) الأول (اللات) وما عطف عليه، والثاني محذوفٌ، والمعنى: أخبروني: ألهذه الأصنام قُدْرَةٌ على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ ولما زعموا أيضاً: أنَّ الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت: [٢١] ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائِرَةٌ، مِنْ ضَازَهُ يَضِيزُهُ: إذا ظَلَمَهُ وجَارَ عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي ما المذكورات ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ مما زَيَّنَ لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

[٢٤] ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ ﴾ أي لكل إنسان منهم ﴿ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ أي الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى. [٢٦] ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ ﴾ أي وكثير من الملائكة ﴿ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾ لهم فيها ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من عباده ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ عنه لقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء: ٢٨] ومعلوم: أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. [٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ حيث قالوا: هم بناتُ الله. [٢٨] ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ ﴾ بهذا القول ﴿ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن ﴾ ما ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ فيه ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ ﴾ الذي تخيّلوه ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ أي: عن العلم فيما المطلوب فيه العلم[1]. [٢٩] ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهذا قبلَ الأمرِ بالجهاد. [٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أيْ: طلبُ الدُّنيا ﴿ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ ﴾ أيْ: نهايةُ علمهم أنْ آثروا الدُّنيا على الآخرة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ أيْ: عالمٌ بهما فيجازيهما. [٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضَّالُّ والمهتدي يضلُّ مَنْ يشاء ويهدي من يشاء ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ من الشِّرك وغيره ﴿ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ بالتَّوحيد وغيره من الطَّاعات ﴿ بِٱلْحُسْنَى ﴾ أي: الجنة، وبيَّنَ المحسنين بقوله: [٣٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ هو صغارُ الذُّنوب كالنَّظرة، والقُبلة، واللَّمسة، فهو استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: لكن اللَّممُ يُغفر باجتناب الكبائر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ﴾ بذلك، وبقبول التَّوبة. ونزل فيمَنْ كان يقول: صلاتُنا صيامُنا حجُّنا: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ أي: عالمٌ ﴿ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أيْ: خلق أباكم آدم من التُّراب ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ ﴾ جمعُ جنينٍ ﴿ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ ﴾ لا تمدحوها، أيْ: على سبيل الإعجاب، أمَّا على سبيل الاعتراف بالنِّعمةِ فحسنٌ ﴿ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ أي: عالمٌ ﴿ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾. [٣٣] ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾ عن الإيمان، أي: ارتدَّ لما عُيِّر به، وقال: إنِّي خشيتُ عقاب الله فضمنَ له المُعيِّر له أنْ يحمل عنه عذاب الله إنْ رجعَ إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجَع. [٣٤] ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا ﴾ من المال المسمّى ﴿ وَأَكْدَىٰٓ ﴾ منع الباقي، مأخوذٌ من الكُديةِ. وهي أرضٌ صلبةٌ، كالصخرةِ تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر. [٣٥] ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ يعلم من جملته أنَّ غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة، أو غيره، وجملةُ «أعنده» المفعول الثاني «لأرأيت» بمعنى أخبرني. [٣٦] ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ أسفارِ التَّوراة أو صحف قبلها.

---

(١) قوله: «أي: عن العلم... إلخ» أي: لا يغني عن العلم. والمطلوب فيه العلم: هو الاعتقاديات، بخلاف العمليات؛ فإنَّ الظنَّ يكفي فيها.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

[٣٧] ﴿وَ﴾ صحف ﴿إِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ تمّ ما أمر به نحو: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] وبيانٌ «ما»: [٣٨] ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلخ. و «أنْ» مخفَّفةٌ من الثَّقيلة، أيْ: أنه لا تحمل نفسٌ ذنب غيرها. [٣٩] ﴿وَأَن﴾ أي: أنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخيرَ شيءٌ. [٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أيْ: يُبصر في الآخرة. [٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ الأكمل يقال: جزيتُه سعيَه وبسعيه. [٤٢] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفاً، وقرىء[1] بالكسر استئنافاً، وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصُّحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم. [٤٣] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

سجدة

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث. [٤٥] ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾. [٤٦] ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ تُصبُّ في الرَّحم. [٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾ بالمد والقصر ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقةِ الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناسَ بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أعطى المالَ المُتَّخذ قنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ هو كوكَبٌ خَلْفَ الجَوْزَاءِ كانت تُعْبَدُ في الجاهلية. [٥٠] ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قَوْمُ عادٍ، والأخرى قَوْمُ صَالحٍ. [٥١] ﴿وَثَمُودَا۟﴾ بالصَّرْف: اسمٌ للأَب، وبلا صرف: اسمٌ للقَبيلةِ، وهو معطوف على (عادا) ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ منهم أحداً. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت: ١٤] وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي قُرى قَوْمِ لُوطٍ ﴿أَهْوَىٰ﴾ أسْقطها بَعْدَ رَفْعِها إلى السماء مَقْلُوبَةً إلى الأرض، بأمْرِه جبريل بذلك. [٥٤] ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ أُبهم تهْويلاً، وفي هود [الآية: ٨٢]: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾. [٥٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أنْعُمِهِ الدالَّةِ على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك أيها الإنسان أو تكذب. [٥٦] ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ من جنسهم، أي رَسولٌ كالرُّسُلِ قَبْلَهُ أُرْسِلَ إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ قَرُبَت القِيامَةُ. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نَفْسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو، كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأعراف: ١٨٧]. [٥٩] ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيباً. [٦٠] ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وَعْدِهِ ووَعِيدِه. [٦١] ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم. [٦٢] ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

---

(١) هذه قراءة شاذة.

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

﴿سورة القمر﴾

[مكية إلا الآية ٤٥ فمدنية وآياتها ٥٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

[١] ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ قربت القيامة ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ انفَلَقَ فَلْقَتَيْنِ على أبي قبيس وقُعَيْقِعان، آيةً له ﷺ، وقد سُئِلَها فقال: «اشهدوا»؛ رواه الشيخان(١). [٢] ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ﴾ أي كفار قريش ﴿ ءَايَةً ﴾ معجزة له ﷺ ﴿ يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ ﴾: هذا ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ قَوِيّ، مِنَ المِرَّة: القُوَّة، أو دائم. [٣] ﴿ وَكَذَّبُوا۟ ﴾ النبي ﷺ ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في الباطل ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ ﴾ من الخير والشر ﴿ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ لهم، اسمُ مَصْدَرٍ، أو اسْمُ مكانٍ، و «الذال» بدل من «تاء» الافتعال، وازْدَجَرْتُهُ وزَجَرْتُهُ: نَهَيْتُهُ بِغِلْظَةٍ، و «ما» مَوْصُولَةٌ أو موصوفة. [٥] ﴿ حِكْمَةٌ ﴾ خَبَرُ مبتدأ محذوف، أو بَدَلٌ مِن «ما» أو مِنْ «مزدجر» ﴿ بَٰلِغَةٌ ﴾ تامَّةٌ ﴿ فَمَا تُغْنِ ﴾ تَنْفَعُ فيهم ﴿ ٱلنُّذُرُ ﴾ جمع نذير بمعنى مُنْذِر، أي الأمورُ المنذِرةُ لهم، و «ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مُقدَّم. [٦] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ هو فائدة ما قبله وتم به الكلام ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ هو إسرافيلُ، وناصِبُ (يومَ): (يخرجون) بَعْدُ ﴿ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾ بضم الكاف وسكونها، أي مُنْكَرٍ تُنْكِرُهُ النُّفوسُ، وهو الحِسابُ. [٧] (خاشعاً) أي ذليلاً، وفي قراءة ﴿ خُشَّعًا ﴾ بضم الخاء وفتح الشين مشدّدة ﴿ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ حال من الفاعل ﴿ يَخْرُجُونَ ﴾ أي الناس ﴿ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل ﴿يخرجون﴾ وكذا قوله: [٨] ﴿ مُّهْطِعِينَ ﴾ مسرعين مادّينَ أعناقَهم ﴿ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ منهم ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ صعب على الكافرين كما في «المدثر» [الآية: ٩-١٠]: ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. [٩] ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبلَ قريشٍ ﴿ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ تأنيث الفعل لمعنى (قوم) ﴿ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾ نوحاً ﴿ وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ انتَهَرُوهُ بالسَّبِّ وغيره. [١٠] ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾ بالفتح، أي بأني ﴿ مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾. [١١] ﴿ فَفَتَحْنَآ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ مُنْصَبٍّ انصِباباً شديداً. [١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ تنبع ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ ماء السماء والأرض ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ ﴾ حال ﴿ قَدْ قُدِرَ ﴾ قضي به في الأزل وهو هلاكُهم غرَقاً. [١٣] ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ ﴾ أي نوحاً ﴿ عَلَىٰ ﴾ سفينة ﴿ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ وهو ما تُشَدُّ به الألواحُ مِنَ المسامير وغيرها، واحدُها دِسَارٌ، كَكِتَاب. [١٤] ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ بِمَرْأى منا، أي محفوظة ﴿ جَزَآءً ﴾ منصوب بفعل مقدر، أي أُغْرِقوا انتصاراً ﴿ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ وهو نوحٌ عليه السلام، وقُرِئ(٢) ﴿كَفَر﴾ بالبناء للفاعل، أي أُغْرِقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ ءَايَةً ﴾ لمن يعتبر بها، أي شَاعَ خَبَرُها واسْتَمَرَّ ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ مُعْتَبِر

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦٩) ومسلم (٢٨٠٠). وقبيس، وقُعَيْقِعان: جبلان بمكة وقيل: سُمِّي الثاني بذلك؛ لأنَّ جرهماً لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك.

(٢) قراءة شاذة.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

ومُتَّعِظ بها، وأصله: «مذتكر» أُبدِلت التاءُ دالاً مهملة، وكذا المعجمة وأُدغِمت فيها. [١٦] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾؟ أي إنذاري، استفهام تقرير، و (كيف) خبر (كان) وهي للسؤال عن الحال، والمعنى حَمْلُ المُخاطَبِينَ على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمُكذِّبين لنوحٍ مَوْقِعَهُ. [١٧] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ سَهَّلناهُ للحفظِ وهَيَّأناه للتذكر ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ مُتَّعِظٍ به، وحافِظٍ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي احْفَظوهُ واتَّعِظوا به، وليسَ يُحْفَظُ منْ كُتُبِ اللَّهِ عَنْ ظَهْرِ القَلْبِ غَيْرُه. [١٨] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ نبيهم هوداً، فعذبوا ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي وقَعَ مَوْقِعَهُ، وقد بَيَّنه بقوله: [١٩] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ أي شديدة الصوت ﴿ فِى يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ شؤم ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ دائمِ الشؤم، أو قَوِيّةٍ، وكان يومَ الأربعاء آخر الشهر. [٢٠] ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ تَقْلَعُهُم مِنْ حُفَرِ الأرض المُنْدَسّينَ فيها، وتَصْرَعُهُم على رُؤوسِهم، فَتَدُقُّ رِقابَهم، فتُبِينُ الرأسَ عَن الجَسَدِ ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿ أَعْجَازُ ﴾ أُصول ﴿ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشُبِّهوا بالنخل لطولهم، وذُكِّرَ هنا، وأُنِّثَ في «الحاقة» [الآية:٧]: ﴿ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ مراعاة للفواصل في الموضعين. [٢١] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾. [٢٢] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. [٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾ جَمْعُ نَذِيرٍ، بمعنى مُنْذِرٍ، أي بالأمور المُنْذِرَةِ التي أَنْذَرَهُم بها نَبِيُّهم صالحُ إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا ﴾ منصوب على الاشتغال ﴿ مِّنَّا وَٰحِدًا ﴾ صِفتَانِ لـ (بشرا) ﴿ نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾؟ مُفسّر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي. المعنَى: كيفَ نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك؟ أي لا نتبعه ﴿ إِنَّآ إِذًا ﴾ إن اتبعناه ﴿ لَّفِى ضَلَٰلٍ ﴾ ذهاب عن الصواب ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ جُنُون. [٢٥] ﴿ أَءُلْقِىَ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ ٱلذِّكْرُ ﴾ الوحي ﴿ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ أي لم يُوحَ إليه ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ ﴾ في قوله: إنه أوحي إليه ما ذكر ﴿ أَشِرٌ ﴾ مُتكبّر بَطِرٌ، قال تعالى: [٢٦] ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾ في الآخرة ﴿ مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ وهو هم بأن يُعذَّبوا على تكذيبهم نَبِيَّهم صَالِحاً. [٢٧] ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا ﴿ فِتْنَةً ﴾ محنة ﴿ لَّهُمْ ﴾ لنختبرهم ﴿ فَٱرْتَقِبْهُمْ ﴾ يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴾ «الطاء» بدلٌ من «تاء» الافتعال، أي اصبر على أذاهم. [٢٨] ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ ﴾ مقسوم ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ وبين الناقة يَوْمٌ لهم ويَوْمٌ لها ﴿ كُلُّ شِرْبٍ ﴾ نصيب من الماء ﴿ مُّحْتَضَرٌ ﴾ يحضره القوم يومَهم، والناقةُ يومَها، فتمادوا على ذلك، ثم مَلُّوهُ، فَهَمُّوا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ ﴾ قُداراً ليقتلها ﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾ تناول السيف ﴿ فَعَقَرَ ﴾ به الناقة، أي قتَلَها مُوافقةً لهم. [٣٠] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي وقَعَ مَوْقِعَهُ، وبيّنه بقوله: [٣١] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ هو الذي يَجْعَلُ لِغَنَمِهِ حَظِيرةً من يابسِ الشجرِ والشوكِ، يَحْفَظُهُنَّ فيها من الذئاب والسباع، وما سَقَطَ مِنْ ذلك فداسَتْهُ هو الهَشِيمُ.

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ بالأمور المُنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً تَرْمِيهِمْ بالحَصباء، وهي صغار الحجارة، الواحد دونَ مِلْءِ الكَفّ، فهلكوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ مِنَ الأسحار وقت الصبح من يوم غير مُعَيَّن، ولو أُريدَ من يوم مُعَيَّنٍ لَمُنِعَ من الصَّرْف، لأنه معرفة معدولٌ عن السَّحَر، لأن حَقَّهُ أن يُستعمل في المعرفة بأل، وهل أُرسِلَ الحاصبُ على آل لوط أَوْ لاَ؟ قَوْلانِ، وعَبَّر عن الاستثناء على الأول بأنه مُتّصل، وعلى الثاني بأنه منقطع وإن كان من الجنس تَسَمُّحاً. [٣٥] ﴿نِّعْمَةً﴾ مصدر، أي إنعاماً ﴿مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ أَنْعُمَنا وهو مؤمنٌ، أو مَنْ آمَنَ بالله ورسوله وأطاعهما. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ خَوَّفَهُم لوطٌ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أَتَوْهُ في صورة الأضياف، ليخبثوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أَعْمَيْناها وجعلناها بلا شَقٍّ كباقي الوجه، بأن صَفَقَها جبريلُ بجناحه ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ إنذاري وتخويفي، أي ثمرته وفائدته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقت الصبح من يوم غيرِ مُعَيَّنٍ ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ دائم مُتَّصِلٌ بعذابِ الآخرة. [٣٩] ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ الإنذار على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا بل: [٤٢] ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ التِّسع التي أوتيها موسى ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يُعْجِزُه شيء. [٤٣] ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلَمْ يُعَذَّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُم﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ الكُتُب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي ليس الأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي كفار قريش ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جَمْعٌ ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ على محمد، ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر؛ نزل: [٤٥] ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فَهُزِمُوا بِبَدْرٍ، ونُصِرَ رسولُ الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ أي عذابُها ﴿أَدْهَىٰ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمَرُّ﴾ أَشَدُّ مرارةً مِنْ عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ نار مُسَعَّرَة ـ بالتشديد ـ أي مُهَيَّجَة في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ في الآخرة ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾ مَنْصوبٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير، حال من (كل) أي مقدراً. وقرىء[1]: ﴿كلُّ﴾ بالرفع مبتدأ، خبره (خلقناه).

(١) وهي قراءة شاذّة.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ مرة ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في السرعة وهي قول: كن فيوجد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]. [٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ استفهام بمعنى الأمر، أي اذكُروا واتّعظوا. [٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي العباد مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كُتُبِ الحفظَة. [٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ. [٥٤] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ أريدَ به الجِنْسُ، وقرىء[1] بضم النون والهاء جَمْعاً كأَسَدٍ وأُسُدٍ، والمعنى: أنهم يشربون مِنْ أنهارِها الماءَ واللبنَ والعَسَل والخَمْرَ. [٥٥] ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مَجْلِس حَقٍّ لا لغوَ فيه ولا تأثيم، أريد به الجنس، وقُرىء[1] ﴿مقاعد﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة مِنَ اللغْوِ والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا فقلَّ أن تَسْلَمَ مِنْ ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض وغيره ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾ مِثَال مُبالَغَة[2]، أي عزيزِ المُلْكِ وَاسِعِهِ ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله تعالى، و (عند) إشارةٌ إلى الرُّتْبَةِ والقُرْبَةِ من فضله تعالى.

﴿سورة الرحمٰن﴾

[مكية إلا الآية ٢٩ فمدنية وآياتها ٧٦ أو ٧٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ الله تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْقُرْآنَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النُّطقَ. [٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ بحساب يجريان. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساقَ له من النباتِ ﴿وَالشَّجَرُ﴾ ما له ساقٌ ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي لأجل ألا تَجُورُوا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزَن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تُنْقِصُوا المَوْزُونَ. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق الإنس والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلعها. [١٢] ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التِّبْن ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الوَرَق أو المَشْمُوم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ نِعَم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير، لِما رَوَى الحاكمُ[3] عن جابر قال: «قرَأَ علينا رسولُ الله ﷺ سورة الرحمن حتى خَتَمَها، ثم قال: مالي أراكم سكوتاً، لَلْجِنُّ كانوا أَحْسَنَ منكم رَدّاً، ما قرأتُ عليهم هذه الآية من مرة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: «ولا بشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ،

---

(١) وهي قراءة شاذّة.

(٢) قوله: «مثال مبالغة» أي: «مليك» صيغة مبالغة. (حاشية الجمل).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٤٧٣).

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

فَلَكَ الحَمْدُ». [١٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس يُسْمَعُ له صَلْصَلَةٌ، أي: صَوْتٌ إذا نُقِرَ ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ وهو ما طُبِخَ مِنَ الطِّينِ. [١٥] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لَهَبُها الخالِصُ من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٧] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ مِنْ قُدْرَتِهِ تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به. [٢١] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء للمفعول، والفاعل ﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو المِلْحُ، ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ خَرَزٌ أحمر، أو صِغَارُ اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٤] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السُّفُن ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المُحْدثاتُ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبالِ عِظَماً وارْتِفاعاً. [٢٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي الأرض من الحيوان ﴿فَانٍ﴾ هالِكٌ، وعَبَّرَ بـ(مَنْ) تغليباً للعقلاء. [٢٧] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاتُه ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ العظمة ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ للمؤمنين بأَنْعُمِهِ عليهم. [٢٨] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بنطق أو حال: ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ أَمْرٍ يُظهره على وفق ما قَدَّرَهُ في الأَزَلِ، من إحْياءٍ وإماتةٍ، وإعْزازٍ وإذْلالٍ، وإغْناءٍ وإعدام، وإجابةِ داعٍ، وإعطاءِ سائلٍ وغيرِ ذلك. [٣٠] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سَنَقْصِدُ لِحسابكُم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الإنس والجن. [٣٢] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ نواحي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ أمر تعجيز. ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ بِقُوَّةٍ، ولا قُوَّةَ لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لَهَبُها الخالِصُ مِنَ الدُّخانِ أو معه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يَسوقُكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انْفَرَجَتْ أبواباً لِنُزولِ الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي مثلها مُحْمَرّة ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كالأديم الأحمر على خلاف العهد بها، وجواب (إذا): فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ عن ذنبه، ويُسألون في وقت آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] والجانُّ هنا وفيما سيأتي بمعنى الجنِّ، والإنسُ فيهما بمعنى الإنْسيِّ. [٤٠] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٤١-٤٢] ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ سَوادِ الوُجوهِ وزُرْقةِ العُيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تُضَمُّ ناصيةُ كلٍّ منهم إلى قَدَمَيْهِ مِنْ خَلْف، أو قُدَّام، ويُلْقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾. [٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانٍ﴾ شديد الحرارة، يُسْقَوْنَهُ إذا استغاثوا مِنْ حَرِّ النار، وهو مَنْقُوصٌ كَقَاضٍ.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

[٤٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٤٦] ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي لكلٍّ منهم أو لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قِيامَهُ بين يديهِ للحساب، فترَكَ معْصِيَتَهُ ﴿جَنَّتَانِ﴾. [٤٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٤٨] ﴿ذَوَاتَآ﴾ تثنية «ذوات» على الأصل «ولامها» «ياء» ﴿أَفْنَانٍ﴾ أغصان، جَمْعُ فَنَنٍ، كطَلَلٍ. [٤٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾. [٥١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٥٢] ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ في الدنيا أو كل ما يُتَفَكَّهُ به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوْعان: رَطْبٌ ويابسٌ والمُرَّ منهما في الدنيا كالحَنْظَل حُلْوٌ. [٥٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ عامِلُه مَحْذوفٌ، أي يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غَلُظَ من الديباج وخَشُنَ، والظّهائِرُ مِنَ السُّنْدُس ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع. [٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ربع الحزب

[٥٦] ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين ما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ العَيْنِ على أزواجهنَّ المُتَّكِئينَ من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يَفْتَضَّهُنَّ وَهُنَّ مِنَ الحُور، أو من نساء الدنيا المُنْشَآت ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾. [٥٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ بياضاً. [٥٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ بالنعيم. [٦١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٦٢] ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ أيضاً، لمن خاف مقامَ ربِّهِ. [٦٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ سَوْداوان منْ شِدَّة خُضْرَتِهما. [٦٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء لا ينقطعان. [٦٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٦٨] ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هما منها، وقيل: من غيرها[1]. [٦٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي الجنتين وقصورهما وما فيهما ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقاً ﴿حِسَانٌ﴾ وُجوهاً. [٧١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديداتُ سَوادِ العُيون وبَياضِها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ مَسْتُورات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ منْ دُرٍّ مُجَوَّفٍ، مضافة إلى القصور، شبيهة بالخُدُور. [٧٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾. [٧٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٦] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي أزواجهم. وإعرابه كما تقدم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ جمْعُ رَفْرَفَةٍ، أي بُسُط أو وَسَائد ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ جمْعُ عَبْقَرِيَّة، أي طنافِس. [٧٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٧٨] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ (اسم) زائد.

(١) أي: النَّخل والرمان من الفاكهة، وقيل: إنهما ليسا من الفاكهة.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

﴿سورة الواقعة﴾

[مكية إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ أو ٩٧ أو ٩٩].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتْها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي هي مُظْهِـرَةٌ لِخفضِ أقوامٍ بدُخولهم النارَ، ولرفْعِ آخرينَ بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ حُرِّكَتْ حَرَكَةً شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ فُتِّتَتْ. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غُباراً ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ مُنْتَشِراً، و (إذا) الثانية بدل من الأولى. [٧] ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القيامة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾. [٨] ﴿فَأَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعْظيمٌ لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي الشمال بأن يؤتى كُلٌّ منهم كِتابَه بشماله ﴿مَآ أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخير وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّٰبِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبر: [١١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. [١٢] ﴿فِى جَنَّٰتِ النَّعِيمِ﴾. [١٣] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي جماعة من الأمم الماضية. [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْءَاخِرِينَ﴾ من أُمَّة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة. والخبر: [١٥] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر. [١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد لا يَهْرَمُونَ. [١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقْداحٍ لا عُرَا لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عُرا وخراطيم ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً. [١٩] ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها ـ مِنْ نَزَفَ الشاربُ، وأَنْزَفَ، أي: لا يحصل لهم منها صُداعٌ ولا ذهابُ عَقْلٍ، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ لهم للاستمتاع. [٢٢] ﴿وَحُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٌ﴾ ضخامُ العُيونِ، كُسرتْ عَيْنُه بَدَل ضَمِّها لِمُجانسَةِ الياء، ومُفْرَدُهُ: عَيْنَاءَ، كَحَمْرَاءَ، وفي قراءة بجَرِّ ﴿حورٍ عينٍ﴾. [٢٣] ﴿كَأَمْثَٰلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ المَصُونِ. [٢٤] ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له، أو مصدر، والعامل المُقدَّر، أي: جعلنا لهم ما ذُكِرَ للجَزاءِ، أو جزَيْناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ما يؤثم. [٢٦] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قِيلًا﴾ قولاً ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ بدلٌ من (قيلاً) فإنهم يسمعونه. [٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِى سِدْرٍ﴾ شجر النبق ﴿مَّخْضُودٍ﴾ لا شوك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَّنضُودٍ﴾ بالحمل من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ دائم. [٣١] ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ جارٍ دائماً. [٣٢] ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾. [٣٣] ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زَمَنٍ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بثَمَن. [٣٤] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي الحور العين من غير ولادة. [٣٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عَذارَى، كُلَّما أتاهُنَّ أزواجُهن وَجَدُوهُنَّ عَذارَى ولا وَجَعَ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

[٣٧] ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها، جمع عَرُوب، وهي المُتَحَبِّبَةُ إلى زوجها عِشقاً له ﴿أَتْرَابًا﴾ جَمْع تِرْب، مُسْتَوِياتٍ في السِّنّ. [٣٨] ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ صلةُ أنشأناهن أو «جعلناهن»، وهم: [٣٩] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾. [٤١] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِى سَمُومٍ﴾ ريح حارَّة من النار تَنفُذُ في المسامّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ دُخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حَسَنِ المَنْظَر. [٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ مُنَعَّمِينَ لا يَتْعَبُونَ في الطاعةِ. [٤٦] ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ﴾ الذنب ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ أي الشرك. [٤٧] ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيقُ، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين. [٤٨] ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة بسكون «الواو» عطفاً بـ(أو) والمعطوف عليه محل (إن) واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي يوم القيامة. [٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿ٱلْبُطُونَ﴾. [٥٤] ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي الزقوم المأكول ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾.

نصف الحزب ٥٤

[٥٥] ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ﴾ بفَتْحِ الشينِ وضَمِّها: مَصْدَرٌ ﴿ٱلْهِيمِ﴾ الإبلِ العِطاش، جَمْعُ «هَيْمانَ» للذَّكَرِ و«هَيْمَى» للأنثى، كعطشان وعَطْشَى.

[٥٦] ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أُعِدَّ لهُمْ ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم القيامة. [٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أَوْجَدْناكم مِنْ عَدَمٍ ﴿فَلَوْلَا﴾ هلاَّ ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث، إذ القادرُ على الإنشاءِ قادرٌ على الإعادةِ. [٥٨] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ تُريقُونَ من المَنِيِّ في أرحام النساء. [٥٩] ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي المَنِيّ بَشَراً ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾. [٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين. [٦١] ﴿عَلَىٰٓ﴾ عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1] فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال. [٦٣] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتُلقونَ البَذْرَ فيها. [٦٤] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنْبِتُونَهُ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ نباتاً يابساً لا حَبَّ فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله «ظَلِلْتُمْ» بكسر اللام، حذفت تخفيفاً، أي: أَقَمْتُم نهاراً ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ ـ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل ـ: تَعْجَبُونَ من ذلك، وتقولون:

(١) وفي قراءة سبعية بتشديد الذال.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ ممنوعون رزقنا. [٦٨] ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ﴾ السَّحاب، جَمْعُ مُزْنَة ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوۡلَا﴾ هلا ﴿تَشۡكُرُونَ﴾. [٧١] ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ﴾ كالمَرْخ والعَفَار والكَلْخ ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴾. [٧٣] ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ﴾ لِنارِ جهنَّم ﴿وَمَتَٰعٗا﴾ بُلْغَةً ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ للمسافرين، مِنْ: أَقْوَى القَوْمُ: أي صاروا بالقَوَاءِ ـ بالقصر والمد ـ أي القَفْر، وهو مَفازَةٌ لا نَباتَ فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحۡ﴾ نَزِّهْ ﴿بِٱسۡمِ﴾ زائدة[1] ﴿رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الله. [٧٥] ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها لغروبها. [٧٦] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القسم بها ﴿لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم؛ لعلمتم عِظَمَ هذا القَسَم.

[٧٧] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي المتلو عليكم ﴿لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾. [٧٨] ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ مكتوب ﴿مَّكۡنُونٖ﴾ مَصُونٍ وهو المُصْحَفُ. [٧٩] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث. [٨٠] ﴿تَنزِيلٞ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. [٨١] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ مُتهاونونَ مُكَذِّبون. [٨٢] ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ من المطر، أي شكره ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ بِسُقْيا الله حيثُ قُلْتُم: مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا. [٨٣] ﴿فَلَوۡلَآ﴾ فهلاّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ هو مجرى الطعام. [٨٤] ﴿وَأَنتُمۡ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ إليه. [٨٥] ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ بالعلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ مِنَ البصيرة، أي لا تعلمون ذلك. [٨٦] ﴿فَلَوۡلَآ﴾ فهلاّ ﴿إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأن تُبْعَثُوا، أي غير مَبْعوثينَ بزَعْمِكُم. [٨٧] ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾ تَرُدُّونَ الروحَ إلى الجَسَدِ بعد بلوغ الحُلقوم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما زعمتم، (فلولا) الثانية تأكيد للأولى، و (إذا) ظرف لـ (ترْجِعُون) المتعلق به الشرطان، والمعنى: هَلاّ ترْجِعُونها إنْ نَفَيْتُم البَعْثَ صادقين في نَفْيِهِ، أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث. [٨٨] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾. [٨٩] ﴿فَرَوۡحٞ﴾ أي فله استراحة ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ وهل الجواب لـ(أمّا) أو لـ(إن) أوْ لهما؟ أقوال. [٩٠] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾. [٩١] ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾ أي له السلامة من العذاب ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ من جهة أنه منهم. [٩٢] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. [٩٣] ﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾. [٩٤] ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾. [٩٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته. [٩٦] ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ تقدم [في الآية: ٧٤].

سورةُ التغَابُن

(١٤) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾.

عن ابن عباس: سأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة،

(١) الصواب أن "اسم" غير زائد. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: فسبّح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

﴿سورة الحديد﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ٢٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي نَزَّهَهُ كلُّ شيء، «فاللام» مزيدة، وجِيءَ بـ «ما» دونَ «مَنْ» تغليباً للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٢] ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ ۖ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٣] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قَبْلَ كُلِّ شيءٍ بلا بِداية ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ عن إدراك الحواس[1] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. [٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أوَّلُها الأَحدُ وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ الكُرْسِيّ[2]، استواءً يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يَدْخُل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا ۖ﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٥] ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ الموجودات جميعها. [٦] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات. [٧] ﴿ءَامِنُوا۟﴾ داوِمُوا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ مِنْ مالِ مَنْ تَقَدَّمَكُم، وسَيَخْلُفُكُم فيه مَنْ بَعْدَكُم، نزل في غزوة العُسْرَةِ، وهي غزوة تَبُوك ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. [٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار، أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء، وبفتحهما ونصب ما بعده ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾ عليه أي أخذه اللهُ في عالم الذَّرّ حين أَشْهَدَهُم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي مريدين الإيمان به؛ فبادروا إليه. [٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ آياتِ القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. [١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ بما فيهما فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة بالرفع مبتدأ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به. [١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة: (فيضعّفه) بالتشديد ﴿لَهُۥ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمئة؛ كما ذُكِرَ في «البقرة» [الآية: ٢٦١] ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مُقْتَرِنٌ به رِضاً وإقبالٌ.

(١) الأَوْلى تفسير الظاهر والباطن بما فسَّرها النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قوله: "وأنت الظاهر فليس فوقك شيء" وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ". فاسمه الظاهر دال على علوِّه على خلقه، واسمه الباطن دال على إحاطة علمه، وأنه لا يحجبه شيء.

(٢) يُنظر ص ٢٠٧.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

[١٢] اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِم﴾ ويقال لهم: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ أي ادخلوها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ أبصرونا، وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾ نأخذ القبس والإضاءة ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاءً بهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل: هو سور الأعراف ﴿لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾. [١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على الطاعة ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموت ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان. [١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي. [١٦] ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحنْ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلَتْ في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ معطوف على تخشع ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تَلِنْ لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. [١٧] ﴿اعْلَمُوا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنَّباتِ، فكذلك يفعل بقلوبكم يَرُدُّها إلى الخشوع ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [١٨] ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ مِنَ التَّصدُّقِ، أُدغمت التاء في الصاد، أي: الذين تَصدَّقُوا ﴿وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما، من التصديق والإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعطف الفعل على الاسم في صلة أل، لأنه فيها حل محل الفعل، وذكر القَرْض بوَصْفه بعد التَّصدُّقِ تقييد له ﴿يُضَاعَفُ﴾ وفي قراءة (يضعَّف) بالتشديد، أي: قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أنْ يَدَعوهم أنْ يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أصحابهم قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ الآية. [رواه الترمذي والحاكم وابن أبي حاتم].

***

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ ﴾ المبالغون في التصديق ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ النار.

[٢٠] ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ ﴾ تزيين ﴿ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿ كَمَثَلِ ﴾ أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿ غَيۡثٍ ﴾ مطر ﴿ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ الزُّرَّاع ﴿ نَبَاتُهُۥ ﴾ الناشىء عنه ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ يَيْبَس ﴿ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ ﴾ فُتاتاً يضمحل بالرياح ﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ ما التمتع فيها ﴿ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾. [٢١] ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لو وُصِلَت إحداهما بالأخرى، والعرض: السَّعَة ﴿ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

[٢٢] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بالجدب ﴿ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾. [٢٣] ﴿ لِّكَيۡلَا ﴾ كي ناصبة للفعل بمعنى «أن»، أي أخبر تعالى بذلك لئلا ﴿ تَأۡسَوۡاْ ﴾ تحزنوا ﴿ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ ﴾ فرحَ بطَرٍ بَلْ فرحَ شُكْرٍ على النعمة ﴿ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ ﴾ متكبر بما أوتي ﴿ فَخُورٍ ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ بما يجب عليهم ﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ ﴾ به لهم وعيد شديد ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ عما يجب عليه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه ﴿ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ عن غيره ﴿ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ لأوليائه.

سورةُ التَّحريم

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أنّ أيّتَنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير. فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا بأس شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له». فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ إلى ﴿ تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ لعائشة وحفصة: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ لقوله: بل شربتُ عسلاً. [رواه البخاري ومسلم].

وعن ثابت عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمَةٌ يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ ﴾ إلى آخر الآية. [رواه النسائي وصححه الحاكم].

وعن ابن عمر: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تُخبِري أحداً، وإن أُمَّ إبراهيم عليَّ حرام» فقالت: أتُحَرِّمُ ما أحل الله لك؟ قال: «فوالله لا أقربُهَا». قال: فَلَمْ يقربْهَا

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمَ مُشاهَدَة، معطوف على ليقوم الناس ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال من هاء ينصره ، أي غائباً عنهم في الدنيا، قال ابنُ عَبّاسٍ: يَنْصُرُونَهُ ولا يُبْصِرُونه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النُّصْرَةِ، لكنها تَنْفعُ مَنْ يأتي بها. [٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكُتُبَ الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. [٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رَفْضُ النِّساء، واتّخاذُ الصَّوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ مِنْ قِبَلِ أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾ مرضاة ﴿اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ تَرَكَها كثيرٌ منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم، فآمنوا بنبيِّنا ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. [٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنَّبِيَّيْن ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [٢٩] ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: أَعْلَمَكُم بذلك؛ لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَ﴾ (ن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى أنهم ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أَحِبَّاءُ اللَّهِ وأَهْلُ رِضْوانِهِ ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

حتى أخبرت عائشة ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ . [تفسير ابن كثير] .

(٥) قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ .

عن سماك أبي زميل : حدّثني عبد الله بن عباس ، حدّثني عمر بن الخطاب قال : لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه قال : دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه ، وذلك قبل أن يُؤمرن بالحجاب ، قال عمر فقلت : لأعلَمَنَّ ذلك اليوم . قال : فدخلت على عائشة ، فقلت : يأبنة أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ فقالت : ما لي وما لك يا بن الخطاب عليك بعيبَتِك . قال : فدخلت على حفصة فقلت لها : يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ ، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يُحِبُّكِ ، ولولا أنا لطلّقكِ رسول الله ﷺ ، فبكت أشد البكاء ، فقلت لها : أين رسول الله ﷺ قالت : هو في خزانته

سورة المجادلة — ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

﴿سورة المجادلة﴾

[مدنية وآياتها ٢٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المُظاهِرِ منها، وكان قال لها: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، وقد سَأَلَت النبيَّ ﷺ عن ذلك، فأجابها بأنها حَرُمَتْ عليه، على ما هو المَعْهُودُ عندهم مِنْ أَنَّ الظِّهارَ مُوجِبُهُ فُرْقَةٌ مُؤَبَّدَةٌ، وهي خولة بنت ثعلبة، وهو أوس بن الصَّامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وَحْدَتَها وفاقَتَها وصِبْيَةً صِغاراً إنْ ضَمَّتْهُمْ إليه ضَاعُوا، أو إليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجعكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم. [٢] ﴿الَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ﴾ أصله يَتَظَهَّرُونَ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى: كَيُقاتِلُون، والموضع الثاني كذلك. ﴿مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ﴾ بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذباً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكَفَّارَةِ. [٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظَّهَّرون[1] مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي فيه، بأن يخالفوه بإمساك المُظاهِرِ منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي إعتاقها عليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ بالوَطْءِ ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. [٤] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه؛ أي من قبل أن يتماسا حملاً للمُطْلَق على المقيَّد؛ لكلِّ مِسكينٍ مُدٌّ من غالب قوت البلد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. [٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾ أُذِلُّوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالَّةٍ على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة. [٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

في المَشْرَبة، فدخلت فإذا أنا برَبَاح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أُسْكُفَّة المَشْرَبَةِ مدلٍّ رجليه على نقير من خشب، وهو جِذْعٌ يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر، فناديت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليّ فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رباح استَأذن لي عندك على رسول الله ﷺ. فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليَّ، فلم يقل شيئاً. ثم رفعت صوتي فقلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني إنما جئت من أجل

(١) أشار قبل قليل: أنَّ فيها وفي سابقتها ثلاث قراءاتٍ ـ وهي سبعيةٌ ـ: ﴿يَظَّهَّرُون﴾ و ﴿يَظَّاهرون﴾ و ﴿يُظَاهرون﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هم اليهود نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون مِنْ تَنَاجِيهِمْ، أي تَحَدُّثِهِمْ سِرّاً، ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قولهم: السَّامُ عليك، أي الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من التحية وإنه ليس بنبي؛ إن كان نبياً ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بِغُرُورِهِ ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي إرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾ تَوَسَّعوا ﴿فِى ٱلْمَجْلِسِ﴾ مجلس النبي ﷺ والذِّكْرِ، حتى يجلس من جاءكم. وفي قراءة: ٱلْمَجَٰلِسِ ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ قُومُوا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ وفي قراءة بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ في الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

حفصة والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها ، ورفعت صوتي فأومأ إليَّ أن ارقَهْ ، فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير ، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة ، وإذا أفيقٌ معلق ، قال : فابتدرت عيناي . قال : « ما يبكيك يا بن الخطاب ؟ » قلت : يا نبي الله وما لي لا أبكي ، وهذا الحصير قد أثر في جنبك ؛ وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار ، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك ؟ ! فقال : « يا بن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » . قلت : بلى . قال : ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب . فقلت : يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل ومكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك ، وقَلَّما تكلمت ـ وأحمَدُ الله ـ بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية ، آية التخيير : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أطَلَّقْتَهُنَّ ؟ قال : « لا » . قلت : يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون ينكُتُون بالحصى يقولون طلَّقَ رسول الله نساءه ، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلِّقْهُنَّ . قال : « نعم إن شئت » . فلم أزل أحدثه حتى تحسَّرَ الغضب عن وجهه وحتى كَشَّرَ فضحك ، وكان من أحسن الناس ثغراً ، ثم نزل رسول الله ﷺ ونزلت ، فنزلت أتَشَبَّثُ بالجذع ، ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يَمَسُّهُ بيده فقلت : يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين قال : « إن الشهر يكون تسعاً وعشرين » . فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

ربع الحزب

[١٢] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ ﴾ أردتم مناجاته ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ ﴾ قبلها ﴿ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ ﴾ لذنوبكم ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا ﴾ ما تتصدَّقون به ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمناجاتكم ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بكم، يعني: فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله: [١٣] ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسَهَّلة والأخرى، وتركه؛ أي خفتم من ﴿ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ ﴾ الفقر ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ الصدقة ﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ رجع بكم عنها ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ ﴾ أي داوموا على ذلك ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾. [١٤] ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنظر ﴿ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا ﴾ هم المنافقون ﴿ قَوْمًا ﴾ هم اليهود ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم ﴾ أي المنافقون ﴿ مِّنكُمْ ﴾ من المؤمنين ﴿ وَلَا ﴾ هم ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من اليهود بل هم مُذبذبون ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ﴾ أي قولهم: إنهم مؤمنون ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون فيه. [١٥] ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي. [١٦] ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ سِتْراً على أنفسهم وأموالهم. ﴿ فَصَدُّوا ﴾ بها المؤمنين ﴿ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ذو إهانة. [١٧] ﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ من عذابه ﴿ شَيْئًا ۚ ﴾ من الإغناء ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾. [١٨] اذكر ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ ﴾ أنهم مؤمنون ﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾. [١٩] ﴿ اسْتَحْوَذَ ﴾ استولى ﴿ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ بطاعتهم له ﴿ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ ﴾ أتباعه ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾. [٢٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ ﴾ يخالفون ﴿ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ المغلوبين. [٢١] ﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ في اللوح المحفوظ، أو قضى: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ ﴾ بالحجة أو السيف ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.

ونزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله عزَّ وجلَّ آية التخيير. [رواه مسلم].

* * *

سورةُ الجن

عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسِلَت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين. فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

[٢٢] ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ﴾ يُصادِقون ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟﴾ أي المُحادُّون ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يَقْصِدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الذين لا يُوادُّونَهُم ﴿كَتَبَ﴾ أثبت ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾ بنور ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ يَتَّبِعون أمره، ويجتنبون نهيه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

﴿سورة الحشر﴾

[مدنية وآياتها ٢٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي نَزَّهَهُ، «فاللام» مزيدة، وفي الإتيان بـ (ما) تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه. [٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ هم بنو النضير من اليهود ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبر أن ﴿حُصُونُهُم﴾ فاعِلُه، تَمَّ به الخبر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها: الخَوْفَ، بِقَتْلِ سَيِّدِهم كَعْبِ بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ من أَخْرَبَ ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾. [٣] ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾.

الأرض ومغاربها، فأنظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تِهامَةَ إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عُكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر. فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ وأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾. [رواه البخاري ومسلم].

* * *

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا﴾ خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له. [٥] ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مسلمون ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: خيَّركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِىَ﴾ بالإذن في القطع ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد. [٦] ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾ ردَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ إبل، أي لم تُقاسُوا فيه مَشَقَّةً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلاَ حقَّ لكم فيه، ويَخْتَصُّ به النبيُّ ﷺ ومَنْ ذُكِرَ معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه، مِنْ أنَّ لِكُلٍّ منهم خُمْس الخُمُسِ، وله ﷺ الباقي يَفْعَلُ فيه ما يَشاءُ، فأعطى منه المهاجرين وثلاثةً من الأنصار لِفقرِهِمْ. [٧] ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ كالصفراء، ووادي القرى، ويَنْبُع ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى﴾ صاحب ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكلٍّ من الأربعة خمس الخمس وله الباقي ﴿كَىْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونَ﴾ الفَيْءُ عِلَّةً لِقَسْمِهِ كذلك ﴿دُولَةًۢ﴾ مُتداوَلاً ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾ أعطاكم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. [٨] ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف، أي: اعجبوا ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم. [٩] ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ أي المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي أَلِفُوهُ وهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حَسَداً ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي آتى النَّبيُّ ﷺ المهاجرين مِنْ أموال بني النضير المُخْتَصَّة بهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجةٌ إلى ما يُؤْثِرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حِرْصَها على المال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

سورةُ المزمل

عن ابن عباس قال : لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان ، حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة . [رواه أبو داود والطبري وابن أبي حاتم] .

***

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

نصف الحزب ٥٥

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١١] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ﴾ وهم بنو النضير، وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم في الأربعة ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خِذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ حذفت منه اللام الموطئة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

[١٢] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَٰرَ﴾ واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي اليهود.

[١٣] ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ خوفاً ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ أي المنافقين ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

[١٤] ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ﴾ ﴿جِدَارٍ﴾ سور، وفي قراءة: ﴿جُدُرٍۭ بَأْسُهُم﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة خلاف الحسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾. [١٥] مَثَلُهُمْ في ترْكِ الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بزمن قريب وهم أهلُ بَدْرٍ من المشركين ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة. [١٦] مَثَلُهُم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلّفِهم عنهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ﴾ كذباً منه ورياءً.

سورةُ المُدثر

عن يحيى بن أبي كثير : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ قلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك ، وقلت له مثل الذي قلت ، فقال جابر : لا أحدِّثُكَ إلا ما حدّثنا رسول الله ﷺ قال : « جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطتُ ، فنوديتُ ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة فقلت : دَثِّروني وَصُبُّوا علي ماء بارداً » ، قال : « فدثروني وصبوا علي ماء بارداً » . قال : فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ . [رواه البخاري ومسلم] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ما معناه : خالف جابر بن عبد الله الجمهور في قوله : إن أول ما نزل المدثر ، فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً سورة اقرأ . ثم ذكر حديث الصحيحين ، فقال : وقد روى مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ — ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

[١٧] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي الغاوي والمغوي، وقرىء(١) بالرفع اسم كان ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين. [١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾ ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. [١٩] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أن يقدموا لها خيراً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. [٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾. [٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجُعِلَ فيه تَمْيِيزٌ كالإنسان ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ مُتَشَقِّقاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون. [٢٢] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [٢٣] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ المُصَدِّقُ رُسُلَه بخلق المعجزة لهم ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ مِنْ: هَيْمَنَ يُهَيْمِنُ إذا كان رقيباً على الشيء، أي: الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ جَبَرَ خلقه على ما أراد ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُۚ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزّه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به. [٢٤] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ المنشىء من العدم ﴿ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث(٢)، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدّم أولها.

فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي، فقلت زملوني زملوني» فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى ﴿فَٱهْجُرْ﴾ قال أبو سلمة: والرجز الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع. هذا لفظ البخاري، وهذا السياق هو المحفوظ، وهو يقتضي أنّه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله: «فإذا الملك الذي كان بحراء» وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم إنه حصل بعد هذا فَتْرةٌ ثم نزل المَلَكُ بعد هذا. ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة، ثم ساق الأدلة على ذلك.

وذكر الحافظ نحو هذا في الفتح.

(١١ ـ ١٣) قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

---

(١) وهي قراءة شاذّة.

(٢) انظره في الترمذي (٣٥٠٢). وانظر التعليق (ص١٧٤) الحاشية (١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ
إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي
وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ
وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن
يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ
كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ
إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا
وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا
قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ
رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَّبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥

﴿سورة الممتحنة﴾

[مدنية وآياتها ١٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ﴾ أي كفار مكة ﴿أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيۡهِم﴾ قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسرَّهُ إليكم ووَرَّى بحُنَيْن ﴿بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم. كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتاباً بذلك، لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين، فاسترده النبي ﷺ مِمَّن أرسله معه، بإعلام الله تعالى له بذلك، وقَبِلَ عُذْرَ حاطب فيه ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي دين الإسلام والقرآن ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ﴾ أي لأجل أن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا﴾ للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله، أي فلا تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ﴾ أي إسرار خبر النبي إليهم ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الهدى، والسواء في الأصل: الوَسَط. [٢] ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾. [٣] ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾ قراباتكم ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿بَيۡنَكُمۡۚ﴾ وبينهم فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾. [٤] ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها في الموضعين[1]، قُدْوَةٌ ﴿حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي به قولاً وفعلاً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ جمع بَرِيءٍ كظَرِيف ﴿مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واواً ﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ مستثنى من (أسوة) فليس لكم التأسي به في ذلك، بأن تستغفروا للكفار، وقوله: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي مِنْ عَذابِهِ وثوابه ﴿مِن شَيۡءٖۖ﴾ كَنَّى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه، مستثنى من حيث المراد منه، وإن كان من حيث ظاهره مما يُتأَسَّى فيه ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾[الفتح: ١١] واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله؛ كما ذكره في «براءة» [الآية: ١١٤] ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ من مقول الخليل ومن معه، أي قالوا: [٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي لا تظهِرْهُم علينا فيظنوا: أنهم على الحق فيُفْتَنُوا، أي تذهب عقولهم بنا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في ملكك وصنعك.

(١) الموضع الثاني في الآية (٦).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد جواب قسم مُقدَّر ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ بدل اشتمال من «كُمْ» بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي يخافهما، أو يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته. [٧] ﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من كفار مكة طاعةً لله تعالى ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [٨] ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ من الكفار ﴿فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من الذين ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين. [٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من (الذين)، أي تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. [١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بألسنتهن ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُردُّ ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف على أنهنَّ ما خرجْنَ إلا رغبةً في الإسلام، لا بغضاً لأزواجهنَّ الكفار، ولا عِشقاً لرجال من المسلمين، كذا كان النبي ﷺ يُحلِّفُهنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهن بالحلف ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ تردُّوهنَّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم﴾ أي أعطوا الكفارَ أزواجهنَّ ﴿مَّا أَنفَقُوا﴾ عليهنَّ من المُهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه[1] ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ زوجاتكم لقطع إسلامكم لها بشرطه[2]، أو اللاحقات بالمشركين مُرتدّات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَاسْأَلُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجهنَّ من الكفار ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ على المهاجرات كما تقدَّم أنهم يُؤتَونهُ ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [١١] ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي واحدةٌ فأكثر منهن، أو شيءٌ مِنْ مُهورهِنّ بالذهاب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مُرتدّات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغزوْتُم وغنِمتُم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم

---

(١) قوله: (بشرطه) وهو انقضاء العدة فيما إذا كانت المسلمة مدخولاً بها لوليٍّ وشاهدان وبقيّة شروط الصحة في المدخول بها وغيرها. (حاشية الجمل).

(٢) قوله: (لقطع إسلامكم لها) أي: للعصمة. وقوله: (بشرطه) أي: بشرط القطع، وهو ألا يجمعهما الإسلام في العدَّة؛ إذا كان بعد الدُّخول. (حاشية الجمل).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾

بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم.

[١٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ كما كان يُفْعَلُ في الجاهلية من وأد البنات، أي دَفْنِهِنَّ أحياءً خوفَ العَار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي بوَلَدٍ مَلْقُوطٍ يَنْسُبْنَهُ إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله، كتَرْكِ النِّياحَةِ، وتمزيق الثياب، وجزّ الشُّعور، وشَقِّ الجَيْب، وخَمْشِ الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فَعَلَ ذلكَ ﷺ بالقول، ولم يصافح واحدة منهن ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [١٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ من ثوابها مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصِدْقِهِ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ -أي المقبورين- من خير الآخرة؛ إذ تُعْرَضُ عليهم مَقاعِدُهُم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

﴿سورة الصف﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ١٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي نَزَّهَهُ، «فاللام» مزيدة وجيء بـ«ما» دون «مَنْ» تغليباً للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إذ انهزمتم بِأُحُد. [٣] ﴿كَبُرَ﴾ عَظُمَ ﴿مَقْتًا﴾ تمييز ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟﴾ فاعل (كَبُرَ) ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. [٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ يَنْصر ويُكْرِمُ[1] ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ حال، أي صَافِّينَ ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ مُلْزَقٌ بعضه إلى بعض ثابت. [٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ قالوا: إنه آدَرُ، أي منتفخ الخِصْيَةِ، وليس كذلك، وكَذَّبُوهُ ﴿وَقَد﴾ للتحقيق ﴿تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ الجملة حال، والرسول يُحترَم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عدَلُوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى على وَفْقِ ما قَدَّرَهُ في الأزل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ الكافرين في علمه.

عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: «يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً». قال: لِمَ؟ قال: لِيُعْطُوكَهُ فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يَبْلُغُ قومك أنك مُنْكِرٌ لَهُ. قال: وماذا أقول؟ فوالله مامنكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إنّ لِقَولِهِ الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لَطَلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قالَ: قف عني

(١) هذا المعنى من آثار المحبة، ومن لوازمها، مع إثبات المحبة لله، فالله تعالى إذا أحبَّ عبداً فإنه يكرمه، وينصره.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم، لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ قبْلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ جاء أحمدُ الكفارَ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الآياتِ والعلامات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ أي المجيء به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة (ساحر)، أي الجائي به ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّن.

[٧] ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشدُّ ظلماً ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووَصْفِ آياته بالسِّحرِ ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ منصوب «بأن» مُقدَّرة، و«اللام» مَزيدَة ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ شَرْعَهُ وبراهِينَهُ ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم: إنه سِحر، وشِعْر، وكِهانة ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ﴾ مُظْهِر ﴿نُورِهِۦ﴾ وفي قراءة بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يُعْلِيه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالِفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[١٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدُومون على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم، فافعلوه. [١٢] ﴿يَغْفِرْ﴾ جواب شرط مُقدَّر، أي: إن تفعلوه؛ يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [١٣] ﴿وَ﴾ يؤتكم نعمة ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنَّصر والفَتح.

[١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ لدينه وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾ إلخ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدالُّ عليه قال ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي مَن الأنصار الذين يكونون معي مُتَوجِّهين إلى نصرة الله؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والحواريُّون: أصفياء عيسى، وهُمْ أوّلُ من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، مِنَ الحَوَر، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قَصَّارين يُحوِّرُونَ الثياب، أي: يُبيِّضُونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى وقالوا: إنه عَبْدُ الله، رُفِع إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ قوّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين.

حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾. [رواه البيهقي، والحاكم وصححه وأقره الذهبي].

***

سُورَةُ الجُمُعَةِ

ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿سورة الجمعة﴾

[مدنية وآياتها ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٦

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يُنَزِّهُهُ، فاللام زائدة ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في ذكر (ما) تغليب للأكثر ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ المنزه عما لا يليق به ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ في ملكه وصنعه. [٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ العرب، والأُمِّيُّ: مَنْ لا يَكْتُبُ ولا يَقْرَأُ كتاباً ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يُطهِّرُهُم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وإنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. [٣] ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عَطْفٌ على الأميين، أي الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم ﴿يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ في السابقة والفضل ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة، المبعوث فيهم النبي ﷺ، على من عداهم ممَّن بُعِثَ إليهم، وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأنَّ كلَّ قَرْنٍ خَيْرٌ ممَّن يليه. [٤] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ النبي ومَنْ ذكر معه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. [٥] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كُلِّفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ أي كُتُباً في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ المُصَدِّقة للنبي ﷺ، والمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ، تقديره: هذا المَثَل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين. [٦] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعلق (بتمنوا) الشرطان على أن الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يُؤْثِرُ الآخرةَ، ومَبْدَؤُها الموتُ؛ فتَمَنَّوْهُ. [٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المُسْتَلْزِم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين. [٨] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

سورةُ القيامة

(١٦ ـ ١٧) قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾.

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يُعالِجُ من التنزيل شدة، وكان مما يُحرِّكُ شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أُحرِّكُهُما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحَرَّكَ شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٧﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سورة المنافقون

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

[٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن ﴾ بمعنى في ﴿ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا ﴾ فامْضُوا ﴿ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ للصلاة ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ اتركوا عَقْدَه ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه خير؛ فافعلوه. [١٠] ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أمر إباحة ﴿ وَابْتَغُوا ﴾ اطلبوا الرزق ﴿ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ذِكْراً ﴿ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تفُوزون. كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدِمَتْ عِيرٌ، وضُرِبَ لِقُدومها الطَّبْلُ على العادة، فخرج لها الناسُ مِن المَسْجِدِ غيرَ اثني عشر رجلاً فنزلت: [١١] ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ أي التجارة؛ لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿ وَتَرَكُوكَ ﴾ في الخطبة ﴿ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ ﴾ للذين آمنوا ﴿ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ يقال: كل إنسان يَرْزُقُ عائِلَتَهُ، أي مِنْ رِزْقِ الله تعالى.

﴿سورة المنافقون﴾

[مدنية وآياتها ١١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا ﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ يعلم ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيما أضمروه مخالفاً لما قالوه. [٢] ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ سِتْرَةً على أموالهم ودمائهم ﴿ فَصَدُّوا ﴾ بها ﴿ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي عن الجهاد فيهم ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. [٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي سوءُ عملهم ﴿ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾ باللسان ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ بالقلب، أي اسْتَمَرُّوا على كفرهم به ﴿ فَطُبِعَ ﴾ ختم ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بالكفر ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الإيمان. [٤] ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ لجمالها ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ لفصاحته ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ مِنْ عِظَمِ أَجْسَامِهم في تَرْكِ التَّفَهُّم ﴿ خُشُبٌ ﴾ بسكون الشين وضمها ﴿ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ ممالة إلى الجدار ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ ﴾ تُصاح كنداءٍ في العَسْكَرِ، وإنْشَادِ ضَالَّةٍ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ لما في قلوبهم من الرُّعْب أن يَنْزِلَ فيهم ما يُبِيحُ دِماءَهُم ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ فإنهم يُفْشُونَ سِرَّكَ للكفار ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ أهلكهم ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يُصْرَفونَ عن الإيمان بعد قيام البرهان.

ربع الحزب ٥٦

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قال: جمعه له في صدره وتقرأه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، قال: فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه. [رواه البخاري ومسلم].

(٣٤ ـ ٣٥) قوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾.

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل، ثم أنزله الله عزَّ وجلَّ. [رواه النسائي والطبري].

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا﴾ بالتشديد والتخفيف: عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعْرِضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾. [٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. [٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ يتفرَّقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾. [٨] ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا﴾ أي من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾ عَنُوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ عَنُوا به المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. [٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. [١٠] ﴿وَأَنفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ بمعنى هلاَّ، أو «لا» زائدة و«لو» للتمني ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ ـ بإدغام التاء في الأصل في الصاد ـ أتصدَّق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحُجَّ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قَصَّرَ أحدٌ في الزكاة والحج إلا سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ المَوْتِ. [١١] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

سورةُ النَّازِعَاتِ

(٤٣ ـ ٤٤) قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾.

عن عائشة قالت: لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾. [رواه الطبري والحاكم].

***

سورةُ عَبَسَ

عن عائشة قالت: أنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرْشِدْني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عُظَمَاءِ المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويُقْبِلُ على الآخر. ويقول: «ترى بما أقول بأساً» فيقول: «لا» ففي هذا نزل. [رواه الترمذي وابن حبان والحاكم].

وعن أنس قال: جاء ابن أم مكتوم وهو يكَلِّمُ أُبَيَّ بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه. [رواه عبد الرزاق وأبو يعلى وعبد بن حميد].

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٩)

﴿سورة التغابن﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يُنَزِّهُهُ، «فاللام» زائدة، وأتى بـ«ما» دون «مَنْ» تغليباً للأكثر ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعَلَ شكْلَ الآدميِّ أَحْسَنَ الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾. [٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات. [٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَؤُا۟﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عُقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. [٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحُجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله. [٧] ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن﴾ مُخفَّفة، واسمها محذوف، أي أنهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾. [٨] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. [٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يَغْبنُ المؤمنون الكافرين بأَخْذ مَنازِلهم وأَهْليهم في الجنة لو آمنوا ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة بالنون في الفعلين ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

سورةُ المُطَفِفينَ

عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. [رواه ابن ماجه والنسائي].

***

سورةُ الضحى

عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكونَ شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ (١) وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. [رواه البخاري ومسلم].

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ — ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هي. [١١] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ بقضائه ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ في قوله: إنَّ المصيبة بقضائه ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ للصبر عليها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾. [١٢] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ البيِّن. [١٣] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾. [١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ أَنْ تطيعوهم في التَّخلُّفِ عن الخَيْر، كالجهاد والهجرة، فإن سببَ نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير مُعْتَلِّينَ بِمَشَقَّةِ فِراقكم عليهم ﴿وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. [١٥] ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ لكم شاغِلَةٌ عن أمور الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ فلا تُفَوِّتُوهُ باشتغالكم بالأموال والأولاد. [١٦] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسِخَةٌ لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما أُمرتم به سَماع قَبُولٍ ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الطاعة ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ خبر «يكن» مُقَدَّرَةً جواب الأمر(1) ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الفائزون. [١٧] ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بأن تتصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ وفي قراءة: (يضعفه) بالتشديد، بالواحِدَةِ عَشْراً إلى سبعمئة وأكثر وهو التصدُّق عن طيب قلب ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ مُجازٍ على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية. [١٨] ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ السِّرِّ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ العلانيةِ ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه.

---

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كَنزاً كنزاً، فَسُرَّ بذلك فأنزل الله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. [ذكره ابن كثير ورواه الحاكم وأبو نعيم والطبري].

***

سورةُ العلَق

(٦) قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾.

---

(1) فيكون التقدير: أنفقوا يكن الإنفاق خيراً لأنفسكم، فـ«يكن» المقدَّرة: جواب الأمر، و«خيراً»: خبر «يكن».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟
ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ
مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

﴿سورة الطلاق﴾

[مدنية وآياتها ١٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٦

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ المُرادُ أُمَّتُهُ بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها بأن يكونَ الطلاقُ في طُهْرٍ لَمْ تُمَسَّ فيه، لتفسيره ﷺ بذلك؛ رواه الشيخان[1] ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ احْفَظوها لِتُراجِعُوا قَبْل فراغها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها حتى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنى ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ -بفتح الياء وكسرها، بُيِّنَتْ، أو بَيِّنَةٍ- فَيُخْرَجْنَ لإقامةِ الحدِّ عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مُراجعةً فيما إذا كان واحدةً أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربْنَ انقضاءَ عِدَّتِهِنَّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضِرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه، أو له ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ مِنْ كُرَبِ الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يَخْطُرُ بباله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ مُراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾ ميقاتاً.

[٤] ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى﴾ بهمزة وياء وبلا ياء في الموضعين ﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ لِصِغَرِهنّ فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن، أما هُنَّ فعدتهن ما في آية: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاءُ عدتهن مطلقات، أو مُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أزواجهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ حُكْمُه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللاَّت والعزى لئن رأيته يفعَلُ ذلك لأطَأَنَّ على رقبته، ولأعَفِّرَنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليَطَأَ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو يَنْكُصُ على عقبيه ويتَّقي بيديه، قال فقيل له:

(١) رواه البخاري (٥٢٥١) ومسلم (١٤٧١/١).

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي سَعَتِكُم، عطف بيان أو بدل ممَّا قبله بإعادة الجار، وتقدير مضاف، أي أمكنة سعتكم، لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فَيَحْتَجْنَ إلى الخروج أو النفقة، فَيَفْتَدِينَ منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم﴾ وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميلٍ في حَقِّ الأولاد، بالتَّوافُق على أَجْرٍ معلوم على الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايَقْتُم في الإرضاع، فامتنع الأبُ من الأجرة، والأمُّ مِنْ فِعْلِهِ ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ للأب ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولا تُكْرَهُ الأمُّ على إرضاعه. [٧] ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المُطَلَّقات والمُرْضِعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ﴾ ضُيِّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ أعطاه ﴿ٱللَّهُ﴾ على قَدْرِه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتوح. [٨] ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي «كاف» الجر دخلت على «أي» بمعنى كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكثير من القُرى ﴿عَتَتْ﴾ عَصَتْ يعني أَهْلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخرة وإن لم تجيء لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ـ بسكون الكاف وضمها ـ : فَظيعاً، وهو عذابُ النار. [٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خساراً وهلاكاً. [١٠] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن. [١١] ﴿رَّسُولًا﴾ أي محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر، أي وأرسل ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها كما تقدم ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد مجيء الذِّكْر والرَّسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكُفْر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة بالنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها. [١٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أَرَضين ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ الوَحْيُ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السموات والأرض، ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ ـ متعلق بمحذوف، أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾.

﴿سورة التحريم﴾ [مدنية وآياتها ١٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ من أَمَتِكَ مارِيَة القبطية، لمّا واقَعها في بيتِ حَفْصَةَ، وكانت غائِبةً، فجاءت، وشَقَّ عليها كَوْنُ ذلك في بيتها، وعلى فراشها، حيث قُلْتَ: هِيَ حَرَامٌ عَلَيَّ(١) ﴿تَبْتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ أي رِضاهُن ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غَفَر لك هذا التحريم.

---

(١) الذي في الصحيحين أن الذي حرَّمه ﷺ على نفسه هو شرب العسل.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾ شرَعَ ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة «المائدة» [الآية: ٨٩] ومن الأيمان تحريم الأمة، وهل كفَّرَ ﷺ؟ قال مُقاتِل: أعْتَقَ رَقَبَةً في تحريم مارية، وقال الحَسَن: لم يكفِّر؛ لأنه ﷺ مغفور له ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ نـاصِرُكُـم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٦

[٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريمُ ماريةَ، وقال لها: لا تُفْشِيهِ ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ عائشةَ ظناً منها ألا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطْلَعَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ على المُنبَّأ به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ لحفْصَةَ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرُّماً منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أي الله. [٤] ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ أي حفصة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى تحريم مارية، أي سَرَّكُما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلا، وأطلق (قلوبَ) على قلبين ولم يعبِّر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة[1] ﴿وَإِنْ تَظَّاهَرَا﴾ ـ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها ـ: تتعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ فصل ﴿مَوْلَاهُ﴾ ناصِرُه ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، معطوف على محل اسم «إن» فيكونون ناصريه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نَصْرِ الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾ ظُهَراءُ، أعْوان له في نَصْرِه عليكما. [٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ أي طَلَّقَ النبيُّ أزواجه ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ خبر (عسى) والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ مُقرَّاتٍ بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مُخْلِصَات ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مُطيعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ صائمات أو مُهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾. [٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مُفْرِطَة الحَرارَة، تَتَّقِدُ بما ذُكِرَ، لا كنَار الدُّنيا تتَّقدُ بالحَطَب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ خَزَنـتُها عدَّتُهم تِسْعَةَ عَشَر كما سيأتي في «المدثر»[الآية: ٣٠] ﴿غِلَاظٌ﴾ من غلظ القلب ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ بدل من لفظ الجلالة، أي لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ تأكيد. والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم. [٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ يُقال لهم ذلك عند دخولهم النار، أي لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءه.

---

(١) أي: لم يقل: «قلباكما» ففيه تثنية «قلب» وتثنية الضمير «كما» وهو تركيب إضافي، وهو مجموع المضاف والمضاف إليه، فهما كالشيء الواحد من أجل تمام العلاقة والنسبة بينهما. (حاشية الجمل).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

[٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ ـ بفتح النون وضمها ـ: صادقة، بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُرادَ العودُ إليه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ﴾ ترجيةٌ تقع ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ﴾ مستأنف ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يُطْفَأُ نورُهم ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ﴾ ربَّنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾. [٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بالانتهار والمَقْتِ ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هي. [١٠] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين؛ إذ كفرتا، وكانت امرأةُ نوح واسمها «واهلة» تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط واسمها «واعلة» تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار، ونهاراً بالتدخين ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا﴾ أي نوح ولوط ﴿عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيۡـٔٗا وَقِيلَ﴾ لهما: ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط. [١١] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ آمنَتْ بموسى، واسمها «آسية» فعذَّبها فرعونُ بأَنْ أَوْتَدَ يَدَيْها ورجليها، وألقى على صدرها رَحىً عظيمةً، واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرَّق عنها من وُكِّلَ بها ظَلَّلَتْها الملائكةُ ﴿إِذۡ قَالَتۡ﴾ في حال التعذيب ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ فكَشَفَ لها، فرَأَتْهُ، فسَهُلَ عليها التعذيبُ ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَهْلِ دينه، فقَبَضَ اللَّهُ روحها. وقال ابن كَيْسانَ: رُفِعَتْ إلى الجنة حيَّةً فهي تأكل وتشرب[1]. [١٢] ﴿وَمَرۡيَمَ﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ حفظَتْهُ ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي جبريل، حيث نفخ في جَيْبِ دِرْعها بخلقِ اللَّهِ تعالى فِعْلَهُ الواصِلَ إلى فرْجِها، فحَمَلَتْ بعيسى ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ من القوم المطيعين.

ما لَكَ؟ فقال: إن بيني وبينه لَخَندقاً من نار وَهولاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته المِلائكة عضواً عضواً». قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ـ يعني أبا جهل ـ ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا

---

(١) ذكر الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» أن هذا الخبر غير صحيح.

سورة الملك

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

﴿سورة المُلك﴾

[مكية وآياتها ٣٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ٢٩ — الحزب ٥٧

[١] ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ تَنزَّهَ عن صِفات المُحْدَثين ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ﴾ في تصَرُّفه[1] ﴿ ٱلْمُلْكُ ﴾ السُّلطانُ والقُدْرَة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [٢] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنُّطْفَةُ تَعْرِضُ لها الحياةُ، وهي ما به الإحساس، والموتُ ضِدُّها، أو عدمها قولان[2]، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أَطْوَعُ لله ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ لمن تاب إليه. [٣] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ بعضها فوق بعض من غير مُماسَّة ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ لهن أو لغيرهن ﴿ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ تَبايُن وعَدَم تناسُب ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ ﴾ أعده إلى السماء ﴿ هَلْ تَرَىٰ ﴾ فيها ﴿ مِن فُطُورٍ ﴾ صُدُوع وشُقُوق. [٤] ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ كرَّةً بعد كرَة ﴿ يَنقَلِبْ ﴾ يرجع ﴿ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ ذَليلاً لِعَدَم إدْراكِ خَلَلٍ ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ مُنْقَطِعٌ عن رُؤيةِ خَلَل. [٥] ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ القُرْبَى إلى الأرض ﴿ بِمَصَٰبِيحَ ﴾ بنجوم ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا ﴾ مَراجِم ﴿ لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ إذا اسْتَرَقُوا السَّمْعَ، بأنْ يَنْفَصِلَ شِهابٌ عن الكوكب، كَالقَبَسِ يُؤْخَذُ مِنَ النار، فَيَقْتُلُ الجِنِّيَ أو يَخْبِلُهُ، لا أَنَّ الكوكَبَ يَزولُ عن مَكانِه ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ النار الموقدة. [٦] ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ هي. [٧] ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا ﴾ صَوْتاً مُنْكراً كَصَوْتِ الحِمار ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ﴾ تَغْلي. [٨] ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ وقرىء[3] (تتميز) على الأصل: تَتَقَطَّعُ ﴿ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ غضباً على الكفار ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ جماعة منهم ﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ سؤالَ تَوْبيخ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ رَسولٌ يُنْذِرُكُم عذابَ الله تعالى؟ [٩] ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ يُحْتَمَل أن يكونَ من كلام الملائكة للكفارِ حين أُخْبِروا بالتكذيب، وأنْ يكونَ مِنْ كَلام الكُفار لِلنُّذُرِ. [١٠] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾ أي سماع تَفهُّمٍ ﴿ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ أي عَقْلَ تفكُّرٍ ﴿ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾. [١١] ﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ ﴾ حيث لا يَنْفَعُ الاعترافُ ﴿ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ وهو تكذيبُ النُّذُر ﴿ فَسُحْقًا ﴾ بسكون الحاء وضمها ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فَبُعْداً لهم عن رحمة الله. [١٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾ يخافونه ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في غَيْبَتِهِمْ عن أَعْيُنِ الناس، فَيُطيعونَهُ سِرّاً، فَيكونُ عَلانِيَةً أَوْلَى ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي الجنة.

---

(١) هذا تعطيل لصفة اليد، ولاينبغي تفسير صفة بأخرى؛ لإن التصرف غير اليد، وإن كان لازماً لها.

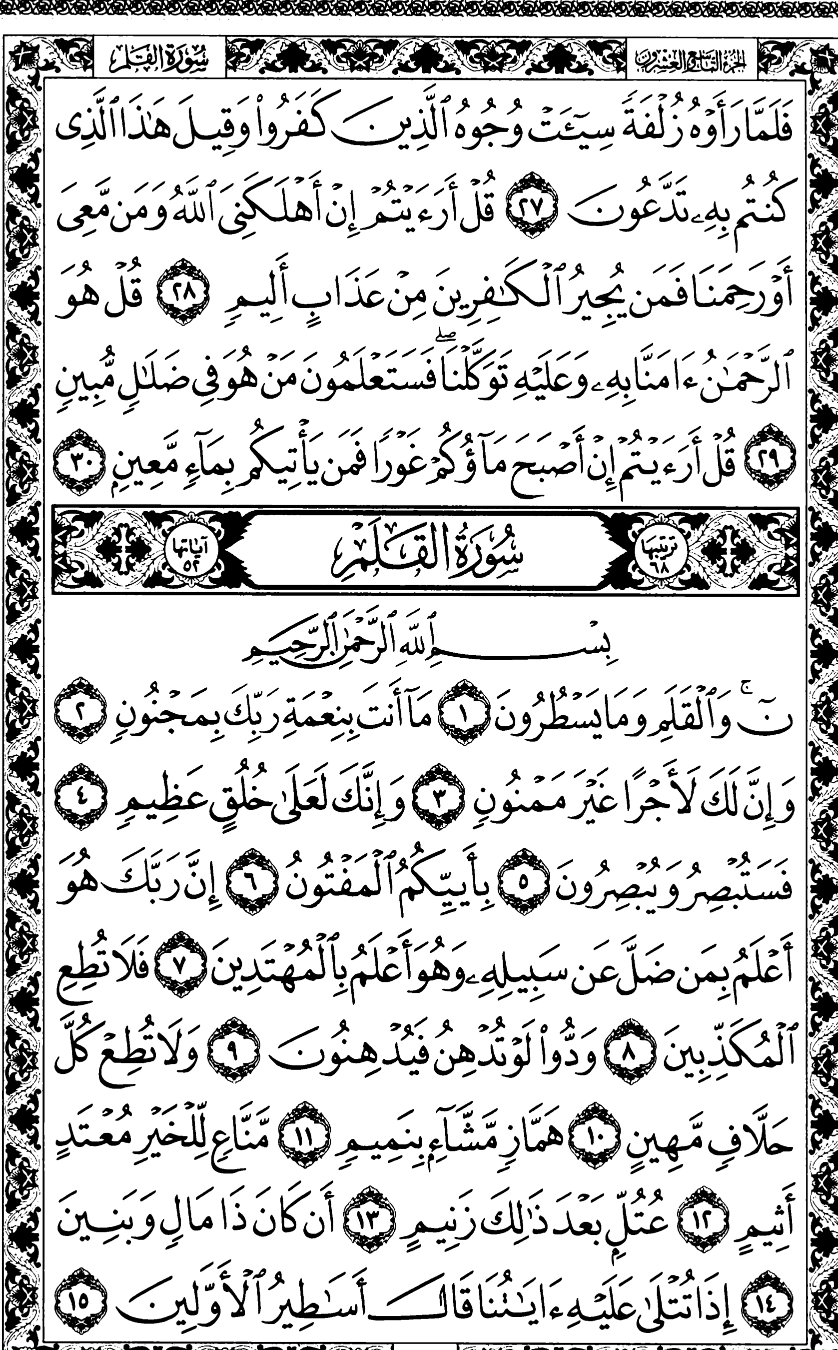
(٢) قوله: «فالنطفة» إشارة إلى الموت. وقوله: «وهي ما به الإحساس» تفسير للحياة. وقوله: «ضدها» أي الحياة. وقوله: «أو عدمها» أي: عدم الحياة. وقوله: «قولان» أي في تعريف الموت. (حاشية الجمل).

(٣) وهي قراءة شاذة.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسببُ نزولِ ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أَسِرُّوا قَوْلَكُم لا يَسْمَعْكُم إلهُ محمد. [١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تُسِرُّونَ أي: أَيَنتفي عِلْمُهُ بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه. [١٥] ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سَهْلَةً للمشي فيها ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ من القبور للجزاء. [١٦] ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً ﴿مَّن فِى السَّمَآءِ﴾ سلطانه وقدرته[1] ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ بَدَلٌ مِنْ (مَن) ﴿بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم. [١٧] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ﴾ بَدَلٌ مِنْ (مَنْ) ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميكم بالحَصْبَاءِ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذاري بالعذاب، أي أنه حق. [١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم، أي أنه حق. [١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطاتٍ أجنحتَهُنَّ ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتَهُنَّ بَعْدَ البَسْطِ، أي: وقابضاتٍ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عنِ الوُقوعِ في حالِ البَسْطِ والقَبْضِ ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدَّم، وغيرَه من العذاب؟ [٢٠] ﴿أَمَّنْ﴾ مبتدأ ﴿هَٰذَا﴾ خبره ﴿الَّذِى﴾ بَدَلٌ مِنْ (هذا) ﴿هُوَ جُندٌ﴾ أعوان ﴿لَّكُمْ﴾ صلة (الذي) ﴿يَنصُرُكُم﴾ صفة (الجند) ﴿مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي غيره يدفع عنكم عذابه، أي لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ غرَّهُم الشيطانُ بأنَّ العذابَ لا يَنْزِلُ بهم. [٢١] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُۥ﴾ أي المَطَرَ عنكم؟ وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فمن يرزقكم؟ أي لا رازقَ لكم غيره ﴿بَل لَّجُّوا﴾ تمادَوْا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ تكبُّرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾ تباعُدٍ عن الحق. [٢٢] ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ واقعاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ مُعْتَدِلاً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾؟ وخبر (مَن) الثانية محذوفٌ دَلَّ عليه خبر الأولى، أي أهدى، والمَثَلُ في المؤمن والكافر أيهما على هُدىً. [٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مَزِيدةٌ، والجملةُ مستأنفة، مُخْبِرَةٌ بقلةِ شُكْرِهم جداً على هذه النِّعَم. [٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب. [٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. [٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ الإنذار. [٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي العذابَ بعدَ الحَشْر ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ اسْوَدَّتْ ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي قال الخَزَنَةُ لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب ﴿الَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾ بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنكم لا تُبْعَثون. وهذه حكايةُ حالٍ تأتي، عَبَّرَ عنها بطريق المُضيّ؛ لتَحقُّقِ وُقوعِها. [٢٨] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يُعَذِّبْنا ﴿فَمَن يُجِيرُ الْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ أي لا مُجِيرَ لهم منه. [٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ

(١) هذا تعطيل لصفة العلو، وخلاف ماصرَّح به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. قال ابنُ جرير: (من في السماء): وهو الله.



فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ — ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ بالتاء والياء عند مُعايَنَةِ العذاب ﴿ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ بَيِّنٍ، أنحن، أم أنتم، أم هم؟[1] [٣٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ غائِراً في الأرض ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ جَارٍ تَنالُهُ الأَيْدي والدِّلاء كمائِكم، أي لا يأتي به إلا اللَّهُ تعالى، فكيف تُنْكِرون أن يَبْعَثَكم؟ ويُسْتَحَبُّ أن يقولَ القارئُ عَقِب (معين): اللَّهُ ربُّ العالمين؛ كما ورد في الحديث. وتُلِيَتْ هذه الآيةُ عند بعض المُتَجَبِّرينَ فقال: تأتي به الفُؤوسُ والمَعاولُ، فَذَهَبَ ماءُ عَيْنِهِ، وعَمِيَ. نَعوذُ باللَّهِ مِنَ الجَراءَةِ على الله وعلى آياته.

﴿سورة القلم﴾

[مكية وآياتها ٥٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٧

[١] ﴿ نٓ ﴾ أَحَدُ حُروفِ الهجاء، الله أَعْلَمُ بِمُرادِهِ به ﴿ وَٱلْقَلَمِ ﴾ الذي كَتَبَ به الكائناتِ في اللوح المحفوظ ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أي الملائكة من الخير والصلاح. [٢] ﴿ مَآ أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ أي انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رَدٌّ لقولهم: إنه مجنون. [٣] ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ مقطوع. [٤] ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ ﴾ دين ﴿ عَظِيمٍ ﴾.
[٥] ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾. [٦] ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ مصدر كالمعقول، أي: الفُتُون بمعنى الجنون، أي: أبك أم بهم؟ [٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ له. و (أعلم) بمعنى عالم. [٨] ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾. [٩] ﴿ وَدُّوا۟ ﴾ تمنوا ﴿ لَوْ ﴾ مصدرية ﴿ تُدْهِنُ ﴾ تَلينُ لهم ﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ يَلينون لك، وهو معطوف على (تدهن)، وإن جعل جواب التمني المفهوم من (ودوا) قدر قبله بعد الفاء: هم. [١٠] ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿ مَّهِينٍ ﴾ حقير. [١١] ﴿ هَمَّازٍ ﴾ عَيَّابٍ، أي مُغتاب ﴿ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ ساعٍ بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم. [١٢] ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ بخيلٍ بالمال عن الحقوق ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ ظالم ﴿ أَثِيمٍ ﴾ آثم. [١٣] ﴿ عُتُلٍّ ﴾ غليظ جاف ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ دَعِيٍّ في قريش، وهو الوليد بن المغيرة، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العُيوبِ فَأَلْحَقَ به عاراً لا يفارقه أبداً، وتعلق بـ (زنيم) الظرف قبله. [١٤] ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ أي لأن، وهو متعلق بما دلَّ عليه[2]: [١٥] ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ القرآن ﴿ قَالَ ﴾ هي ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي كَذَّبَ بها لإنعامنا عليه بما ذُكِرَ، وفي قراءة (أأن) بهمزتين مفتوحتين. [١٦] ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ سنجعل على أَنْفِهِ علامة يُعَيَّرُ بها ما عاشَ، فَخُطِمَ أَنْفُهُ بالسَّيْفِ يوم بَدْرٍ. [١٧] ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع بها ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ البستان ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ يقطعون ثمرتها ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ وقت الصباح، كي لا يشعر بهم المساكينُ، فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدَّقُ به عليهم منها. [١٨] ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾

---

(١) قوله: «أم أنتم» على قراءة ﴿فستعلمون﴾ وقوله: «أم هم» على قراءة ﴿فسيعلمون﴾. (حاشية الجمل).

(٢) أي: الجار (وهو اللام) والمجرور (وهو المصدر المكون من أن وما بعدها) متعلق بما دلَّ عليه قوله: ﴿إذا تتلى. . .إلخ﴾ وقد بينه بقوله بعدُ: أي كذب بها. (حاشية الجمل بتصرف).

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

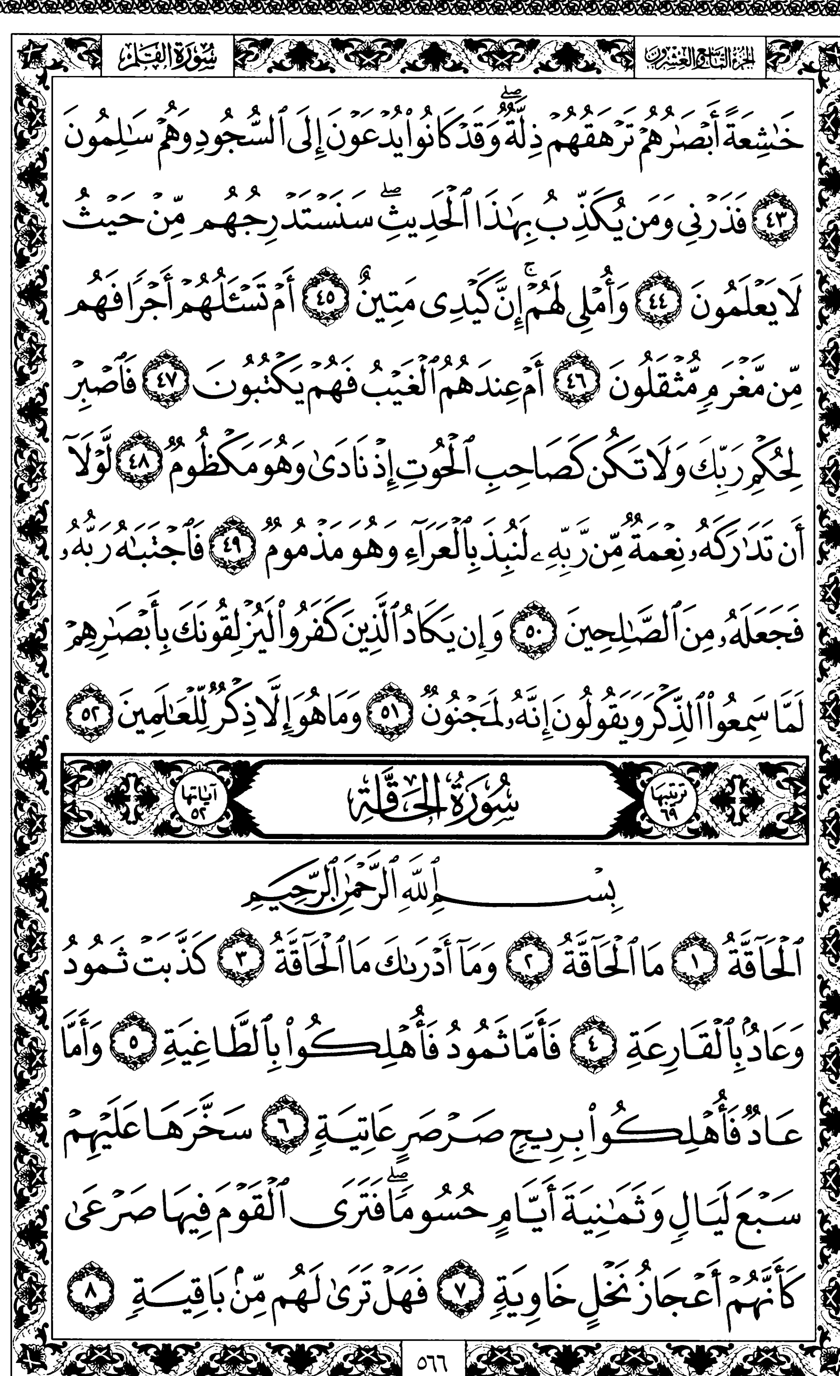
في يمينهم بمشيئة الله تعالى. والجملة مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك. [١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ نارٌ أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾. [٢٠] ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة، أي سوداء. [٢١] ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ﴾. [٢٢] ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ غلّتكم تفسير لـ (تنادوا)، أو (أن) مصدرية أي بأن ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ﴾ مريدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. [٢٣] ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارُّون. [٢٤] ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾ تفسير لما قبله، أو (أن) مصدرية أي بأن. [٢٥] ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ منع للفقراء ﴿قَٰدِرِينَ﴾ عليه في ظنهم. [٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ عنها، أي: ليست هذه! ثم قالوا لما علموها: [٢٧] ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ ثمرَتَها بمَنْعِنا الفُقراءَ منها. [٢٨] ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ خَيرُهُم ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين. [٢٩] ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقَّهُم. [٣٠] ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ﴾. [٣١] ﴿قَالُواْ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾. [٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ ليقبلَ تَوْبَتَنا، ويَرُدَّ علينا خيراً من جنّتِنا، رُوِيَ: أنهم أبدلوا خيراً منها. [٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ عذابَها ما خالفوا أمرنا. ونزل لما قالوا: إن بُعِثْنا؛ نُعْطَ أفضلَ منكم: [٣٤] ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. [٣٥] ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي تابعين لهم في العطاء[١]. [٣٦] ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد. [٣٧] ﴿أَمۡ﴾ أي بل أ ﴿لَكُمۡ كِتَٰبٞ﴾ مُنْزَلٌ ﴿فِيهِ تَدۡرُسُونَ﴾ أي تقرؤون.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ تختارون. [٣٩] ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ﴾ عُهود ﴿عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾ واثِقَةٌ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ متعلق مَعْنىً بـ (علينا)، وفي هذا الكلام معنى القسم، أي أقسمنا لكم، وجوابه: ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ به لأنفسكم. [٤٠] ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكم الذي يحكمون به لأنفسهم، مِنْ أنهم يُعْطَوْنَ في الآخرة أفضلَ من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل لهم؟ [٤١] ﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ أي عندهم ﴿شُرَكَآءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول يَكْفُلون به لهم، فإن كان كذلك ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾. [٤٢] اذكر ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ هو عبارة عن شِدَّة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء[٢]، يقال: كَشَفَت الحَرْبُ عَنْ ساقٍ: إذا اشْتَدَّ الأمر فيها ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ تصير ظهورُهم طبقاً واحداً. [٤٣] ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير يُدْعَوْن، أي ذليلة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ فلا يأتون به بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرۡنِي﴾ دعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ القرآن ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) جاء في حاشية الجمل (٨/ ٨٣): كان الأولى أن يقول: أي: مساوين لهم في العطاء، كما ذكر في آية أخرى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾.

(٢) هذا أحدُ القولين في تفسير الآية، والقول الثاني: أن الله يكشف عن ساقه. قال صلى الله عليه وسلم: "يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة".



خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّة

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

[٤٥] ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يُطاق. [٤٦] ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ﴾ مما يُعْطونَكَهُ ﴿مُّثۡقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك. [٤٧] ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ منه ما يقولون. [٤٨] ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ في الضَّجر والعَجَلَةِ، وهو يونُس عليه السلام ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ مَمْلوءٌ غمّاً في بَطْنِ الحوت. [٤٩] ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ أدركه ﴿نِعۡمَةٞ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلۡعَرَآءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ لكنه رُحِمَ، فَنُبِذَ غَيْرَ مَذْمُوم. [٥٠] ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء. [٥١] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد أن يَصْرَعَكَ، ويُسْقِطَكَ من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حَسَداً: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.

نصف الحزب ٥٧

[٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ موعظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يَحدُثُ بسببه جنون.

﴿سورة الحاقة﴾

[مكية وآياتها ٥١ أو ٥٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ القيامةُ التي يَحِقُّ فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء، أو المظهِرَة لذلك. [٢] ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ تعظيم لشأنها، وهو مبتدأ، وخبر الحاقة: [٣] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعْلَمَكَ ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ زيادة تعظيم لشأنها، فـ (ما) الأولى مبتدأ وما بعدها خبره، و (ما) الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ (أدري). [٤] ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تَقْرَعُ القلوبَ بأهوالها. [٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحدّ في الشِّدَّة. [٦] ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾ شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٖ﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم. [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالقهر ﴿عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء ﴿حُسُومٗا﴾ متتابعاتٍ، شُبِّهَتْ بتتابع فعل الحاسِم في إعادة الكَيِّ على الداءِ، كرة بعد أخرى حتى يَنْحَسِمَ ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ﴾ مَطْرُوحِينَ هالكين ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ﴾ أصولُ ﴿نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ ساقطة فارغة. [٨] ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ صفة نفس مقدرة[1]، أو التاء للمبالغة، أي باقٍ؟ لا.

نُطِعْهُ. [رواه مسلم وغيره] .

وعن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، فقال رسول الله ﷺ: « لئن فعل لأخذته الملائكة عياناً » . [رواه الطبري] .

---

(١) أي التقدير: فهل ترى لهم من نفسٍ باقية.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

سكتة لطيفة على هاء ماليه

[٩] ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ أتباعه. وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء، أي مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الأممِ الكافرة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي أهلها، وهي قُرى قومِ لُوطٍ ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ بالفعلات ذات الخطأ. [١٠] ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي لوطاً وغيره ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ زائدة في الشدة على غيرها. [١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زَمَنَ الطُّوفان ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ يعني: آباءكم، إذ أنتم في أَصْلابِهِم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ السفينة التي عَمِلَها نوح، ونَجا هو ومن كان معه فيها، وغَرِقَ الآخرون. [١٢] ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عِظَةً ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ ولتحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ حافظة لما تسمع. [١٣] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق وهي الثانية. [١٤] ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دُقتا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾. [١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [١٦] ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة. [١٧] ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ من الملائكة، أو مِنْ صُفوفِهِم. [١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ مِنَ السَّرائر. [١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خطاباً لِجَماعَتِهِ لِمَا سُرَّ به: ﴿هَآؤُمُ﴾ خُذوا ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ تَنازَعَ فيه (هاؤم) و(اقرؤوا). [٢٠] ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ تَيَقَّنْتُ ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾. [٢١] ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ مَرْضِيَّة. [٢٢] ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾. [٢٣] ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. [٢٤] فيقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ حال، أي متهنئين ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا. [٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾. [٢٦] ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾. [٢٧] ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ أي الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لحياتي بأن لا أُبْعَثَ. [٢٨] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾؟ [٢٩] ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ قُوَّتي وحُجَّتي، وهاء (كتابيه) و (حسابيه) و (ماليه) و (سلطانيه) للسكت، تُثْبَتُ وَقْفاً وَوَصْلاً اتِّباعاً للمصحف الإمام والنقل، ومنهم من حذفها وصلاً. [٣٠] ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل. [٣١] ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾ أدخلوه. [٣٢] ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع المَلَكِ ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع «الفاء» من تعلق الفعل بالظرف المتقدم. [٣٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾. [٣٤] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾. [٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب ينتفع به. [٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ صديد أهل النار أو شجر فيها. [٣٧] ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ الكافرون. [٣٨] ﴿فَلَآ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من المخلوقات. [٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ منها، أي بكل مخلوق. [٤٠] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي قالَهُ رِسالَةً عن الله تعالى. [٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾. [٤٢] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء في الفعلين و «ما» مزيدة مؤكدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة، وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تُغْنِ عنهم شيئاً.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

[٤٣] بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ بأن قال عنا ما لم نقُلْهُ. [٤٥] ﴿لَأَخَذْنَا﴾ لنِلْنا ﴿مِنْهُ﴾ عقاباً ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ بالقوة والقدرة. [٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ نِياط القلب، وهو عِرْقٌ مُتَّصلٌ به إذا انقطع؛ ماتَ صاحِبُه. [٤٧] ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ هو اسم «ما» و «مِنْ» زائدة لتأكيد النفي و (منكم) حال من (أحد) ﴿عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ مانعين خبر «ما»، وجمع لأن (أحداً) في سياق النفي بمعنى الجمع. وضمير (عنه) للنبي ﷺ، أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب. [٤٨] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾. [٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن ومصدقين. [٥٠] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المُصدِّقين وعقاب المكذّبين به. [٥١] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي اليقين الحق. [٥٢] ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزّه ﴿بِٱسْمِ﴾ الباء زائدة ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ سبحانه.

﴿سورة المعارج﴾

[مكية وآياتها ٤٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ دعا داعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. [٢] ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ هو النضر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٣٢]. [٣] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل بواقع ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ مصاعد الملائكة وهي السموات. [٤] ﴿تَعْرُجُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مَهْبَط أمره من السماء[1] ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلق بمحذوف، أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر لما يَلْقَى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكونُ أَخفَّ عليه مِنْ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلّيها في الدنيا؛ كما جاء في الحديث[2]. [٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ وهذا قَبْلَ أَنْ يُؤمَر بالقتال ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي لا جزع فيه. [٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي العذاب ﴿بَعِيدًا﴾ غير واقع. [٧] ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ واقعاً لا محالة. [٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: يقع ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ كذائب الفضة. [٩] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف في الخِفَّةِ والطَّيَرانِ بالريح. [١٠] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ لاشْتِغالِ كُلٍّ بحالِهِ.

وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهَكَ عن هذا؟ ألم أنهَكَ عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فَزَبَرَهُ فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نَادٍ أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله. [رواه الترمذي].

***

(١) الصواب أن الملائكة والروح ـ أي جبريل ـ تصعد إلى الله تعالى. والهاء في (إليه) ضمير عائد على الله عز وجل.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥) وانظره في: التذكرة في أمور الموتى والآخرة؛ للقرطبي (١/ ٣٧٢) تحقيق: يوسف بديوي، طبعة دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

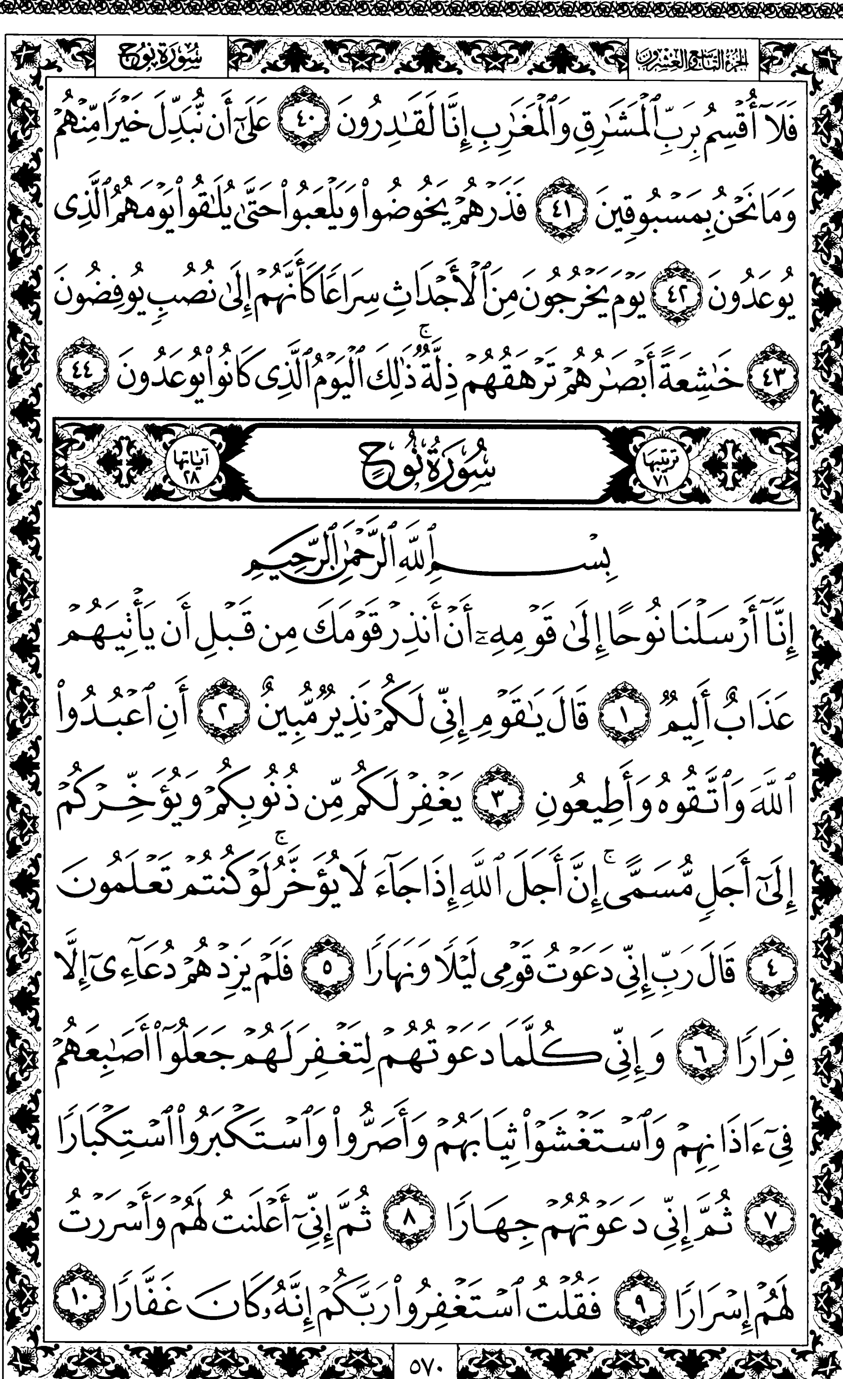
ثلاثة أرباع الحزب ٥٧

[١١] ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أي يُبْصِرُ الأَحِمَّاءُ[١] بَعْضُهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾ يتمنى الكافر ﴿ لَوْ ﴾ بمعنى أن ﴿ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ ﴾ بكسر الميم وفتحها ﴿ بِبَنِيهِ ﴾. [١٢] ﴿ وَصَاحِبَتِهِ ﴾ زوجته ﴿ وَأَخِيهِ ﴾. [١٣] ﴿ وَفَصِيلَتِهِ ﴾ عَشيرَتِهِ لِفَصْلِهِ منها ﴿ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ تَضُمُّهُ. [١٤] ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ذلك الافتداء عطف على (يفتدي). [١٥] ﴿ كَلَّا ﴾ رَدٌّ لما يَوَدُّهُ ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي النار ﴿ لَظَى ﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تَتَلَظَّى، أي تَتَلَهَّبُ على الكفار. [١٦] ﴿ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ جمعُ شَوَاةٍ وهي جِلْدَةُ الرأس. [١٧] ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ عن الإيمان بأن تقول: إليَّ إليَّ. [١٨] ﴿ وَجَمَعَ ﴾ المال ﴿ فَأَوْعَى ﴾ أمْسَكَهُ في وِعائِه، ولم يُؤَدِّ حَقَّ الله منه. [١٩] ﴿ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ حالٌ مقدَّرَةٌ وتفسيره. [٢٠] ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ وقْتَ مَسِّ الشَّرِّ. [٢١] ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ـ وقْتَ مَسِّ الخير، أي: المال ـ لحقِّ اللَّهِ منه. [٢٢] ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ أي المؤمنين. [٢٣] ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ مواظبون. [٢٤] ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾ هو الزكاة. [٢٥] ﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ المُتعفِّف عن السؤال فيُحْرَمُ. [٢٦] ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ الجزاء. [٢٧] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون. [٢٨] ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ نزوله. [٢٩] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾. [٣٠] ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من الإماء ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾. [٣١] ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام. [٣٢] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ ﴾ وفي قراءة بالإفراد: ما ائْتُمِنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿ رَاعُونَ ﴾ حافظون. [٣٣] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ ﴾ وفي قراءة بالجمع ﴿ قَائِمُونَ ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها. [٣٤] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ بأدائها في أوقاتها. [٣٥] ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾. [٣٦] ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ ﴾ نحوك ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ ـ حال ـ أي مُديمي النظر. [٣٧] ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ منك ﴿ عِزِينَ ﴾ ـ حالٌ أيضاً ـ، أي جماعات حِلَقاً حِلَقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لَنَدْخُلَنَّها قَبْلَهم قال تعالى: [٣٨] ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾. [٣٩] ﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ ﴾ كغيرهم ﴿ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ من نُطَفٍ، فلا يُطْمَعُ بذلك في الجنة، وإنما يُطْمَعُ فيها بالتَّقْوى[٢].

---

(١) الأحمَّاء: جمع «حميم». (القاموس).

(٢) قوله: «من نطف. . . إلخ» أي: إنكم مخلوقون من نطفةٍ قذرة لا تناسب عالم القدس، فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة، ولم يتخلَّق بالأخلاق =



فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون ﴿٤٠﴾ على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين ﴿٤١﴾ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي يوعدون ﴿٤٢﴾ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴿٤٣﴾ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿٤٤﴾

سورة نوح

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ﴿١﴾ قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴿٢﴾ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴿٣﴾ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴿٤﴾ قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ﴿٥﴾ فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا ﴿٦﴾ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ﴿٧﴾ ثم إني دعوتهم جهارا ﴿٨﴾ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ﴿٩﴾ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ﴿١٠﴾

[٤٠] ﴿فلا﴾ لا زائدة ﴿أقسم برب المشرق والمغرب﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إنا لقادرون﴾. [٤١] ﴿على أن نبدل﴾ نأتي بدلهم ﴿خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾ بعاجزين عن ذلك. [٤٢] ﴿فذرهم﴾ اتركهم ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلقوا﴾ يلقوا ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ فيه العذاب. [٤٣] ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ القبور ﴿سراعا﴾ إلى المحشر ﴿كأنهم إلى نصب﴾ وفي قراءة بضم الحرفين: شيءٌ مَنْصوبٌ كَعَلَمٍ أو رايَةٍ ﴿يوفضون﴾ يُسْرِعون. [٤٤] ﴿خاشعة﴾ ذَليلةً ﴿أبصارهم ترهقهم﴾ تغْشاهم ﴿ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ (ذلك) مبتدأ، وما بعده الخبر. ومعناه: يوم القيامة.

﴿سورة نوح﴾

[مكية وآياتها ٢٨ أو ٢٩ آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر﴾ أي بإنذار ﴿قومك من قبل أن يأتيهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة. [٢] ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ بيِّن الإنذار. [٣] ﴿أن﴾ أي بأن أقولَ لكم: ﴿اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾. [٤] ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ (من) زائدة، فإنَّ الإسلامَ يُغْفَرُ به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿ويؤخركم﴾ بلا عذاب ﴿إلى أجل مسمى﴾ أجل الموت ﴿إن أجل الله﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ ذلك؛ لآمنتم. [٥] ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا﴾ أي دائماً متصلاً. [٦] ﴿فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا﴾ عن الإيمان. [٧] ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ غطوا رؤوسهم بها لئلاّ ينظروني ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿استكبارا﴾. [٨] ﴿ثم إني دعوتهم جهارا﴾ أي بأعلى صوتي. [٩] ﴿ثم إني أعلنت لهم﴾ صوتي ﴿وأسررت﴾ الكلام ﴿لهم إسرارا﴾. [١٠] ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿إنه كان غفارا﴾.

سورةُ الكوثَر

عن ابن عباس قال: قدم كعبُ بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى هذا الصُّنبُور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾. [ذكره ابن كثير ورواه الطبري والبزار].

= الملكية لم يستعد لدخولها. (حاشية الجمل).

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

[١١] ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطرَ، وكانوا قد مُنِعُوهُ ﴿عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ كثيرَ الدُّرُور. [١٢] ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ جارية. [١٣] ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ أي: تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا[1]. [١٤] ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ جَمْعُ طَوْر: وهو الحال، فَطَوْراً نُطْفَةً، وطوراً عَلَقَةً... إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه. [١٥] ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾ تنظروا ﴿كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ بعضها فوق بعض. [١٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ مصباحاً مضيئاً، وهو أقوى من نور القمر. [١٧] ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ إذْ خَلَقَ أباكم آدم منها ﴿نَبَاتٗا﴾. [١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ﴾ للبعث ﴿إِخۡرَاجٗا﴾. [١٩] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ مبسوطة. [٢٠] ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا﴾ طرقاً ﴿فِجَاجٗا﴾ واسعة. [٢١] ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي السَّفلَة والفقراء ﴿مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك، (وولد) بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول قيل: جمع وَلَد بفتحهما، كَخَشب وخُشْب، وقيل: بمعناه كَبَخْلٍ وبُخْلٍ ﴿إِلَّا خَسَارٗا﴾ طغياناً وكفراً. [٢٢] ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي الرؤساء ﴿مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ عظيماً جداً، بأن كذبوا نوحاً وآذَوْه ومن اتَّبعه. [٢٣] ﴿وَقَالُواْ﴾ للسَّفلَة ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا﴾ بفتح الواو وضمها ﴿وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ هي أسماء أصنامهم[2]. [٢٤] ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ بها ﴿كَثِيرٗاۖ﴾ من الناس بأن أمروهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾ عطفاً على (قد أضلوا) دعا عليهم لما أوحي إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]. [٢٥] ﴿مِّمَّا﴾ «ما» صلة ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ وفي قراءة: ﴿خَطَايَاهم﴾ بالهمز ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ عوقبوا بها عَقِبَ الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي غير ﴿ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ يمنعون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: نازل دار، والمعنى: أحداً. [٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ مَنْ يَفْجُرُ ويَكْفُرُ، قال ذلك لِمَا تقدَّم من الإيحاء إليه. [٢٧] ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾ منزلي أو مسجدي ﴿مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾ هلاكاً. فأهْلِكوا.

---

(١) المراد: الحث على الإيمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله؛ لأنَّ من أراد رجاء تعظيم الله وتوقيره إيَّاه آمن به، وعبده، وعمل صالحاً. (حاشية الجمل).

(٢) جاء في صحيح البخاري (٤٩٢٠) أنها أسماءُ رجالٍ صالحين.

سُورَةُ الجِنِّ

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا
عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ
وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ
مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا
شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن
يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ
ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣

الحزب ٥٨

﴿سورة الجن﴾

[مكية وآياتها ثمان وعشرون]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي أُخْبِرْتُ بالوَحْيِ من الله تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح ببَطْنِ نَخْلٍ(1) موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ يُتَعَجَّبُ منه في فصاحته، وغزارة معانيه، وغير ذلك. [٢] ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾. [٣] ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن فيه، وفي الموضعين بعده ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزَّه جلالُه وعظَمتُهُ عما نُسب إليه ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدٗا﴾. [٤] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلُنا ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا﴾ غُلُوّاً في الكذب بوَصْفِهِ بالصاحبة والولد. [٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بوصفه بذلك حتى تبينّا كَذِبَهُم بذلك، قال تعالى: [٦] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسَيِّدِ هذا المكان مِنْ شَرِّ سُفهائِه ﴿فَزَادُوهُمۡ﴾ بعَوْذِهم بهم ﴿رَهَقٗا﴾ فقالوا: سُدْنا الجنَّ والإنس. [٧] ﴿وَأَنَّهُمۡ﴾ أي الجن ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ﴾ يا إنس ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾ بعد موته. [٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ رُمْنا استراقَ السَّمْع ﴿فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾ نجوماً مُحْرِقةً، وذلك لما بُعِثَ النبيُّ ﷺ. [٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي قبل مبعثه ﴿نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ﴾ أي نستمع ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ أُرصِد له؛ ليُرْمَى به. [١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ خيراً. [١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾ فِرَقاً مختلفين، مسلمين وكافرين. [١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو هاربين منها في السماء. [١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير هو ﴿بَخۡسٗا﴾ نقصاً من حسناته ﴿وَلَا رَهَقٗا﴾ ظُلْماً بالزيادة في سيئاته. [١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾ الجائرون بكُفْرِهم ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾ قصدوا هدايةً. [١٥] ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ وَقوداً. وأنا وأنهم وأنه في اثني عشر موضعاً هي: و أنه تعالى و أنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافاً، وبفتحها بما يوجه به. [١٦] قال تعالى في

---

(1) الصحيح: نخلة.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

كفار مكة: ﴿وَأَلَّوِ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنهم، وهو معطوف على أنه استمع ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ كثيراً من السماء وذلك بعدما رُفِعَ المَطَرُ عنهم سَبْعَ سنين. [١٧] ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شُكْرهم عِلْمَ ظُهورٍ ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالنون والياء ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً. [١٨] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهُم؛ أشركوا. [١٩] ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح والكسر استئنافاً، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببَطْنِ نَخْلٍ[1] ﴿كَادُوا۟﴾ أي الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها، جَمْعُ «لِبْدَة» كَاللِبَدِ في رُكوب بعضهم بعضاً، ازْدِحاماً، حِرْصاً على سَماع القرآن. [٢٠] ﴿قال﴾ مجيباً للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ إلهاً ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾. [٢١] ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ غَيّاً ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيراً. [٢٢] ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه إن عَصَيْتُهُ ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ. [٢٣] ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء من مفعول (أملك)، أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عنه ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على (بلاغاً) وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ حال من ضمير (من) في (له) رعاية في معناها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مقدار خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾. [٢٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ ابتدائية فيها معنى الغاية لِمُقدَّر قبلها، أي: لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو يوم القيامة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون على القول الأول؟ أو: أنا أم هم على الثاني. فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: [٢٥] ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي ما ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾؟ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو. [٢٦] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ يُطْلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من الناس. [٢٧] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾ مع إطلاعه على ما شاء منه معجزةً له ﴿يَسْلُكُ﴾ يَجْعَلُ ويُسَيِّرُ ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ ملائكة يحفظونه حتى يُبَلِّغَهُ في جملة الوحي. [٢٨] ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «من» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عَطْفٌ على مُقَدَّر، أي فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ تمييز وهو محول من المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

---

(١) بل: نخلة.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

﴿سورة المزمل﴾

[مكية إلا آية ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ النبيُّ، وأصله: المُتَزَمِّلُ، أُدغمت التاء في الزاي، أي: المُتَلَفِّفُ بثيابه حين مجيء الوحي له خوفاً منه لِهَيْبَتِهِ. [٢] ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾ صلِّ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. [٣] ﴿ نِّصْفَهُۥٓ ﴾ بدل من (قليلاً) وقلّته بالنظر إلى الكل ﴿ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ من النصف ﴿ قَلِيلًا ﴾ إلى الثلث. [٤] ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ إلى الثلثين و (أو) للتخيير ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ تَثَبَّتْ في تلاوته ﴿ تَرْتِيلًا ﴾. [٥] ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ﴾ قرآناً ﴿ ثَقِيلًا ﴾ مهيباً، أو شديداً لما فيه من التكاليف. [٦] ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ القيام بعد النوم ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا ﴾ موافقة السَّمْعِ للقَلْبِ على تفهم القرآن ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أَبْيَنُ قَوْلاً. [٧] ﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ تصرُّفاً في إشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن. [٨] ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ أي قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك ﴿ وَتَبَتَّلْ ﴾ انقطعْ ﴿ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ مصدر «بَتَلَ» جيء به رعاية للفواصل، وهو مَلْزُومُ التَّبَتُّل. [٩] هو ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ مُوَكِّلاً له أمورَك. [١٠] ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي كفار مكة من أذاهم ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ لا جزع فيه. وهذا قبل الأمر بقتالهم. [١١] ﴿ وَذَرْنِى ﴾ اتركني ﴿ وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عطف على المفعول، أو مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكَهُمْ، وهم صناديد قريش ﴿ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ ﴾ التَّنَعُّم ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ من الزمن، فقتلوا بعد يسير منه ببَدْر. [١٢] ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا ﴾ قيوداً ثقالاً جَمْعُ «نِكْلٍ» بكسر النون ﴿ وَجَحِيمًا ﴾ ناراً محرقة. [١٣] ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ يغص به في الحلق وهو الزَّقُّومُ، أو الضَّريعُ، أو الغِسْلِينُ، أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلماً زيادة على ما ذكر لمن كَذَّبَ النبيَّ ﷺ. [١٤] ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ﴾ تزلزل ﴿ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا ﴾ رملاً مجتمعاً ﴿ مَّهِيلًا ﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو مِنْ هَالَ يَهِيلُ، وأصله مَهْيُولٌ، استُثْقِلت الضمةُ على الياء، فنُقِلَتْ إلى الهاء، وحُذفت الواوُ ثاني الساكنين لزيادتها، وقُلِبَت الضمةُ كسرةً لمجانسة الياء. [١٥] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ رَسُولًا ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ هو موسى عليه الصلاة والسلام. [١٦] ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ شديداً. [١٧] ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ يَوْمًا ﴾ مفعول (تتقون)، أي عذابه؛ أي: بأيِّ حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ جَمْع «أَشْيَبٍ» لشدة هوله وهو يوم القيامة، والأصل في «شين» (شيباً) الضم، وكسرت لمجانسة الياء. ويقال في اليوم الشديد: يَوْمٌ يُشِيبُ نواصِيَ الأَطْفالِ، وهو مَجَازٌ، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة. [١٨] ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ ﴾ ذات انْفِطار. أي انشقاق ﴿ بِهِۦ ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ ﴾ تعالى بمجيء ذلك ﴿ مَفْعُولًا ﴾ أي هو كائن لا محالة. [١٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ الآيات المخوفة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ عظة للخلق ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة.

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

ربع الحزب ٥٨

[٢٠] ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالجر عطف على (ثلثي الليل)، وبالنصب على (أدنى) وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ عطف على ضمير (تقوم) وجاز من غير تأكيد للفصل[1]، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلّى من الليل، وكم بقي منه، فكان يقوم الليلَ كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سَنَةً أو أكثر، فَخَفَّفَ عنهم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ يُحصي ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَ﴾ ن، مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي أنه ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، أي أنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكلٌّ من الفِرَقِ الثلاثة يَشُقُّ عليهم ما ذُكِرَ في قيام الليل، فَخَفَّفَ عنهم بقيام ما تَيَسَّرَ منه، ثم نُسِخَ ذلك بالصلوات الخمس ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سِوَى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن طِيبِ قَلْبٍ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خلفتم، و«هو» فصل، وما بعده وإن لم يكن معرفةً فهو يشبهها؛ لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

﴿سورة المدثر﴾

[مكية وآياتها ست وخمسون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ النبي ﷺ وأصله المُتَدَثِّرُ، أدغمت التاء في الدال، أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه. [٢] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ خوِّف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظِّم عن إشراك المشركين. [٤] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصِّرْها خلافَ جَرِّ العَرَبِ ثِيابَهُم خُيَلاء، فربما أصابتها نجاسةٌ. [٥] ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ فَسَّرَهُ النبيُّ ﷺ بالأوثان ﴿فَٱهْجُرْ﴾ أي دُمْ على هجره. [٦] ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ بالرفع حال، أي لا تُعْطِ شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي. [٨] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور، وهو القرن، النفخة الثانية. [٩] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي وقتُ النَّقْرِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله المبتدأ، وبُنِيَ لإضافته إلى غير متمكن، وخبر المبتدأ: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ والعامل في (إذا) ما دلت عليه الجملة: اشتد الأمر. [١٠] ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فيه دلالة على أنه يَسيرٌ على المؤمنين في عُسْرِهِ. [١١] ﴿ذَرْنِى﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ عطف على المفعول أو مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من (مَن) أو من ضميره المحذوف من (خلقت) منفرداً بلا أهل ولا مال، هو الوليد بن المغيرة المخزومي. [١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ واسعاً متصلاً من الزروع والضروع

(١) قوله: «وجاز... إلخ» أي العطف على ضمير الرفع المستتر في «تقوم» من غير تأكيد بالضمير المنفصل «أنت» للفصل بغير الضمير. (حاشية الجمل بتصرف).

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

والتجارة. [١٣] ﴿وَبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المحافل وتُسمع شهاداتهم. [١٤] ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ بَسَطْتُ ﴿لَهُۥ﴾ في العيش والعمر والولد ﴿تَمْهِيدًا﴾. [١٥] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾. [١٦] ﴿كَلَّآ﴾ لا أزيده على ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿عَنِيدًا﴾ معانداً. [١٧] ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ أُكلِّفُهُ ﴿صَعُودًا﴾ مَشَقَّةً من العذاب، أو جبلاً من نارٍ، يصعد فيه ثم يهوي أبداً. [١٨] ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك. [١٩] ﴿فَقُتِلَ﴾ لُعِنَ وَعُذِّبَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على أيِّ حالٍ كان تقديره؟ [٢٠] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه قومه، أو فيما يقدح به فيه. [٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قَبَضَ وَجْهَهُ، وكَلَّحَهُ ضِيقاً بما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في القبض والكلوح. [٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ينقل عن السحرة. [٢٥] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ كما قالوا ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. [٢٦] ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أُدخله ﴿سَقَرَ﴾ جهنم. [٢٧] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لشأنها. [٢٨] ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلَكَتْهُ، ثم يعود كما كان. [٢٩] ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ مُحْرِقَةٌ لظاهر الجلد. [٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكاً خَزَنَتُها، قال بعض الكفار، وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين قال تعالى: [٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: فلا يُطاقُونَ كما يَتوهَّمونَ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ليستبين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي اليهود صِدْقَ النبيِّ ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك بالمدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته بذلك وأُعرب حالاً ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالِ مُنْكِرِ هذا العدد هَدْيِ مُصدِّقِهِ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة في قُوَّتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ﴾ أي سَقَر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

[٣٢] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾. [٣٣] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ﴾ بفتح الذال ﴿دَبَرَ﴾ جاء بعد النهار وفي قراءة: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بسكون الذال بعدها همزة، أي مضى. [٣٤] ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ ظهر. [٣٥] ﴿إِنَّهَا﴾ أي سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ البلايا العظام. [٣٦] ﴿نَذِيرًا﴾ حال من (إحدى) وذُكِّرَ؛ لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلْبَشَرِ﴾. [٣٧] ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من (البشر) ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنة بالإيمان ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر أو النار بالكفر. [٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مَرْهونةٌ مأخوذةٌ بعملها في النار. [٣٩] ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون فناجون منها، كائنون: [٤٠] ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ بينهم. [٤١] ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وحالِهِمْ، ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: [٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم ﴿فِى سَقَرَ﴾. [٤٣] ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾. [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾. [٤٦] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ البعث

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

والجزاء. [٤٧] ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ الموت. [٤٨] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم. [٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أيُّ شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ؟!. [٥٠] ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ وَحْشيَّة. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ أَسَدٍ، أي هربت منه أشدَّ الهرَب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]. [٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّآ﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عِظَة. [٥٥] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ قرأه، فاتَّعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن يُتَّقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يَغْفِرَ لِمَن اتَّقاه.

نصف الحزب ٥٨

﴿سورة القيامة﴾

[مكية وآياتها ٤٠ آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَآ﴾ زائدة في الموضعين ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف، أي: لَتُبْعَثُنَّ، دلَّ عليه: [٣] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ للبعث والإحياء. [٤] ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وهو الأصابع، أي نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة. [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة ونَصْبُهُ «بأن» مقدرة، أي أن يكذب ﴿أَمَامَهُۥ﴾ أي يوم القيامة، دَلَّ عليه: [٦] ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ بكسر الراء وفتحها، دَهِشَ وتحيَّر لِمَا رأى مِمَّا كان يكذبه. [٨] ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب ضَوْءُه. [٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فطَلَعا مِنَ المَغْرِب، أو ذهب ضوءُهما، وذلك في يوم القيامة. [١٠] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ الفِرار. [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ يُتَحصَّنُ به. [١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ مُسْتَقَرُّ الخلائق، فيحاسَبُونَ ويُجازَوْنَ. [١٣] ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. [١٤] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد تنطق جوارحُه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ جَمْعُ «مَعْذِرَة» على غير قياس، أي لو جاء بكل معذرة ما قُبلت منه. [١٦] قال تعالى لنبيّه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ خوف أن يَنْفَلِت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قراءَتَكَ إياه، أي: جريانَه على لسانك. [١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ استمع قراءته فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها. [٢٠] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى «ألا» ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا، بالياء والتاء في الفِعْلَيْن. [٢١] ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلا تعمَلُونَ لها. [٢٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي في يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ حَسَنَةٌ مُضِيئَةٌ. [٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة. [٢٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ كالحَةٌ شديدة العُبوس. [٢٥] ﴿تَظُنُّ﴾

كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ
فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ
ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

تُوقِنُ ﴿أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ داهيةٌ عظيمة، تكسرُ فقارَ الظهر. [٢٦] ﴿كَلَّآ﴾ بمعنى ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ عظامَ الحلقِ. [٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾ قال مَنْ حَوْلَهُ: ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾؟ يَرْقِيه لِيَشفى. [٢٨] ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن مَنْ بَلَغَتْ نفْسُه ذلك ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا. [٢٩] ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. [٣٠] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ أي السَّوْقُ، وهذا يدل على العامل في (إذا)، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم؛ تُساقُ إلى حُكم ربها. [٣١] ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لم يُصدِّقْ ولم يصلِّ. [٣٢] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. [٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر في مشيته إعجاباً. [٣٤] ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل و «اللام» للتبيين، أي: وَلِيَكَ ما تكْرَهُ ﴿فَأَوۡلَىٰ﴾ أي: فهو أَوْلَى بكَ مِنْ غيرك. [٣٥] ﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾ تأكيد. [٣٦] ﴿أَيَحۡسَبُ﴾ يظن ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ هملاً لا يكلَّفُ بالشرائع؟ لا يحسب ذلك. [٣٧] ﴿أَلَمۡ يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ﴾؟ ـ بالياء والتاء ـ تُصبُّ في الرَّحِم. [٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المنِيُّ ﴿عَلَقَةٗ فَخَلَقَ﴾ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ﴾ عدَّلَ أعضاءه. [٣٩] ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ﴾ من المَنِيّ الذي صار عَلَقَةً، قطعة دم، ثم مُضْغَةً، أي قطعة لحم ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ النوعين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. [٤٠] ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ﴾ الفعَّال لهذه الأشياء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾؟ قال ﷺ: بلى.

سكتة لطيفة على النون

﴿سورة الإنسان﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ٣١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلۡ﴾ قد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ أربعون سنة ﴿لَمۡ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ كان فيه مُصَوَّراً من طين لا يُذْكَر، أو المراد بالإنسان: الجنس، وبالحين: مدة الحمل. [٢] ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ أخلاط، أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو حال مقدرة، أي: مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيَّنَّا له طريق الهدى ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرٗا﴾ أي: مؤمناً ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من المفعول، أي: بيَّنَّا له في حال شكره أو كفره المقدرة، و (إما) لتفصيل الأحوال. [٤] ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ هيَّأنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ في أعناقهم تُشَدُّ فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا﴾ ناراً مُسعَّرة، أي مُهيَّجة يُعذَّبون بها. [٥] ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ جمع «بَرٍّ» أو «بَارٍّ» وهم المطيعون ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر تسمية للحال باسم المحل، و(مِنْ) للتبعيض ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تُمْزَجُ به ﴿كَافُورًا﴾. [٦] ﴿عَيۡنٗا﴾ بدل من (كافوراً) فيها رائحته ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ منها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم. [٧] ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ منتشراً. [٨] ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي الطعام وشهوتهم له ﴿مِسۡكِينٗا﴾

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

فقيراً ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني المحبوس بحقٍّ. [٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ شكراً، فيه علة الإطعام. وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولان. [١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدته ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديداً في ذلك. [١١] ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حُسْناً وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾. [١٢] ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أُدْخِلُوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ أُلْبِسُوهُ. [١٣] ﴿مُّتَّكِئِينَ﴾ حال من مرفوع أُدْخِلُوها المقدر ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ السُّرُر في الحِجَال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون: حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ لا حراً ولا برداً. وقيل: الزَّمْهَرِيرُ: القَمَرُ، فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر. [١٤] ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة. عطف على محل لا يرون، أي غير رائين. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿ظِلَالُهَا﴾ شجرها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أُدْنِيَت ثِمارُها فينالها القائم والقاعد والمضطجع. [١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فيها ﴿بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عُرا ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾. [١٦] ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي أنها مِنْ فِضَّة يُرَى باطِنُها مِنْ ظاهِرِها كالزُّجاج ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي الطائفون ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قَدْرِ رَيِّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص، وذلك أَلَذُّ الشراب. [١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تُمْزَجُ به ﴿زَنجَبِيلًا﴾. [١٨] ﴿عَيْنًا﴾ بَدَلٌ مِنْ (زنجبيلاً) ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ يعني: أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المَساغ في الحَلْق. [١٩] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بصفة الوِلْدان، لا يَشِيبُونَ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لِحُسْنِهِم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ من سِلْكِه، أو مِن صَدَفِه، وهو أحسن منه في غير ذلك. [٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: وجدتَ الرؤية منك في الجنة ﴿رَأَيْتَ﴾ جواب (إذا) ﴿نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً لا غاية له. [٢١] ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ فَوْقَهُم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر لمبتدأ بعده. وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به للمعطوف عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ حرير ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالجرِّ، ما غَلُظَ مِنَ الديباج فهو البطائن، والسُّنْدُسُ الظهائر. وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما، وفي أخرى برفعهما، وفي أخرى بجرهما ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر من ذهب، للإيذان بأنهم يُحَلَّوْنَ مِنَ النَّوْعَيْنِ معاً ومُفَرَّقاً ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا. [٢٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾. [٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم (إن) أو فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ خبر (إن) أي: فصلناه، ولم ننزله جملة واحدة. [٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: عُتْبَة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر. ويجوز أن يُرادَ كلُّ آثم وكافر، أي لا تطع أحدهما أيّاً كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر. [٢٥] ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني: الفجر والظهر والعصر. [٢٦] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صَلِّ التَّطَوعَ فيه كما تقدم، مِنْ ثُلُثَيْه، أو نِصْفَهُ، أو ثُلُثَهُ.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٧] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ الدنيا ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴾ شديداً أي: يوم القيامة لا يعملون له. [٢٨] ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ ﴾ قوّينا ﴿ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ ﴾ جعلنا ﴿ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ في الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم ﴿ تَبۡدِيلًا ﴾ تأكيد، ووقعت (إذا) موقع «إن»، نحو ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ ﴾ لأنه تعالى لم يشأ ذلك، و«إذا» لِمَا يقع. [٢٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ السورة ﴿ تَذۡكِرَةٞۖ ﴾ عظة للخلق ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً بالطاعة. [٣٠] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ بالتاء والياء، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٗا ﴾ في فعله. [٣١] ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ جنَّتِهِ، وهم المؤمنون ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ نَاصِبُه فعلٌ مقدَّرٌ، أي: أوعد، يفسِّرُه: ﴿ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ مؤلماً. وهم الكافرون.

﴿سورة المرسلات﴾ [مكية وآياتها ٥٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴾ أي: الرياح مُتتابِعة، كعُرْفِ الفَرَس يَتْلُو بعضُه بعضاً، ونصبه على الحال. [٢] ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴾ الرياح الشديدة. [٣] ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴾ الرياح تَنْشُرُ المَطَرَ. [٤] ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴾ أي: آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. [٥] ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلى الأمم. [٦] ﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى، وفي قراءة بضم ذال (نذرا) وقرىء بضم ذال (عذراً). [٧] ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ أي يا كفار مكة من البعث والعذاب ﴿ لَوَٰقِعٞ ﴾ كائنٌ لا محالة. [٨] ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾ مُحِيَ نُورُها. [٩] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾ شُقَّت. [١٠] ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴾ فُتِّتَتْ وسُيِّرَت. [١١] ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴾ بالواو وبالهمزة بدلاً منها، أي جمعت لوقت. [١٢] ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ ﴾ ليوم عظيم ﴿ أُجِّلَتۡ ﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ. [١٣] ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ بَيْنَ الخلق. ويؤخذ منه جواب (إذا)، أي: وقع الفصل بين الخلائق. [١٤] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ تهويل لشأنه. [١٥] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا وعيد لهم. [١٦] ﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ بتكذيبهم، أي أهلكناهم. [١٧] ﴿ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ ممن كذَّبوا، ككُفَّار مكة فنهلكهم. [١٨] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ بكل مَنْ أَجْرَمَ فيما يُسْتَقْبَل فنُهلِكُهُم. [١٩] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ تأكيد. [٢٠] ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ضعيف وهو المَنِيُّ. [٢١] ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴾ حريز وهو الرَّحِمُ. [٢٢] ﴿ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ وهو وقت الولادة. [٢٣] ﴿ فَقَدَرۡنَا ﴾ على ذلك ﴿ فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴾ نحن. [٢٤] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾. [٢٥] ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴾ مصدر «كفت» بمعنى ضَمَّ، أي: ضامَّةً. [٢٦] ﴿ أَحۡيَآءٗ ﴾ على ظهرها ﴿ وَأَمۡوَٰتٗا ﴾ في بطنها. [٢٧] ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ ﴾ جبالاً مرتفعات ﴿ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴾ عذباً. [٢٨] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ ويقال للمكذبين يوم القيامة: [٢٩] ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ ﴾ من العذاب ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾. [٣٠] ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴾ هو دُخانُ جهنم، إذا ارتفَعَ افترَقَ ثلاثَ فِرَقٍ لِعِظَمِه. [٣١] ﴿ لَّا ظَلِيلٖ ﴾ كنين يُظِلُّهم مِنْ حَرِّ ذلك اليوم ﴿ وَلَا يُغۡنِي ﴾ يَرُدُّ عنهم شيئاً ﴿ مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ النار. [٣٢] ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي النار ﴿ تَرۡمِي بِشَرَرٖ ﴾ هو ما تطاير منها ﴿ كَٱلۡقَصۡرِ ﴾ مِنَ البِنَاءِ في عِظَمِه وارتفاعه. [٣٣] ﴿ كَأَنَّهُۥ ﴾ جمالات جَمْعُ «جمالة» جمعُ «جَمَلٍ». وفي قراءة: جِمَٰلَتٌ

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿صُفْرٌ﴾ في هيئتها ولونها. وفي الحديث «شَرَرُ النَّارِ أسود كالقِيرِ»[1] والعرب تسمي سُودَ الإبل: صُفْراً، لِشَوْبِ سَوادِها بِصُفْرَةٍ، فقيل: صُفْرٌ في الآية بمعنى سُود، لما ذكر. وقيل: لا. والشَّرَرُ: جَمْعُ شَرارَةٍ. والقِيرُ: القارُ. [٣٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٥] ﴿هَٰذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء. [٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العُذْرِ ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عَطْفٌ على (يؤذن) من غير تسبب عنه، فهو داخل في حَيِّزِ النَّفْي، أي: لا إذن فلا اعتذار. [٣٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٨] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأُمَّةِ ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ من المُكَذِّبينَ قَبْلَكُم فَتُحاسَبون وتعذبون جميعاً. [٣٩] ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلَةٌ في دَفْعِ العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ فافعلوها. [٤٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ﴾ أي تكاثف أشجار؛ إذ لا شمس يُظَلُّ مِنْ حَرِّها ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء. [٤٢] ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب، ويقال لهم: [٤٣] ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ حال، أي متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة. [٤٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [٤٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤٦] ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان وغايته إلى الموت، وفي هذا تَهْدِيدٌ لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾. [٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يُصَلّون. [٤٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٥٠] ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله، بعد تكذيبهم به؛ لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

﴿سورة النبأ﴾ [مكية وآياتها ٤٠ أو ٤١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بَعْضُ قُرَيشٍ بَعْضاً. [٢] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. [٣] ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالمؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. [٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. [٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد. وجيء فيه بـ (ثم) للإيذان بأن الوعيد الثاني أشدُّ من الأول. ثم أَوْمَأَ تعالى إلى القدرة على البعث فقال: [٦] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾؟ فراشاً كالمهد. [٧] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾؟ تثْبتُ بها الأرضُ كما تثْبتُ الخيامُ بالأوتاد. والاستفهام للتقرير. [٨] ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً. [٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحةً لأَبْدانِكم. [١٠] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً بسواده. [١١] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتاً للمعايش. [١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة، أي: قوية مُحْكَمَة لا يؤثر

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٤) والبيهقي في البعث والنشور (٥٠١) بلفظ: «هي أسود من القار».

سورة النبإ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

فيها مرور الزمان. [١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيراً ﴿وَهَّاجًا﴾ وَقَّاداً؛ يعني: الشمس. [١٤] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحابات التي حانَ لها أَنْ تُمْطِرَ، كالمُعْصِرِ: الجارِيةِ التي دَنَتْ مِنَ الحَيْضِ ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صَبّاباً.

الجزء ٣٠ — الحزب ٥٩

[١٥] ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحِنْطَةِ ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالتِّبْن. [١٦] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة، جَمْعُ لَفِيفٍ، كشَرِيفٍ وأَشْرَافٍ. [١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وقتاً للثواب والعقاب. [١٨] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القَرْنِ، ـ بَدَلٌ من (يوم الفصل) أو بيان له ـ والنافِخُ إسرافيلُ ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة. [١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ بالتشديد والتخفيف شُقِّقَتْ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب. [٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ ذُهِبَ بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هَباء، أي مِثْلَهُ في خِفَّةِ سَيْرِها. [٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ راصِدَة أو مُرْصَدَة. [٢٢] ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَآبًا﴾ مَرْجِعاً لهم، فيدخلونها. [٢٣] ﴿لَّابِثِينَ﴾ حَالٌ مُقَدَّرة، أي مقدَّراً لبثهم ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ دُهوراً لا نهاية لها، جَمْعُ «حُقْب» ـ بضم أوله ـ. [٢٤] ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نَوْماً. فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يشرب تَلَذُّذاً. [٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماءً حاراً غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ما يَسيلُ مِنْ صَديدِ أَهْلِ النار، فإنهم يذوقونه، جُوزُوا بذلك: [٢٦] ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ مُوافِقاً لِعَمَلِهم، فلا ذَنْبَ أعظمُ من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار. [٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث. [٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيباً. [٢٩] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كتباً في اللوح المحفوظ لنجازي عليه، ومِنْ ذلك تكذيبهم بالقرآن. [٣٠] ﴿فَذُوقُوا﴾ أي فيُقالُ لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم. [٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكانَ فَوْزٍ في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين. بَدَلٌ مِنْ (مفازاً) أو بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عَطْفٌ على (مفازاً). [٣٣] ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهنَّ، جَمْعُ «كاعِب» ﴿أَتْرَابًا﴾ على سنٍّ واحِدٍ، جَمْع «تِرْبٍ» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ خمراً مالئة محالها. وفي سورة القتال: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥]. [٣٥] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي الجنةِ عِنْدَ شُرْبِ الخَمْرِ وغيرِها من الأحوال ﴿لَغْوًا﴾ باطلاً من القول ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ بالتخفيف، أي: كَذِباً، وبالتشديد أي: تَكْذيباً مِنْ واحِدٍ لِغَيْرِه، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَاءً﴾ بَدَلٌ مِنْ (جزاء) ﴿حِسَابًا﴾ أي كثيراً، من قولهم: أَعْطاني فَأَحْسَبَني، أي أكثر عَلَيَّ حتى قُلْتُ: حَسْبِي. [٣٧] ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾ كذلك، وبرفعه مع جر (رَبِّ) ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا﴾ أي: لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أن يخاطِبَهُ خَوْفاً منه. [٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظَرْفٌ لـ (لا يملكون) ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جبريل، أو جند الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ حال، أي مصطفين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي الخَلْق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة، كأن يَشْفَعُوا لمن ارْتَضَى. [٣٩] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ مرجعاً، أي رَجَعَ إلى الله بطاعَتِهِ لِيَسْلَمَ من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ ﴿يَوْمَ﴾ ظَرْفٌ لـ (عذاباً) بصفته ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ كل امرىء ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰ﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ يعني: فلا أُعَذَّبُ، يقولُ ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: «كوني تراباً».

﴿سورة النازعات﴾ [مكية وآياتها ستٌّ وأربعون]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾ الملائكة تَنْزِعُ أرواحَ الكُفّار ﴿غَرْقًا﴾ نزعاً بشدة. [٢] ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا﴾ الملائكة تَنْشَطُ أرواحَ المؤمنين، أي تَسُلُّها برِفْقٍ. [٣] ﴿وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا﴾ الملائكةِ تَسْبَحُ من السماء بأمره تعالى، أي: تَنْزِلُ. [٤] ﴿فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا﴾ الملائكةِ تَسْبِقُ بأرواح المؤمنين إلى الجنة. [٥] ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تُدَبِّرُ أَمْرَ الدنيا، أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوفٌ، أي: لَتُبْعَثُنَّ يا كفارَ مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ النفخةُ الأولى، بها يَرْجُفُ كُلُّ شيء، أي: يتزلزل فَوُصِفَتْ بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية وبينهما أربعون سنةً، والجملةُ حالٌ من (الراجفة)، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فَصَحَّ ظرفِيَّتُهُ للبعث الواقع عقب الثانية. [٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفةٌ قَلِقَةٌ. [٩] ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ ذليلةٌ لِهَوْلِ ما تَرَى. [١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكاراً للبعث: ﴿أَءِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: أَنُرَدُّ بعد المَوْتِ إلى الحياة؟ و (الحافِرَةُ): اسمٌ لأولِ الأمر، ومنه: رَجَعَ فلانٌ في حافرَتِهِ: إذا رجع مِنْ حيثُ جاء. [١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ وفي قراءة (ناخرة): باليَة مُتَفَتِّتَة، نُحْيَا؟ [١٢] ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذًا﴾ إنْ صَحَّتْ ﴿كَرَّةٌ﴾ رَجْعَةٌ ﴿خَاسِرَةٌ﴾ ذاتُ خُسْرانٍ، قال تعالى: [١٣] ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي (الرادفة) التي يَعْقبها البعثُ ﴿زَجْرَةٌ﴾ نفخة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ فإذا نُفِخَتْ [١٤] ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي كل الخلائق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ بوجه الأرض أحْياءً بعدما كانوا بِبَطْنِها أمواتاً. [١٥] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ عاملٌ في: [١٦] ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي، بالتنوين وتركه، فقال: [١٧] ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحدّ في الكفر. [١٨] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أدعوك ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ ـ وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ـ تَتَطَهَّرَ مِنَ الشّرك، بأن تشهد أن لا إله إلا الله. [١٩] ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أَدُلَّكَ على معرفته ببرهان ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ فتخافه. [٢٠] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ من آياته التسع وهي اليَدُ، أو العَصَا. [٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالى. [٢٢] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأرض بالفساد. [٢٣] ﴿فَحَشَرَ﴾ جمعَ السَّحَرَةَ وجُنْدَهُ ﴿فَنَادَىٰ﴾. [٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لا رب فوقي. [٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ أهلكه بالغَرَقِ ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي هذه الكلمة ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

غَيْرِي ﴾[القصص: ٣٨] وكان بينهما أربعون سنة. [٢٦] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ الله تعالى. [٢٧] ﴿ ءَأَنتُمْ ﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه ـ أي: منكرو البعث ﴿ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾ أشد خلقاً ﴿ بَنَاهَا ﴾ بيان لكيفيَّة خَلْقِها. [٢٨] ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ تفسير لكيفية البناء، أي جَعَلَ سَمْتَها في جهة العُلُوّ رفيعاً، وقيل: (سَمْكَها): سَقْفَها ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ جعلها مُسْتَويةً بلا عَيْب. [٢٩] ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أَظْلَمَهُ ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أَبْرَزَ نورَ شمسها، وأضيف إليها[1] الليلُ لأنه ظلُّها، والشمسُ لأنها سِراجُها. [٣٠] ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ بسطها، وكانت مخلوقةً قبل السماء من غير دَحْوٍ. [٣١] ﴿ أَخْرَجَ ﴾ حال بإضمار «قد»، أي: مُخْرِجاً ﴿ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾ بتفجير عيونها ﴿ وَمَرْعَاهَا ﴾ ما ترعاه النَّعَمُ من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاقُ المرعَى عليه استعارةٌ. [٣٢] ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن. [٣٣] ﴿ مَتَاعًا ﴾ مفعول له لِمُقدَّرٍ، أي: فعَلَ ذلك مُتْعَةً، أو مصدر، أي: تمتيعاً ﴿ لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ جَمْعُ نَعَم، وهي: الإبل والبقر والغنم. [٣٤] ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ النفخة الثانية. [٣٥] ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ ﴾ بدل من (إذا) ﴿ مَا سَعَىٰ ﴾ في الدنيا من خير وشر. [٣٦] ﴿ وَبُرِّزَتِ ﴾ أظهرت ﴿ الْجَحِيمُ ﴾ النار المُحْرِقَةُ ﴿ لِمَن يَرَىٰ ﴾ لكلِّ راءٍ، وجواب (إذا): [٣٧] ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ كفر. [٣٨] ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ باتباع الشهوات. [٣٩] ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ مأواه. [٤٠] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ قيامه بين يَدَيْه ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ ﴾ الأمارة ﴿ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ المردي باتّباع الشَّهوات. [٤١] ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة. [٤٢] ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ متى وُقوعُها وقيامُها؟ [٤٣] ﴿ فِيمَ ﴾ في أي شيء ﴿ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾؟ أي ليس عندك عِلْمُها حتى تذكُرَها. [٤٤] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ مُنْتَهى عِلْمِها، لا يعلمه غيره. [٤٥] ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿ مَن يَخْشَاهَا ﴾ يخافُها. [٤٦] ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا ﴾ في قبورهم ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ عَشِيَّةَ يومٍ أو بُكْرَتَهُ، وصَحّ إضافةُ (الضُّحى) إلى (العشية) لما بينهما من الملابسة؛ إذ هما طَرَفا النهار، وحُسْنُ الإضافة وُقوعُ الكلمة فاصلة.

﴿سورة عبس﴾ [مكية وآياتها ٤٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ عَبَسَ ﴾ النبيُّ: كَلَحَ وَجْهُهُ ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض لأجلِ: [٢] ﴿ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ عبدُالله بن أُمّ مَكْتُوم، فَقَطَعَهُ عما هو مَشْغُولٌ به مِمَّنْ يَرْجُو إسْلامَهُ مِنْ أَشْرافِ قُرَيش؛ الذين هو حَرِيصٌ على إسلامهم، ولم يَدْرِ الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: عَلِّمْنِي مما عَلَّمَكَ اللَّهُ، فانصرفَ النبيُّ ﷺ إلى

---

(١) أي: إلى السَّماء.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)

ربع الحزب ٥٩

بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مَرْحباً بِمَنْ عَاتَبَنِي فيه ربي»(١) ويَبْسُطُ له رداءَهُ. [٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يُعْلِمُكَ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي، أي: يتطهر من الذنوب بما يسمع منك. [٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ العِظَةُ المسموعة منك، وفي قراءةٍ بنصب (تنفعه) جواب التَّرَجِّي. [٥] ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بالمال. [٦] ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وفي قراءةٍ بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تُقْبِلُ وتَتَعَرَّضُ. [٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ يؤمن. [٨] ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ حالٌ من فاعل (جاء). [٩] ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللَّهَ، حالٌ من فاعل (يسعى) وهو الأعمى. [١٠] ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل؛ أي: تتشاغل. [١١] ﴿كَلَّآ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ أي السورة أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عِظَةٌ لِلخَلْق. [١٢] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ حفِظَ ذلك فاتَّعَظَ به. [١٣] ﴿فِى صُحُفٍ﴾ خَبَرٌ ثانٍ، لأنها وما قبله اعْتِراضٌ ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله. [١٤] ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ مُنَزَّهَةٍ عن مَسِّ الشياطين. [١٥] ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ كَتَبَةٍ يَنْسَخونها من اللوح المحفوظ. [١٦] ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة. [١٧] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لُعِنَ الكافرُ ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؟ استفهام توبيخ، أي ما حَمَلَهُ على الكفر؟ [١٨] ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾؟ استفهام تقرير، ثم بيَّنَهُ فقال: [١٩] ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ عَلَقَة، ثم مُضْغَة، إلى آخر خَلْقِه. [٢٠] ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي طريق خروجه من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُۥ﴾.

[٢١] ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ جعله في قبر يستره. [٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ للبعث. [٢٣] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ لم يَفْعَلْ ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ به ربه. [٢٤] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نَظَرَ اعْتِبارٍ ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كيفَ قُدِّرَ ودُبِّرَ له. [٢٥] ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا﴾. [٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا﴾. [٢٧] ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير. [٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هو القَتُّ الرَّطْبُ. [٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾. [٣٠] ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ بساتين كثيرة الأشجار. [٣١] ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ ما ترعاه البهائم، وقيل: التبن. [٣٢] ﴿مَّتَٰعًا﴾ متعة أو تمتيعاً، كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ تقدم فيها أيضاً. [٣٣] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ النفخة الثانية. [٣٤] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. [٣٥] ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾. [٣٦] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ (يوم) بدل من (إذا)، وجوابها دل عليه: [٣٧] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ حالٌ يشغله عن شأن غيره، أي اشتغل كلُّ واحِدٍ بنفسه. [٣٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة. [٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرِحَةٌ وهم المؤمنون. [٤٠] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غُبار. [٤١] ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تَغْشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ ظُلْمَةٌ وسَوادٌ. [٤٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ أي الجامعون بين الكُفْرِ والفُجور.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٧) والنسفي في تفسيره (٣/ ٦٠١) تحقيق: يوسف بديوي، طبعة دار ابن كثير.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

﴿سورة التكوير﴾ [مكية وآياتها ٢٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفِّفَتْ وذُهِبَ بنُورِها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ انقَضَّتْ وتَساقَطَتْ على الأرض. [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذُهِبَ بها عن وجه الأرض فصارت هباءً مُنْبَثاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النُّوقُ الحَوامِلُ ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُرِكَت بلا رَاعٍ، أو بلا حَلْبٍ ؛ لِما دَهاهُم مِنَ الأمر، لم يَكُنْ مالٌ أَعْجَبَ إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جُمِعَتْ بعد البعث لِيُقْتَصَّ لِبَعْضٍ مِنْ بعض، ثم تَصيرُ تُراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ أُوقِدَتْ فصارَتْ ناراً. [٧] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قُرِنَتْ بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾ الجاريَةُ تُدْفَنُ حَيَّةً خَوفَ العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتاً لقاتلها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرىء[1] بكسر التاء، حكايةً لما تُخاطَبُ به، وجوابُها أن تقول: قُتِلْتُ بلا ذَنْبٍ. [١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ صُحُفُ الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ فُتِحَتْ وبُسِطَتْ. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزِعَتْ عن أماكنها كما يُنْزَعُ الجِلْدُ عَنِ الشَّاةِ. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ﴾ النار ﴿سُعِّرَتْ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ أُجِّجَتْ. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبَتْ لأهلها ليدخلوها. وجواب (إذا) أول السورة وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نَفْسٍ وقتَ هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالْخُنَّسِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زُحَل، والمُشْتَري، والمِرِّيخ، والزُّهَرَة، وعُطارِد، تَخْنُسُ ـ بضم النون ـ أي: تَرْجِعُ في مَجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البُرْج ؛ إذ كَرَّ راجِعاً إلى أوله، وتَكْنِسُ ـ بكسر النون ـ تدخل في كِناسِها، أي: تَغيبُ في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه أو أدبر. [١٨] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ امْتَدَّ حتى يَصيرَ نهاراً بَيِّناً. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى، وهو جبريلُ أُضيفَ إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله تعالى ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة متعلق به (عند). [٢١] ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ تُطيعُهُ الملائكة في السموات ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ، عطف على (إنه) إلى آخر المُقْسَم عليه ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمدٌ ﷺ جبريلَ على صورته التي خُلق عليها ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ البيِّن وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بظنين﴾ أي بمُتَّهَم، وفي قراءة بالضاد، أي: ببَخيلٍ فَيَنْتَقِص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ مُسْتَرِق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مَرْجُوم. [٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فأيَّ طريقٍ تَسْلُكونَ في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه. [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عِظَةٌ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾ بَدَلٌ من (العالمين) بإعادة الجار ﴿أن

---

(١) قراءة شاذة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

﴿يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ـ الخلائقِ ـ استقامتَكم عليه.

نصف الحزب ٥٩

﴿سورة الانفطار﴾

[مكية وآياتها ١٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقَّتْ. [٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ انقضَّتْ وتساقطَتْ. [٣] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُتِحَ بَعْضُها في بعض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب بالملح. [٤] ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قُلِبَ تُرابُها وبُعِثَ مَوْتاها، وجوابُ (إذا) وما عطف عليها: [٥] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي كلُّ نفسٍ وقتَ هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿وَ﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ﴾ منها فلم تعمله. [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؟ حتى عَصَيْتَهُ. [٧] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ بعدَ أن لم تكُنْ ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعَلَكَ مُسْتوي الخِلْقَة، سالِمَ الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف والتشديد: جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء، ليست يَدٌ أو رِجْلٌ أطولَ من الأخرى. [٨] ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا﴾ صلة زائدة ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ﴾. [٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكَرَم اللَّهِ تعالى ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱلدِّينِ﴾ بالجزاء على الأعمال. [١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم. [١١] ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَٰتِبِينَ﴾ لها. [١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه. [١٣] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ جنة. [١٤] ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الكفار ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ نار محرقة. [١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، ويُقاسُون حرَّها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء. [١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ بمُخرَجِين. [١٧] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعْلَمَكَ ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾. [١٨] ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعْظيمٌ لشأنِه. [١٩] ﴿يَوْمُ﴾ بالرفع، أي هو يوم[1] ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ من المنفعة ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه، أي: لم يُمكِّنْ أحداً من التَّوَسُّطِ فيه، بخلاف الدنيا.

﴿سورة المطففين﴾

[مكية أو مدنية آياتها ٣٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمةُ عَذاب، أو وادٍ في جهنم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. [٢] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى﴾ أي من ﴿ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل. [٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن. [٤] ﴿أَلَا﴾ استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يَتيَقَّنُ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾؟ [٥] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي فيه، وهو يوم القيامة. [٦] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل (ليوم) فناصبه (مبعوثون) ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون ﴿يَوْمَ﴾.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه. [٧] ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ قيل: هو كتابٌ جامِعٌ لأعمالِ الشياطين والكَفَرَة، وقيل: هو مكانٌ أَسْفَلَ الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنودِه. [٨] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ما كتاب سجين. [٩] ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ مَخْتُوم. [١٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [١١] ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء. بدل، أو بيان للمكذبين. [١٢] ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ مُتجاوزِ الحَدِّ ﴿أَثِيمٍ﴾ صيغة مبالغة. [١٣] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سُطِّرَتْ قديماً، جمع «أُسْطورَة» بالضم، أو «إِسْطارَة» بالكسر. [١٤] ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فَغَشِيَها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي فهو كالصَّدَأ. [١٥] ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه. [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ لَداخِلُو النار المُحرقة. [١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾. [١٨] ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي كتاب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامِعٌ لأعمال الخَيْر مِنَ الملائكة ومؤمِني الثَّقَلَيْنِ، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش. [١٩] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أَعْلَمَكَ ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتابُ عليين. [٢٠] ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ مَخْتوم. [٢١] ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة. [٢٢] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ جنة. [٢٣] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السُّرُرِ في الحِجالِ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أُعْطوا من النعيم. [٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بَهْجَة التَّنَعُّم وَحُسنَه. [٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خَمْرٍ خالِصَةٍ من الدَّنَسِ ﴿مَّخْتُومٍ﴾ على إنائها لا يَفُكُّ خَتْمَهُ غَيْرُهُمْ. [٢٦] ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي آخِرُ شُرْبِهِ، تفوحُ منه رائِحةُ المسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله. [٢٧] ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: ما يُمْزَجُ به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ فُسِّر بقوله: [٢٨] ﴿عَيْنًا﴾ فنصْبُه بـ«أَمْدَحُ» مُقدَّراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ منها، أو ضمَّن (يشرب) معنى يَلْتَذُّ. [٢٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كعمَّارٍ وبلالٍ ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم. [٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟﴾ أي المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجَفْنِ والحاجِبِ استهزاء. [٣١] ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فاكهين﴾ وفي قراءةٍ (فَكِهِينَ) مُعجَبين بذكرهم المؤمنين. [٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ. [٣٣] قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يَرُدُّوهُم إلى مصالحهم. [٣٤] ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾. [٣٥] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ في الجنة ﴿يَنظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يُعَذَّبون، فيضحكون منهم، كما ضَحِكَ الكفارُ منهم في الدنيا. [٣٦] ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ جوزي ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾؟ نعَمْ.

سكتة لطيفة على اللام

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿سورة الانشقاق﴾

[مكية وآياتها ثلاث أو خمسٌ وعشرون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ . [٢] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سَمِعَتْ وأطاعتْ في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقَّ لها أن تَسْمَعَ وتُطيعَ. [٣] ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زِيدَ في سَعَتِها كما يُمَدُّ الأديمُ، ولم يَبْقَ عليها بناءٌ ولا جبلٌ. [٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ مِنَ الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنـه. [٥] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وذلك كلُّه يكونُ يومَ القيامة، وجواب (إذا) وما عطف عليها محذوفٌ، دلَّ عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسانُ عَمَلَهُ. [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهِدٌ في عَمَلِكَ ﴿إِلَىٰ﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: مُلاقٍ عَمَلَكَ المذكورَ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ يومَ القيامة. [٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ هو المؤمن. [٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عَرْضُ عمله عليه كما في حديث الصحيحين[1] وفيه: «مَنْ نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ» وبعد العَرْضِ يُتَجاوَزُ عنه. [٩] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك. [١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ هو الكافر، تُغَلُّ يُمناه إلى عُنُقِه، وتُجْعَلُ يُسْراهُ وراءَ ظهره فيأخُذُ بها كتابَه. [١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هَلاكَهُ بقوله: يا ثبوراهُ! [١٢] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يدخلُ النار الشديدة، وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة. [١٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ عشيرتِهِ في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بَطِراً باتِّباعِهِ لِهَواهُ.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

سجدة

[١٤] ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي أنه ﴿لَّن يَحُورَ﴾ يَرْجِعَ إلى ربه. [١٥] ﴿بَلَىٰٓ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ عالماً برجوعه إليه. [١٦] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ هو الحُمْرَةُ في الأُفُقِ بعد غُروبِ الشمس. [١٧] ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَعَ ما دَخَلَ عليه من الدواب وغيرها. [١٨] ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ اجْتَمَعَ وتَمَّ نُورُهُ، وذلك في الليالي البيضِ. [١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أَصْلُهُ "تَرْكَبُونَنَّ" حُذِفَتْ نونُ الرفع لتوالي الأمثال، والواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة. [٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أيُّ مانع من الإيمان، أو: أيُّ حُجَّةٍ لهم في تركه مع وجود براهينه. [٢١] ﴿وَ﴾ مالهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه. [٢٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث وغيره. [٢٣] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صحفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء. [٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مُؤلم. [٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غيرَ مَقْطوعٍ ولا مَنْقُوصٍ، ولا يُمَنُّ به عليهم.

---

(١) رواه البخاري (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦).

سُورَةُ البُرُوج
ترتيبها ٨٥ — آياتها ٢٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِق
ترتيبها ٨٦ — آياتها ١٧

﴿سورة البروج﴾
[مكية وآياتها ٢٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ للكواكِبِ: اثنا عشر بُرْجاً تقدَّمت في «الفُرْقان» [الآية: ٦١][١]. [٢] ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة. [٣] ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عَرَفَةَ، كذا فُسِّرت الثلاثةُ في الحديث![٢] فالأولُ مَوْعودٌ به، والثاني شاهِدٌ بالعمل فيه، والثالث تَشْهَدُه الناسُ والملائكةُ، وجَوابُ القَسَمِ محذوفٌ صدره، تقديره: لقد. [٤] ﴿قُتِلَ﴾ لعِنَ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ الشق في الأرض. [٥] ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشْتِمال منه ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ ما تُوقَدُ به. [٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ﴾. [٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ﴾ حضور، رُوي أنَّ الله أنْجى المؤمنينَ المُلْقَيْنَ في النار بِقَبْضِ أرواحِهِمْ قبل وقوعهم فيها، وخَرجَت النارُ إلى مَنْ ثَمَّ فأَحْرَقَتْهُمْ. [٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود. [٩] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي ما أنْكَر الكفارُ على المؤمنين إلا إيمانَهم. [١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي عذابُ إحْراقِهِمْ المؤمنينَ في الآخِرَةِ، وقيل: في الدنيا بأن خرجَت النارُ فأحْرَقَتْهُم، كما تقدَّمَ. [١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾. [١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته. [١٣] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلقَ ﴿وَيُعِيدُ﴾ فلا يُعجزُهُ ما يُريدُ. [١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المُتَودِّدُ إلى أوْليائه بالكرامةِ[٣]. [١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقُهُ ومالكُهُ ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرفع: المُسْتَحِقُّ لكمالِ صِفاتِ العُلُوِّ. [١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيءٌ[٤]. [١٧] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾. [١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بَدَلٌ من (الجنود)، واستغني بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم: أنهم أُهلكوا بكفرهم، وهذا تَنْبيهٌ لمن كَفَرَ بالنبيِّ ﷺ والقرآن؛ لِيَتَّعِظُوا. [١٩] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ بما ذُكِرَ. [٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ لا عاصِمَ لهم منه. [٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ عظيم. [٢٢] ﴿فِى لَوْحٍ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ بالجرِّ، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طولُهُ ما بين السماء والأرض، وعَرْضُهُ ما بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وهو من دُرَّةٍ بَيْضاءَ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٥].

---

(١) انظر (ص ٣٦٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٣٩) وانظره في اللمعة (١١٨) والدر المنثور (٨/٤٦٣).

(٣) في هذا التفسير رائحةُ تأويلٍ لصفة المحبة بالإكرام، والصواب أن يقال: الودود: المحب لمن تاب إليه وأناب.

(٤) هو في نفيه للعجز لم يُثْبت كمال القدرة على فِعْل ما أراد. ومَنْ أثبت القدرة فقد نفى العجز ضمناً، بخلاف العكس.

(٥) قال الآلوسي في «روح المعاني»: إنَّ هذه الأوصاف تحتاج إلى نَقْلٍ صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعْلَى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

﴿سورة الطارق﴾ [مكية وآياتها سبع عشرة آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أَصْلُه: كُلُّ آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لِطُلوعِها ليلاً. [٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أَعْلَمَكَ ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدأ وخبر، في محل المفعول الثاني لـ (أدري) وما بعد (ما) الأولى خَبَرُها، وفيه تعظيم لشأن (الطارق) المُفَسَّر بما بعده. هو: [٣] ﴿النَّجْمُ﴾ أي الثُّرَيّا أو كلُّ نَجْمٍ ﴿الثَّاقِبُ﴾ المضيءُ، لِثَقْبِهِ الظلامَ بِضَوْئِهِ، وجواب القسم: [٤] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ بتخفيف «ما» فهي مزيدة، و (إن) مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنه و «اللام» فارقة، وبتشديدها فـ(إن) نافية، و (لَمَّا) بمعنى «إلا» والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نَظَرَ اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء. [٦] جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ذي انْدِفاقٍ مِنَ الرَّجُلِ والمَرْأَةِ في رَحِمِها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرَّجُلِ ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ للمرأة، وهي عِظام الصَّدْر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ بعثِ الإنسان بَعْدَ مَوْتِهِ ﴿لَقَادِرٌ﴾ فإذا اعتبر أَصْلَهُ؛ عَلِمَ أَنَّ القادرَ على ذلك قادرٌ على بَعْثِهِ. [٩] ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تُخْتَبَرُ وتُكْشَفُ ﴿السَّرَائِرُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿فَمَا لَهُ﴾ لمنكر البعث ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يدفعه عنه. [١١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المطر لِعَوْدِهِ كُلَّ حِينٍ. [١٢] ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الشَّقِّ عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ باللعب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يَعْمَلُونَ المكائدَ للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حيثُ لا يعلمون. [١٧] ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيدٌ حسَّنَهُ مخالَفَةُ اللفظ، أي: أَنْظِرْهُمْ ﴿رُوَيْدًا﴾ قليلاً وهو مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى العامل، مُصَغَّرُ «رُودٍ» أو «إِرْوادٍ» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى بِبَدْرٍ، ونَسَخَ الإمْهالَ بآيةِ السَّيْفِ، أي: الأمر بالقتال والجهاد.

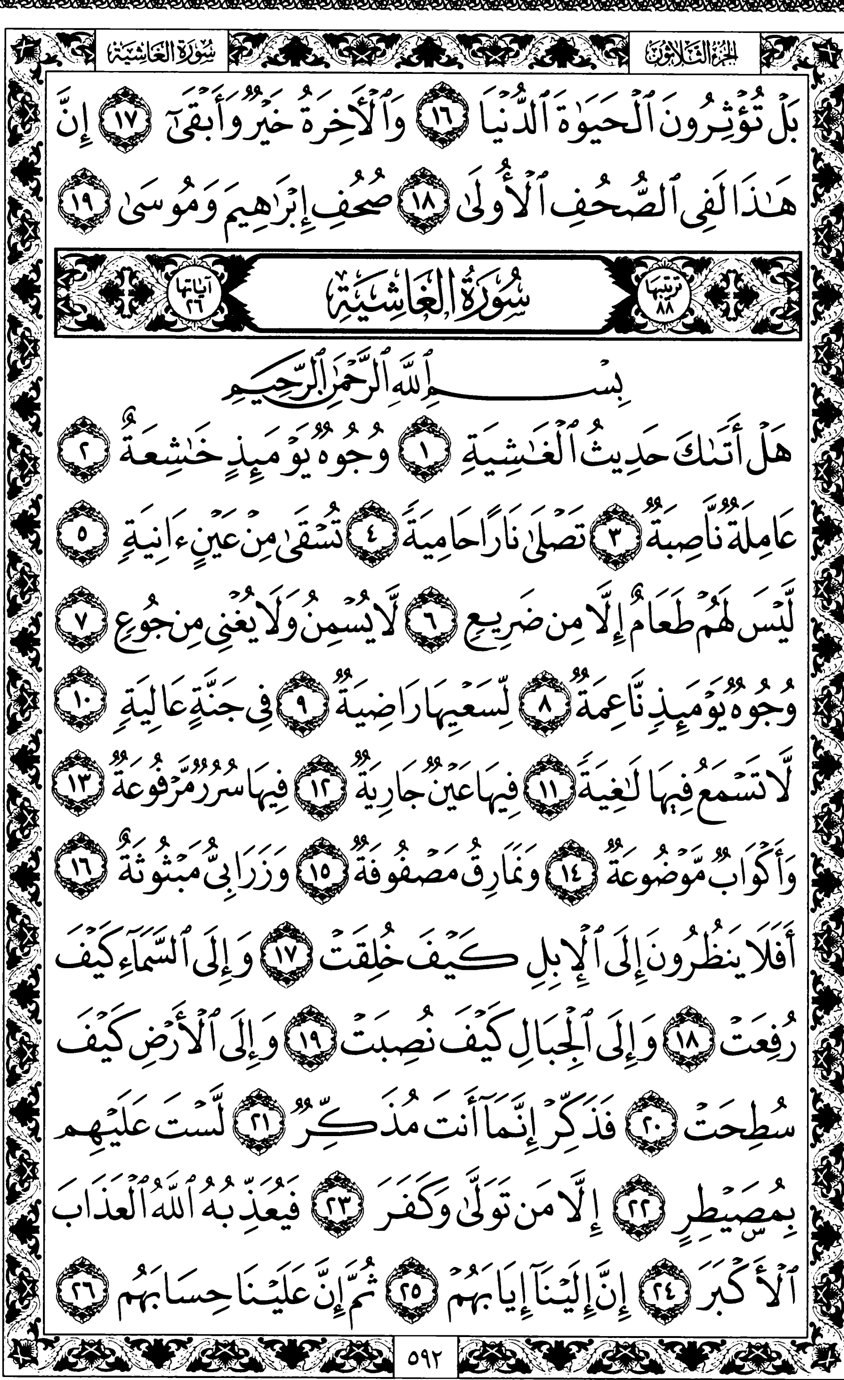
الحزب ٦٠

﴿سورة الأعلى﴾ [مكية وآياتها تسع عشرة]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي نَزِّهْ رَبَّكَ عمّا لا يَليقُ به و (اسم) زائد ﴿الْأَعْلَى﴾ صِفَةٌ لـ (ربك).(١) [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مَخْلوقَهُ، جعله مُتَناسِبَ الأجزاء غيرَ مُتفاوِتٍ. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلى ما قدَّرَهُ مِنْ خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أنبت العُشْبَ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخُضْرَةِ ﴿غُثَاءً﴾ جافاً هشيماً ﴿أَحْوَىٰ﴾ أسود يابساً. [٦] ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾ ما تقرؤه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ تَنْساهُ بِنَسْخِ تلاوَتِهِ وحُكْمِهِ، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريلَ خوفَ النِّسْيانِ، فكأنه قيل له: لا تَعْجَلْ بها إنك لا تَنْسَى فلا تُتْعِبْ نَفْسَكَ بالجَهْرِ بها ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما. [٨] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ

(١) الأعلى: اسم من أسماء الله، يشتمل على إثبات صفة العلو لله تعالى. ومعناه: الأعلى من كل شيء، قدراً، ومنزلةً، وقهراً، وغلبةً، وهو الأعلى بذاته فوق كل شي.



بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ — ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾ مَنْ تُذَكِّرُهُ، المذكور في (سَيَذَّكَّرُ)، يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ يخاف الله تعالى كآية: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥]. [١١] ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرى، أي: يتركها جانباً لا يَلْتَفِتُ إليها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ بمعنى الشَّقِيّ أي: الكافر. [١٢] ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هي نارُ الآخِرَة، والصُّغْرَى نارُ الدنيا. [١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ تَطهَّرَ بالإيمان. [١٥] ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ مُكَبِّراً ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة، وكفارُ مكة مُعرِضون عنها. [١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾. [١٨] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إفلاحُ من تزكى، وكون الآخرة خيراً ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: المُنْزَلَةِ قبل القرآن. [١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وهي عَشْرُ صُحُفٍ لإبراهيمَ، والتوراة لموسى.

﴿سورة الغاشية﴾ [مكية وآياتها ٢٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ القيامة، لأنها تَغْشَى الخلائِقَ بأهوالها. [٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عَبَّرَ بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة. [٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال. [٤] ﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتح التاء وضمها ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾. [٥] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة. [٦] ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هو نوعٌ من الشَّوْكِ لا ترعاه دابَّةٌ لِخُبْثِهِ. [٧] ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾. [٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ حسنة. [٩] ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخرة لمَّا رَأَتْ ثوابَهُ. [١٠] ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حِسّاً ومعنى. [١١] ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ بالياء والتاء[1] ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ أي نفس ذات لغو: هذيان مِن الكلام. [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء بمعنى عيون. [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتاً وقدراً ومحلاً. [١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقْداح لا عُرَا لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون مُعَدَّة لِشُرْبِهم. [١٥] ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وَسائِد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجنب بعض يستند إليها. [١٦] ﴿وَزَرَابِىُّ﴾ بُسُطٌ، طَنافِسُ لها خَمْلٌ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة. [١٧] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة، نَظَرَ اعْتبارٍ ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾. [١٨] ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. [١٩] ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾. [٢٠] ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي بُسِطَت، فَيَسْتَدِلُّونَ بها على قُدْرَةِ الله تعالى ووحدانيته، وصُدِّرَتْ بالإبلِ؛ لأنهم أشدُّ ملابَسَةً لها من غيرها، وقوله: (سطحت) ظاهرٌ في أن الأرض سَطْحٌ، وعليه عُلماءُ الشَّرْعِ، لا كُرَةٌ كما قالَهُ أهلُ الهَيْئَة، وإنْ لم يَنْقُضْ رُكناً مِنْ أركانِ الشَّرْعِ[2]. [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ هُمْ نِعَم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾. [٢٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ وفي قراءة بالصاد بدل السين، أي:

---

(١) ولكن الفعل على الياء مبني للمفعول لا غيره، وعلى التاء فهو مبني للفاعل والمفعول، فالقراءات ثلاث سبعيات.

(٢) ربما كان هذا غامضاً في عصر المؤلف، أما الآن فلا مرية ولا شك في أن الأرض كروية مسطحة. وقوله سبحانه: ﴿سطحت﴾ أي بحسب رؤية =

سُورَةُ الفَجْرِ
ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

بِمُسَلَّطٍ، وهذا قبل الأمر بالجهاد. [٢٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن. [٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر. [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت. [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ جزاءهم لا نتركه أبداً.

﴿سورة الفجر﴾ [مكية وآياتها ٣٠]

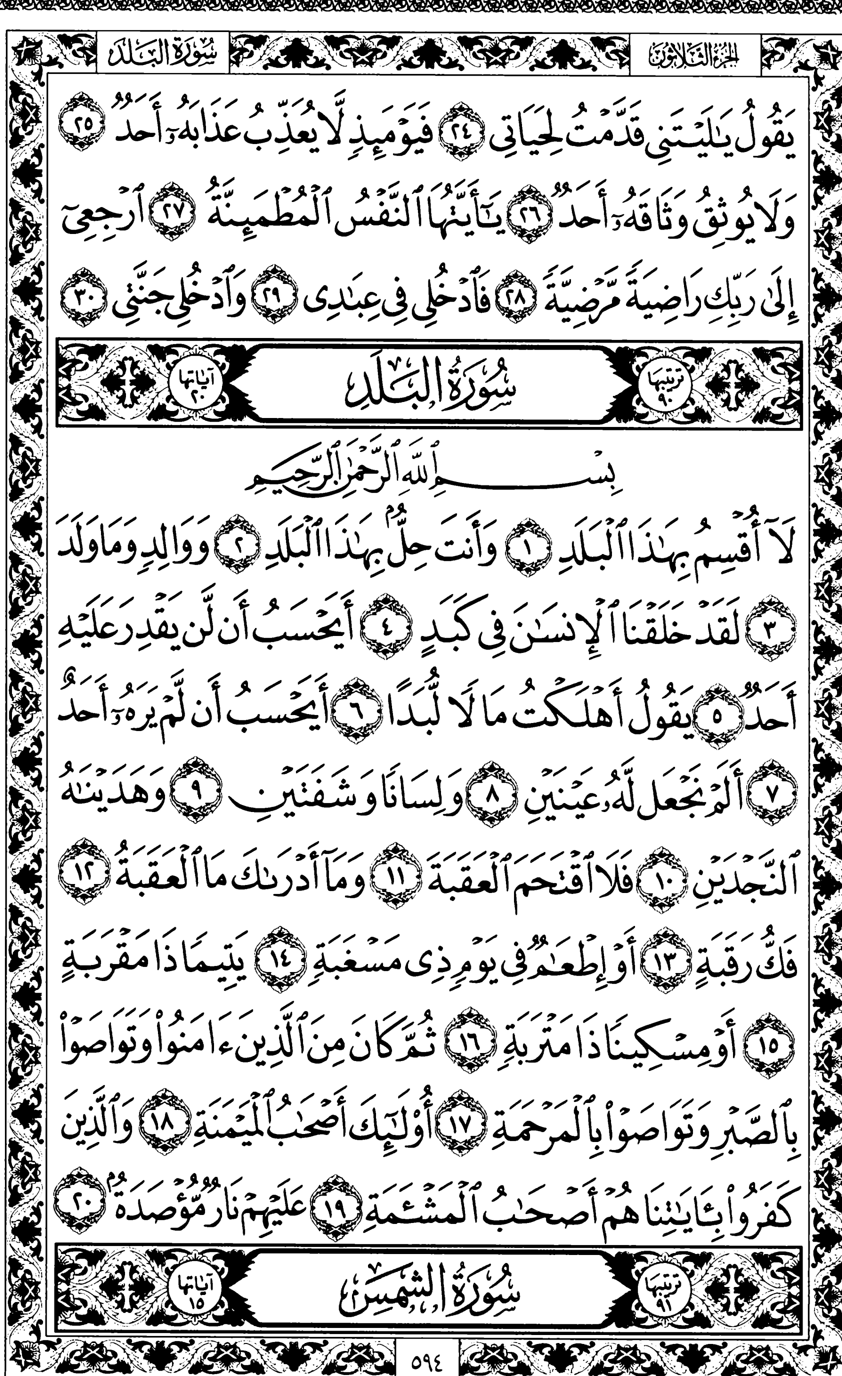
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم. [٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي عشر ذي الحجة. [٣] ﴿وَالشَّفْعِ﴾ الزوج ﴿وَالْوَتْرِ﴾ بفتح الواو وكسرها لغتان: الفَرْد. [٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ مُقْبِلاً ومُدْبِراً. [٥] ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ القسم ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ عقل، وجواب القسم محذوف أي: لَتُعَذَّبُنَّ يا كفارَ مكة. [٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾. [٧] ﴿إِرَمَ﴾ هي عاد الأولى، فإرم عطف بيان أو بدل، ومنع الصَّرف للعَلَمِيّةِ والتأنيث ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي الطول، كان طول الطويل منهم أربعمئة ذراع[1]. [٨] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ في بطشهم وقوتهم. [٩] ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ -جمع صخرة- واتخذوها بيوتاً ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى. [١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ كان يَتِدُ أربعةَ أوْتادٍ يَشُدُّ إليها يَدَيْ ورجْلَيْ مَنْ يُعَذِّبُهُ. [١١] ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾. [١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره. [١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾. [١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها. [١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾. [١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ ضَيَّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾. [١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع، أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ لا يُحْسِنون إليه مع غناهُم، أو لا يعطونه حقه من الميراث. [١٨] ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾. [١٩] ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي شديداً، لِلَمِّهِمْ نَصيبَ النساءِ والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه، أو مع مالهم. [٢٠] ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة. [٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زُلْزِلَتْ حتى ينهدم كلُّ بناءٍ عليها وينعدم. [٢٢] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي أمرُه[2] ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حال، أي مُصْطَفِّين، أو ذوي صُفوف كثيرة. [٢٣] ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقادُ بسبعين ألف زِمام، كلُّ زمامٍ بأيدي سبعين ألف ملك، لها زفير وتغيُّظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (إذا) وجوابها ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ -أي: الكافر- ما فرَّطَ فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾؟ استفهام بمعنى النفي، أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

= العين، وبحسب الانتفاع بها، فلذلك عبر به؛ لتتم المنة.

(١) هذا القولُ مردودٌ بما رواه البخاري ومسلم: أن رسولَ الله ﷺ قال: «خلق اللهُ آدم وطوله ستون ذراعاً... فلم يزل الخلقُ ينقص حتى الآن».

(٢) تأويل المجيء بأمر الله هذا باطل، وخلاف لظاهر النص. فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة؛ على ما هو لائقٌ بالله، بلا معرفة الكيف.



يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمۡسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ أي الله ﴿أَحَدٞ﴾ أي: لا يَكِلُهُ إلى غيره. [٢٦] ﴿وَ﴾ كذا ﴿لَا يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير (عذابه) و (وثاقه) للكافر، والمعنى: لا يعذَّبُ أَحَدٌ مِثْلَ تعذيبه، ولا يُوثَقُ مِثْلَ إيثاقه. [٢٧] ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ الآمنة، وهي المؤمنة. [٢٨] ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت، أي: ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿رَاضِيَةٗ﴾ بالثواب ﴿مَّرۡضِيَّةٗ﴾ عند الله بعملك، أي: جامعةً بين الوصفين، وهما حالان. ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَٱدۡخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَٰدِي﴾ الصالحين. [٣٠] ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

ربع الحزب ٦٠

﴿سورة البلد﴾ [مكية وآياتها ٢٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَآ﴾ زائدة ﴿أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ مكة. [٢] ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلُّۢ﴾ حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه. [٣] ﴿وَوَالِدٖ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذريته و (ما) بمعنى مَنْ. [٤] ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نَصَبٍ وشِدَّةٍ يُكابِدُ مصائبَ الدنيا وشدائدَ الآخرة. [٥] ﴿أَيَحۡسَبُ﴾ أيظن الإنسان ـ قويُّ قريش وهو أبو الأشد بن كلدة ـ بقوته ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي أنه ﴿لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾؟ والله قادرٌ عليه. [٦] ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَالٗا لُّبَدًا﴾ كثيراً بعضه على بعض. [٧] ﴿أَيَحۡسَبُ أَن﴾ أي: أنه ﴿لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؟ فيما أنفقه فيعلم قدره، والله عَالِمٌ بقدره وأنه ليس مما يتكثر به، ومجازيه على فعله السيِّء. [٨] ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل﴾ استفهام تقرير، أي جعلنا ﴿لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ﴾. [٩] ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾. [١٠] ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ بيّنّا له طريق الخير والشر. [١١] ﴿فَلَا﴾ فهلاّ ﴿ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ جاوزها. [١٢] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها تعظيماً لشأنها، والجملة اعتراض، وبَيَّنَ سببَ جوازها بقوله: [١٣] ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[1] من الرق بأن أعتقها. [١٤] ﴿أَوۡ أَطۡعَمَ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ مجاعة. [١٥] ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ قرابة. [١٦] ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ لُصوقٍ بالتُّراب لِفَقْرِهِ، وفي قراءة بدل الفعلين[2] مصدران مرفوعان، مضاف الأول (لرقبة)، وينون الثاني، فيقدَّر قبلَ (العقبة) اقتحام، والقراءَةُ المذكورة بيانه. [١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على (اقتحم) و (ثم) للترتيب الذكري، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ الرحمة على الخلق. [١٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ اليمين. [١٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ الشمال. [٢٠] ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ ـ بالهمزة والواو بدله ـ مطبقة.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وكذلك ما بعدها: ﴿أو أطعم﴾.

(٢) أي: فكَّ، وأطعم؛ أي: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ...﴾ وهي قراءة سبعية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سورة الليل

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

﴿سورة الشمس﴾ [مكية وآياتها خمسَ عشرة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ضوئها. [٢] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ تبعها طالعاً عند غروبها. [٣] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ بارتفاعه. [٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يُغطّيها بظلمته و (إذا) في الثلاثة لمجرد الظرفية، والعامل فيهـا فِعْلُ القَسَـم. [٥] ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾. [٦] ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ بسَطَها. [٧] ﴿وَنَفْسٍ﴾ بمعنى نُفوس ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ في الخِلْقَةِ و(ما) في الثلاثة مصدرية، أو بمعنى «مَنْ». [٨] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بيّن لها طريق الخير والشر، وأخّرَ التقوى رعايةً لرؤوس الآي، وجوابُ القسم: [٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام ﴿مَنْ زَكَّاهَا﴾ طهّرها من الذنوب. [١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ أخفاها بالمعصيـة، وأصلـه: دسَّسَها، أُبْدِلَت السين الثانيـة ألفاً تخفيفاً. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولَها صالحاً ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ بسبب طغيانها. [١٢] ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ واسمه قُدار إلى عَقْرِ الناقة برضاهم. [١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: ذَرُوها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ شربها في يومها، وكان لها يَوْمٌ، ولهم يَوْمٌ. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها؛ ليسلم لهم ماء شربها. ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبَقَ ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: الدمدمة عليهم، أي: عمهم بها فلم يفلت منهم أحد. [١٥] ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء ﴿يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ تبعتَها.

﴿سورة الليل﴾ [مكية وآياتها إحدى وعشرون]

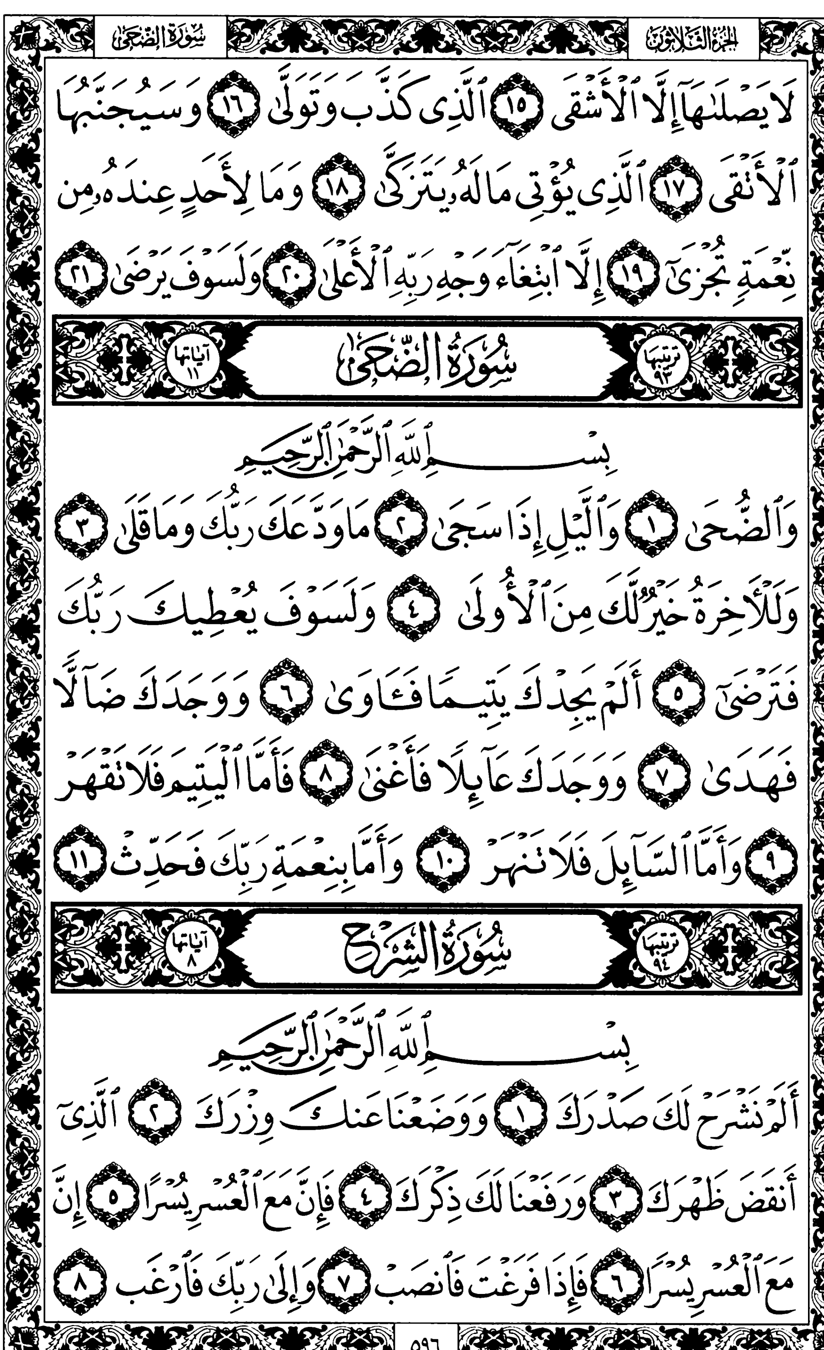
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض. [٢] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ تكشف، وظهر، و (إذا) في الموضعين لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم. [٣] ﴿وَمَا﴾ بمعنى «مَنْ» أو مصدرية ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ آدم وحواء، أو كلّ ذكَرٍ وكُلّ أنثى، والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى، فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثى. [٤] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾ مختلف، فعامل للجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. [٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حقَّ الله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله. [٦] ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بلا إله إلا الله في الموضعين. [٧] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ للجنة. [٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بحق الله ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ثوابه. [٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾. [١٠] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ نهيِّئُـه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ للنـار. [١١] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ في النار. [١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال، ليَمْتَثِلَ أمْرَنا بسلوك الأول، ونَهْيَنا عن ارْتكاب الثاني. [١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ. [١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوّفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرىء بثبوتها[1]؛ أي: تتوقد. [١٥] ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ بمعنى الشَّقيّ. [١٦] ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ النبيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان وهذا الحصر مُؤَوَّلٌ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] فيكون المراد الصِّليَّ[2] المؤبد. [١٧] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يُبْعَدُ عنها ﴿الْأَتْقَى﴾ بمعنى التقي.

---

(١) وهي قراءة شاذة.

(٢) يقال: صَلِيَ النَّار، وبها، يَصْلَى صَلىً، وصِلِيّاً: احترق فيها، وقاسى حرَّها.



لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ — ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ — ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

[١٨] ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ متزكياً به عند الله تعالى، بأن يخرجه لله تعالى، لا رِياءً ولا سُمعةً، فيكونُ زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصِّدّيقِ ـ رضي الله عنه ـ لمَّا اشترى بِلالاً المُعَذَّب على إيمانه وأَعْتَقَهُ، فقال الكفار: إنما فعل ذلك لِيَدٍ كانت له عنده، فنزلت: [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فَعَل ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي طَلَبَ ثوابِ الله. [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة، والآية تشمل مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ ـ رضي الله تعالى عنه ـ فَيُبْعَدُ عن النار، ويُثاب.

﴿سورة الضُّحى﴾

[مكية، آياتها إحدى عشرة]

ولما نزلَتْ كَبَّرَ ﷺ آخِرَها، فَسُنَّ التكبيرُ آخِرَها، وروي الأمر به خاتمتها، وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أي: أول النهار أو كُلِّه. [٢] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ غطى بظلامه أو سكن. [٣] ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أبغضك. نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربه ودَّعه وقلاهُ. [٤] ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلاً ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ به فقال ﷺ: «إذاً لا أرضى وواحِدٌ مِنْ أُمَّتي في النار»(١) إلى هنا تم جواب القسم بمُثْبَتَيْنِ بعد مَنْفِيَّيْنِ. [٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير أي وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾؟ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ﴾؟ أي هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيراً ﴿فَأَغْنَىٰ﴾؟ أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها، وفي الحديث: «ليس الغِنى عن كثْرَةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(٢).

[٩] ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك. [١٠] ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تزجره لفقره. [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ﴾ أَخْبِرْ. وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

﴿سورة الشرح﴾

[مكية وآياتها ثمانٍ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ استفهام تقرير، أي: شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حطَطْنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾. [٣] ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾ أثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: ٢]. [٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن تُذْكَرَ مع ذِكْري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها. [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الشدة ﴿يُسْرًا﴾ سهولة. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ والنبي ﷺ قاسَى من الكفار شِدَّةً، ثم

(١) انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٤٢).
(٢) رواه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٥٠١).

حصل له اليسر بنصره عليهم. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانصَبْ﴾ اتعب في الدعاء. [٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ تضرَّعْ.

﴿سورة التين﴾ [مكية أو مدنية وآياتها ثمانٍ]

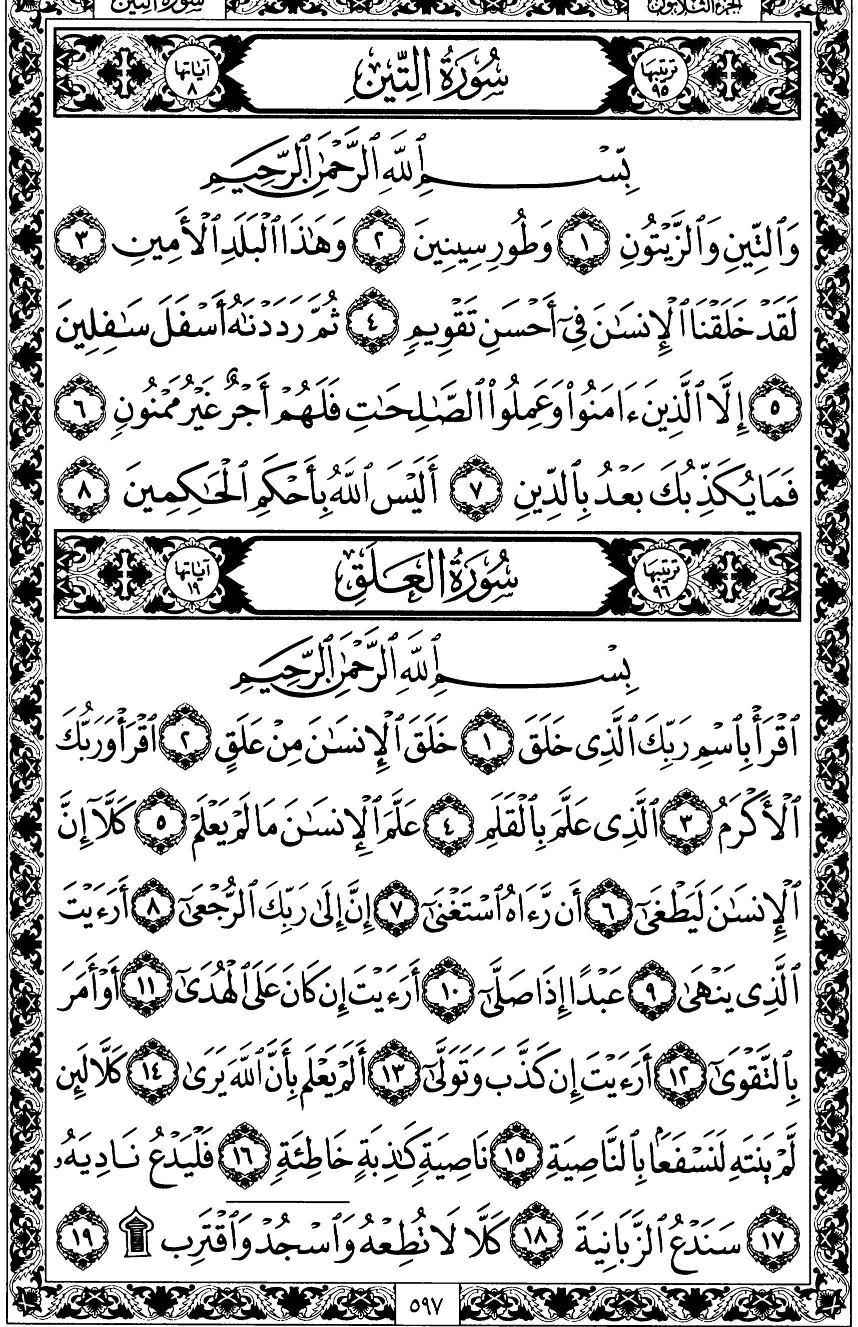
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أي المأكولَيْن، أو جبلَيْن بالشام يُنْبتانِ المَأْكُولَيْنِ. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كَلَّمَ اللَّهُ تعالى عليه موسى، ومعنى سينين: المبارَك، أو الحسن بالأشجار المثمرة. [٣] ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة لأمن الناس فيها جاهليةً وإسلاماً. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل لصورته. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع وفي الحديث: «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل، كُتِبَ له ما كان يعمل»[1]. [٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر الدَّالِّ على القدرة على البعث ﴿بِالدِّينِ﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب، أي ما يجعلك مكذباً بذلك ولا جاعل له. [٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ هو أقضى القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»[2].

﴿سورة العلق﴾

[مكية وآياتها ١٩] صَدْرُها إلى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أولُ ما نزل من القرآن وذلك بغار حراء. رواه البخاري[3].

سجدة


الجزء الثلاثون — سورة التين

سورة التين — ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة العلق — ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

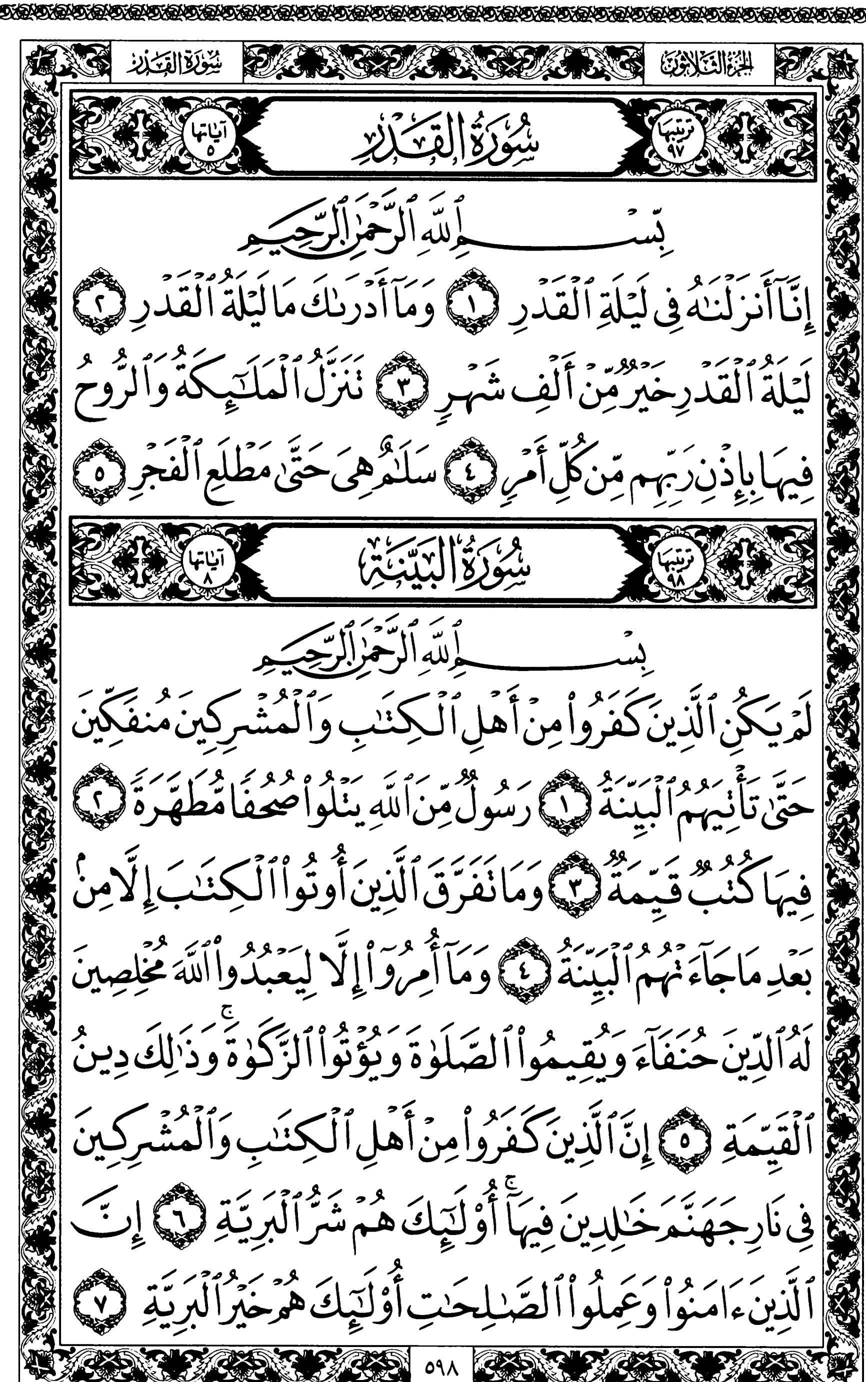
٥٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اقْرَأْ﴾ أوجد القراءة مبتدئاً ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائق. [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع عَلَقَةٍ وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. [٣] ﴿اقْرَأْ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في اقرأ. [٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخطَّ ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وأولُ من خطّ به إدريسُ عليه السلام. [٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قبل تعليمه. من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. [٦] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾. [٧] ﴿أَن رَّآهُ﴾ أي: نفسه ﴿اسْتَغْنَىٰ﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، ورأى علمية، واستغنى مفعول ثان و (أن رآه) مفعول له. [٨] ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿الرُّجْعَىٰ﴾ أي: الرجوع ـ تخويف له ـ فيجازي الطاغي بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في الثلاثة مواضع للتعجب ﴿الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰ﴾. [١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ﴾ المنهي ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾. [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾. [١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي الناهي النبي ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. [١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما صدر منه[4]، أي: يعلمه فيجازيه عليه، أي اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى، ومن حيث أن الناهي مُكذِّبٌ مُتوَلٍّ عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع

---

(١) انظره في الدر المنثور (٨/ ٥٥٨). (٢) المصدر السابق (٨/ ٥٥٩). (٣) رواه البخاري (٣٥٩٤). (٤) العلم من لوازم الرؤية؛ لكن الرؤية غير العلم.



سُورَةُ القَدْر — ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَة — ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

له ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لَنَجُرَّنَّ بناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَصْفُها بذلك مَجَازٌ، والمُرادُ صاحِبُها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي أهل ناديه، وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمتَ ما بها رجلٌ أكثر نادياً مني، لأملأنَّ عليك هذا الوادي إن شِئْتُ خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً. [١٨] ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه كما في الحديث: «لو دَعَا ناديَهُ؛ لأخَذَتْهُ الزبانِيةُ عَياناً»[1]. [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾ صلّ لله ﴿وَاقْتَرِب﴾ منه بطاعته.

﴿سورة القدر﴾

[مكية أومدنية وآياتها ٥ أو ٦][2]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؟ تعظيم لشأنها وتعجيب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابلٍ و(مِنْ) سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ خبر مقدم ومبتدأ ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها: إلى وقت طلوعه، جُعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمر بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سَلَّمَتْ عليه.

﴿سورة البيّنة﴾ [مكية أو مدنية وآياتها ٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

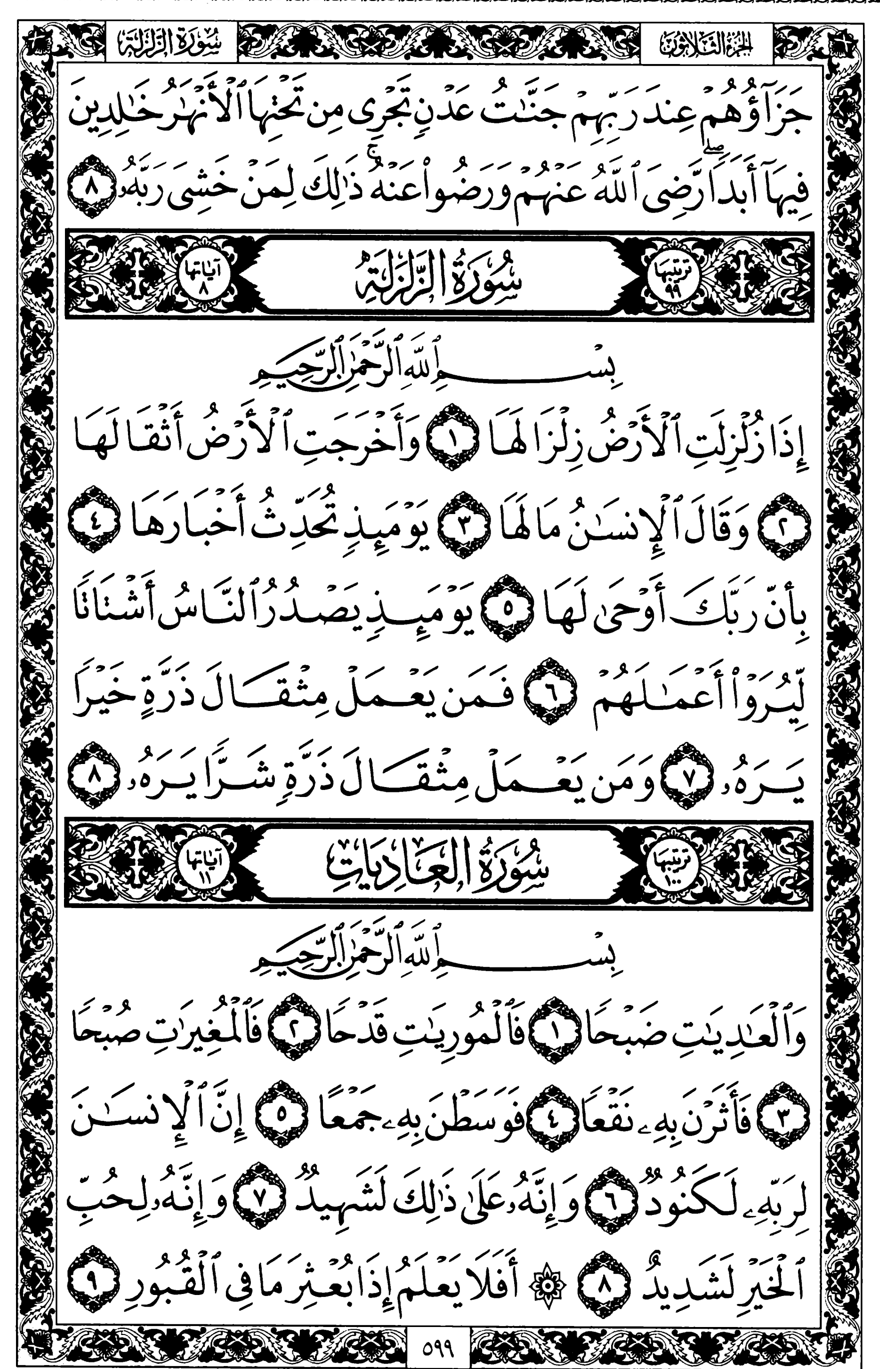
[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي عَبَدَة الأصنام[3] عطف على (أهل) ﴿مُنفَكِّينَ﴾ خبر (يكن)، أي زائلين عما هم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ أي: الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ. [٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بدل من (البينة) وهو النبي محمد ﷺ ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطل. [٣] ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة، أي: يتلو مضمون ذلك وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. [٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي هو ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له، وقبل

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٤٩)، وانظره في الدر المنثور (٨/ ٥٦٤).

(٢) جاء في حاشية الجمل (٨/ ٣٨٧): لم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا، بل اقتصروا على كونها خمساً، ولعلَّ قائل هذا القول يَعُدُّ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ آيةً مستقلّةً.

(٣) فيه نظر، لأنَّ غالب المشركين كانوا عبدةً للصالحين، ثم اتخذوا أصناماً بأشكالهم، ثم عبدوها من دون الله.



جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ — ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ — ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فحسده من كفر به منهم. [٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في كتابهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: أن يعبدوه فحذفت «أن» وزيدت اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾ مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به؟! ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾ المستقيمة. [٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال مقدرة، أي: مقدراً خلودهم فيها من الله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. [٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ الخليقة. [٨] ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ خاف عقابه، فانتهى عن معصيته تعالى.

﴿سورة الزلزلة﴾ [مكية أو مدنية وآياتها ٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ حركت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها. [٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها. [٣] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر بالبعث: ﴿مَا لَهَا﴾ إنكاراً لتلك الحالة. [٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من إذا وجوابها ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر. [٥] ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أنّ ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها بذلك، وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»[1]. [٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذٌ ذات الشمال إلى النار ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاءها من الجنة أو النار. [٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زِنَةَ نَمْلَةٍ صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ يَرَ ثوابه. [٨] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ يَرَ جزاءه.

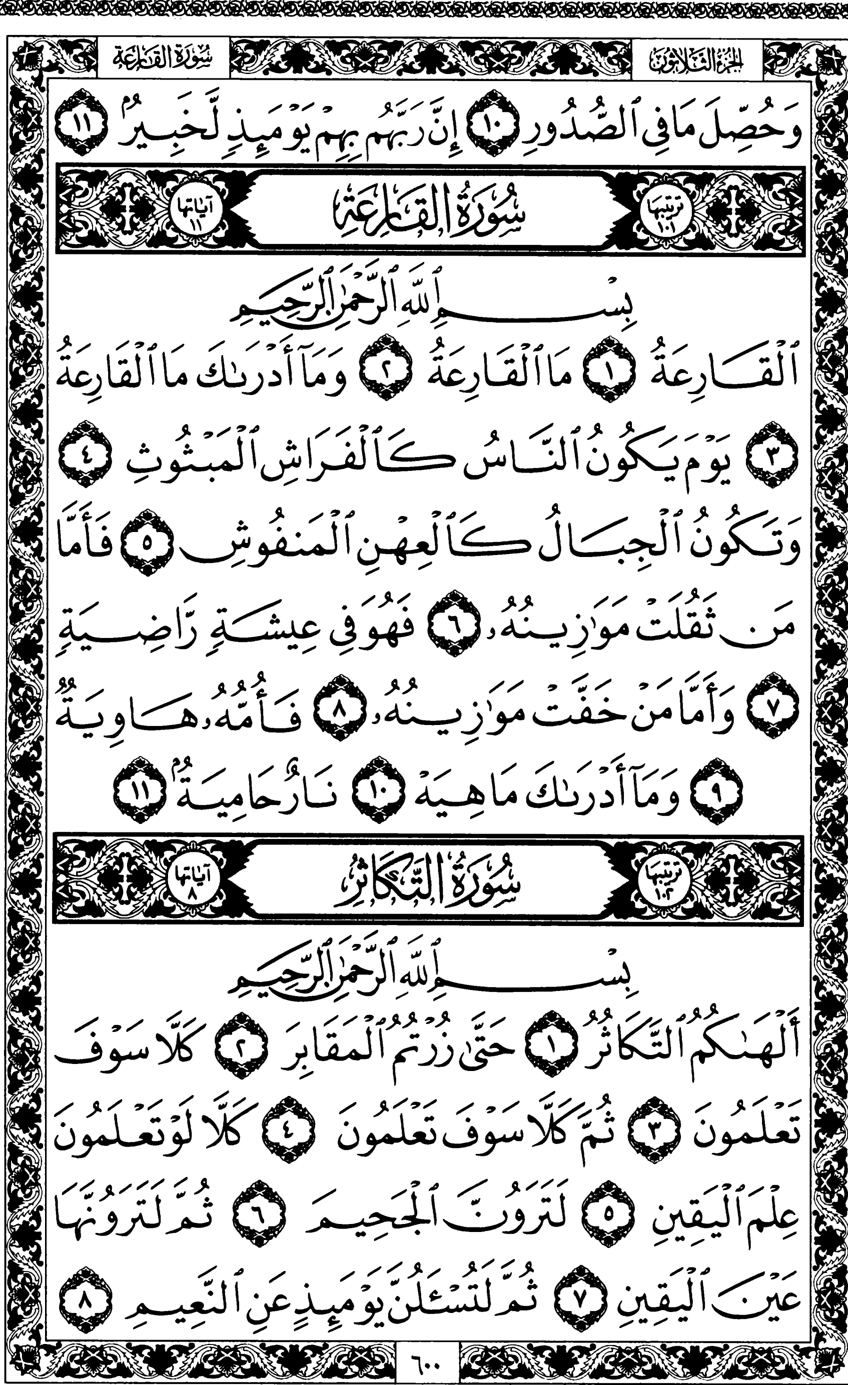
﴿سورة العاديات﴾ [مكية أو مدنية وآياتها إحدى عشرة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو وتَضْبَحُ ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها إذا عَدَتْ. [٢] ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ الخيلِ تُوري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل. [٣] ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها. [٤] ﴿فَأَثَرْنَ﴾ هَيَّجْن ﴿بِهِۦ﴾ بمكان عَدْوِهِنَّ أو بذلك الوقت ﴿نَقْعًا﴾ غباراً بشدة حركتهن. [٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العدو، أي صرن وسطه، وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاتي عَدَوْنَ فَأَوْرَيْنَ فَأَغَرْنَ. [٦] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ لكفور يجحد نعمته تعالى. [٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بصنعه. [٨] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ الحب له فيبخل به.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٣) وأحمد (٢/ ٣٧٤).



وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ — ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ — ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

٦٠٠

[٩] ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ من الموتى، أي: بعثوا. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ ﴾ بُيِّنَ وأُفرز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ لعالم، فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول (يعلم)، أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق (خبير) بـ (يومئذ) وهو تعالى خبير دائماً، لأنه يوم المجازاة.

﴿سورة القارعة﴾

[مكية وآياتها ١١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

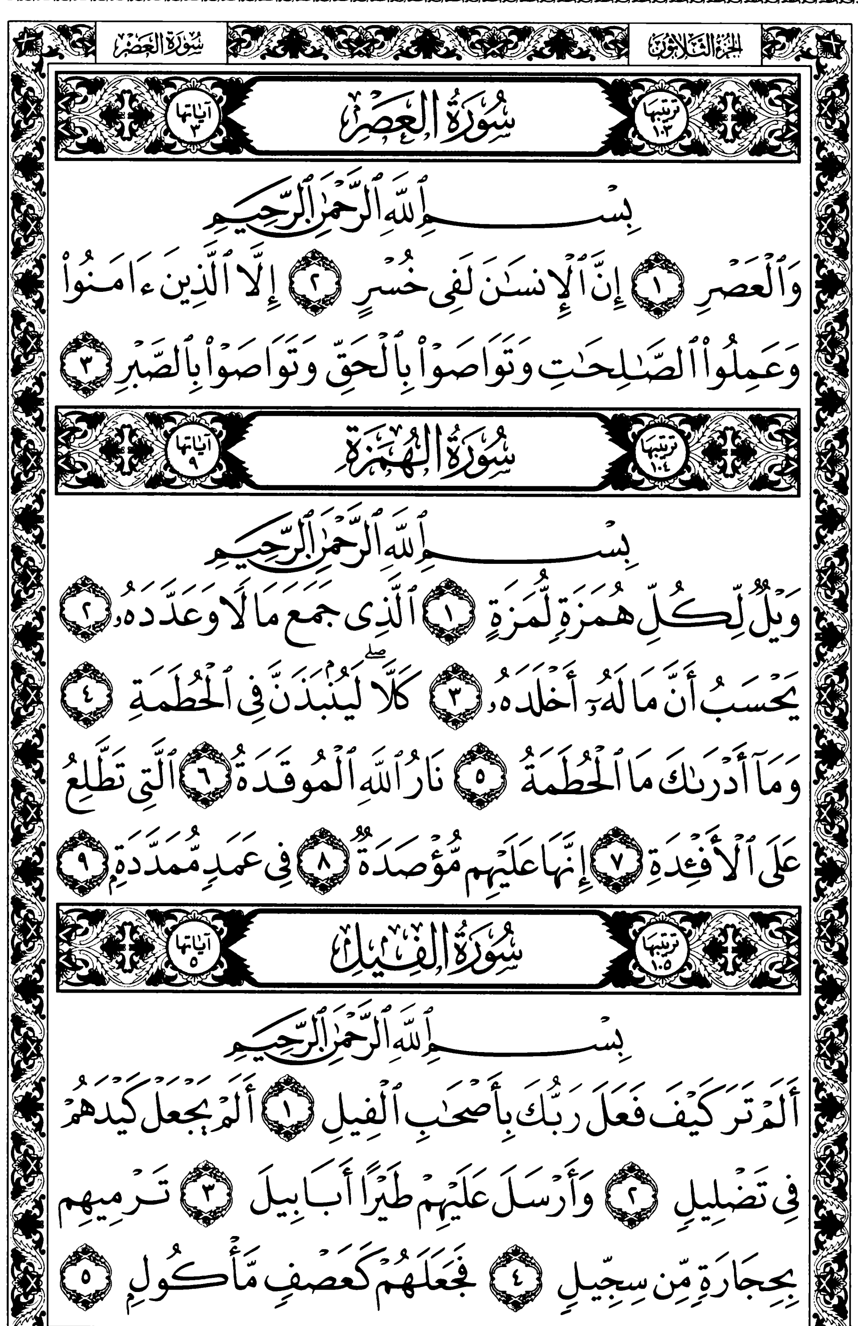
[١] ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ القيامة التي تَقْرَعُ القلوب بأهوالها. [٢] ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾؟ تهويل لشأنها، وهُما مبتدأ وَخَبرٌ: خَبَرُ (القارعة). [٣] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ أعلمك ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ زيادة تهويل لها و (ما) الأولى مبتدأ وما بعدها خبره، و (ما) الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ (أدري). [٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ ناصبه دل عليه (القارعة)، أي: تقرع ﴿ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يُدْعَوْا للحساب. [٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستويَ مع الأرض. [٦] ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته. [٧] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ في الجنة، أي: ذات رضاً بأن يرضاها، أي مرضية له. [٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته. [٩] ﴿ فَأُمُّهُ ﴾ فمَسْكَنُهُ ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾. [١٠] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾؟ أي: ما هاوية. [١١] هي ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ شديدة الحرارة وهاء (هِيَهْ) للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة تحذف وصلاً.

﴿سورة التكاثر﴾

[مكية وآياتها ٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾ شَغَلَكُم عن طاعة الله ﴿ التَّكَاثُرُ ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال. [٢] ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ بأن مِتُّمْ فَدُفِنتُم فيها، أو عددتم الموتى تكاثراً. [٣] ﴿ كَلَّا ﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾. [٤] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ سوء عاقبة تفاخركم عند النَّزْع، ثم في القبر. [٥] ﴿ كَلَّا ﴾ حقاً ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ علماً يقيناً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به. [٦] ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ النار، جواب قسم محذوف، وحُذف منه لام الفعل وعينه، وأُلْقِيَتْ حركتها على الراء. [٧] ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ مصدر، لأنَّ رَأَى وعايَنَ بمعنى واحد. [٨] ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.



سُورَةُ العَصْرِ — ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ — ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ — ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

﴿سورة العصر﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر. [٢] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ في تجارته. [٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خُسْران ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

﴿سورة الهُمزَة﴾

[مكية أو مدنية وآياتها تسع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو وادٍ في جهنم ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز، أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يَغتابُ النبيَّ ﷺ والمؤمنينَ كأُميةَ بن خلف، والوليدِ بن المغيرة وغيرهما. [٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه، وجعله عُدَّةً لحوادث الدهر. [٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾؟ جعله خالداً لا يموت. [٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، أي ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ التي تحطم كل ما ألقي فيها. [٥] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾. [٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المُسْعَرة. [٧] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ القلوب فتحرقها. وألمها أشد من ألم غيرها لِلُطْفِها. [٨] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ جمع الضمير رعايةً لمعنى كل ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله، مُطْبَقة. [٩] ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم الحرفين وبفتحهما ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العمد.

﴿سورة الفيل﴾

[مكية وآياتها خمسٌ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب، أي: اعْجَبْ ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هو محمود وأصحابه أَبْرَهَةُ مَلِكُ اليَمَنِ وجيشه، بنى بصنعاء كنيسةً؛ ليصرف إليها الحاج عن مكة، فَأَحْدَثَ رجل من كنانة فيها، ولطخ قبلتها بالعَذِرَةِ احتقاراً بها، فحلف أبرهةُ ليهدمنَّ الكعبة، فجاء مكةَ بجيشه على أفيال اليمن مقدمها محمود، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصَّه في قوله: [٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات، قيل: لا واحد له كأساطير، وقيل: واحده: «أَبُّوْل» أو «إِبَّال» أو «إِبِّيل» كعجول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته، أي: أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحِمِّصَة، يخرق البَيْضَة والرَّجُلَ والفِيلَ ويصل إلى الأرض، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

سورة قريش

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ١ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٤

سورة الماعون

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

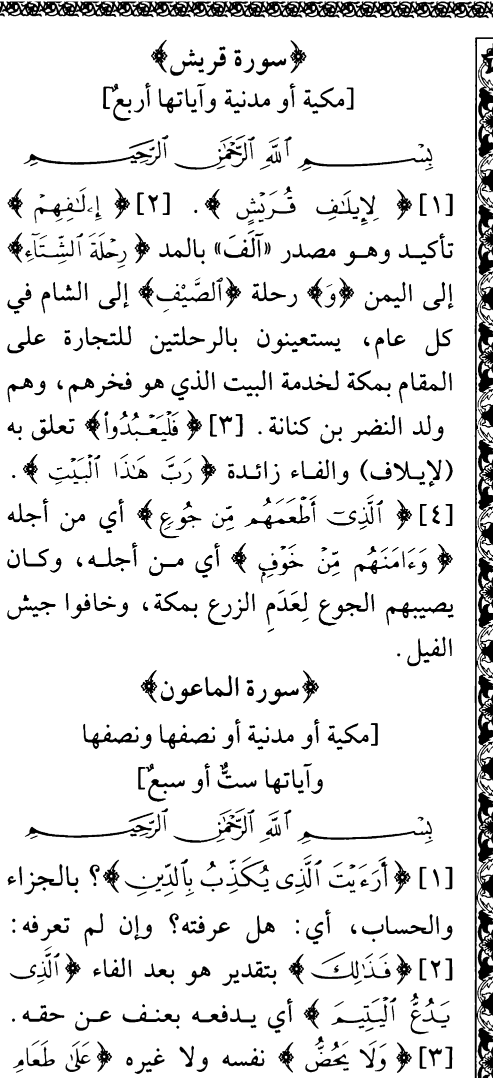
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٧

سورة الكوثر

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣



﴿سورة قريش﴾

[مكية أو مدنية وآياتها أربعٌ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾. [٢] ﴿ إِيلَافِهِمْ ﴾ تأكيد وهو مصدر «آلف» بالمد ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ ﴾ إلى اليمن ﴿وَ﴾ رحلة ﴿الصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة. [٣] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا ﴾ تعلق به (لإيلاف) والفاء زائدة ﴿ رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾.
[٤] ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ أي من أجله ﴿ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ أي من أجله، وكان يصيبهم الجوع لِعَدَمِ الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

﴿سورة الماعون﴾

[مكية أو مدنية أو نصفها ونصفها وآياتها ستٌّ أو سبعٌ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾؟ بالجزاء والحساب، أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه: [٢] ﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ أي يدفعه بعنف عن حقه. [٣] ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو الوليد بن المغيرة. [٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾. [٥] ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ غافلون يؤخرونها عن وقتها. [٦] ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ في الصلاة وغيرها. [٧] ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ كالإبرةِ والفأسِ والقِدْرِ والقَصْعَةِ.

﴿سورة الكوثر﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ثلاثٌ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ هو نهر في الجنة، هو حَوْضُهُ تَرِدُ عليه أمته، والكوثر: الخير الكثير من النبوّة والقرآن والشفاعة ونحوها. [٢] ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ صلاة عيد النحر ﴿ وَانْحَرْ ﴾ نسكك. [٣] ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ أي: مُبغِضَك ﴿ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العَقب، نزلت في العاصي بن وائل سَمَّى النبيَّ ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

سورةُ المسد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فِهْرٍ، يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتَكُم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصدِّقِيَّ»؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبّاً لك سائرَ اليوم ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾. [رواه البخاري ومسلم].



سُورَةُ الكَافِرُونَ — ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ — ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ — ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

﴿سورة الكافرون﴾

[مكية أو مدنية وآياتها ستٌّ] نزلت لما قال رَهْطٌ من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سَنَةً ونعبد إلهك سَنَةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام(١). [٣] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله تعالى وحده. [٤] ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾. [٥] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق (ما) على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ الإسلام. وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وقفاً ووصلاً(٢)، وأثبتها يعقوب في الحالين.

﴿سورة النصر﴾ [مدنيةٌ وآياتها ثلاث].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ نبيِّه ﷺ على أعدائه ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾ فتح مكة. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، وعلم بها: أنه قد اقترب أجله، وكان فتحُ مكة في رمضان سنة ثمانٍ وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

﴿سورة المسد﴾

[مكية وآياتها خمسٌ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لما دعا النبيُّ ﷺ قومَه وقال: «إني نذيرٌ لكُم بَينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ»، فقال عمه أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، نزل: [١] ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾(٣) أي جملته، وعبر عنها باليدين مَجازاً، لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّ﴾ خَسرَ هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك، ولما خوَّفه النبي بالعذاب، فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل: [٢] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكسبه، أي: ولده (ما أغنى) بمعنى يغني. [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهب وتوقد فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقاً وحمرة. [٤] ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ عطف على ضمير (يصلى) سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالرفع والنصب ﴿ٱلْحَطَبِ﴾ الشوك والسَّعْدان تلقيه في طريق النبي ﷺ. [٥] ﴿فِى جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ أي: ليف، وهذه الجملة حال من (حمالة الحطب) الذي هو نعت لامرأته أو خبر مبتدأ مقدر.

---

(١) الصواب: المعبودات سواء كانت من الصالحين، أو القبور، أو الأشجار، أو الأصنام.

(٢) قوله: «ياء الإضافة» أي: في قوله: ﴿دِينِ﴾. وحذفها وصلاً ووقفاً؛ لأنها من ياءات الزوائد، فيراعى فيه اتباع رسم المصحف، وهي غير ثابتة فيه اكتفاءً بالكسرة (حاشية الجمل).

(٣) رواه البخاري (٤٩٧١).

سورة الإخلاص

ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سورة الفلق

ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

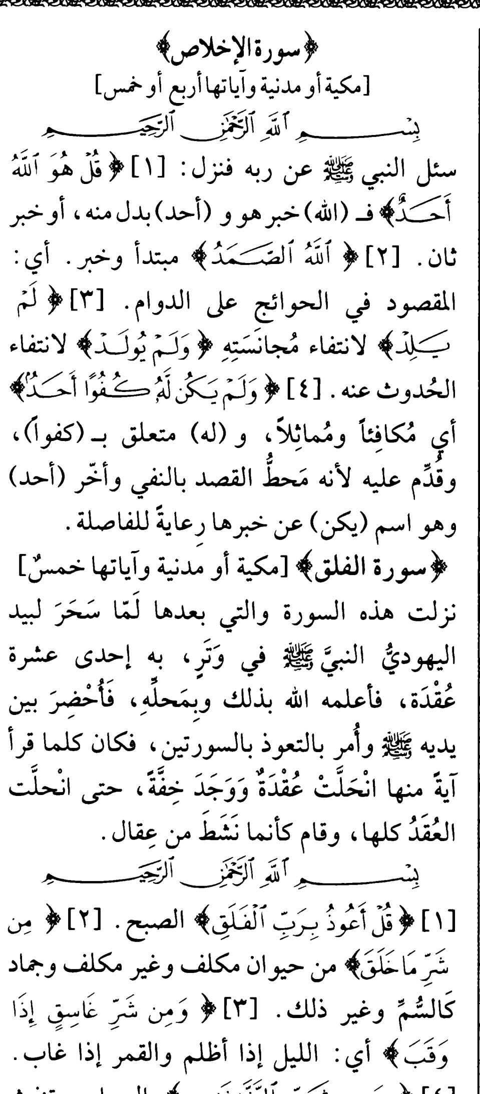
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّٰثَٰتِ فِى الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سورة الناس

ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾



﴿سورة الإخلاص﴾

[مكية أو مدنية وآياتها أربع أو خمس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل: [١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فـ (الله) خبر هو و (أحد) بدل منه، أو خبر ثان. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر. أي: المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مُجانَسَتِهِ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتفاء الحُدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي مُكافِئاً ومُماثِلاً، و (له) متعلق بـ (كفوا)، وقُدِّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي وأخّر (أحد) وهو اسم (يكن) عن خبرها رِعايةً للفاصلة.

﴿سورة الفلق﴾ [مكية أو مدنية وآياتها خمسٌ]

نزلت هذه السورة والتي بعدها لَمّا سَحَرَ لبيد اليهوديُّ النبيَّ ﷺ في وَتَرٍ، به إحدى عشرة عُقْدَة، فأعلمه الله بذلك وبِمَحلِّه، فأُحْضِرَ بين يديه ﷺ وأُمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آيةً منها انْحلَّتْ عُقْدَةٌ وَوَجَدَ خِفَّةً، حتى انحلَّت العُقَدُ كلها، وقام كأنما نَشِطَ من عِقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبح. [٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كَالسُّمِّ وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّٰثَٰتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِى الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري: معه. كَبَناتِ لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حَسَدَهُ وعَمِلَ بمقتضاه، كـ: لبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها ﴿مَا خَلَقَ﴾ بعده لشدة شرها.

﴿سورة الناس﴾ [مكية أو مدنية، وآياتها ستٌّ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفاً لهم ومناسبة للاستفادة من شر المُوَسْوِسِ في صدورهم. [٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. [٣] ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو صفتان، أو عطفا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان. [٤] ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، سمي بالحدث[1] لكثرة ملابسته له ﴿الْخَنَّاسِ﴾ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذُكِرَ الله. [٥] ﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله. [٦] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي، كقوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس، وعلى كلٍّ يشمل شر لبيد وبناته المذكورين، واعتُرض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأُجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب، وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) قوله: «بالحدث» أي: المصدر، وهو: الوسوسة، ومنها: الوسواس.

دعاء ختم القرآن الكريم

۞ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالقُرْءَانِ وَاجْعَلهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً ۞ اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ العَالَمِينَ ۞ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ ۞ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ ۞ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ ۞ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ العِلْمِ وَخَيْرَ العَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ المَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي وَحَقِّقْ إِيمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِي

وَأَسْأَلُكَ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ ۞ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ
وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ
بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ۞ اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا
وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ۞ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ
خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا
بِهَا جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا
بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ
ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي
دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا
مَنْ لَا يَرْحَمُنَا ۞ اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا
فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۞ رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

السُّورَة	رقمها	الصفحة	
الحَشـر	٥٩	٥٤٥	مَدَنية
المُمتَحِنَة	٦٠	٥٤٩	مَدَنية
الصَّف	٦١	٥٥١	مَدَنية
الجُمُعَة	٦٢	٥٥٣	مَدَنية
المنَافِقون	٦٣	٥٥٤	مَدَنية
التّغَابُن	٦٤	٥٥٦	مَدَنية
الطّلَاق	٦٥	٥٥٨	مَدَنية
التّحرِيم	٦٦	٥٦٠	مَدَنية
المُلْك	٦٧	٥٦٢	مَكيّة
القَلَم	٦٨	٥٦٤	مَكيّة
الحَاقّة	٦٩	٥٦٦	مَكيّة
المعَارج	٧٠	٥٦٨	مَكيّة
نُوح	٧١	٥٧٠	مَكيّة
الجنّ	٧٢	٥٧٢	مَكيّة
المُزّمل	٧٣	٥٧٤	مَكيّة
المدَّثّر	٧٤	٥٧٥	مَكيّة
القِيامَة	٧٥	٥٧٧	مَكيّة
الإنسَان	٧٦	٥٧٨	مَدَنية
المُرسَلات	٧٧	٥٨٠	مَكيّة
النّبأ	٧٨	٥٨٢	مَكيّة
النّازعَات	٧٩	٥٨٣	مَكيّة
عَبَسَ	٨٠	٥٨٥	مَكيّة
التّكوير	٨١	٥٨٦	مَكيّة
الانفِطَار	٨٢	٥٨٧	مَكيّة
المطفّفِين	٨٣	٥٨٧	مَكيّة
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مَكيّة
البُرُوج	٨٥	٥٩٠	مَكيّة
الطّارق	٨٦	٥٩١	مَكيّة
الأعلى	٨٧	٥٩١	مَكيّة
الغَاشِيَة	٨٨	٥٩٢	مَكيّة
الفَجْر	٨٩	٥٩٣	مَكيّة
البَلَد	٩٠	٥٩٤	مَكيّة
الشّمْس	٩١	٥٩٥	مَكيّة
الليل	٩٢	٥٩٥	مَكيّة
الضّحى	٩٣	٥٩٦	مَكيّة
الشّرْح	٩٤	٥٩٦	مَكيّة
التّين	٩٥	٥٩٧	مَكيّة
العَلق	٩٦	٥٩٧	مَكيّة
القَدْر	٩٧	٥٩٨	مَكيّة
البَيّنَة	٩٨	٥٩٨	مَدَنية
الزّلزَلة	٩٩	٥٩٩	مَدَنية
العَاديَات	١٠٠	٥٩٩	مَكيّة
القَارعَة	١٠١	٦٠٠	مَكيّة
التّكاثُر	١٠٢	٦٠٠	مَكيّة
العَصْر	١٠٣	٦٠١	مَكيّة
الهُمَزة	١٠٤	٦٠١	مَكيّة
الفِيل	١٠٥	٦٠١	مَكيّة
قُرَيش	١٠٦	٦٠٢	مَكيّة
المَاعون	١٠٧	٦٠٢	مَكيّة
الكَوْثَر	١٠٨	٦٠٢	مَكيّة
الكافِرون	١٠٩	٦٠٣	مَكيّة
النّصْر	١١٠	٦٠٣	مَدَنية
المَسَد	١١١	٦٠٣	مَكيّة
الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مَكيّة
الفَلَق	١١٣	٦٠٤	مَكيّة
النّاس	١١٤	٦٠٤	مَكيّة

فهرس

المختار الصحيح من أسباب النزول

﴿ علامات الوقف ﴾

مـ علامة الوقف اللازم ، نحو : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ .

ج علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطَّرفين ، نحو : نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ .

صلى علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أَوْلَى ، نحو : وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .

قلى علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أَوْلَى ، نحو: قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ .

∴ ∴ علامة تعانُق الوقف بحيث إذا وُقِف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر ، نحو : ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ .

هداية الرحمن في
تجويد القرآن
للشيخ عبد الوهاب حبس وزيت
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله موفق خاصته من عباده لتجويد كتابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خلاصته من بين أهله وأحبابه، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بنصرته ولاذوا بجنَابِه.

أما بعد فهذه رسالة وجيزة في تجويد القرآن العظيم، جعلها الله خالصة للفوز بجنات النعيم، إنَّه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

تعريف علم التجويد

س – ما هو علم التجويد؟

ج – هو علم يعرف به إعطاء كل حرف حقه مخرجاً وصفة.

س – ما حكم علم التجويد وما موضوعه وما غايته؟

ج – حكمه الوجوب الاصطلاحي في هذا الفن لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ وموضوعه الكلمات القرآنية وغايته: صون اللسان عن الخطأ في كتاب الله تعالى.

س – ما ثمرته؟

ج – الفوز برضاء الله تعالى.

المدود وأنواعها

س – ما هو المد؟

ج – هو إطالة الصوت بحرف من حروف المد.

١ س – ما هي حروف المد؟

ج – هي ثلاثة: (الواو الساكنة) المضموم ما قبلها و (الياء الساكنة) المكسور ما قبلها و (الألف الساكنة) المفتوح ما قبلها المجموعة في قوله تعالى ﴿نُوحِيهَا﴾.

٢ س – كم عدد المدود وما هي؟

ج – عددها تسعة: طبيعي وبدل وعوض وصلة ومتصل ومنفصل ولازم وعارض للسكون ولين.

٣ س – ما هو المد الطبيعي وكم حركة يمد؟

ج – المد الطبيعي هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به ولا يتوقف على سبب وأحرفه أحرف المد المتقدمة مثاله (نُوحِيهَا) ويمد بمقدار حركتين.

٤ س – ما هو مقدار الحركة؟

ج – هي بمقدار ما يقبض الإنسان أصبعه أو يبسطها بحالة وسطى.

٥ س – ما هو مد البدل وكم حركة يمد؟

ج – هو أن يأتي همز وبعده مدٌّ في كلمة واحدة مثاله ﴿آمَنوا أُوتُوا إِيمَاناً﴾ وسمي بدلاً لإبدال الهمزة الثانية مداً من

جنس الحركة التي قبلها ويمد بمقدار حركتين.

٦ س – ما هو مد العوض وكم حركة يمد؟

ج – هو مد في حالة الوقف عوض عن فتحتين في حالة الوصل مثاله ﴿غَفوراً رَحيماً﴾ ويمد بمقدار حركتين.

٧ س – ما هو مد الصلة وكم حركة يمد؟

ج – هو مد هاء الضمير بشرط أن يكون قبلها متحرك وبعدها متحرك وتمد كمد الطبيعي ويسمى صلة صغرى مثاله ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ فإن أتى بعدها همزة تمد كمد المنفصل ويسمى صلة كبرى مثاله ﴿مالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فإن كان قبلها ساكن فلا تمد مثل ﴿مِنهُ﴾ وَ ﴿إليهِ﴾ أو كان بعدها ساكن فلا تمد مثل ﴿كَما عَلَّمَهُ اللهُ﴾ ويستثنى قوله تعالى ﴿فِيهِ مُهاناً﴾ بالمد ﴿وَإِنْ تَشكُروا يَرضَهُ لَكُمْ﴾ بالقصر.

٨ س – ما هو المد المتصل وكم حركة يمد؟

ج – هو أن يجتمع حرف المد وبعده الهمز في كلمة واحدة مثاله (أُولَئِكَ) ويمد بمقدار خمس حركات وجوباً.

٩ س – ما المد المنفصل وكم حركة يمد؟

ج – هو أن يأتي حرف المد في آخر كلمة وبعده الهمز في أول كلمة أخرى مثاله (بِما أُنزِلَ) ويمد بمقدار خمس حركات جوازاً.

أحكام المد اللازم الكلمي والحرفي

١٠ س – ما هو المد وكم حركة يمد؟

ج – هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً أصلياً مثاله ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ ويمد بمقدار ست حركات لزوماً.

١١ س – إلى كم ينقسم المد اللازم؟

ج – ينقسم إلى قسمين مد لازم كلمي ومد لازم حرفي «أي إما واقع في كلمة وإما واقع في حرف» وكل من الكلمي والحرفي إما مثقل وإما مخفف.

١٢ س – ما مثال الكلمي المثقل وما علامته؟

ج – مثال الكلمي المثقل نحو (الحاقَّةُ) وعلامته أن يكون بعد حرف المد حرف مشدد.

١٣ س – ما مثال الكلمي المخفف وما علامته؟

ج – مثال الكلمي المخفف نحو (آلآنَ) ولا يوجد في القرآن على قراءة حفص إلا في آيتي يونس وهما ﴿آلآنَ وَقَد كُنتُم﴾ ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ وعلامته أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً أصلياً غير مشدد.

١٤ س – ما مثال الحرفي المثقل والمخفف وما ضابطه؟

ج – مثال الحرفي المثقل والمخفف (آلم) فالمد على اللام مد لازم حرفيٌّ مثقل لأنه أتى بعد حرف المد حرف مشدد والمد على الميم حرفيٌّ مخفف لأنه أتى بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً أصلياً غير مشدد، وضابط المد اللازم الحرفي بنوعيه أن يكون على ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد ولا يوجد إلا في أوائل السور المجموعة بقوله «نَقَصَ، عَسَلُكُم» ويستثنى العين من قوله تعالى ﴿كهيعص، حمعسق﴾ فإنها تمد مد اللين وهناك أحرف من فواتح السور تمد مداً طبيعياً هي أحرف (حَيٌّ، طَهُرَ) مثاله (طـه).

١٥ س – ما هو المد العارض للسكون وكم حركة يمد؟

ج – هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون مثاله (نَستَعينُ) ويجوز في مده ثلاثة أوجه (الطُولُ) ست حركات و(التَّوَسُّطُ) أربع حركات و(القصرُ) حركتان.

١٦ س – ما هو مد اللين وكم حركة يمد؟

ج – هو إطالة الصوت بالواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما الساكن ما بعدهما سكوناً عارضاً في حالة الوقف

ولا يمد في حالة الوصل أبداً مثاله (خَوْف بَيْت) ويجوز في مده ثلاثة أوجه كالعارض للسكون.

أقسام المدود

١٧ س – إلى كم ينقسم المد من حيث الصفة؟

ج – ينقسم إلى قسمين (أصليٍّ وَفرعِيٍّ).

١٨ س – ما هو المد الأصلي؟

ج – هو المد الطبيعي المتقدم ويلحق به: العوض، والصلة الصغرى.

١٩ س – ما هو المد الفرعي؟

ج – هو الذي يتوقف على سبب همز أو سكون.

٢٠ س – كم نوعاً المد الذي يتوقف على سبب الهمز؟

ج – هو ثلاثة أنواع متصل ومنفصل ويلحق به الصلة الكبرى والبدل.

٢١ س – كم نوعاً المد الذي يتوقف على سبب السكون؟

ج – هو ثلاثة أنواع: (لازم، وعارض للسكون، ولين).

أحكام النون الساكنة والتنوين

٢٢ س – ما هي النون الساكنة؟

ج – هي النون المجزومة.

٢٣ س – ما هو التنوين؟

ج – هو نون ساكنة تتبع آخر الاسم لفظاً وتقاربه خطاً ووقفاً.

٢٤ س – كم حكماً للنون الساكنة والتنوين؟

ج – للنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يقع بعدهما من حروف الهجاء أربعة: (إظهار، وإدغام، وإقلاب، وإخفاء).

٢٥ س – ما هو الإظهار وما حروفه؟

ج – هو النطق بكل حرف من مخرجه بغير غنة وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق الستة وهي حروف الإظهار: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. مثاله: ﴿مَنْ آمَنَ، حَقِيقٌ عَلَى، أَنْعَمْتَ﴾ ويسمى إظهاراً حلقياً.

٢٦ س – ما هو الإدغام وما حروفه؟

ج – هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدوداً وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه، وحروفه ستة مجموعة بلفظ (يَرْمَلُونَ).

٢٧ س – إلى كم ينقسم الإدغام؟

ج – ينقسم إلى قسمين: إدغام بغنة، وإدغام بلا غنة.

٢٨ س – ما هو الإدغام بغنة؟

ج – هو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف (يُومِنُ) مثاله ﴿مَن يَعْمَلُ﴾ ﴿صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين أما إذا وقع في كلمة واحدة فهو إظهار شاذ مثاله (دُنْيا، صِنْوان، قِنْوانٌ).

٢٩ س – ما هو الإدغام بلا غنة؟

ج – هو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين لام أو راء مثاله ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿هُدًى لِلْمُتقِين﴾.

٣٠ س – ما هي الغنة؟

ج – هي صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه.
٣١ س – ما هو الإقلاب وما حرفه؟
ج – هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مع الغنة عند الباء وحرفه هو الباء فقط مثاله ﴿مِنْ بَعْدُ، سَمِيعٌ بصيرٌ﴾.
٣٢ س – ما هو الإخفاء وما حروفه؟
ج – هو حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة وذلك إذا أتى بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر المجموعة في أوائل هذا البيت:

صف ذا ثنا جود شخص قد سما كرماً ضع ظالماً زد تقى دم طالباً فترى

مثاله (يُنفِقُونَ، فَتْحٌ قَرِيبٌ).

أحوال الميم الساكنة

٣٣ س – كم هي أحوال الميم الساكنة؟
ج – لها ثلاثة أحوال تدغم في مثلها مع الغنة ويسمى إدغاماً متماثلاً بغنة نحو ﴿لَكُم ما كَسَبْتُم﴾ وتخفى بغنة عند الباء ويسمى «إخفاءً شَفَوِياً» نحو ﴿تَرمِيهِم بِحِجارةٍ﴾ وتظهر عند باقي الحروف الهجائية ويسمى «إظهاراً شفوياً» نحو ﴿أم حَسِبتُم﴾ غير أنها تكون أشد إظهاراً عند الواو والفاء.
٣٤ س – إلى كم ينقسم الإدغام بحسب الصفة؟
ج – ينقسم إلى ثلاثة أقسام: «إدغام متماثل» وإدغام متجانس، وإدغام متقارب.
٣٥ س – ما هو الإدغام المتماثل؟
ج – هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ويلي أحدهما الآخر مثاله ﴿فما ربحت تجارَتُهم﴾ ﴿أنِ اضرِب بعصاك﴾ ﴿آوَوْا ونصروا﴾.
٣٦ س – ما هو الإدغام المتجانس؟
ج – هو أن يتحد الحرفان في المخرج ويختلفا في بعض الصفات ويلي أحدهما الآخر كطاء، وتاء، نحو ﴿لَئِنْ بَسَطتَ﴾ أو تاء، وطاء نحو ﴿وَقَالَتْ طائِفَةٌ﴾ أو تاء، ودال نحو ﴿أثقَلَتْ دَعَوَا اللهَ﴾ أو دال وتاء نحو ﴿وجدتُم﴾ أو ثاء وذال نحو ﴿يَلْهَثْ ذلكَ﴾ أو باء وميم نحو ﴿ارْكَبْ مَعَنا﴾.
٣٧ س – ما هو الإدغام المتقارب؟
ج – هو أن يتقارب الحرفان في المخرج أو الصفة ويلي أحدهما الآخر كاللام مع الراء نحو ﴿بَلْ رفَعَه﴾ وكالقاف مع الكاف، نحو ﴿ألَمْ نخلُقكُم﴾.

أحكام اللام المعرَّفة

٣٨ س – كم حكماً للام المعرفة؟
ج – لها أربعة أحكام: «التفخيم، والترقيق، والإدغام، والإظهار».
٣٩ س – متى تفخم اللام ومتى ترقق؟
ج – تفخم اللام من لفظ الجلالة إن ضم ما قبلها أو فتح نحو ﴿إني عبدُ اللهِ﴾ ﴿سَيُؤْتينا اللهُ﴾ وترقق فيما عدا ذلك.
٤٠ س – متى تدغم اللام المعرَّفة ومتى تظهر؟
ج – تدغم إذا وليها حرف من أربعة عشر حرفاً مجموعة في أوائل هذا البيت:

طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم دع سوء ظنٍّ زر شريفاً للكرم

وتسمى لاماً شمسية نحو (الطَّاعَةُ، الثَّوابُ) وتظهر إذا وليها حرف من حروف (ابغِ حَجَّكَ وخَف عَقِيمَهُ) وتسمى لاماً قمرية

نحو (الخالِقُ، البارِئُ) والحاصل أنه إذا أتى بعد اللام المعرفة حرف مشدد فهي الشمسية كالشمس وإلا فهي القمرية كالقمر.

٤١ س - ما حكم لام الفعل كما في قوله تعالى (اْلتَقَتا، اْلتقى، اْلهَاكُمْ) ولام الموصول كالذي والتي هل هي شمسية أم قمرية؟

ج - لا توصف بكونها شمسية ولا قمرية لأنها من بنية الكلمة.

أحكام الـراء

٤٢ س - كم حكماً للراء؟

ج - لها ثلاثة أحكام: (التفخيم، والترقيق، وجواز الوجهين).

٤٣ س - متى تفخم الراء؟

ج - تفخـم في خمسـة مواضـع: إن ضـمت أو فتحت نحو ﴿عُرُباً أَتْراباً﴾ أو سكنت وكان قبـلهـا ضم أو فتح نحو (القرآن، والعَرْش) أو سكنت وكان قبـلهـا كسـر عارض نحو (لمن ارتضى) أو سكنت وكان قبـلهـا كسـر أصلي وبعدها حرف استعـلاء غير مكسور نحو (قِرطاس ومرصـادِ) أو سكنت وقفاً وكان قبلها سـاكن وقبل السـاكن ضم أو فتح نحو (العَصرْ، والشُّكر).

٤٤ س - متى ترقق الراء؟

ج - ترقق في أربعـة مواضع إن كسـرت نحو (رِجال) أو سكنت وكان قبـلهـا كسـر أصلي نحو (فِرْعَوْنَ) أو سكنت وكان قبلها ياء ساكنة نحو (قَدِيرْ، خَيرْ) أو سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن وقبل الساكن كسر نحو (السِّحرْ).

٤٥ س - في كم موضع يجوز في الراء التفخيم والترقيق؟

ج - في موضعـين فيما إذا سكنت وكان قبـلهـا كسـر أصـلي وبعدها حرف استعـلاء مكسور نحو (فِرْقٍ) أو سكنت وكان قبلها حرف استعلاء ساكنٌ وقبل حرف الاستعلاء مكسور نحو (قطرْ، وَمِصْرْ).

باب القلقلة

٤٦ س - ما هي القلقلة وما حروفها؟

ج - القلقلة إظهار نبرة للصوت حال النطق بحرفها إذا سكن وحروفها خمسة جمعت في لفظ (قُطبُ جَدٌّ).

٤٧ س - إلى كم تنقسم القلقلة؟

ج - تنقسم إلى قسمين (صُغرى و كُبرى) فالصغرى هي التي تكون في أثناء الكلمة نحو (يَجعَلونَ) والكبرى هي التي تكون في آخر الكلمة نحو (لَقَدْ، قَرِيبْ).

٤٨ س - ما هي حروف الاستعلاء؟

ج - هي حروف (خُصَّ ضَغطٍ قِظْ) وتسمى «الحروف المفخمة».

٤٩ س - ما حكم الألف الساكنة؟

ج - حكمها أنها تتبع ما قبلها في التفخيم والترقيق نحو (القادِرُ، العالِمُ).

٥٠ س - ما هي حروف «الصفير»؟

ج - هي ثلاثة (الصاد، والزاي، والسين) بشرط إسكانها.

٥١ س - ما هي حروف «الهمس»؟

ج - هي عشرة يجمعها قولك (فحثه شخص سكت).

٥٢ س - ما هي الحروف «اللثوية»؟

ج - هي ثلاثة (الثاء، والذال، والظاء).

٥٣ س - ما هو حرف «الاستطالة»؟

ج – هو الضاد فقط إذا سكن.

همــزة الوصــل

٥٤ س – ما هي همزة الوصل؟

ج – هي التي تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج.

٥٥ س – في أي موضع تكون همزة الوصل؟

ج – تكون في الأفعال نحو ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ وفي الأسماء نحو ﴿بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَى﴾ وفي حرف أل فقط.

٥٦ س – كيف يُبدأ بهمزة الوصل في الأفعال؟

ج – يبدأ فيها بالضم إن كان ثالث حرف من الفعل مضموماً بضمة أصلية نحو ﴿اُعبُدوا رَبَّكُمْ﴾ ويبدأ بالكسر إن كان ثالث حرف من الفعل مفتوحاً نحو ﴿اِستَغفِروا رَبَّكُمْ﴾ أو مكسوراً نحو ﴿اِرجِعوا إلى أبيكم﴾.

٥٧ س – عن أي شيء احترز بقوله بضمة أصلية؟

ج – احترز عن مثل (امشُوا، واقضُوا، وارموا) فإنه يبدأ فيها بالكسر بالأمثلة الثلاثة لأن الضم في ثالث حرف منها غير أصلي فأصل امشوا امشيوا واقضوا اقضيوا وارموا ارميوا فثالث حرف منها مكسور.

٥٨ س – كيف يبدأ بهمزة الوصل في الأسماء؟

ج – يبدأ فيها بالكسر في عشرة أسماء سماعاً في (اسمٍ واستٍ وابنٍ وابنمٍ وابنةٍ وامرىءٍ وامرأةٍ واثنان واثنتانِ وأيمنٍ) وفي غير هذه الأسماء قياساً تُعلم من كتب الصرف.

٥٩ س – كيف يبدأ بهمزة الوصل في الحرف؟

ج – يبدأ في حرف أل فقط بالفتح نحو (ألرجل).

باب مخارج الحروف

٦٠ س – ما هي أنواع المخارج؟

ج – هي خمسة: (الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم).

٦١ س – من أين مخرج الألف الساكنة المفتوح ماقبلها، والواو الساكنة المضموم ماقبلها، والياء الساكنة المكسور ماقبلها؟

ج – من الجوف.

٦٢ س – من أين مخرج حروف الحلق التي هي (الهمزة والهاء إلخ...)؟.

ج – من الحلق.

٦٣ س – من أين مخرج القاف والكاف؟

ج – من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى لكن الكاف أسفل منه بقليل.

٦٤ س – من أين مخرج الجيم والشين والياء؟

ج – من وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى.

٦٥ س – من أين مخرج الضاد؟

ج – من حافة اللسان الأيسر وهو كثير، أو الأيمن وهو قليل، أو منهما وهو أقل مستطيلة إلى ما يلي الأضراس.

٦٦ س – من أين مخرج اللام والنون والراء؟

ج – من أول حافة اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى لكن المعتمد في اللام أن مخرجها أدنى من الضاد. والنون تحت اللام بقليل. والراء تقارب النون.

٦٧ س – من أين مخرج الطاء والدال والتاء؟

ج – من طرف اللسان من فوق ومن بين الثنايا العليا.

٦٨ س – من أين مخرج الصاد والزاي والسين؟

ج – من طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا.

٦٩ س – من أين مخرج الظاء والذال والثاء؟

ج – من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.

٧٠ س – من أين مخرج الفاء؟

ج – من بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا.

٧١ س – من أين مخرج الواو والباء والميم؟

ج – من بين الشفتين لكن بانفتاحهما في الواو وانطباقهما في الباء والميم ومخرج الغنة تقدم في تعريف الغنة.

٧٢ س – كيف يعرف مخرج الحرف؟

ج – إذا أردت معرفة مخرج الحرف فسكِّنه وأدخل عليه همزة الوصل واصغ إليه فحيث انقطع الصوت في الفم فذلك مخرجه.

٧٣ س – في كم موضع يسكت القارئ على بعض الكلمات سكتة لطيفة؟

ج – يسكت القارئ على رواية حفص في خمسة مواضع أحدهما في الكهف عند قوله تعالى ﴿عِوَجًا﴾، الثانية في ياسين عند قوله تعالى ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾، الثالثة في القيامة عند قوله تعالى ﴿وَقِيلَ مَنْ﴾، الرابعة في المطففين عند قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ﴾ الخامسة في الحاقّة عند قوله تعالى ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ نيقف عليها القارئ من غير أن يتنفس ثم يقرأ الكلمة التي بعدها.

٧٤ س – كم حكماً للبسملة بالنسبة للوصل والقطع؟

ج – لها أربعة أحكام وصل الجميع أي وصلها فيما قبلها وفيما بعدها وقطع الجميع أي قطعها عما قبلها وعما بعدها وقطع الأول ووصل الثاني بالثالث أي قطعها عما قبلها ووصلها بما بعدها ووصل الأول وقطع الثاني عن الثالث أي وصلها بما قبلها وقطعها عما بعدها فإن كانت السورة في ابتداء القراءة فيكون قبلها التعوذ فالأربعة جائزة وإلا فإن كانت في أثناء القراءة فالثلاثة الأول جائزة والرابع غير جائز لئلا يتوهم أنها من السورة التي قبلها.

٧٥ س – ماذا يسن في حق القارئ إذا وصل إلى آخر الضحى؟

ج – يسن في حقه أن يكبر عند ختم كل سورة فيبتدئ بالتكبير من آخر سورة الضحى، وقد روي حديث التكبير عن البزي قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد المكي فلما بلغت والضحى قال لي كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، وإسماعيل قرأ على عبد الله وأمره بالتكبير وهكذا إلى أن قرأ أُبَيُّ بن كعب على النبي ﷺ وأمره بالتكبير، ويسن في حق القارئ إذا وصل إلى آخر سورة الناس أن يقرأ الفاتحة من أول البقرة إلى قوله تعالى ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فقد روى ابن عباس عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ افتتح من الحمد، ثم قرأ من البقرة إلى ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: عليك بالحالِّ المرتحل قال: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن كلما حل ارتحل – أي كلما فرغ من ختمة شرع في أخرى – والقصد بهذا الحثُّ على كثرة التلاوة مع التأمل والتدبر ويستحب للقارئ إذا ختم أن يدعو الله عز وجل.

فقد روي في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: عند ختم القرآن دعوة مستجابة وشجرة في الجنة. وروي أن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن، وروى الدارمي في مسنده قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك. ونص جماعة من العلماء المقتدى بهم كأحمد بن حنبل على استحباب الدعاء عند الختم، وقال الإمام النووي: ويستحب الدعاء عند الختم استحباباً متأكداً تأكيداً شديداً وهو سنة تلقاه الخلف عن السلف. والحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على خير الأنام.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله وتوفيقه قامت إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني بتدقيق
وضبط هذا المصحف الشريف من قبل كل من السادة:

١ــ الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم
٢ــ الشيخ سارية عبد الكريم الرفاعي
٣ــ الشيخ بشير الرز
٤ــ الشيخ أحمد نونانــي

وقد وافق سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو على طباعته وتداوله وذلك بموجب كتاب إدارة الإفتاء العام رقم ٩٧ تاريخ ٢٠٠٣/٤/١٥م

ــ وزارة الإعلام ــ مديرية الرقابة — الجمهورية العربية السورية

برقم تاريخ

وقامت بتدقيق هذا المصحف الشريف ومنحت الإذن بطباعته:

ــ إدارة البحوث الإسلامية والنشر في الأزهر — جمهورية مصر العربية

رقم ٣١٣ تاريخ ١٩٧٩/٦/٣

ــ إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — المملكة العربية السعودية

رقم ٥/١٠٠٩ تاريخ ١٣٩٨/١٠/٧

ــ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية — دولة الكويت

رقم أ. ف/ ث.س/٢/٧٧٠٧/٩٧

ــ وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية — سلطنة عمان

رقم ٢١/١/٩٤ تاريخ ١٩٩٤/١٠/١٠

ــ وزارة الإعلام والثقافة — الإمارات العربية المتحدة

رقم ــ أ ع ش ــ ٤٠٦٧ ــ ١٩٩٧/١٢م

تعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِبَ هذا المصحفُ وضُبِط على مايوافق روايةَ حفص بن سليمان ابن المغيرة الأسَدىّ الكُوفىّ لقراءة عاصم بن أبى النَّجود الكوفىّ التابعىّ عن أبى عبدالرحمن عبدالله بن حَبيب السُّلمىّ عن عثمانَ بن عفَّان وعلىّ بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبَىّ بن كَعْب عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم .

وأُخِذَ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التى بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفَّان رضى الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة ، والمصحف الذى جعله لأهل المدينة ، والمصحف الذى اختص به نفسه ، وعن المصاحف المنتسخة منها . وقد روعى فى ذلك مانقله الشيخان أبو عمرو الدانى وأبوداود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثانى عند الاختلاف .

هذا وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره فى المصاحف العثمانية الستة السابق ذكرها .

وأُخِذَت طريقةُ ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ماورد فى كتاب «الطراز على ضبط الخراز» للإمام التَّنَسىّ مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقة ، بدلا من علامات الأندلسيّين والمغاربة .

واتُّبِعَتْ فى عد آياته طريقة الكوفيين عن أبى عبدالرحمن عبدالله ابن حبيب السُّلمِىِّ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه على حسب ماورد فى كتاب «ناظمة الزُّهر» للإمام الشاطبىّ ، وغيرها من الكتب المدوّنة فى علم الفواصل ، وآى القرءان على طريقتهم ٦٢٣٦ آية .

وأُخِذَ بيانُ أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب «غيث النفع» للعلامة السَّفَاقُسِىِّ . و «ناظمة الزهر» للإمام الشاطبىِّ وشرحها . و « تحقيق البيان » للشيخ محمد المتولى ، و «إرشاد القراء والكاتبين» ، لأبى عيد رضوان المخلّلاتى .

وأُخِذَ بيانُ مكّيّه ومدنيّه فى الجدول الملحق بآخر المصحف ، من «كتاب أبى القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافى» و «كتب القراءات والتفسير» على خلاف فى بعضها .

وأُخِذَ بيان وقوفه وعلاماتها مما قررته اللجنة فى جلساتها التى عقدتها لتحديد هذه الوقوف على حسب مااقتضته المعانى التى ظهرت لها مسترشدة فى ذلك بأقوال الأئمة من المفسرين وعلماء الوقف والابتداء .

وأُخِذَ بيان السجدات ومواضعها من كتب الفقه والحديث على خلاف فى خمس منها لم نشر إليه فى هامش المصحف وهى السجدة الثانية بسورة الحج والسجدات الواردة فى السور الآتية : صٓ والنجم والانشقاق والعلق .

وأُخِذَ بيانُ مواضع السكتات عند حفص من «الشاطبية» وشراحها وتعرف كيفيتها بالتلقى من أفواه المشايخ .

﴿اصطلاحات الضبط﴾

وَضْع الصِّفر المستدير (ه) فوق حرفِ عِلَّة يدل على زيادة ذلك الحرف فلا يُنْطقُ به فى الوصل ولا فى الوقف ، نحو : يَتْلُواْ صُحُفًا . أُوْلَٰٓئِكَ . مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ . بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ .

ووضْع الصِّفر المستطيل القائم (ه) فوق أَلِف بعدها متحرّك يدلُّ على زيادتها وصلا لاوقفا ، نحو : أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ . لَّٰكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى . وأهملت الألف التى بعدها ساكن ، نحو : أَنَا ٱلنَّذِيرُ. من وضع الصفر المستطيل فوقها وإن كان حكمها مثل التى بعدها متحرك فى أنها تسقط وصلا وتثبت وقفا لعدم توهم ثبوتها وصلا .

ووضع رأس خاء صغيرة (بدون نقطة) (ح) فوق أى حرف يدُلُّ على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مُظْهَر بحيث يقْرَعه اللسانُ ، نحو : مِنْ خَيْرٍ . وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ . قَدْ سَمِعَ . أَوَعَظْتَ . وَخُضْتُمْ .

وتعرِيَة الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرفِ التالى يدُلُّ على إدغام الأوَّل فى الثانى إدغاماً كاملًا ، نحو : أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا . يَلْهَث ذَّٰلِكَ . وَقَالَت طَّآئِفَةٌ . وَمَن يُكْرِههُّنَّ . وكذا قوله تعالى « أَلَمْ نَخْلُقكُّم » على أرجح الوجهين فيه .

مردودة إلى خلف بعد هاء الضمير المذكور إذا كانت مكسورة يدل على صلتها بياء لفظية فى حال الوصل أيضا .

وتكون هذه الصلة بنوعيها من قبيل المد الطبيعى إذا لم يكن بعدها همز ، فتمد بمقدار حركتين : نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾

وتكون من قبيل المد المنفصل إذاكان بعدها همز ، فتوضع عليها علامة المد ، وتمد بمقدار أربع حركات أوخمس نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، وقوله جل وعلا :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ .

والقاعدة أن حفصا عن عاصم يصل كل هاء ضمير للمفرد الغائب بواو لفظية إذا كانت مضمومة ، وياء لفظية إذا كانت مكسورة بشرط أن يتحرك ماقبل هذه الهاء ومابعدها ، وقد استثنى من ذلك مايأتى :

(١) – الهاء من لفظ ﴿ يَرْضَهُ ﴾ فى سورة الزمر . فإن حفصا ضمها بدون صلة .

(٢) – الهاء من لفظ ﴿ أَرْجِهْ ﴾ فى سورتى الأعراف والشعراء فإنه سكنها .

(٣) – الهاء من لفظ ﴿ فَأَلْقِهْ ﴾ فى سورة النمل ، فإنه سكنها أيضا.

وإذا سكن ماقبل هاء الضمير المذكورة ، وتحرك مابعدها فإنه لايصلها إلا فى لفظ ﴿ فِيهِۦ ﴾ فى قوله تعالى :

﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ فى سورة الفرقان .

أما إذا سكن مابعد هذه الهاء سواء أكان ماقبلها متحركا أم ساكنا

وتعريته مع عدم تشديد التالى يدُلُّ على إدغام الأول فى الثانى إدغاما ناقصا نحو مَن يَقُولُ. مِن وَالٍ. فَرَّطتُمْ. بَسَطتَ. أو إخفائه عنده فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ولا هو مُدْغَم حتى يقلب من جنس تاليه نحو مِن تَحْتِهَا. مِن ثَمَرَةٍ. إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ.

ووضعُ ميم صغيرة (م) بدَلَ الحركة الثانية من المنوَّن أو فوقَ النون الساكنة بدَلَ السكون مع عدم تشديد الباء التالية يدُلُّ على قلب التنوين أو النون ميماً، نحو: عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ. جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ. مُنۢبَثًّا.

وتركيب الحركتين: (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين) هكذا: ـٌ ـً ـٍ يدُلُّ على إظهار التنوين، نحو: سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَلَا شَرَابًا إِلَّا. وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.

وتتابُعهما هكذا ـٌ ـً ـٍ مع تشديد التالى يدُلُّ على الإدغام الكامل نحو: خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ. غَفُورًا رَّحِيمًا. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ.

وتتابُعهما مع عدم التشديد يدُلُّ على الإدغام الناقص نحو: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ. رَحِيمٌ وَدُودٌ. أو الإخفاء، نحو: بِشِهَابٌ ثَاقِبٌ. سِرَاعًا ذَٰلِكَ. بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ. فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف. وتتابعهما بمنزلة تَعْريته عنه.

والحروفُ الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة فى

ووضـع نقطـة مدوّرة مسدودة الوسـط (•)فـوق الهمـزة الثانية من قوله تعالى : ءَاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ . يدل على تسهيلها بينَ بينَ أى بين الهمزة والألف .

ووضع حرف السين فوق الحرف الأخير فى بعض الكلمـات يدل على السكت على ذلك الحرف فى حال وصلـه بما بعـده سكتة يسيرة من غير تنفس .

وورد عن حفص عن عاصـم السكت بلا خلاف من طريـق الشاطبيـة علـى ألـف ﴿ عِوَجَاۜ ﴾ بسـورة الكهـف ، وألـف ﴿ مَّرْقَدِنَاۜ ﴾ بسـورة يسٓ، ونـون ﴿ مَنْۜ رَاقٍ ﴾ بسـورة القيامـة ، ولام ﴿ بَلْۜ رَانَ ﴾ بسـورة المطففين .

ويجوز له فى هاء ﴿ مَالِيَهْۜ ﴾ بسـورة الحاقة وجـهان : أحدهما : إظهارهـا مع السكت ، وثانيهمـا : إدغامهـا فى الهاء التـى بعدها فى لفظ ﴿ هَلَكَ ﴾ .

وقـد ضبـط هذا الموضع على وجـه الإظهـار مع السكت ، لأنـه هو الأرجح ، وذلك بوضع علامة السكون على الهاء الأولى ، مع تجريد الهاء الثانية من علامة التشديد للدلالة على الإظهار ، ووضع حرف السين على هاء ﴿ مَالِيَهْۜ ﴾ للدلالة على السكت عليها سكتة يسيرة بدون تنفس ، لأن الإظهار لايتحقق وصلا إلا بالسكت .

وإلحاق واو صغيرة بعـد هاء ضمير المفـرد الغـائب إذا كانت مضمومة يدل على صلـة هذه الهاء بواو لفظيـة فى حال الـوصل . وإلحاق ياء صغيرة

فإن الهاء لاتوصل مطلقا ، لئلا يجتمع ساكنان .

نحو قوله تعالى : ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ ، ﴿ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

تنبيهـــات :

(١) - فى سورة الروم ورد لفظ ﴿ ضَعْفٍ ﴾ مجرورا فى موضعين ومنصوبا فى موضع واحد .

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾

ويجوز لحفص فى هذه المواضـع الثلاثة وجهـان : أحدهما : فتـح الضاد ، وثانيهما : ضمها .

والوجهان مقروء بهما ، والفتح مقدم فى الأداء .

(٢) - فى لفـــظ ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾ فى سورة النمل وجهـــان لحفص وقفا .

أحـدهما إثبـات اليـــاء ساكنـــة ، وثانيهمـــا : حذفهـــا ، مع الوقف على النون .

أما فى حال الوصل فتثبت الياء مفتوحة .

(٣) - وفى لفـــظ ﴿ سَلَـٰسِلَا۟ ﴾ فى سورة الإنسان وجهـــان أيضا وقفا .

أحـدهما : إثبـات الألـف الأخيرة ، وثانيهمـــا : حذفهـــا ، مع الوقف على اللام ساكنة .

أما فى حال الوصل فتحذف الألف .

المصاحف العُثْمانية مع وجوب النطق بها ، نحو : ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ . يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم . إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ . إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ . وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ .

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر حروف الكتابة الأصلية ولكن تعَسَّر ذلك فى المطابع فاكتفى بتصغيرها فى الدلالة على المقصود .

وإذا كان الحرف المتروك له بدلٌ فى الكتابة الأصلية عُوِّل فى النطق على الحرف الملْحَق لا على البدل ، نحو: ٱلصَّلَوٰةَ . ٱلرِّبَوٰاْ . ٱلتَّوۡرَىٰةِ . ونحو : وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ . فِى ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةً . فان وضعت السين تحت الصاد دلَّ على أن النُّطق بالصاد أشهر وذلك فى لفظ : ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ.

ووضع هذه العلامة (~) فوق الحرف يدل على لزوم مدّه مدّا زائدا على المدّ الأصلى الطبيعى ، نحو : الٓمٓ . ٱلطَّآمَّةُ . قُرُوٓءٍ . سِيٓءَ بِهِمۡ . شُفَعَٰٓؤُاْ . تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ . لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ . بِمَآ أُنزِلَ . على تفصيل يعلم من فنّ التجويد . ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل آمنوا كما وُضع غلطا فى كثير من المصاحف بل تكتب ءامنوا بهمزة وألف بعدها .

والدائرة المحلاة التى فى جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء

الآية وبرقمها على عدد تلك الآية فى السورة ، نحو : إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ولا يجوز وضعها قبل الآية ألبتة فلذلك لا توجد فى أوائل السُّوَر ، وتُوجد دائما فى أواخرها .

وتدل هذه العلامة (۞) على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها .

ووضعُ خطٍّ أُفقىٍّ فوق كلمة يدل على مُوجب السَّجدة .

ووضع هذه العلامة (۩) بعد كلمة يدل على موضع السجدة نحو: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝

ووضع النقطة الخالية الوسط المُعَيَّنة الشكل (۬) تحت الراء فى قوله تعالى : بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا . يدل على إمالة الفتحة إلى الكسرة ، وإمالة الألف إلى الياء . وكان النُّقَّاط يضعونها دائرة حمراء فلما تعسر ذلك فى المطابع عُدِل إلى الشكل المُعَيَّن .

ووضعُ النقطة المذكورة فوق آخر الميم قُبَيْل النون المشدّدة من قوله تعالى : مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ . يَدُل على الإشمام (وهو ضم الشفتين) كمن يريد النطق بضمة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (من غير أن يظهر لذلك أثر فى النطق) .